

غَوْثُ المَلْهُوف

فِي

بَيانِ الفَضْلِ المَعْرُوف

د. سعيد أبو الأسعاد

لَـيْتَهُ خَصَّـنِي بِرُؤْيَـةِ وَجْـهٍ
زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَآهُ الشَّـقَاءُ

بطاقة فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو الأسعاد / سعيد
غوث الملهوف في بيان الفضل المعروف
سعيد أبو الأسعاد
الجيزة : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٢١
تدمك ٩٧٨٩٧٧٥٨٤٢٤٣٤
١ - المتصوفون المصريون
٢ - التصوف الاسلامي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَنْتَ مِصْباحُ كُلِّ فَضْلٍ فما تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الأَضْواءُ
كُلُّ فَضْلٍ فِي العالَمِينَ فَمِنْ فَضْلِ النَّبِيِّ اسْتَعارَهُ الفُضَلاءُ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيا قُلُوبَ المُحِبِّينَ باتِّساعِ رَحْمَتِه ، وأَلْهَمَهُمْ مِنْ حُسْنِ التَّوَسُّلِ ما يَدْفَعُونَ بِهِ عَظِيمَ غَضَبِه وعُقُوبَتِه ، ووَهَبَ لَهُمْ مِنْ مَطايا الرَّجاءِ وحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ ما يَتَّصِلُونَ بِهِ إِلَى مَنازِلِ جَنَّتِه ، فَسُبْحانَهُ مِنْ إِلَهٍ شَرَّفَنا بِمِلَّةِ التَّوْحِيد ، وأَرْسَلَ إِلَيْنا سَيِّدَ الأَحْرارِ والعَبِيد ﷺ وعَلَى آلِهِ وصَحابَتِه ، وحَشَرَنا فِي زُمْرَتِهِ ومَعِيَّتِه ، ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَهَذِهِ فوائِدُ لَطِيفَة ، وفَرائِدُ شَرِيفَة ، تَتَعَلَّقُ بِبَيانِ فَضْلِ بَعْضِ مِمَّا شاعَ ذِكْرُهُ فِي مَجالِسِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ أَهْلِ الفَضْلِ والعِرْفان ، فَتَعَطَّرَ بِتَرْدادِهِ اللِّسان ، واطْمَأَنَّ بِوُرُودِهِ الجَنان ، وذَلِكَ فَضْلُ اللهِ المَلِكِ الرَّحْمَٰن ، الَّذِي يَسَّرَ بِلِسانِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ القُرْآن .

فَمَا عَرَفَ البَلاغَةَ ذُو بَيانٍ ❁ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا

فَأَرَدْتُ التَّذَكُّرَ والتَّذْكِيرَ تَكْثِيرًا لِخَيْرِ الزَّاد ، رَجاءَ التَّنَقُّلِ مِنَ التَّنْظِيرِ النَّظَرِي إِلَى التَّطْبِيقِ العَمَلِي الَّذِي هُوَ غايَةُ المُراد ، مُؤَمِّلًا حِيازَةَ الفَضْلِ فِي هَذِهِ وفِي يَوْمِ المِيعاد .

سَعِيدُ أَبُو الأَسْعَادِ

بيانُ فضلِ البسْمَلة

اعْلَمْ أَنَّ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ كلِمَةٌ مَنْ تحقَّقَ بها فَلَهُ جزيلُ النَّوال ، ومَنْ ذَكَرَها بلَغَ نِهايَةَ الآمال ، ومَنْ لازَمَها خُلِعَتْ عليْهِ خِلَعُ الإقْبال ؛ فهِيَ كلِمَةٌ توسَّلَ بها سَيِّدُنا نُوحٌ عليه السلام في الزَّمنِ القَديم ، وعادَتْ برَكَتُها علَى الهُدْهُدِ فَكُسِيَ تاجًا مِنَ السَّميعِ العَليم ، وقالَ سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ : (فاتِحَةُ كلِّ كِتاب) .

وعَنِ الحافِظِ أبي نُعَيْم ، قالَ : حَدَّثَنا أَبُو بكْر بنُ مُحمَّد المَغْرِبي ، قالَ : أَجْمَعَ عُلَماءُ كلِّ أُمَّةٍ علَى أَنَّ اللهَ تَعالَى افْتَتَحَ كُلَّ كِتابٍ أَنْزَلَهُ بـ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، ولَمَّا أَوْحَى اللهُ تعالَى إِلَى آدَمَ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، قالَ : ما هَذا الاسْمُ الَّذي افْتَتَحَ اللهُ بِهِ الوَحْيَ ؟ قالَ جِبْريلُ : يا آدَمُ هَذا هُوَ الاسْمُ الَّذي قامَتْ بِهِ السَّمواتُ والأَرْضُ ، وأُجْرِيَ بِهِ الماءُ ، ورَسَتْ بِهِ الجبال ، ونَبَتَتْ بِهِ الأَرْضُ ، وقَوِيَتْ بِهِ أَفْئِدَةُ المَخْلُوقين وإنَّما بُدِئَتِ البَسْمَلَةُ بالباءِ دُونَ سائِرِ الحُرُوفِ مَعَ أَنَّ الأَلِفَ أَفْضَلُ مِنْها ؛ لِكَوْنِها أَوَّلَ حَرْفٍ مِن اسْمِهِ الشَّرِيفِ لأَنَّها أَوَّلُ ما نَطَقَتْ بِهِ بَنُو آدَمَ فِي عالَمِ الأَرْواحِ يَوْمَ قِيلَ : ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ ، وقِيلَ : تَنْبيهًا بِما فِيها مِنَ الكَسْرِ ،

عَلَى أَنَّهُ لا يُقدِّمُ إِلَّا المُنْكَسِرُ المُتَواضِعُ ، كما قِيلَ :

مَنْ أَجْمَلَ النَّفْسَ أَحْياها ورَوَّحَها ۞ ولَمْ يَبِتْ طاوِيًا مِنْها عَلَى ضَجَرِ
إِنَّ الرِّياحَ إذا اشْتَدَّتْ عَواصِفُها ۞ فَلَيْسَ تَرْمي سِوَى العالِي مِنَ الشَّجَرِ

فائِدَة : ذَكَرَ الإمامُ القاضِي عِياض فِي مَتْنِ (الشِّفا بتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفَى): دَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ بكاتِبٍ فَقالَ : (يا كاتِبُ أَلِقِ الدَّواةَ وحَرِّفِ القَلَمَ ، وقَوِّمِ الباءَ وفَرِّقِ السِّينَ وافْتَحِ المِيمَ ، وبَيِّنِ الجَلالَةَ وجَوِّدِ الرَّحْمٰنَ الرَّحِيم ، فَإِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرائِيل كَتَبَها وحَسَّنَها فَغَفَرَ اللهُ لَهُ) .

وقِيلَ : إِنَّ الكُتُبَ المُنَزَّلَةَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ مِئَةٌ وأَرْبَعَةٌ ؛ صُحُفُ شِيث سِتُّون ، وصُحُفُ إِبْراهِيمَ ثَلاثُون ، وصُحُفُ مُوسَىٰ قَبْلَ التَّوْراةِ عَشْرٌ ، والتَّوْراةُ والإِنْجِيلُ والزَّبُورُ والفُرْقان ، ومَعانِي كُلِّ الكُتُبِ مَجْمُوعَةٌ فِي القُرْآن ، ومَعانِي القُرْآنِ مَجْمُوعَةٌ فِي الفاتِحَة ، ومَعانِي الفاتِحَةِ مَجْمُوعَةٌ فِي البَسْمَلَة ، ومَعانِي البَسْمَلَةِ مَجْمُوعَةٌ فِي بائِها ؛ ومَعْناها : (بِي كانَ ما كانَ وبِي يَكُونُ ما يَكُونُ) ، زادَ بَعْضُهُم : ومَعانِي الباءِ فِي نُقْطَتِها ، وفِي ذَلِكَ إِشارَةٌ إِلَى الوَحْدَةِ وهِيَ عَدَمُ التَّعَدُّد .

وعَدَدُ حُرُوفِ البَسْمَلَةِ الرَّسْمِيَّةِ تِسْعَةَ عَشَرَ حَرْفًا ، وعَدَدُ خَزَنَةِ النَّارِ

تِسْعَةَ عَشَرَ كما قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ .

قالَ سَيِّدُنا عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعود رضي الله عنه : فَمَنْ أَرادَ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنَ الزَّبانِيَةِ فَلْيَقُلْها ، لِيَجْعَلَ اللهُ بِكُلِّ حَرْفٍ جُنَّةً (وِقايَةً) مِنَ النَّار .

ومِنْ فَوائِدِها أَنَّها أَرْبَعُ كَلِماتٍ والذُّنُوبُ أَرْبَعَةٌ ؛ ذُنُوبٌ بِاللَّيْلِ وذُنُوبٌ بِالنَّهار وذُنُوبٌ بِالسِّرِّ وذُنُوبٌ بِالعَلانِيَة ، فَمَنْ ذَكَرَها عَلَى الإِخْلاصِ غَفَرَ اللهُ لَهُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا .

فِي ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسْمُ اللهِ الأَعْظَم والنُّورُ الأَقْوَم

قالَ بَعْضُ العارِفِينَ المُحَقِّقِينَ : إِنِّي أَسْتَدِلُّ عَلَى أَنَّ فِي ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسْمَ اللهِ الأَعْظَم ، والنُّورَ الأَقْوَم :

إِذْ إِنَّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **إِذا أُضِيفَتْ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ كانَتْ عَلَى قِسْمَيْن** : قِسْمٌ يَبْرُزُ مِنْهُ التَّعْظِيم ، وقِسْمٌ يَبْرُزُ مِنْهُ العُلُوُّ ، وذَلِكَ لِأَمْرَيْن :

أَحَدُهُما : أَنَّ التَّعْظِيمَ هُوَ رِداءُ اللهِ تَعالَى المَثْبُوتُ فِي العالَم ، وهُوَ اسْمُهُ المَبْسُوطُ فِي الأَكْوان ؛ لِكَوْنِهِ لَمْ يَأْتِ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ إِلَّا بَعْدَ وَصْفِ المُقَرَّبِين ، ووَصْفِ أَصْحابِ اليَمِين ، ووَصْفِ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ، بَعْدَ حَقِّ اليَقِين .

فَمَنْ عَلِمَ سِرَّ المُقَرَّبِين ، وسِرَّ أَصْحابِ اليَمِين ، وسِرَّ مُسْتَقَرِّ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّين ، وبَدا لَهُ حَقُّ اليَقِين ، شاهَدَ عَظَمَةَ اللهِ تَعالَى فِي العالَمِ أَجْمَعِهِ ، وشاهَدَ اسْمَ اللهِ تَعالَى الأَعْظَم .

والثَّانِي : بَعْدَ ذَلِكَ أَعْنِي : ثانِي الاعْتِبار ، ولِأَنَّ الشَّكْلَ هُبُوطِيٌّ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلَ لِكُلِّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ مِنْ دَنَسِ الطَّبَقِ التُّرابِي ، والكَشْفِ الحِجابِي ؛ لِأَنَّ الأَشْكالَ قِسْمان : شَكْلٌ هُبُوطِيٌّ ، وشَكْلٌ عُرُوجِيٌّ ، فَهَذا المُتَقَدِّمُ شَكْلٌ هُبُوطِيٌّ لِشُهُودِ الاسْمِ الأَعْظَمِ فِي الدَّائِرَةِ الحِسِّيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ التَّرْكِيبِيَّة .

وأَمَّا الشَّكْلُ **الثَّانِي** ؛ فَهُوَ العُرُوجِي الطُّلُوعِي ، وهُوَ إِضافَةُ الاسْمِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ بَعْدَ تَحْقِيقِ ثَلاثِ مَراتِبَ سُفْلِيَّات ، كَما حَقَّقَتْ فِي الأَوَّلِيَّاتِ مَراتِبَ عُلْوِيَّات ، فالمَراتِبُ العُلْوِيَّاتُ الثَّلاث : أَوْضاعُ شُهُودِكَ فِي الأَرْواحِ القُدْسِيَّاتِ لِلمُقَرَّبِين ، ثُمَّ أَصْحابِ اليَمِينِ الاسْتِشْرافُ عَلَى المُكَذِّبِينَ الضَّالِّين ، والثَّلاثُ السُّفْلِيَّات : الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، والَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ، والَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى ، فَتِلْكَ باطِنُ هَذِهِ فِي عِلْمِ الإِيجادِ الاخْتِراعِي ، وهَذا باطِنٌ فِي الإِيجادِ الإِبْداعِي ، فاسْمُ الرُّبُوبِيَّةِ يُظْهِرُ بِحَقائِقِ الوُجُودِ اسْمَ الأُلُوهِيَّة ، قاهِرٌ بِحَقائِقِ المَوْجُودات ، فَلا يَبْقَى أَبَدًا أَثَرٌ لِمُتَوَهِّمٍ بَصِيرَةٍ بِمُتَبَصِّر .

وإذا أُضيفَ الاسْمُ الَّذي هُوَ اسْمٌ إلى الله ، بَرزَتِ الرَّحمانيَّةُ صِفَة الأُلوهِيَّة ، إلَّا أَنَّ الرُّبُوبيَّةَ ظاهِرَةٌ ، والأُلوهِيَّةَ باطِنيَّة ، فالعَظَمَةُ صِفَةُ الرُّبُوبيَّةِ وكَذا العُلا صِفَةُ الرُّبُوبيَّةِ والرَّحْمانيَّةُ صِفَةُ الأُلوهِيَّةِ إلَّا أَنَّ الرُّبُوبيَّةَ ظاهِرٌ والأُلوهِيَّةَ باطِنٌ .

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **تُوَصِّلُ الخَيْرَ مِنْ جَميعِ العَوالِم**

واعْلَمْ أَنَّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لَتُوَصِّلُ الخَيْرَ مِنْ جَميعِ العَوالِم ، وفِيها سِرُّ المُبْتَدِي المُنْتَهي ، وفِيها مَراتِبُ التَّوحِيد ؛ لأَنَّ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قُبالَةُ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ ، و ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قُبالَةُ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ، و ﴿أُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ قُبالَةُ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ، فَأَوَّلُ دائرَةِ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ كَآخِرِها ، وظاهِرُها كَباطِنِها ، وبِها أَقامَ اللهُ شَجَرَةَ الأَكْوان ، وأَظْهَرَ بِها أَسْرارَ المَكْنُونات ، فَتَأَمَّلْهُ بِفِكْرٍ خَفِيٍّ ، وإيمانٍ بِعَقْلٍ وَفِيٍّ ، ولِذَلِكَ مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رُزِقَ الهَيْبَةَ عِنْدَ العالَمِيْنِ العُلْوِيِّ والسُّفْلِيِّ ، ومَنْ عَلِمَ ما أَوْدَعَ اللهُ فِيها مِنَ الأَسْرار ، وكَتَبَها عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَحْتَرِقْ بالنَّار ، وفِيهِ سِرُّ اسْمِ اللهِ الأَعْظَم .

فائِدَةٌ بِكُلِّ خَيْرٍ عائِدَةٌ : مَنْ كانَتْ لَهُ حاجَةٌ ، فإذا كانَ يَوْمُ الجُمُعَة ، تَطَهَّرَ وراحَ إِلَى الجُمُعَة ، وتَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ (قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ) ، فَإِذا

صَلَّى الجُمُعَةَ قالَ : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وأَسْأَلُكَ باسْمِكَ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَىُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌ﴾ الَّذِي مَلأَتْ عَظَمَتُهُ السَّماواتِ والأَرْض ، وأَسْأَلُكَ باسْمِكَ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الَّذي عَنَتْ لَهُ الوُجُوه ، وخَضَعَتْ لَهُ الرِّقاب ، وخَشَعَتْ لَهُ الأَبْصار ، ووَجِلَتْ مِنْهُ القُلُوب ، وذَرَفَتْ مِنْهُ العُيُون : أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وأَنْ تُعْطِيَنِي حاجَتِي (وهِيَ كَذا وكَذا) .

ومِمَّا قِيلَ فِي البَسْمَلَةِ شِعْرٌ :

كَرِّرْ عَلَيَّ الذِّكْرَ مِنْ أَسْمائِهِ ۞ وَاجْلُ القُلُوبَ بِنُورِهِ وَضِيائِهِ
إِسْمٌ بِهِ الكَوْنُ اسْتَفادَ ضِياءَهُ ۞ فِي أَرْضِهِ وَفَضائِهِ وَسَمائِهِ
لا يَحْصُرُ الوُصَّافُ بَعْضَ صِفاتِهِ ۞ كَلَّا وَلا يَدْرُونَ كُنْهَ سَنائِهِ
يا رَبُّ أَسْأَلُكَ الإِعانَةَ فِي غَدٍ ۞ بِعَظِيمِ إِسْمِكَ فَهْوَ عَيْنُ دَوائِهِ
يا رَبُّ باسْمِكَ أَرْتَجِي مِنْكَ الرِّضا ۞ وَالعَفْوَ عَنْ عَبْدٍ عَصا بِهَوائِهِ

جَعَلَنا اللهُ مِنَ المُتَّبِعِينَ وحَفِظَنا مِنَ المُبْتَدِعِينَ ، وأَذاقَنا لَذَّةَ حُسْنِ اليَقِين ، بِجاهِ سَيِّدِ أَصْفِيائِنا أَجْمَعِين .

بيانٌ في ذِكْرِ الصُّحُفِ الَّتي نَزَلَتْ عَلَى سَيِّدِنا موسَىٰ عليه السلام

(**الصَّحيفَةُ الأُولَى**) يَقُولُ اللّهُ تَبارَكَ وتَعالَى : شَهِدَتْ نَفْسِي لِنَفْسِي أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي ، مُحَمَّدٌ عَبْدِي ورَسُولِي ، فَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضائِي ولَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلائِي ولَمْ يَشْكُرْ نَعْمائِي ولَمْ يَقْنَعْ بِعَطائِي فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوايَ ، ومَنْ أَصْبَحَ حَزِينًا عَلى الدُّنْيا فَكَأَنَّما أَصْبَحَ ساخِطًا عَلَيَّ ، ومَنْ شَكا مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ شَكانِي ، ومَنْ أَجَلَّ غَنِيًّا لأَجْلِ غِناهُ ذَهَبَ ثُلُثا دِينِه ، ومَنْ لَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى مَيِّت فَكَأَنَّما هَدَمَ كَعْبَتِي بِيَدِهِ وكَأَنَّما أَخَذَ رُمْحًا يُحارِبُنِي بِه ، ومَنْ يَأْكُلُ ولَمْ يُبالِ مِنْ أَيْنَ يَأْكُلُ لَمْ يُبالِ اللّهُ مِنْ أَيِّ بابٍ يُدْخِلُهُ النَّار ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ كُلَّ يَوْمٍ فِي زِيادَةٍ مِنْ دِينِهِ فَهُوَ فِي نُقْصان ، ومَنْ كانَ فِي نُقْصانٍ كانَ المَوْتُ خَيْرًا لَهُ ، ومَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللّهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ ، ومَنْ أَطالَ أَمَلَهُ لَمْ يُخْلِصْ عَمَلَهُ .

(**الصَّحِيفَةُ الثَّانِيَة**) يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابْنَ آدَمَ مَنْ قَنَعَ اسْتَغْنَى ، ومَنْ تَرَكَ الحَسَدَ اسْتَراحَ ، ومَنْ تَرَكَ الحَرامَ تَخَلَّصَ لَهُ دِينُه ، ومَنْ تَرَكَ الغِيبَةَ ظَهَرَتْ مَحَبَّتُهُ وتَوَفَّرَتْ حَسَناتُه ، ومَنِ اعْتَزَلَ عَنِ النَّاس سَلِمَ مِنْهُمْ ، ومَنْ قَلَّ كَلامُهُ كَمُلَ عَقْلُهُ ، ومَنْ رَضِيَ بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْق

فَقَدْ وَثِقَ بِما عِنْدَ اللّه ، يا ابْنَ آدَمَ أَنْتَ لا تَعْمَلُ بِما تَعْلَمُ فَكَيْفَ تَطْلُبُ ما لَمْ تَعْمَلْ ، أَفْنَيْتَ عُمُرَكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيا فَمَتَى تَطْلُبُ الجَنَّة ، اعْمَلْ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا ولا تَجْمَعْ كَأَنَّكَ مُخَلَّدٌ أَبَدًا ، إِنَّ اللّهَ أَوْحَى إِلَى الدُّنْيا أَنِ اسْتَخْدِمِي الحَرِيصَ عَلَيْكِ واخْدُمِي الزَّاهِدَ فِيكِ .

(**الصَّحِيفَة الثَّالِثَة**) يَقُولُ اللّهُ تَبارَكَ وتَعالَى : مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيا حَرِيصًا لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللّهِ إِلَّا بُعْدًا ، وفِي الدُّنْيا إِلَّا كَدًّا ، وفِي الآخِرَةِ إِلَّا جَهْدًا ، يا ابْنَ آدَمَ إذا لَمْ تَقْنَعْ بِرِزْقِكَ أَلْزَمَ اللّهُ قَلْبَكَ أَمَلًا لا يَنْقَطِعُ أَبَدًا ، وشُغْلًا لا تَفْرُغُ مِنْهُ أَبَدًا ، يا ابْنَ آدَمَ كُلَّ يَوْمٍ يَغْرُبُ عَلَيْك شَمْسُهُ يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِكَ وأَنْتَ لا تَدْرِي ، وتُوَفَّى كُلَّ يَوْمٍ رِزْقَكَ وأَنْت لا تَحْمَدُ اللّهَ ؛ فَلا بِالقَلِيلِ تَقْنَعُ ولا بِالكَثِيرِ تَشْبَعُ ، يا ابْنَ آدَمَ ما مِنْ يَوْمٍ إِلَّا ويَأْتِيكَ مِنْ عِنْدِي رِزْقٌ ، وما مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا ويَأْتِينِي مِنْ عِنْدِكَ مَلَكٌ كَرِيمٌ بِعَمَلٍ قَبِيح ، تَأْكُلُ رِزْقِي وتَعْصِينِي ، وتَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَك ، خَيْرِي إِلَيْكَ نازِلٌ ، وشَرُّكَ إِلَيَّ صاعِدٌ ، فَنِعْمَ المَوْلَى أَنا وبِئْسَ العَبْدُ أَنْتَ ، أَنا أَسْتَحْيِي مِنْكَ وأَنْتَ لا تَسْتَحْيِي مِنِّي ، وتَنْسانِي وتَذْكُرُ غَيْرِي ، وتَخافُ النَّاسَ وتَأْمَنُ مَكْرِي وغَضَبِي .

(**الصَّحِيفَة الرَّابِعَة**) يَقُولُ اللّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى : يا ابْنَ آدَمَ لا تَكُنْ

تَطْلب التَّوْبَةَ وتُسَوِّفِ الأَوْقات ، ولا تَرْغَبْ فِي الآخِرَةِ وتَتْرُكِ العَمَلَ ، تَقُولُ قَوْلَ العابِدِينَ وتَعْمَلُ عَمَلَ المُنافِقِينَ ، إِنْ أُعْطِيتَ لَمْ تَقْنَعْ ، وإِنْ بُلِيتَ لَمْ تَصْبِرْ ، وتَأْمُرُ بِالخَيْرِ ولا تَفْعَلُهُ ، وتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ ولا تَنْتَهِي عَنْهُ ، وتُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولَسْتَ مِنْهُمْ ، وتُبْغِضُ المُنافِقِينَ وأَنْتَ مِنْهُمْ ، تَقُولُ ما لا تَفْعَلُ ، وتَفْعَلُ ما لا تُؤْمَرُ ، وتَسْتَوْفِي ولا تُوَفِّي ، ما مِنْ يَوْمٍ جَدِيدٍ إِلَّا والأَرْضُ تُخاطِبُكَ فِيهِ وتَقُولُ : يا ابْنَ آدَمَ تَمْشِي عَلَى ظَهْرِي ومَصِيرُكَ إِلَى بَطْنِي ، ويُنادِيكَ القَبْرُ يا ابْنَ آدَمَ أنا بَيْتُ المَسْأَلَةِ وبَيْتُ الوَحْشَةِ فاعْمُرْنِي ولا تَخْرِبْنِي .

(**الصَّحِيفَةُ الخامِسَة**) يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا بَنِي آدَمَ ما خَلَقْتُكُمْ لأَسْتَكْثِرَ بِكُمْ مِنْ قِلَّة ، ولا لأَسْتَأْنِسَ بِكُمْ مِنْ وَحْشَة ، ولا لأَسْتَعِينَ بِكُمْ عَلَى أَمْرٍ عَجَزْتُ عَنْهُ ، ولا لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ ، ولا لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ ، بَلْ خَلَقْتُكُمْ لِتَعْبُدُونِي طَوِيلًا وتَشْكُرُونِي كَثِيرًا وتُسَبِّحُونِي بُكْرَةً وأَصِيلًا ، ولَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ وحَيَّكُمْ ومَيِّتَكُمْ وصَغِيرَكُمْ وكَبِيرَكُمْ وحُرَّكُمْ وعَبْدَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى طاعَتِي ما زادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي مِثْقالَ ذَرَّة ، ولَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وجِنَّكُمْ وحَيَّكُمْ ومَيِّتَكُمْ وصَغِيرَكُمْ وكَبِيرَكُمْ وحُرَّكُمْ وعَبْدَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَعْصِيَتِي ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ

مُلْكِي مِثْقالَ ذَرَّة ، مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العالَمِين ، وهُمُ الفُقَراءُ إِلَيْهِ وهُوَ الغَنِيُّ الحَمِيد ، يا ابْنَ آدَمَ كَما تَدِينُ تُدانُ وكَما تَزْرَعُ تَحْصُدُ .

(**الصَّحِيفَةُ السَّادِسَة**) يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا عُبَّادَ الدِّينار والدِّرْهَم ما خَلَقْتُ لَكُمُ الدَّنانِيرَ والدَّراهِمَ إِلَّا لِتَأْكُلُوا بِها رِزْقِي وتَلْبَسُوا بِها ثِيابِي وتَشْكُرُوا بِها نَعْمائِي وتَجْعَلُوها عَوْنًا عَلَى طاعَتِي وطَرِيقًا إِلَى جَنَّتِي وتَهْرُبُوا مِنْ نارِي ، فَأَخَذْتُمُ الدَّنانِيرَ فَتَقَوَّيْتُمْ بِها عَلَى مَعْصِيَتِي ورَفَعْتُمُوها فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ وعَبَدْتُمُوها دُونِي ، وجَعَلْتُمْ كِتابِي تَحْتَ أَقْدامِكُمْ ، ورَفَعْتُمْ بُيُوتَكُمْ وخَفَضْتُمْ بُيُوتِي ، وآنَسْتُمْ بُيُوتَكُمْ وأَوْحَشْتُمْ بُيُوتِي ، فَلا أَنْتُمْ أَخْيارٌ ولا أَنْتُمْ أَبْرار ، يا عُبَّادَ الدُّنْيا وأَمْوالِها إِنَّما مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ القُبُورِ المُجَصَّصَةِ ظاهِرُها مَلِيحٌ وباطِنُها قَبِيحٌ ، تُخادِعُونَ النَّاسَ وتُحْسِنُونَ إِلَيْهِمْ بِأَلْسِنَتِكُمْ وأَقْوالِكُمْ الجَمِيلَة ، وتُقْبِلُونَ عَلَيَّ بِقُلُوبِكُمُ القاسِيَةِ وأَفْعالِكُمُ القَبِيحَة .

يا بَنِي آدَمَ كَما لا يُغْنِي المِصْباحُ فَوْقَ البَيْتِ وداخِلُهُ مُظْلِمٌ كَذَلِكَ لا يُغْنِي كَلامُكُمْ بِالخَيْرِ مَعَ أَفْعالِكُمُ القَبِيحَة .

يا ابْنَ آدَم : أَخْلِصْ لِي عَمَلَكَ ولا تَنْسَنِي فَأَنا أُعْطِيكَ أَفْضَلَ ما يَطْلُبُ السَّائِلُون .

(**الصَّحِيفَة السَّابِعَة**) يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا بَنِي آدَمَ اعْلَمُوا أَنِّي لَمْ أَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ولا خَلَقْتُكُمْ سُدًى ولا أَنا غافِلٌ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، فَإِنَّكُمْ لا تَنالُونَ ما عِنْدِي إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى ما تَكْرَهُونَ فِي طَلَبِ رِضايَ ، فالصَّبْرُ عَلَى طاعَتِي أَيْسَرُ عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى مَعْصِيَتِي ، اتْرُكُوا المَظالِمَ فِي الدُّنْيا فَهِيَ أَيْسَرُ عَلَيْكُمْ مِنَ العَذابِ فِي الآخِرَة ، يا بَنِي آدَمَ كُلُّكُمْ ضالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، وكُلُّكُمْ مُسِيءٌ إِلَّا مَنْ عَصَمْتُهُ ، فَتُوبُوا إِلَى اللهِ يَرْحَمْكُمُ الله ، ولا تَهْتِكُوا أَسْتارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرارُكُمْ .

(**الصَّحِيفَة الثَّامِنَة**) قالَ تَعالَى : يا بَنِي آدَمَ لا تَلْعَنُوا المَخْلُوقِينَ فَتَرْجِعَ اللَّعْنَةُ عَلَيْكُمْ ، يا ابْنَ آدَمَ اسْتَقامَتِ السَّمواتُ بِاسْمٍ واحِدٍ مِنْ أَسْمائِي ، أَفَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُكَ بِالمَوْعِظَةِ بِجَمِيعِ كِتابِي ، يا بَنِي آدَمَ اعْلَمُوا أَنَّهُ كَما لا يُلِينُ الماءُ الحَجَرَ ، كَذَلِكَ لا تُغْنِي المَوْعِظَةُ القُلُوبَ القاسِيَةَ ، يا ابْنَ آدَمَ تَشْرَبُ الماءَ عَذْبًا ولا تَحْمَدُ ، وتَأْكُلُ الطَّعامَ هَنِيئًا ولا تَشْكُرُ ، ويَخْرُجُ عَنْكَ أَذاهُ سَهْلًا وأَنْتَ غافِلٌ ، وتَنالُ نَفْعَ ذَلِكَ وأَنْتَ لاهٍ ، ولا تَجْتَنِبُ الحَرام ، ولا كَسْبَ الآثام ، ولا تَخافُ النِّيران ، ولا تَتَّقِي غَضَبَ الرَّحْمٰن ، يا بَنِي آدَمَ كَمْ تَشْهَدُونَ أَنَّكُمْ عَبِيدُ اللهِ ثُمَّ

تَعْصُونَهُ ؟ ، وكَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ وأَنْتُمْ تَكْرَهُونَهُ ؟ تَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِكُمْ .

(**الصَّحِيفَةُ التَّاسِعَة**) يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : (يا أَهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُور) ، فَلَمْ تُحْسِنُوا إِلَّا لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ ، ولَمْ تَصِلُوا إِلَّا مَنْ أَكْرَمَكُمْ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَد ، إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ أَساءَ إِلَيْهِمْ ويَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ ويُكَلِّمُونَ مَنْ هَجَرَهُمْ ويُكْرِمُونَ مَنْ أَهانَهُمْ ، إِنِّي بِكُمْ عَلِيمٌ خَبِير .

(**الصَّحِيفَةُ العاشِرَة**) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيا دارُ مَنْ لا دارَ لَهُ ، وبِها يَفْرَحُ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ ، وعَلَيْها يَحْرِصُ مَنْ لا يَقِينَ لَهُ ، ويَطْلُبُ شَهَواتِها مَنْ لا مَعْرِفَةَ لَهُ ، فَمَنْ أَحَبَّ نِعْمَةً زائِلَةً وحَياةً مُنْقَطِعَةً وشَهْوَةً فانِيَةً فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وعَصَى رَبَّهُ ونَسِيَ آخِرَتَهُ وغَرَّتْهُ دُنْياه .

يا ابْنَ آدَمَ كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسانِ إِلَيْهِ ، وكَمْ مِنْ مُسْتَحْسِنٍ لِمَقُولٍ فِيهِ وهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وكَمْ مِنْ هالِكٍ وأَنا أَسْتُرُ عَلَيْهِ ، وكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِدَوامِ عافِيَتِهِ وهُوَ يَكْسِبُ الإِثْمَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ

سَيُجزَوْنَ بما كانوا يَقْتَرِفُون ، يا بَنِي آدَمَ زارِعُونِي أَزْرَعْ لَكُمْ ، وراعُونِي أُخْلِفْ عَلَيْكُمْ ، وعامِلُونِي أَرْحَمْكُمْ ، فَإِنَّ عِنْدِي ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر ، ما عِنْدِي لا يَنْفَدُ وما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ، وأَنا خَزائِنِي لا تَنْقُصُ وأَنا الوَهّابُ الكَرِيم .

(**الصَّحِيفَةُ الحادِيَةَ عَشْرَةَ**) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُروا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وإِيَّايَ فارْهَبُون ، كَما لا تَجْمَعُونَ المالَ إِلَّا بِالنَّصَبِ فَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِالنَّوافِل ، واطْلُبُوا رِضايَ بِمَرْضاةِ المَساكِينِ عِنْدَكُمْ ، وارْغَبُوا فِي رَحْمَتِي بِمُجالَسَةِ العُلَماءِ ، فَإِنَّ رَحْمَتِي لا تُفارِقُهُمْ طَرْفَةَ عَيْن .

يا مُوسَىٰ اسْمَعْ ما أَقُولُ والحَقَّ أَقُولُ : مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى مِسْكِينٍ حَشَرْتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى صُورَةِ الذَّرِّ ، ومَنْ تَواضَعَ لِعالِمٍ أَوْ لِوالِدَيْهِ رَفَعْتُهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة ، ومَنْ تَعَرَّضَ لِهَتْكِ سِتْرِ مُسْلِمٍ هَتَكْتُ سِتْرَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً ، ومَنْ أَهانَ مُؤْمِنًا فِي فَقْرِهِ فَقَدْ بارَزَنِي بِالمُحارَبَة ، ومَنْ أَحَبَّ مُؤْمِنًا مِنْ أَجْلِي صافَحَتْهُ المَلائِكَةُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة .

(**الصَّحِيفَةُ الثّانِيَةَ عَشْرَةَ**) : يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا بَنِي آدَمَ أَطِيعُونِي بِقَدْرِ حَوائِجِكُمْ إِلَيَّ فَإِنَّ صَبْرَكُمْ عَلَى النّارِ قَلِيلٌ ، واكْسِبُوا

مِنَ الدُّنْيا بِقَدْرِ سَكَنِكُمْ فِي القُبُورِ فَإِنَّها بُيُوتُ أَعْمالِكُمْ ، ولا تَنْظُروا إِلَى آجالِكُمُ المُسْتَأْخِرَةِ وأَرْزاقِكُمُ الحاضِرَةِ وذُنُوبِكُمُ المُسْتَتِرَةِ ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وإِلَيْهِ تُرْجَعُون .

يا بَنِي آدَمَ يا مَساكِينُ لَوْ خِفْتُمْ مِنَ النّارِ كَما تَخافُونَ مِنَ الفَقْرِ لَأَنْجَيْتُكُمْ مِنْها وأَغْنَيْتُكُمْ مِنْ حَيْثُ لا تَحْتَسِبُون ، ولَوْ رَغِبْتُمْ فِي الجَنَّةِ كَما تَرْغَبُونَ فِي الدُّنْيا لَأَسْعَدْتُكُمْ فِي الدّارَيْن ، ولَوْ ذَكَرْتُمُونِي كَما يَذْكُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لَسَلَّمَتْ عَلَيْكُمُ المَلائِكَةُ بُكْرَةً وعَشِيًّا ، ولَوْ أَحْسَنْتُمْ لِعِبادِيَ الصّالِحِينَ المَساكِينِ كَما أَحْسَنْتُمْ لِأَبْناءِ الدُّنْيا الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ لَأَكْرَمْتُكُمْ إِكْرامَ المَساكِينِ ولَكِنَّكُمْ تَمِيلُ قُلُوبُكُمْ لِحُبِّ الدُّنْيا وزَوالُها قَرِيب .

(**الصَّحِيفَةُ الثّالِثَةَ عَشْرَةَ**) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : كَمْ مِنْ سِراجٍ قَدْ أَطْفَأَهُ الرِّيحُ ، وكَمْ مِنْ عابِدٍ قَدْ أَفْسَدَهُ العُجْبُ ، وكَمْ مِنْ غَنِيٍّ قَدْ أَفْسَدَهُ الغِنَى ، وكَمْ مِنْ فَقِيرٍ قَدْ أَفْسَدَهُ الفَقْرُ ، وكَمْ مِنْ صَحِيحٍ قَدْ أَفْسَدَتْهُ العافِيَةُ ، وكَمْ مِنْ عالِمٍ قَدْ أَفْسَدَهُ عِلْمُهُ ، فَوَعِزَّتِي وجَلالِي لَوْلا المَشايِخُ الرُّكَّعُ والشَّبابُ الخُشَّعُ والأَطْفالُ الرُّضَّعُ والبَهائِمُ الرُّتَّعُ لَجَعَلْتُ السَّماءَ فَوْقَكُمْ حَدِيدًا والأَرْضَ تَحْتَكُمْ صَفْصَفًا والتُّرابَ رَمادًا

وَلَمْ أُنْزِلْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ قَطْرَةً وَلَمْ أُنْبِتْ لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ حَبَّةً وَلَصَبَبْتُ عَلَيْكُمُ البَلاءَ صَبًّا .

(**الصَّحِيفَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ**) : يَقُولُ اللّهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا ابْنَ آدَمَ لا تَكُنْ كالمِصْباحِ يُحْرِقُ نَفْسَهُ ويُضِيءُ عَلَى النَّاسِ ، وأَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ نَفْسِكَ وقَلْبِكَ فَإِنِّي لا أَجْمَعُ بَيْنَ حُبِّي وحُبِّ الدُّنْيا فِي قَلْبٍ واحِدٍ أَبَدًا ، وتَرَفَّقْ فِي جَمْعِ الرِّزْقِ فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ والحَرِيصَ مَحْرُومٌ والنِّعَمَ لا تَدُومُ والأَجَلَ مَحْتُومٌ والحَقَّ مَعْلُومٌ وخَيْرَ الحِكْمَةِ خَشْيَةُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخَيْرَ الغِنَى القَناعَةُ ، وخَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وخَيْرَ ما أَعْطَيْتُكُمُ العافِيَةُ ، وشَرَّ أَحادِيثِكُمُ الكَذِبُ ، وشَرَّ أَفْعالِكُمُ النَّمِيمَةُ ، وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ للعَبِيدِ .

(**الصَّحِيفَةُ الخامِسَةَ عَشْرَةَ**) : يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ ، ولِمَ تَنْهَوْنَ عَمَّا لَيْسَ عَنْهُ تَنْتَهُونَ ، ولِمَ تَأْمُرُونَ بِما لا تَفْعَلُونَ ، ولِمَ تَجْمَعُونَ ما لا تَأْكُلُونَ ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنَ المَوْتِ أَمانٌ ، أَمْ أَتَتْكُمْ بَراءَةٌ مِنَ النِّيرانِ ، أَمْ تَحَقَّقْتُمْ مِنَ الفَوْزِ بِالجِنانِ ، أَمْ حَصَلَ عِنْدَكُمْ مِنَ الرَّحْمنِ أَمانٌ ، أَبَطَرَتْكُمُ النِّعْمَةُ وأَفْسَدَكُمُ الإِحْسانُ ، وغَرَّكُمْ مِنَ اللهِ طُولُ الإِمْهالِ .

فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الصِّحَّةُ فَإِنَّها أَيَّامٌ مَعْلُومَةٌ وأَنْفاسٌ مَعْدُودَةٌ ، وأَسْرارٌ مَكْشُوفَةٌ يَراها مَنْ لا تَخْفَى عَلَيْهِ خافِيَةٌ ، فاتَّقُوا اللّهَ يا أُولِي الأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وقَدِّمُوا ما فِي أَيْدِيكُمْ لِما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ .

يا ابْنَ آدَمَ أَنْتَ فِي هَدْمِ عُمُرِكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ، يا ابْنَ آدَمَ إِنَّما مَثَلُكَ فِي الدُّنْيا وحَلاوَتِها ومَكْرِها بِكَ كَمَثَلِ الذُّبابِ فِي العَسَلِ كُلَّما هَبَطَ فِيهِ هَلَكَ ، فَلا تَكُنْ كالحَطَبِ تُحْرِقُ نَفْسَكَ لِمَنافِعِ النَّاسِ .

(**الصَّحِيفَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ**) : يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ اعْمَلْ بِما أَمَرْتُكَ وانْتَهِ عَمَّا نَهَيْتُكَ أَجْعَلْكَ حَيًّا لا تَمُوتُ ، يا ابنَ آدَمَ إِذا كانَ قَوْلُكَ مَلِيحًا وعَمَلُكَ قَبِيحًا فَأَنْتَ رَأْسُ المُنافِقِينَ ، وإِذا كانَ ظاهِرُكَ حَسَنًا وباطِنُكَ قَبِيحًا فَأَنْتَ أَهْلَكُ الهالِكِينَ ، يُخادِعُونَ اللّهَ والَّذِينَ آمَنُوا وما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يَشْعُرُونَ ، يا ابنَ آدَمَ لا يَدْخُلُ جَنَّتِي إِلَّا مَنْ تَواضَعَ لِعَظَمَتِي وقَطَعَ نَهارَهُ بِذِكْرِي وكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَواتِ مِنْ أَجْلِي .

يا ابنَ آدَمَ آوِ الغَرِيبَ وصِلِ القَرِيبَ وواسِ الفَقِيرَ وارْحَمِ المُصابَ وأَكْرِمِ اليَتِيمَ ، وكُنْ كالأَبِ الرَّحِيمِ ، وكُنْ للأَرْمَلَةِ كالزَّوْجِ الشَّفُوقِ ، فَمَنْ كانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ودَعانِي لَبَّيْتُهُ أَوْ سَأَلَنِي أَعطَيْتُه .

(الصَّحِيفَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدمَ تَشْكُونِي ولَيْسَ مِثْلِي يُشْكَى ، وتَنْسانِي ولَيْسَ مِثْلِي يَسْتَوْجِبُ ذَلِكَ ، وإِلَى مَتَى تَكْفُرُ نِعْمَتِي ولَسْتُ بِظَلَّامٍ للعَبِيدِ ، وإِلَى مَتَى تَسْتَخِفُّ بِكِتابِي ولَمْ أُكَلِّفْكَ ما لَمْ تُطِيق ، وإِلَى مَتَى تَجْفُونِي ولَمْ أَجْفُكَ ، وإِلَى مَتَى تَجْحَدُنِي ولَيْسَ لَكَ غَيْرِي ، وهَلْ لَكَ طَبِيبٌ غَيْرِي ؟ وهَلْ يَشْفِيكَ إِلَّا دَوائِي ؟! وإِلَى مَتَى تَشْكُونِي وتَسْخَطُ بِقَضائِي فِيكَ وهُوَ خَيْرٌ لَكَ ، وتَقُولُ فَعَلَ بِنا دَهْرُنا وزَمانُنا كَذا وكَذا ، وتَنْسانِي وأَنا أَرْسَلْتُ عَلَيْكُمُ السَّماءَ مِدْرارًا فَقُلْتُمْ سُقِينا هَذا المَطَرَ بِنَوْءِ كَذا وكَذا وأَنا الَّذي خَلَقْتُ النَّجْمَ والنَّوْءَ وأَنْزَلْتُ عَلَيْكُمُ المَطَرَ بِرَحْمَتِي قَدَرًا مَقْدُورًا مَكْيُولًا مَعْدُودًا مَوْزُونًا مَقْسُومًا .

يا بَنِي آدمَ إِذا وَجَدَ أَحَدُكُمْ قُوتَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ولَمْ يَشْكُرْنِي فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِنِعْمَتِي ، ومَنْ مَنَعَ الزَّكاةَ مِنْ مالِهِ فَقَدِ اسْتَخَفَّ بِكِتابِي ، وإِذا حانَ وَقْتُ الصَّلاةِ ولَمْ يَتَفَرَّغْ لَها فَقَدْ غَفَلَ عَنِّي .

(الصَّحِيفَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدمَ اصْبِرْ وتَواضَعْ أَرْفَعْكَ ، واشْكُرْنِي أَزِدْكَ ، واسْتَغْفِرْنِي أَغْفِرْ لَكَ ، وصِلْ رَحِمَكَ أَزِدْ فِي أَجَلِكَ ، واطْلُبْ مِنِّي العافِيَةَ بِطُولِ الصَّمْتِ ، واعْلَمْ

أَنَّ السَّلامَةَ فِي الوَحْدَةِ ، والإِخْلاصَ فِي الوَرَعِ ، والزُّهْدَ فِي التَّوْبَةِ ، والعِبادَةَ فِي العِلْمِ ، والغِنَى فِي القَناعَةِ .

يا ابنَ آدمَ كَيْفَ تَطْمَعُ فِي تَجَلِّي القَلْبِ مَعَ كَثْرَةِ النَّوْمِ ، وكَيْفَ تَطْمَعُ فِي الوَرَعِ مَعَ حُبِّ الدُّنْيا ، وكَيْفَ تَطْمَعُ فِي مَرْضاةِ اللهِ مَعَ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ ، وكَيْفَ تَطْمَعُ فِي الثَّناءِ مَعَ كَثْرَةِ البُخْلِ ، وكَيْفَ تَطْمَعُ فِي الحِكْمَةِ مَعَ حُبِّ الثَّناءِ بِالمَحَبَّةِ والمَدْحِ ، وكَيْفَ تَطْمَعُ فِي السَّعادَةِ مَعَ قِلَّةِ العِلْمِ .

(الصَّحِيفَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا أَيُّها النَّاسُ لا عُدَّةَ كالتَّدْبِيرِ ، ولا وَرَعَ كالكَفِّ عَنِ الأَذَى ، ولا حَسَبَ أَرْفَعُ مِنَ الأَدَبِ ، ولا شَفِيعَ كالتَّوْبَةِ ، ولا عِبادَةَ كالعِلْمِ ، ولا صَلاةَ كالخَشْيَةِ ، ولا سَعادَةَ كالتَّوْفِيقِ ، ولا زَيْنَ أَزْيَنُ مِنَ العَقْلِ .

يا ابنَ آدمَ تَفَرَّغْ لِعِبادَتِي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنًى وبَيْتَكَ رِزْقًا وجَسَدَكَ راحَةً ، ولا تَغْفَلْ عَنْ ذِكْرِي أَمْلأْ قَلْبَكَ فَقْرًا وبَدَنَكَ تَعَبًا ونَصَبًا وصَدْرَكَ هَمًّا وغَمًّا وجَسَدَكَ سَقَمًا وعَناءً .

يا ابنَ آدمَ بِعافِيَتِي قَوِيتَ عَلَى طاعَتِي ، وبِتَوْفِيقِي أَدَّيْتَ فَرائِضِي وبِرِزْقِي تَجَمَّلْتَ وبِمالِي تَحَكَّمْتَ ، وأَنْتَ تَنْسانِي وتَذْكُرُ غَيْرِي ولا تُؤَدِّي شُكْرِي .

(**الصَّحِيفَةُ العِشْرُونَ**) : يَقُولُ اللهُ تبارَكَ وتعالَى : المَوْتُ يَكْشِفُ أَسْتارَكَ والقِيامَةُ تَتْلُو أَخْبارَكَ والكِتابُ يَهْتِكُ أَسْتارَكَ ، وإِذا أَذْنَبْتَ ذَنْبًا صَغِيرًا فلا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِهِ ولَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ ، وإِذا رُزِقْتَ رِزْقًا فَلا تَنْظُرْ إِلَى قِلَّتِهِ ولَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ رَزَقَكَ إِيَّاهُ وفَضَّلَكَ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ ، ولا تَجْمَعَنَّ عَلَيْكَ الذُّنُوبَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي بِأَيِّ ذَنْبٍ أَغْضَبُ عَلَيْكَ وأَمْنَعُكَ رِزْقِي وأُغْلِقُ أَبْوابَ السَّماءِ عَنْ دُعائِكَ ، فَلا تَأْمَنُوا مَكْرِي فَإِنَّ مَكْرِي أَخْفَى عَلَيْكُمْ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفا .

يا بَنِي آدَمَ هَلْ عَصَيْتُمُونِي فَذَكَرْتُمْ غَضَبِي فانْتَهَيْتُمْ عَنْ مَعْصِيَتِي ، أَمْ هَلْ أَدَّيْتُمْ فَرائِضِي كَما أَمَرْتُكُمْ ؟ وهَلْ واسَيْتُمُ المَساكِينَ مِنْ أَمْوالِكُمْ ؟ وهَلْ أَحْسَنْتُمْ إِلَى مَنْ أَساءَ إِلَيْكُمْ ؟ وهَلْ غَفَرْتُمْ لِمَنْ ظَلَمَكُمْ ووَصَلْتُمْ مَنْ قَطَعَكُمْ ؟ وهَلْ وَفَّيْتُمْ لِمَنْ خانَكُمْ ؟ وهَلْ أَدَّبْتُمْ أَوْلادَكُمْ ؟ وهَلْ أَرْضَيْتُمْ جِيرانَكُمْ ؟ وهَلْ سَأَلْتُمُ العُلَماءَ عَنْ أَمْرِ دِينِكُمْ ؟ فَإِنِّي لا أَنْظُرُ لِصُوَرِكُمْ ولا إِلَى مَحاسِنِكُمْ ولَكِنْ أَنْظُرُ إِلَى ما فِي قُلُوبِكُمْ فَأَرْضَى عَنْكُمْ بِهَذِهِ الخِصالِ .

(**الصَّحِيفَةُ الحادِيَةُ والعِشْرُونَ**) : يَقُولُ اللهُ تَعالَى : يا ابنَ آدَمَ انْظُرْ إِلَى نَفْسِكَ وإِلَى جَمِيعِ خَلْقِي فَإِنْ وَجَدْتَ أَحَدًا أَعَزَّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ

فَأَضِفْ كَرامَتَكَ إِلَيْهِ وإِلَّا فاكْرِمْ نَفْسَكَ بِالتَّوْبَةِ والعَمَلِ الصَّالِحِ ، وإِنْ كانَتْ نَفْسُكَ عَلَيْكَ عَزِيزَةً فَلا تُهِنْها بِالمَعاصِي ولا تُعَرِّضْها لِعَذابِ النَّارِ ، يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ومِيثاقَهُ الَّذِي واثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وأَطَعْنا واتَّقُوا اللهَ قَبْلَ يَوْمِ الواقِعَةِ ويَوْمِ التَّغابُنِ ويَوْمِ الحاقَّةِ ويَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ هَذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ، يَوْمُ الطَّامَّةِ يَوْمُ الصَّاخَّةِ يَوْمٌ كانَ عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ، يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، يَوْمُ الدَّمْدَمَةِ يَوْمُ الزَّلْزَلَةِ وتَعْجِيلِ الوَبالِ إِذا شابَتْ مِنْ هَوْلِها الوِلْدانُ ، ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ .

(**الصَّحِيفَةُ الثَّانِيَةُ والعِشْرُونَ**) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلًا .

يا مُوسَىٰ بنَ عِمْرانَ ، يا صاحِبَ جَبَلِ البَيانِ ، اسْمَعْ كَلامِي فَأَنا المَلِكُ الدَّيَّانُ ، لَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَكَ تُرْجُمانٌ ، بَشِّرْ آكِلَ الرِّبا وعاقَّ والِدَيْهِ بِغَضَبِ الرَّحْمٰنِ ، ومُقَطَّعاتِ النِّيرانِ .

يا ابنَ آدَمَ إِذا وَجَدْتَ قَساوَةً فِي قَلْبِكَ وسَقَمًا فِي بَدَنِكَ وحِرْمانًا فِي رِزْقِكَ ونَقْصًا فِي عَمَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِيما لا يَعْنِيكَ أَمْرُهُ .

يا ابنَ آدَمَ لا يَسْتَقِيمُ لَكَ قَلْبُكَ حَتَّى تَسْتَحْيِيَ مِنِّي ، وكَيْفَ تَسْتَحْيِ مِنِّي وقَدْ أَرْضَيْتَ الشَّيْطانَ وأَغْضَبْتَ الرَّحْمَن .

يا ابنَ آدَمَ إِذا نَظَرْتَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ ونَسِيتَ عَيْبَكَ فَقَدْ أَرْضَيْتَ الشَّيْطانَ وأَغْضَبْتَ الرَّحْمَن .

يا ابنَ آدَمَ لِسانُكَ أَسَدٌ إِنْ أَطْلَقْتَهُ أَكَلَكَ وأَهْلَكَك .

(الصَّحِيفَةُ الثَّالِثَةُ والعِشْرُون) : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ : يا بَنِي آدَمَ إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، واعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تُحْشَرُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ أَفْواجًا أَفْواجًا ، وتَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَفًّا صَفًّا ، وتَقْرَؤُونَ الكِتابَ حَرْفًا حَرْفًا ، وتُسْأَلُونَ عَمَّا عَمِلْتُمْ سِرًّا وجَهْرًا ، يَوْمَ يُساقُ المُتَّقُونَ إِلَى الجَنَّةِ وَفْدًا والمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ، فَكَفَى بِكُمْ هَذا وَعْدًا ووَعِيدًا .

إِنَّنِي أَنا اللَّهُ لا شَبِيهَ لِي ولَيْسَ لأَحَدٍ سُلْطانٌ كَسُلْطانِي ، فَمَنْ ظَلَّ فِي لَيْلِهِ قائِمًا كانَ لَهُ شَأْنٌ مِنَ الشَّانِ ، ومَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مَحارِمِي أَمَّنْتُهُ مِنْ حَرِّ نارِي ، فَأَنا الرَّبُّ فاعْرِفُونِي ، والمُنْعِمُ فاشْكُرُونِي ، والحافِظُ فاسْتَحْفِظُونِي ، والنَّاصِرُ فاسْتَنْصِرُونِي ، والمَقْصُودُ فاقْصِدُونِي ، والمُعْطِي فاسْأَلُونِي ، والمَعْبُودُ فاعْبُدُونِي ، والعالِمُ بالسَّرائِرِ فاحْذَرُونِي .

(الصَّحِيفَةُ الرَّابِعَةُ والعِشْرُون) : يَقُولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى : شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ والمَلائِكَةُ وأُولُو العِلْمِ قائِمًا بِالقِسْطِ ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِين .

كُلُّ مُحْسِنٍ فِي الجَنَّةِ ، وإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ هالِكٌ وأَنا أُهْلِكُهُ إِذا عَصانِي ، وَمَنْ يَئِسَ مِنْ رَحْمَتِي أَهْلَكْتُهُ ، وَمَنْ عَرَفَ الحَقَّ فاتَّبَعَهُ أَمِنَ ، وَمَنْ عَرَفَ الباطِلَ فاتَّقاهُ فازَ ، وَمَنْ عَرَفَ الشَّيْطانَ فَتَرَكَهُ سَلِمَ ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَأَطاعَهُ نَجا ، وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيا فَرَفَضَها خَلَصَ ، وَمَنْ عَرَفَ الآخِرَةَ فَطَلَبَها وَصَلَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وإِلَيْهِ تُقْلَبُون .

يا ابنَ آدَمَ إِذا كانَ اللَّهُ قَدْ تَكَفَّلَ لَكَ بِالرِّزْقِ فاهْتِمامُكَ فُضُولٌ ، وإِذا كانَ الخَلَفُ مِنَ اللَّهِ فالبُخْلُ لِماذا ؟ وإِذا كانَ إِبْلِيسُ عَدُوَّ اللَّهِ فَطاعَتُهُ لِماذا ؟ وإِذا كانَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَضائِي وقَدَرِي فالجَزَعُ لِماذا ؟ فَلا تَأْسَوْا عَلَى ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُور .

(الصَّحِيفَةُ الخامِسَةُ والعِشْرُون) : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ أَكْثِرْ مِنَ الزّادِ فَإِنَّ الطَّرِيقَ بَعِيدٌ ، وجَدِّدِ المَرْكَبَ فَإِنَّ البَحْرَ عَمِيقٌ ،

وأَخْلِص العَمَلَ فَإنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ ، وابْعِدْ مِنَ النَّارِ بِبُغْضِ الفُجَّارِ وحُـ
الأَبْرارِ فَإنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ .

(**الصَّحِيفَةُ السَّادِسَةُ والعِشْرُونَ**) : يَقُولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا بَنِـ
آدَمَ ، تَعْصُونَنِي وأَنْتُمْ تَجْزَعُونَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ والرَّمْضاءِ ، وجَهَنَّمُ
لَها سَبْعُ طِباقٌ يَأْكُلُ بَعْضُها بَعْضًا ، فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْها سَبْعُونَ أَلْفَ وا
مِنْ نار ، وفِي كُلِّ وادٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شِعْبٍ مِنْ نار ، وفِي كُلِّ شِعْبٍ سَبْعُونَ
أَلْفَ دارٍ مِنْ نار ، وفِي كُلِّ دارٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ النَّار ، وفِي كُلِّ
بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بِئْرٍ مِنْ نار ، وفِي كُلِّ بِئْرٍ سَبْعُونَ أَلْفَ تابُوتٍ مِنْ نار ،
وفِي كُلِّ تابُوتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شَجَرَةٍ مِنْ زَقُّوم ، تَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ سَبْعُونَ
أَلْفَ قَيْدٍ مِنْ نار ، وفِي كُلِّ قَيْدٍ سَبْعُونَ أَلْفَ سِلْسِلَةٍ مِنْ نارٍ وسَبْعُونَ
أَلْفَ ثُعْبانٍ ، طُولُ كُلِّ ثُعْبانٍ أَلْفُ ذِراع وفِي جَوْفِ كُلِّ ثُعْبانٍ بَحْرٌ مِنَ
السُّمِّ الأَسْوَدِ وسَبْعُونَ أَلْفَ عَقْرَبٍ لِكُلِّ عَقْرَبٍ أَلْفُ ذَنَبٍ طُولُ كُلِّ ذَنَبٍ
أَلْفُ ذِراعٍ وفِي كُلِّ ذَنَبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فَقْرَة ، فِي كُلِّ فَقْرَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ
رَطْلٍ مِنَ السُّمِّ الأَحْمَر .

والطُّورِ وكِتابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ والبَيْتِ المَعْمُورِ والسَّقْفِ المَرْفُوعِ
والبَحْرِ المَسْجُورِ .

ابنَ آدَمَ ما خَلَقْتُ هَذِهِ النِّيرانَ إلَّا لِكُلِّ عاقٍّ والِدَيْه ولِكُلِّ بَخِيلٍ
لِكُلِّ نَمَّامٍ ومُراءٍ ومانِعِ الزَّكاةِ مِنْ مالِهِ ، والزَّانِي وآكِلِ الرِّبا وشارِبِ
خَمْرِ وظالِمِ اليَتِيمِ والأَجِيرِ والغادِرِ والنَّائِحَةِ وجامِعِ الحَرامِ وناسِي
قُرْآنِ ، وكُلِّ فاجِرٍ ومُؤْذِي الجِيرانِ إلَّا مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صالِحًا ،
لَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وكانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا .
رْحَمُوا أَنْفُسَكُمْ يا عِبادِي ، فَإنَّ الأَبْدانَ ضِعافٌ والسَّفَرَ بَعِيدٌ والحِمْلَ
قِيلٌ والمُنادِي إسْرافِيلُ والنَّارُ لَظَى والقاضِي رَبُّ العالَمِينَ ويُحَذِّرُكُمُ
اللَّهُ نَفْسَهُ .

(**الصَّحِيفَةُ السَّابِعَةُ والعِشْرُونَ**) : يَقُولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا أَيُّها
النَّاسُ كَمْ رَغِبْتُمْ فِي دُنْيا فانِيَةٍ ونَعِيمُها زائِلٌ ، وحَياةٍ مُنْقَطِعَةٍ وإثْمُها
باقٍ ، وأَنا عِنْدِي لِلمُطِيعِينَ الجِنانُ بِأَبْوابِها الثَّمانِيَةِ ، لِكُلِّ جَنَّةٍ سَبْعُونَ
أَلْفَ رَوْضَةٍ مِنَ الزَّعْفَرانِ ، فِي كُلِّ رَوْضَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَدِينَةٍ مِنَ
الياقُوتِ ، فِي كُلِّ مَدِينَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ قَصْرٍ مِنَ الياقُوتِ ، فِي كُلِّ
قَصْرٍ سَبْعُونَ أَلْفَ دارٍ مِنَ الزَّبَرْجَدِ ، فِي كُلِّ دارٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ مِنَ
الذَّهَبِ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ دُكَّانٍ ، عَلَى كُلِّ دُكَّانٍ سَبْعُونَ أَلْفَ
مائِدَةٍ مِنَ العَنْبَرِ ، عَلَى كُلِّ مائِدَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ صَحْفَةٍ مِنَ الجَواهِرِ ،

فِي كُلِّ صَحْفَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ لَوْنٍ مِنَ الطَّعامِ ، وداخِلَ كُلِّ دُكَّانٍ سَبْعُ
أَلْفَ سَرِيرٍ مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فِراشٍ
الحَرِيرِ والدِّيباجِ ومِنَ السُّنْدُسِ والإسْتَبْرَقِ ، داخِلَ كُلِّ سَرِيرٍ أَلْفُ نَ
مِنْ ماءِ الحَياةِ واللَّبَنِ والخَمْرِ والعَسَلِ المُصَفَّى ، فِي كُلِّ نَهْرٍ سَبْعُو
أَلْفَ خَيْمَةٍ مِنَ الأُرْجُوانِ ، فِي كُلِّ خَيْمَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ فِراشٍ ، عَلَى
فِراشٍ حَوْراءُ مِنَ الحُورِ العِينِ بَيْنَ يَدَيْها سَبْعُونَ أَلْفَ وَصِيفَةٍ كَأَنَّ
بَيْضٌ مَكْنُونٌ ، عَلَى رَأْسِ كُلِّ قَصْرٍ مِنْ تِلْكَ القُصُورِ أَلْفُ قُبَّةٍ
الكافُورِ ، فِي كُلِّ قُبَّةٍ أَلْفُ هَدِيَّةٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ ، وفِيها ما لا عَيْنٌ رَأَ
ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وفاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ولَحْ
طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وحُورٌ عِينٌ كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ جَزاءً بِما كانُ
يَعْمَلُونَ ، ولا يَمُوتُونَ فِيها ولا يَهْرَمُونَ ولا يَجْزَعُونَ ولا يَحْزَنُونَ
يَبْكُونَ ولا يَتْعَبُونَ ولا يُضامُونَ ولا يَمْرَضُونَ ولا يَسْقَمُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ
ولا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ وما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ .

فَمَنْ أَرادَ رِضايَ ودارَ كَرامَتِي فَلْيَتَقَرَّبْ إلَيَّ بِالصِّدْقِ والاسْتِهانَ
بِالدُّنْيا والقَناعَةِ بِالقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ .

(**الصَّحِيفَةُ الثَّامِنَةُ والعِشْرُونَ**) : يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا أَيُّهَ

ذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، واعْلَمُوا
م العِلْمَ بِلا عَمَلٍ كَمَثَلِ الشَّجَرَةِ بِلا ثَمَرَةٍ ، ومَثَلُ العِلْمِ بِلا عَمَلٍ كَمَثَلِ
نْ زَرَعَ المِلْحَ عَلَى الصَّفا ، ومَثَلُ العِلْمِ عِنْدَ الحَمْقَى ، كَمَثَلِ الدُّرِّ
لياقُوتِ عِنْدَ البَهائِمِ ، ومَثَلُ القَلْبِ القاسِي كَمَثَلِ الحَجَرِ النَّابِتِ فِي
كُماء ، ومَثَلُ المَوْعِظَةِ عِنْدَ مَنْ لا يَرْغَبُ فِيها كَمَثَلِ الطَّعامِ والشَّرابِ
نْدَ القُبُورِ ، ومَثَلُ الصَّدَقَةِ مِنَ المالِ الحَرامِ كَمَثَلِ الَّذِي يَغْسِلُ
مقاذُوراتِ بِالبَوْلِ ، ومَثَلُ الصَّلاةِ بِلا زَكاةٍ كَمَثَلِ الجُثَّةِ بِلا رُوحٍ ،
مَثَلُ العِلْمِ بِلا خَشْيَةٍ كَمَثَلِ البُنْيانِ بِلا أَساسٍ ، فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ
لَّا القَوْمُ الخاسِرُونَ .

الصَّحِيفَةُ التَّاسِعَةُ والعِشْرُونَ) : يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا ابْنَ
آدَمَ ، المالُ مالِي وأَنْتَ عَبْدِي ، ولَيْسَ لَكَ مِنْ مالِي إلَّا ما أَكَلْتَ
فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ ومَهْما ادَّخَرْتَ فَحَظُّكَ
مِنَ المَقْتِ .

يا ابْنَ آدَمَ ، إنَّما أَنْتَ ثَلاثَةُ أَقْسامٍ ، فَواحِدٌ لِي وواحِدٌ لَكَ وواحِدٌ بَيْنِي
وبَيْنَكَ ؛ فَأَمَّا الَّذِي لِي فَرُوحُكَ ، وأَمَّا الَّذِي لَكَ فَعَمَلُكَ ، وأَمَّا الَّذِي
بَيْنِي وبَيْنَكَ فَمِنْكَ الدُّعاءُ ومِنِّي الإجابَةُ .

يا ابنَ آدَمَ إذا كانَتِ الأُمَراءُ تَدْخُلُ النَّارَ بِالتَّجَبُّرِ والتَّكَبُّرِ عَلَى خَلْقِي والعامَّةُ بِالمَعْصِيَةِ ، والعُلَماءُ بِالحَسَدِ ، والقُرَّاءُ بِالغَفْلَةِ ، والتُّجَّارُ بِالخِيانَةِ ، والصُّنَّاعُ بِالغِشِّ ، والعُبَّادُ بِالرِّياءِ ، والأَغْنِياءُ بِالكِبْرياءِ ومَنْعِ الزَّكاةِ ، والفُقَراءُ بِالكَذِبِ ، فَأَيْنَ مَنْ يَطْلُبُ الجَنَّةَ ؟

(الصَّحِيفَةُ الثَّلاثُونَ) : يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا ابنَ آدَمَ ، أَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قَلْبِكَ فَإِنِّي لا أَجْمَعُ بَيْنَ حُبِّي وحُبِّ الدُّنْيا فِي قَلْبٍ واحِدٍ أَبَدًا .

يا ابنَ آدَمَ ، تَفَرَّغْ لِذِكْرِي أَذْكُرْكَ عِنْدَ مَلائِكَتِي .

يا ابنَ آدَمَ ، إِلَى مَتَى تَقُولُونَ اللهَ اللهَ ، وفِي قُلُوبِكُمْ وشُغْلِكُمْ وهِمَّتِكُمْ غَيْرُ اللهِ فَلا خِفْتُمُ اللهَ ، فاسْتَغْفِرُوا اللهَ غَيْرَ مُصِرِّينَ ، فَإِنَّ الاسْتِغْفارَ مَعَ الإِصْرارِ تَوْبَةُ الكَذَّابِينَ ، وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ .

(الصَّحِيفَةُ الحادِيَةُ والثَّلاثُونَ) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ أَجَلُكَ يَضْحَكُ عَلَى أَمَلِكَ ، وقَضائِي يَضْحَكُ عَلَى حَذَرِكَ ، وتَقْدِيرِي يَضْحَكُ مِنْ تَدْبِيرِكَ ، وقَسْمِي يَضْحَكُ مِنْ حِرْصِكَ ؛ فَأَهْمِلِ الطَّلَبَ واسْتَسْلِمْ لِقَضائِي وقَدَرِي وقَسْمِي ، فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ وما قَدَّرْتُهُ مَحْتُومٌ ، فَبادِرْ بِعَمَلِكَ لِآخِرَتِكَ ، واعْلَمْ أَنَّ رِزْقَكَ فِي الدُّنْيا لا يَأْكُلُهُ

غَيْرُكَ ، نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا ورَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ ، إِنِّي أَوْحَيْتُ إِلَى الدُّنْيا يا دُنْيا هُونِي عَلَى أَوْلِيائِي حَتَّى يُحِبُّوا لِقائِي .

يا ابنَ آدَمَ إِنَّ المَوْتَ نازِلٌ بِكَ وإِنْ كَرِهْتَ ، فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ مَبْعُوثٌ ، وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ، ومِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإِدْبارَ النُّجُومِ .

يا ابنَ آدَمَ تُرِيدُ وأُرِيدُ ولا يَكُونُ إِلَّا ما أُرِيدُ .

يا أَيُّها النَّاسُ مَنْ قَصَدَنِي عَرَفَنِي ومَنْ عَرَفَنِي أَرادَنِي ومَنْ أَرادَنِي طَلَبَنِي ومَنْ طَلَبَنِي وَجَدَنِي ومَنْ وَجَدَنِي ذَكَرَنِي ومَنْ ذَكَرَنِي ولَمْ يَنْسَنِي ذَكَرْتُهُ ولَمْ أَنْسَهُ .

يا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ لا تُخْلِصُ عَمَلَكَ حَتَّى تَذُوقَ أَرْبَعَةً : مَوْتٌ أَحْمَرُ ومَوْتٌ أَبْيَضُ ومَوْتٌ أَصْفَرُ ومَوْتٌ أَسْوَدُ ؛ فَأَمَّا المَوْتُ الأَحْمَرُ فاحْتِمالُ الجَفاءِ ، وأَمَّا المَوْتُ الأَبْيَضُ فَطُولُ الصَّمْتِ ، وأَمَّا المَوْتُ الأَصْفَرُ فَطُولُ الاعْتِبارِ ، وأَمَّا المَوْتُ الأَسْوَدُ فَمُخالَفَةُ الهَوَى .

إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الحِسابِ .

(الصَّحِيفَةُ الثَّانِيَةُ والثَّلاثُون) : يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ مَلائِكَتِي يَتَعاقَبُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ عَلَيْكُمْ ، يَكْتُبُونَ ما تَقُولُ وما تَفْعَلُ والأَرْضُ تَشْهَدُ عَلَيْكَ بِما تَعْمَلُ عَلَيْها ، والسَّماءُ تَشْهَدُ عَلَيْكَ بِما يَصْعَدُ إِلَيْها ، والشَّمْسُ والقَمَرُ يَشْهَدانِ عَلَيْكَ بِما يُشاهِدانِ مِنْكَ ، وكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا .

يا ابنَ آدَمَ اعْلَمْ أَنَّ الحَلالَ يأتِيك قَطْرَةً قَطْرَةً ، والحَرامَ يَأْتِيك كالسَّيْلِ ، فَمَنْ صَفَّى عَيْشَهُ صَفَّى دِينَهُ .

(الصَّحِيفَةُ الثَّالِثَةُ والثَّلاثُون) : يَقُولُ اللّهُ تَبارَكَ وتَعالَى : يا ابنَ آدَمَ لا تَفْرَحْ بِالغِنَى فَلَسْتَ بِمُخَلَّدٍ ، واصْبِرْ عَلَى طاعَةِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ تَعالَى يُعِينُكَ عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ ، ولا تَجْزَعْ مِنَ الفَقْرِ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ حَتْمٌ ، ولا تَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، واتْرُكِ الذَّنْبَ فَإِنَّهُ زادُ المُذْنِبِ إِلَى النَّارِ ، ولا تَفْرَحْ بِالغِنَى فَإِنَّ الغَنِيَّ عَزِيزٌ فِي الدُّنْيا ذَلِيلٌ فِي الآخِرَةِ ، وإِنَّ عِزَّ الآخِرَةِ أَجَلُّ وأَبْقَى ، واعْلَمْ أَنَّ الاسْتِغْفارَ مِنْكَ ومِنِّي المَغْفِرَةَ ، ومِنْكَ التَّوْبَةَ ومِنِّي القَبُولَ ، ومِنْكَ الشُّكْرَ ومِنِّي الزِّيادَةَ ، ومِنْكَ الصَّبْرَ وعَلَيَّ النَّصْرَ ، فاطْلُبِ العِلْمَ تَهْتَدِ إِلَى طَرِيقِ الجَنَّةِ .

يا مُوسَىٰ بنَ عِمْرانَ إذا كانَ الغالِبُ عَلَى قَلْبِ عَبْدِي الاشْتِغالَ بِالدُّنْيا أَشْغَلُ قَلْبَهُ بِالفَقْرِ وأُنْسِيهِ المَوْتَ وأَبْتَلِيهِ بِجَمْعِ المالِ والغَفْلَةِ عَنِ المَآلِ وإذا كانَ الغالِبُ عَلَى قَلْبِ عَبْدِي الاشْتِغالَ بِأَمْرِ الآخِرَةِ جَعَلْتُ هَمَّهُ عِبادَتِي واسْتَخْدَمْتُ لَهُ عِبادِي ومَلأْتُ قَلْبَهُ بِحُبِّي .

(الصَّحِيفَةُ الرَّابِعَةُ والثَّلاثُون) : يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ صَبْرُكَ عَنْ قَلِيلٍ مِنَ المَعْصِيَةِ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ صَبْرِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذابَها كانَ غَراما .

وصَبْرُكَ عَلَى قَلِيلٍ مِنَ الطَّاعَةِ يُعْقِبُكَ راحَةً طَوِيلَةً لَكَ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ .

يا ابنَ آدَمَ عَلَيْكَ بِالثِّقَةِ بِما ضَمِنْتُ لَكَ فَلَسْتُ أُطْعِمُ رِزْقَكَ لِغَيْرِكَ ، وازْهَدْ فِي الدُّنْيا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَزْهَدَ فِيكَ ، وتَخَلَّصْ مِنَ التَّبِعاتِ قَبْلَ أَنْ تَفْنَى حَسَناتُكَ يَوْمَ الحِسابِ ، واعْمُرْ قَلْبَكَ بِذِكْرِ الآخِرَةِ فَلَيْسَ لَكَ مَسْكَنٌ غَيْرُ القَبْرِ .

يا بَنِي آدَمَ مَنِ اشْتاقَ مِنْكُمْ إِلَى الجَنَّةِ سارَعَ إِلَى الخَيْراتِ ، ومَنْ خافَ النَّارَ كَفَّ عَنِ الشَّرِّ ، ومَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَواتِ نالَ الدَّرَجاتِ العُلَى .

يا مُوسَىٰ : إذا أصابَتْكَ مُصيبَةٌ وأَنْتَ عَلى غَيْرِ طُهْرٍ فَلا تَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَكَ ، يا مُوسَىٰ : الفَقْرُ مِنَ الحَسَناتِ هُوَ المَوْتُ الأَكْبَرُ .

يا مُوسَىٰ : مَنْ لَمْ يُشاوِرْ نَدِمَ ، ومَنِ اسْتَخارَ لَمْ يَنْدَمْ .

(**الصَّحِيفَةُ الخامِسَةُ والثَّلاثُون**) : يَقُولُ اللهُ تَعالَى : يا ابنَ آدَمَ اعْلَمْ أَنِّي لا أَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلَّا ما كانَ خالِصًا لِوَجْهِي ، فَطُوبَى لِلمُخْلِصِين .

يا ابنَ آدَمَ إذا رَأَيْتَ الفَقْرَ مُقْبِلًا عَلَيْكَ فَقُلْ مَرْحَبًا بِشِعارِ الصَّالِحِين ، وإذا رَأَيْتَ الغِنَى مُقْبِلًا فَقُلْ ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُه ، وإذا رَأَيْتَ الضَّيْفَ مَحْبُوسًا عَنْكَ فَقُلْ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيم .

يا ابنَ آدَمَ المالُ مالِي وأَنْتَ عَبْدِي ، والضَّيْفُ رَسُولِي ، فَإذا مَنَعْتَ مالِي مِنْ رَسُولِي ، أَما تَخْشَى أَنْ أَسْلُبَكَ نِعْمَتِي .

يا ابنَ آدَمَ ثَلاثٌ واجِباتٌ عَلَيْكَ : زَكاةُ المالِ وصِلَةُ رَحِمِكَ وأَمْرُ عائِلَتِكَ وأَضْيافِكَ ، فَإذا لَمْ تَفْعَلْ ما أَوْجَبْتُهُ عَلَيْكَ جَعَلْتُكَ نَكالًا لِلعالَمِين .

يا ابنَ آدَمَ إذا لَمْ تُراعِ حَقَّ جارِكَ كَما تُراعِي حَقَّ عِيالِكَ لَمْ أَنْظُرْ إلَيْكَ ولَمْ أُقْبِلْ عَلَيْكَ ولَمْ أَسْتَجِبْ دُعاءَكَ .

يا ابنَ آدَمَ لا تَنْظُرْ إلَى ما حَرَّمْتُ عَلَيْكَ ، فَإنَّ الدُّودَ أَوَّلُ ما يَأْكُلُ مِنْكَ عَيْنَيْكَ ، واعْلَمْ أَنَّكَ مُحاسَبٌ عَلَى النَّظْرَةِ واللَّمْحَةِ ، واذْكُرْ مَقامَكَ

غَدًا بَيْنَ يَدَيَّ فَإنِّي لا أَغْفَلُ عَنْ سَرِيرَتِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ وأَنا عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُور .

(**الصَّحِيفَةُ السَّادِسَةُ والثَّلاثُون**) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ اخْدِمْنِي فَإنِّي أُحِبُّ مَنْ خَدَمَنِي وأَسْتَخْدِمُ لَهُ عِبادِي ، فَإنَّكَ لا تَدْرِي قَدْرَ ما عَصَيْتَنِي فِيما مَضَى مِنْ عُمْرِكَ ولا قَدْرَ ما تَعْصِينِي فِيما بَقِيَ مِنْهُ ، فَلا تَأْمَنْ مَكْرِي فَإنِّي فَعَّالٌ لِما أُرِيدُ ، واعْبُدْنِي فَإنَّكَ عَبْدٌ ذَلِيلٌ وأَنا رَبٌّ جَلِيلٌ .

يا ابنَ آدَمَ لَوْ أَنَّ إخْوانَكَ ومُحِبِّيكَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَجَدُوا رائِحَةً مِنْ ذُنُوبِكَ واطَّلَعُوا مِنْكَ عَلَى ما أَعْلَمُهُ مِنْها لَما جالَسُوكَ ولا قارَبُوكَ ، فَكَيْفَ وهِيَ فِي كُلِّ يَوْمٍ زائِدَةٌ وعُمُرُكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي نُقْصانٍ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ .

يا ابنَ آدَمَ إنِّي أَنْظُرُ إلَيْكَ بِالعافِيَةِ وأَسْتُرُ عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ وأَنا غَنِيٌّ عَنْكَ ، وأَنْتَ تَتَعَرَّضُ إلَيَّ بِالمَعاصِي مَعَ حاجَتِكَ إلَيَّ .

يا ابنَ آدَمَ تُدارِي خَلْقِي وتُداهِنُهُمْ خَوْفًا مِنْ مَقْتِهِمْ ، وتُبادِرُنِي بِالمَعاصِي ولا تَخافُ مَقْتِي وهُوَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِهِمْ .

يا ابنَ آدَمَ إلَى مَتَى تَعْمُرُ الدُّنْيا وهِيَ فانِيَةٌ وتَخْرُبُ الآخِرَةَ وهِيَ باقِيَةٌ .

يا ابنَ آدَمَ إلَى كَمْ تُجالِسُ الصَّالِحِينَ ولا تَكُونُ مِنْهُمْ ، فَإذاجالَسْتَهُمْ ولَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ فَمَتَى تُفْلِحُ ؟

يا ابنَ آدَمَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّماواتِ والأَرْضِ اسْتَغْفَرُوا لَكَ لَكانَ يَنْبَغِي أَنْ تَبْكِي عَلَى ذُنُوبِكَ لأَنَّكَ لا تَدْرِي عَلَى أَيِّ حالٍ تَلْقانِي .

يا مُوسَىٰ ، اسْمَعْ ما أَقُولُ والحَقَّ أَقُولُ : لا يُؤْمِنُ بِي عَبْدٌ مِنْ عِبادِي حَتَّى يَأْمَنَ النَّاسُ شَرَّهُ وظُلْمَهُ وكَيْدَهُ ونَميمَتَهُ وبَغْيَهُ وحَسَدَهُ .

يا مُوسَىٰ ، قُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ ومَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وساءَتْ مُرْتَفَقا .

(الصَّحِيفَةُ السَّابِعَةُ والثَّلاثُون) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ تَزَوَّدْ كَزادِ المُسافِرِ الخائِفِ وأَخْلِصْ لِي عَمَلَكَ مِنَ الرِّياءِ .

يا بَنِي آدَمَ ، قُلُوبُكُمُ القاسِيَةُ تَبْكِي مِنْ أَعْمالِكُمْ وأَعْمالُكُمْ تَبْكِي مِنْ أَبْدانِكُمْ وأَبْدانُكُمْ تَبْكِي مِنْ أَلْسِنَتِكُمْ وأَلسِنَتُكُمْ تَبْكِي مِنْ أَعْيُنِكُمْ .

يا ابنَ آدَمَ خَزائِنِي لا تَنْفَدُ أَبَدًا ، فَبِقَدْرِ ما أُنْفِقُ عَلَيْكَ ، فَأَنْفِقْ ولا تَبْخَلْ بِرِزْقِي عَلَى عِبادِي فَقَدْ ضَمِنْتُ لَكَ الخَلَفَ ووَعَدْتُكَ الأَجْرَ .

(الصَّحِيفَةُ الثَّامِنَةُ والثَّلاثُون) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا بَنِي آدَمَ ،

إنَّنِي أَنا اللهُ لا إلَهَ إلَّا أَنا فاعْبُدُونِي واشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرونِ ، ومَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بارَزَنِي بِالمُحارَبَةِ ، واشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَيْسَ لَهُ ناصِرٌ غَيْرِي ، مَنْ رَضِيَ بِما قَسَمْتُ لَهُ بارَكْتُ لَهُ فِي رِزْقِهِ وأَتَتْهُ الدُّنْيا راغِمَةً وإنْ كانَ لا يُرِيدُها .

(الصَّحِيفَةُ التَّاسِعَةُ والثَّلاثُون) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ ضَعْ يَدَكَ عَلَى صَدْرِكَ وما أَحْبَبْتَهُ لِنَفْسِكَ فَأَحْبِبْهُ لِغَيْرِكَ ، وما كَرِهْتَهُ لِنَفْسِكَ فاكْرَهْهُ لِغَيْرِكَ .

يا ابنَ آدَمَ ، صُنْعُكَ ضَعِيفٌ ، ولِسانُكَ خَفِيفٌ ، وقَلْبُكَ جَبَّارٌ .

يا ابنَ آدَمَ ، لَمْ أَخْلُقْ عُضْوًا مِنْ أَعْضائِكَ حَتَّى خَلَقْتُ لَهُ رِزْقًا .

يا ابنَ آدَمَ ، كُلُّ ما لَمْ أَقْسِمْهُ لَكَ فَلا تَتْعَبْ فِي طَلَبِهِ ، وكُلُّ ما قَسَمْتُهُ لَكَ فَهُوَ يَطْلُبُكَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَهُ .

يا ابنَ آدَمَ ، إذا أَكَلْتَ رِزْقِي فاتَّبِعْ طاعَتِي .

يا ابنَ آدَمَ ، لا تُطالِبْنِي بِرِزْقِ غَدٍ فَإنِّي لا أُطالِبُكَ بِعَمَلِ غَدٍ .

يا ابنَ آدَمَ ، لَوْ تَرَكْتُ الدُّنْيا لأَحَدٍ مِنْ عِبادِي لَتَرَكْتُها لأَنْبِيائِي حَتَّى يَدْعُوا عِبادِي إلَى طاعَتِي فِي إقامَةِ أَمْرِي .

يا ابنَ آدَمَ ، اعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ ولا تَغُرَّنَّكَ الخَطِيئَةُ فَإنَّ

عَلَى آثارِها السَّعيرَ ولا تُلْهِكَ الحَياةُ وطُولُ الأَمَلِ عَنِ العَمَلِ فَإِنَّكَ تَنْدَمُ عَلَى تَأْخِيرِها حَيْثُ لا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ .

يا ابنَ آدَمَ ، إذا لَمْ تُخْرِجْ حَقِّي مِنْ مالِي الَّذي رَزَقْتُكَ إيَّاهُ ومَنَعْتَ مِنْهُ الفُقَراءَ حُقُوقَهُمْ سَلَّطْتُ عَلَيْكَ جَبَّارًا يَأْخُذُهُ مِنْكَ ولا أُثِيبُكَ عَلَيْه .

يا ابنَ آدَمَ ، إذا أَرَدْتَ رَحْمَتِي فالْزَمْ طاعَتِي ، وإِنْ خَشِيتَ عَذابي فاحْذَرْ مَعْصِيَتِي .

يا ابنَ آدَمَ ، إذا عَرَضَتْ لَكَ الدُّنْيا فاذْكُرِ المَوْتَ ، وإذا هَمَمْتَ بِالذُّنُوبِ فاذْكُرِ التَّوْبَةَ ، وإذا كَسَبْتَ المالَ فاذْكُرِ الحِسابَ ، وإذا جَلَسْتَ عَلَى الطَّعامِ فاذْكُرِ الجائِعَ ، وإذا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى القُدْرَةِ عَلَى ضَعِيفٍ فاذْكُرْ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْكَ الَّذي سَلَّطَكَ عَلَيْهِ ولَوْ شاءَ لَسَلَّطَهُ عَلَيْكَ ، وإذا نَزَلَ بِكَ بَلاءٌ فاسْتَعِنْ بلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيم ، وإذا مَرِضْتَ فَعالِجْ نَفْسَكَ بِالصَّدَقَة ، وإذا أَصابَتْكَ مُصِيبَةٌ فَقُلْ : إِنَّا لِلهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُون .

(الصَّحِيفَةُ الأَرْبَعُون) : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : يا ابنَ آدَمَ ، افْعَلِ الخَيْرَ فَإِنَّهُ مِفْتاحُ الجَنَّةِ ويَقُودُ إِلَيْها ، واجْتَنِبِ الشَّرَّ فَإِنَّهُ مِفْتاحُ النَّارِ ويَقُودُ إِلَيْها .

يا ابنَ آدَمَ ، اعْلَمْ أَنَّ الَّذي تَبْنِيهِ لِلخَرابِ ، وأَنَّ عُمُرَكَ عارِيَةٌ وجَسَدَكَ لِلتُّرابِ ، وما جَمَعْتَهُ لِلوَرَثَةِ فالأَكْلُ مِنْهُ والنَّعِيمُ لِغَيْرِكَ ، والحِسابُ عَلَيْكَ والعِقابُ والنَّدَمُ ، والصَّاحِبُ لَكَ فِي القَبْرِ العَمَلُ ، فَحاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحاسَبَ ، والْزَمْ طاعَتِي واحْذَرْ مَعْصِيَتِي ، وارْضَ بِما يَأْتِيكَ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِين .

يا ابنَ آدَمَ ، مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا وهُوَ ضاحِكٌ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ باكِيًا ، ومَنْ جَلَسَ باكِيًا مِنْ خَشْيَتِي أَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ ضاحِكًا .

يا ابنَ آدَمَ ، كَمْ مِنْ غَنِيٍّ تَمَنَّى الفَقْرَ يَوْمَ حِسابِهِ ، وكَمْ مِنْ جَبَّارٍ أَذَلَّهُ المَوْتُ ، وكَمْ مِنْ فَرْحَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلًا .

يا ابنَ آدَمَ ، لَوْ تَعْلَمُ البَهائِمُ ما تَعْلَمُونَ مِنَ المَوْتِ لامْتَنَعَتْ مِنَ الأَكْلِ والشُّرْبِ حَتَّى تَمُوتَ عَطَشًا وجُوعًا .

يا ابنَ آدَمَ ، ما أَتاكَ مِنَ الدُّنْيا فَلا تَفْرَحْ بِهِ وما فاتَكَ مِنْها فَلا تَحْزَنْ عَلَيْه .

يا ابنَ آدَمَ ، مِنَ التُّرابِ خَلَقْتُكَ وإِلَى التُّرابِ أُعِيدُكَ ومِنَ التُّرابِ أَبْعَثُكَ ، فَوَدِّعِ الدُّنْيا وتَهَيَّأْ لِلمَوْتِ ، واعْلَمْ أَنِّي إذا أَحْبَبْتُ عَبْدًا زَوَيْتُ عَنْهُ الدُّنْيا واسْتَعْمَلْتُهُ لِلآخِرَةِ ، وأَرَيْتُهُ عُيُوبَ الدُّنْيا فَيَحْذَرُها ويَعْمَلُ

بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَأُدْخِلَهُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، وإذا أَبْغَضْتُ عَبْدًا أَشْغَلْتُهُ عَنِّي بِالدُّنْيا واسْتَعْمَلْتُهُ بِعَمَلِها ويَكُونُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأُدْخِلُهُ النَّار .

يا ابنَ آدَمَ ، أَنا الَّذي خَلَقْتُكَ وأَنا الَّذي رَزَقْتُكَ وأَنا الَّذي أَحْيَيْتُكَ وأَنا الَّذي أُمِيتُكَ وأَنا الَّذي أَبْعَثُكَ وأَنا الَّذي أُحاسِبُكَ بِما عَمِلْتَ فإنْ عَمِلْتَ خَيْرًا رَأَيْتَهُ وإنْ عَمِلْتَ شَرًّا رَأَيْتَهُ ، مَعَ رَبِّكَ لا تَمْلِكُ لِنَفْسِكَ ضَرًّا ولا نَفْعًا ولا مَوْتًا ولا حَياةً ولا نُشُورًا .

يا ابنَ آدَمَ ، أَطِعْنِي واخْدِمْنِي ولا تَهْتَمَّ بِالرِّزْقِ فَقَدْ كَفَيْتُكَ أَمْرَهُ فَلا تَحْمِلْ هَمَّ شَيْءٍ قَدْ كُفِيتَهُ .

يا ابنَ آدَمَ ، مَنْ كانَ سَبِيلُهُ المَوْتَ كَيْفَ يَفْرَحُ بِالدُّنْيا ، ومَنْ كانَ بَيْتُهُ القَبْرَ كَيْفَ يُسَرُّ بِما يَبْنِيهِ فِي دارِ الدُّنْيا .

يا ابنَ آدَمَ ، قَدِّمْ لِنَفْسِكَ خَيْرًا تَجِدْهُ عِنْدِي قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَكَ المَوْتُ .

يا ابنَ آدَمَ ، مَنْ كانَ مَهْمُومًا فَأَنا الَّذي أُفَرِّجُ هَمَّهُ ، ومَنْ كانَ مُسْتَغْفِرًا فَأَنا الَّذي أَغْفِرُ لَهُ ، ومَنْ كانَ تائِبًا فَأَنا الَّذي نَهَيْتُهُ ، ومَنْ كانَ عارِيًا فَأَنا الَّذي كَسَوْتُهُ ، ومَنْ كانَ خائِفًا فَأَنا الَّذي آمَنَ خَوْفَهُ ، ومَنْ كانَ جائِعًا فَأَنا الَّذي أُشْبِعُهُ ، وإذا كانَ عَبْدِي عَلَى طاعَتِي وإمْضاءِ أَمْرِي سَدَّدْتُ أَمْرَهُ وشَدَدْتُ أَزْرَهُ وشَرَحْتُ صَدْرَهُ .

مُوسى ، مَنِ اسْتَغْنَى بِأَمْوالِ الفُقَراءِ واليَتامَى أَفْقَرْتُهُ فِي الدُّنْيا وعَذَّبْتُهُ فِي الآخِرَةِ ، ومَنْ تَجَبَّرَ عَلَى الفُقَراءِ والضُّعَفاءِ أَذْلَلْتُهُ ، ومَنْ بَنَى بِقُوتِ الفُقَراءِ والضُّعَفاءِ أَعْقَبْتُ بِناءَهُ الخَرابَ وأَسْكَنْتُهُ النَّارَ ، إنَّ هَذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إبْراهِيمَ ومُوسَى .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ : قُلْتُ يا رَسُولَ الله : ما كانَتْ صُحُفُ إبْراهِيمَ عليه السلام ؟ قالَ ﷺ : (كانَتْ أَمْثالًا كُلُّها) ...

قُلْتُ : يا رَسُولَ الله : فَما كانَتْ صُحُفُ مُوسَى عليه السلام ؟

قالَ ﷺ : (كانَتْ عِبَرًا كُلُّها) .

بَيانُ فَضْلِ الحَبِيبِ الأَعْظَمِ ﷺ

الحَمْدُ للهِ عَلَى فَضْلِ الله ، الحَمْدُ للهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

أَنْتَ الَّذي لَوْلاكَ ما خُلِقَ امْرُؤٌ ❀ كَلَّا وَلا خُلِقَ الْوَرَىٰ لَوْلاكَا(1)
أَنْتَ الَّذي مِنْ نُورِكَ الْبَدْرُ اكْتَسَىٰ ❀ وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ بِنُورِ بَهاكَا
أَنْتَ الَّذي لَمَّا رُفِعْتَ إِلَى السَّمَا ❀ بِكَ قَدْ سَمَتْ وَتَزَيَّنَتْ لِسُراكَا
أَنْتَ الَّذي ناداكَ رَبُّكَ مَرْحَبًا ❀ وَلَقَدْ دَعاكَ لِقُرْبِهِ وَحَباكَا
أَنْتَ الَّذي فِينَا سَأَلْتَ شَفاعَةً ❀ ناداكَ رَبُّكَ لَمْ تَكُنْ لِسِواكَا
أَنْتَ الَّذي لَمَّا تَوَسَّلَ آدَمٌ ❀ مِنْ زَلَّةٍ بِكَ فازَ وَهْوَ أَباكَا
وَبِكَ الْخَلِيلُ دَعا فَعادَتْ نارُهُ ❀ بَرْدًا وَقَدْ خَمِدَتْ بِنُورِ سَناكَا
وَبِكَ الْمَسِيحُ أَتَى بَشِيرًا مُخْبِرًا ❀ بِصِفاتِ حُسْنِكَ مادِحًا لِعُلاكَا
وَكَذاكَ مُوسَىٰ لَمْ يَزَلْ مُتَوَسِّلاً ❀ بِكَ فِي الْقِيامَةِ مُرْتَجٍ لِنَداكَا
وَالْأَنْبِياءُ وَكُلُّ خَلْقٍ فِي الْوَرَىٰ ❀ وَالرُّسْلُ وَالْأَمْلاكُ تَحْتَ لِواكَا
لَكَ مُعْجِزاتٌ أَعْجَزَتْ كُلَّ الْوَرَىٰ ❀ وَفَضائِلٌ جَلَّتْ فَلَيْسَ تُحاكَىٰ
قَدْ فُقْتَ يا طَهَ جَمِيعَ الْأَنْبِيا ❀ طُرًّا فَسُبْحانَ الَّذي سَوَّاكَا

(١) للشاعِرِ المَعْرُوفِ بابنِ الخَطِيبِ (شاعِرٌ وكاتِبٌ وفَقِيهٌ مالِكِيٌّ ، ومُؤَرِّخٌ وفَيْلَسُوفٌ وطَبِيبٌ وسياسِيٌّ مِنَ الأَنْدَلُس) .

اللهِ يا ياسِينُ مِثْلُكَ لَمْ يَكُنْ ❀ فِي الْعالَمِينَ وَحَقِّ مَنْ نَبَّاكَا
ـنْ وَصْفِكَ الشُّعَراءُ يا مُدَّثِّرٌ ❀ عَجَزُوا وَكَلُّوا عَنْ صِفاتِ عُلاكَا
ـنْجِيلُ عِيسَىٰ قَدْ أَتَىٰ بِكَ مُخْبِرًا ❀ وَأَتَى الْكِتابُ لَنا بِمَدْحِ حُلاكَا
ـاذا يَقُولُ الْمادِحُونَ وَما عَسَىٰ ❀ أَنْ يَجْمَعَ الْكُتَّابُ مِنْ مَعْناكَا
اللهِ لَوْ أَنَّ الْبِحارَ مِدادُهُمْ ❀ وَالْعُشْبَ أَقْلامٌ جُعِلْنَ لِذاكَا
ـمْ تَقْدِرِ الثَّقَلانِ تَجْمَعُ ذَرَّةً ❀ أَبَدًا وَما اسْتَطاعُوا لَهُ إِدْراكَا
ـي فِيكَ قَلْبٌ مُغْرَمٌ يا سَيِّدي ❀ وَحُشاشَةٌ مَحْشُوَّةٌ بِهَواكَا
فَإِذا سَكَتُّ فَفِيكَ صَمْتِي كُلُّهُ ❀ وَإِذا نَطَقْتُ فَمادِحًا عَلْياكَا
وَإِذا سَمِعْتُ فَعَنْكَ قَوْلًا طَيِّبًا ❀ وَإِذا نَظَرْتُ فَلا أَرَىٰ إِلَّاكَا
يا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ يا كَنْزَ الْوَرَىٰ ❀ جُدْ لِي بِجُودِكَ وَارْضِنِي بِرِضاكَا
أَنا طامِعٌ فِي الْجُودِ مِنْكَ وَلَمْ يَكُنْ ❀ لِابْنِ الْخَطِيبِ مِنَ الْأَنامِ سِواكَا
فَعَساكَ تَشْفَعُ فِيهِ عِنْدَ حِسابِهِ ❀ فَلَقَدْ غَدا مُسْتَمْسِكًا بِعُراكَا
وَلَأَنْتَ أَكْرَمُ شافِعٍ وَمُشَفَّعٍ ❀ وَمَنِ الْتَجا لِحِماكَ نالَ وَفاكَا
فَاجْعَلْ قِرايَ شَفاعَةً لِي فِي غَدٍ ❀ فَعَسَى أُرَى فِي الْحَشْرِ تَحْتَ لِواكَا
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يا خَيْرَ الْوَرَىٰ ❀ ما حَنَّ مُشْتاقٌ إِلَى مَثْواكَا
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرامِ جَمِيعِهِمْ ❀ وَالتَّابِعِينَ وَكُلِّ مَنْ والاكَا

بَيانُ كَشْفِ الغُمَّةِ ومُعافاةِ الأُمَّةِ

ي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ بِيَدِهِ عَنْ وَجْهِهِ فَجاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصارَتْ ظِلًّا

رَوَى التِّرْمِذِي عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بن سَمُرَةَ قالَ : خَرَجَ عَلَيْنا رَ رَأْسِهِ ، وسِتْرًا عَلَى وَجْهِهِ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جاثِيًا عَلَى
اللهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ ونَحْنُ فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ فَقالَ : (إِنِّي رَأَيْتُ البا تَهِ بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ حِجابٌ فَجاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ
فِي النَّوْمِ عَجَبًا ؛ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدِ احْتَوَشَتْهُ مَلائِكَةُ العَذابِ اللهِ تَعالَى ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جاءَتْهُ زَبانِيَةُ العَذابِ فَجاءَهُ
فَجاءَهُ وُضُوؤُهُ فاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي رَهُ بِالمَعْرُوفِ ونَهْيُهُ عَنِ المُنْكَرِ فاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ
النَّبِيِّينَ وهُمْ حِلَقٌ حِلَقٌ وكُلَّما مَرَّ عَلَى حَلَقَةٍ طُرِدَ ، فَجاءَهُ اغْتِسـ هَوَى فِي النَّارِ فَجاءَتْهُ دُمُوعُهُ الَّتِي بَكَى بِها فِي الدُّنْيا مِنْ خَشْيَةِ
مِنَ الجَنابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِي ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِهِ فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ إِلَى
بُسِطَ عَلَيْهِ عَذابُ القَبْرِ فَجاءَتْهُ صَلاتُهُ فاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ ، ورِمالِهِ فَجاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللهِ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَجَعَلَها فِي يَمِينِهِ ، ورَأَيْتُ
رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطَشًا فَجاءَهُ صِيامُ رَمَضانَ فَسَقاهُ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ خَفَّ مِيزانُهُ فَجاءَهُ أَفْراطُهُ[1] فَثَقَّلُوا مِيزانَهُ ، ورَأَيْتُ
مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ ، ومِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ ، وعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَـلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَجاءَهُ وَجَلُهُ مِنَ اللهِ فاسْتَنْقَذَهُ مِنْ
وعَنْ شِمالِهِ ظُلْمَةٌ ، ومِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ ، ومِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ ، فَجاءَتْهُ حَـكَ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَرْعَدُ كَما تَرْعَدُ السَّعْفَةُ[2] فَجاءَهُ حُسْنُ
وعُمْرَتُهُ فاسْتَخْرَجاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جاءَهُ ـهِ بِاللهِ فَسَكَّنَ رِعْدَتَهُ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّراطِ
المَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَجاءَهُ بِرُّهُ بِوالِدَيْهِ فَرَدَّهُ عَنْهُ[2] ، ورَأَيْتُ رَ ةً ويَحْبُو مَرَّةً فَجاءَتْهُ صَلاتُهُ عَلَيَّ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَقامَتْهُ عَلَى الصِّراطِ
مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ المُؤْمِنِينَ فَلا يُكَلِّمُونَهُ فَجاءَتْهُ صِلَةُ الرَّحِمِ فَقالَتْ تَى جازَ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى بابِ الجَنَّةِ فَغُلِّقَتِ الأَبْوابُ
هَذا كانَ واصِلًا رَحِمَهُ فَكَلَّمَهُمْ وكَلَّمُوهُ وصارَ مَعَهُمْ ، ورَأَيْتُ رَجُلًا نَهُ فَجاءَتْهُ شَهادَةُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ) .

---

(١) أَيْ أَحاطَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . (٢) أَيْ مِنْ قَبْضِ رُوحِهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ لِـ) أَيْ أَوْلادُهُ الصِّغارُ الَّذِينَ ماتُوا فِي حَياتِهِ ، وذاقَ مَرارَةَ فَقْدِهِمْ فَصَبَرَ .
بِرَّ الوالِدَيْنِ يَزِيدُ فِي العُمْرِ وذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِما هُوَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظ) غُصْنُ النَّخْلَةِ .

بيانُ فضلِ اللهِ

فِي الصَّلاةِ عَلَى نَبيِّهِ ومُصْطَفاه ﷺ

اعْلَمْ وَفَّقَكَ اللهُ للخَيْراتِ أَنَّ الصَّلاةَ مِنَ اللهِ عَلَى نَبيِّهِ سَيِّدِنا م

ﷺ رَحْمَتُهُ المَقْرُونَةُ بِالخَيْرِ المِدْرارِ والنُّورِ والاسْتِبْشارِ لِمَنْ

للذِّكْرِ بِها عَلَى مَدارِ اللَّيْلِ والنَّهار ، وهِيَ مَظَلَّةُ الأَمانِ لِحاضِرِيه

فَرْقَ بَيْنَ بَشَرٍ وجَمادٍ وأَشْجار .

إِنَّها وَسِيلَةُ الوَسائِلِ لِسَلامَةِ السَّيْرِ وحُصُولِ الخَيْرِ ونَيْلِ البِرِّ و

السِّرِّ عَلَى الرَّبِّ المُعَظَّم ؛ لأَنَّهُ ﷺ بابُ الله ، ووَسِيلَةُ الخَلْقِ

اللهِ ، ودَلِيلُ الكُلِّ عَلَى اللهِ ، والشَّفِيعُ بَيْنَ يَدَي اللهِ ، وأَعْظَمُ ق

إِلَى اللهِ ، ومُقَرَّبٍ مِنَ اللهِ .

وقَدْ نَبَّهَ القُرْآنُ العَظِيمُ وحَثَّ عَلَى الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ ﷺ ب

اللهِ سُبْحانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) ، وقَدْ جَرَّبَ ا

أَهْلُ الكَمالِ رضي الله عنهم الصَّلاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَأَوْها سُلَّماً لِوَصْلَةِ الل

وسَلامَةً فِي طَرِيقِ اللهِ ، وطَرِيقاً مُوصِلاً إِلَى دارِ السَّلامِ ، و

(١) سُورَةُ الأَحْزاب : الآية ٥٦ .

دْخُلُ إِلَى بابِ اللهِ بِسَلام .

الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ مُذَكِّرَةٌ بِحُقُوقِ اللهِ خاصَّةً ،

ـمَّ بِحُقُوقِهِ ﷺ ، ثُمَّ بِحُقُوقِ الإِسْلامِ عامَّةً .

هِيَ مِنْ واجِبِ الوَقْتِ عَلَى المُرِيدِ إِذا فَقَدَ الشَّيْخَ المُرَبِّي .

قَدْ أَحْكَمَ طَرِيقَ الوَصْلَةِ مِنْ بابِ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُمَّةٌ مِنَ

لمُوَحِّدِينَ المُؤْمِنِينَ بِاللهِ ، وخُلاصَةُ ما هُمْ عَلَيْهِ هُمْ وأَعْيانُ الأُمَّةِ

أَقْطابُها وأَنْجابُها والصَّدْرُ الأَعْظَمُ مِنْ صالِحِي سَلَفِها : أَنَّ الوَصْلَةَ

إِلَى اللهِ تَعالَى لا تَصِحُّ إِلَّا بِواسِطَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، والطَّرِيقُ إِلَيْهِ كَثْرَةُ

الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ .

وهُوَ حَقِيقَةُ الحَقائِقِ ، وطَرِيقَةُ الطَّرائِقِ ، والسِّرُّ الإِلَهِي الَّذِي أَيَّدَ اللهُ

بِهِ أَهْلَ الحَضَراتِ السَّائِرِينَ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى .

وتَحْضُرُنِي آهاتُ وأَنَّاتُ ونَغَماتُ العالِمِ الرَّبَّانِي وجارِ النَّبِيِّ العَدْنانِ

الشَّيْخِ عِيسَى بَيانُونِي فِي تَخْمِيسَتِه :

مِـنْ بُعْـدِهِ رُوحِـي أَطالَـتْ أَنَّـها (١)

أَنا لَسْـتُ أَصْغَى لِلْعَذُولِ وإِنْ نَها

(١) أَنَّها : أَنِينُها .

يا عاشقًا ذاتَ الْحَبِيبِ وَحُسْنَهَا

أَكْثِرْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلاةِ فَإنَّهَا

هِـيَ نُـورُ قَـبْرِكَ عِـنْدَمَـا تَـأْوِيـهِ

فالصَّلاةُ عَلَى سَيِّدِ السَّاداتِ ﷺ مِنْ أَهَمِّ المُهِمَّاتِ فِي جَمِيعِ الأَوْقا
لِمَنْ يُرِيدُ القُرْبَ مِنْ رَبِّ الأَرَضِينَ والسَّمواتِ ، وإنَّها تَجْلِبُ الأَسْر
والفُتُوحاتِ ، وتُصَفِّي البَواطِنَ مِنْ جَمِيعِ الكُدُوراتِ ، وإنَّها تَتَأَكَّدُ ف
حَقِّ أَهْلِ البِدايَةِ وأَرْبابِ الإراداتِ وأَصْحابِ النِّهاياتِ ، ويَسْتَوِي ف
الاحْتِياجِ إلَيْها الطَّالِبُ والسَّالِكُ والمُرِيدُ المُقارِبُ والعارِفُ الواصِلُ
الطَّالِبُ تُرَبِّيهِ ، والعارِفُ تُبْقِيهِ بَعْدَما تُفْنِيهِ ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّال
تُعِينُهُ عَلَى السُّلُوك ، والمُرِيدُ تَرْفَعُهُ عِنْدَ الشُّكُوك ، والعارِفُ تَقُولُ
ها أَنْتَ ورَبُّك ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تَزِيدُهُ قُوَّة ، والمُرِيدُ تُكْسِبُ
الفُتُوَّة ، والعارِفُ تُمْسِكُهُ فِي مَقامِ الهَيْبَة ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّال
تُجَمِّلُهُ ، والمُرِيدُ تُكَمِّلُهُ ، والعارِفُ تُمَكِّنُهُ ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّال
تُحَبِّبُ إلَيْهِ الأَعْمال ، والمُرِيدُ تُكْسِبُهُ الأَحْوال ، والعارِفُ تُثَبِّتُهُ ف
مَقاماتٍ لا تُزال ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ اسْتِنارَة ، والمُرِي
تُمِدُّهُ بِالعِبارَة ، والعارِفُ تُغْنِيهِ عَنِ الإشارَة ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّال

يَقْوَى بها إيقانُه ، والمُرِيدُ يَكْثُرُ مِنْها إيمانُه ، والعارِفُ يَزْدادُ مِنْها
عِيانُهُ ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ الإطْراق ، والمُرِيدُ تُفِيض
عَلَيْهِ الإشْراق ، والعارِفُ تُؤَيِّدُهُ عِنْدَ التَّلاق ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ
تَزْدادُ بها أَنْوارُهُ ، والمُرِيدُ تَفِيضُ مِنْها أَسْرارُهُ ، والعارِفُ يَسْتَوِي
لِرَبِّهِ لَيْلُهُ ونَهارُهُ ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُحَبِّبُ إلَيْهِ الأَعْمال ،
والمُرِيدُ تُصَحِّحُ لَدَيْهِ الأَحْوال ، والعارِفُ تُؤَيِّدُهُ عِنْدَ الوِصال ، وإنْ
شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تَزِيدُهُ تَشَوُّقاً ، والمُرِيدُ تُدْنِيهِ تَعَلُّقاً ، والعارِفُ
يَسْتَمِدُّ مِنْها تَحَقُّقاً ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ النَّشاط ،
والمُرِيدُ تَحْمِيهِ مِنَ الانْحِطاط ، والعارِفُ يَتَأَدَّبُ بها عَلَى البِساط ،
وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ الأَنْوار ، والمُرِيدُ تَكْشِفُ لَهُ الآثار ،
والعارِفُ تُلْزِمُهُ الاضْطِرارَ ولا يَكُونُ لَهُ مَعَ غَيْرِ اللهِ قَرار ، وإنْ
شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُؤْنِسُهُ بِالمَنامات ، والمُرِيدُ تُزَيِّنُهُ بِالكَرامات ،
والعارِفُ تُنَقِّلُهُ فِي المَقامات ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُؤَيِّدُهُ
بِالثُّبُوت ، والمُرِيدُ تُطْلِعُهُ عَلَى غَيْبِ المَلَكُوت ، والعارِفُ تُهَيِّمُهُ
بِالجَبَرُوت ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُشَوِّقُهُ إلَى اللِّقا ، والمُرِيدُ
تَدْعُوهُ لِلْمُلْتَقَى ، والعارِفُ تَزِيدُهُ تَحَقُّقاً .

قالَ بَعْضُ الصَّحابَةِ ﵃ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : صَلاةُ اللهِ عَشْرٌ لِمَنْ صَلَّ عَلَيْكَ مَرَّةً واحِدَةً ، هَلْ ذَلِكَ لِمَنْ كانَ حاضِرَ القَلْبِ ؟ قالَ ﷺ : (لا بَلْ هُوَ لِكُلِّ مُصَلٍّ عَلَيَّ ، والغافِلُ يُعْطِيهِ اللهُ أَمْثالَ الجِبالِ والمَلائِكَ تَدْعُو لَهُ وتَسْتَغْفِرُ لَهُ ، وأَمَّا إذا كانَ حاضِرَ القَلْبِ وَقْتَ الصَّلاةِ عَلَيَّ فَلَمْ يَعْلَمْ قَدْرَ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ تَعالَى)[1] .

(لَطِيفَة) اخْتُلِفَ فِيمَنْ قالَ : (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَدَدَ ما خَلَقَ اللهُ ، وشِبْهَ ذَلِكَ) ، هَلْ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرٌ واحِدٌ أَوْ بِعَدَدِ ما ذَكَرَهُ ذَهَبَ الإمامُ التِّلْمِسانِي إِلَى أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ الأَجْرُ بِعَدَدِ ما ذَكَرَ ولا حَرَ عَلَى فَضْلِ اللهِ ، ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ ما ذَكَرَهُ الإمامُ الجَزَرِي فِي «الحِصْ الحَصِين» عَنِ الإمامِ أَبِي داودَ وصَحِيحِ المُسْتَدْرَكِ للحاكِمِ : دَخَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ صَفِيَّةَ ﵂ وبَيْنَ يَدَيْهِ أَرْبَعَةُ آلافِ نَواةٍ تُسَبِّحُ بِهِنَّ فَقالَ ﷺ : (قَدْ سَبَّحْتُ مُنْذُ وَقَفْتُ عَلَ رَأْسِكِ أَكْثَرَ مِنْ هَذا) ، قالَتْ : عَلِّمْنِي يا رَسُولَ اللهِ ، قالَ ﷺ (قُولِي سُبْحانَ اللهِ عَدَدَ ما خَلَقَ اللهُ) .

وقالَ ﷺ : (أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الغَرَّاءِ واليَوْمِ الأَزْهَر)

---

(١) التُّحْفَةُ المَرْضِيَّةُ : عَبْدُ المَجِيدِ عَلِي .

وقالَ ﷺ : (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً) ، وقالَ ﷺ : (إِنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونَ عَنْ أُمَّتِي السَّلام) .

صَلُّوا عَلَى الهادِي البَشِيرِ مُحَمَّدٍ ۞ تَحْظَوْا مِنَ الرَّحْمَنِ بِالغُفْرانِ

فاللهُ قَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ مُصَرِّحًا ۞ فِي مُحْكَمِ الآياتِ والقُرْآنِ

قِيلَ مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ قائِمٌ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وهُوَ جالِسٌ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وهُوَ نائِمٌ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ مِنْ مَنامِهِ : وتَرْدادُها هُوَ القَوْلُ السَّدِيدُ والعَيْشُ السَّعِيدُ للأَبَوَيْنِ والجَدِّ والحَفِيد :

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

وقِيلَ إِنَّ مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي نَوْمِهِ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ كَما حَصَلَ لِأُمِّ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﵁ :

لَمَّا أَتاهُ النَّبِيُّ ﷺ وهِيَ مَعَهُ وكانَ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَتَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا أَرادَ الانْصِرافَ ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ : (كَيْفَ حالُكَ ؟) ، قالَ : بِخَيْرٍ يا رَسُولَ اللهِ ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ أُمِّي ولَيْسَ لِي عَنْها

غِنًى ، فادْعُ اللهَ أَنْ يُلْهِمَها الإسْلامَ ، فَبَسَطَ النَّبيُّ ﷺ يَدَيْهِ ودَعا ، قالَ بَعْضُ مَنْ كانَ حاضِرًا : واللهِ لَقَدْ سَمِعْناها تَنْطِقُ بالشَّهادَةِ وكَلِمَةِ الإخْلاصِ وهِيَ نائِمَةٌ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ رَفَعَتْ صَوْتَها وقالَتْ : أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه ، فَهَذِهِ غُفِرَ لَها قَبْلَ أَنْ تَسْتَيْقِظَ تَصْدِيقًا لِحَدِيثِ النَّبيِّ ﷺ ، ومِثْلُ هَذا جَرَى كَثِيرًا لِمَنْ عَلَى غَيْرِ التَّوْحِيد ، فيَرَى النَّبيَّ ﷺ ويُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِيَدَيْهِ ويُصَلِّي عَلَيْه .

هَنِيئًا لِعَيْنٍ قَدْ رَأَتْ وَجْهَ أَحْمَدَ ۞ وَفَازَتْ جِهارًا مِنْهُ بِالْحُسْنِ وَالرُّؤْيَا
وَقَدْ أَسْعَدَ الرَّحْمَنُ عَبْدًا دَعا لَهُ ۞ فَأَضْحَى سَعِيدًا فِي الْمَماتِ وَفِي الْمَحْيَا
وَبُدِّلَ بَعْدَ الشِّرْكِ بِالنُّورِ وَالْهُدَىٰ ۞ وَبُلِّغَ مَا يَهْوَى مِنَ الدِّينِ والدُّنْيا
وَفَازَ بِرُؤْيَا الْمُصْطَفَىٰ سَيِّدِ الْوَرَىٰ ۞ نَبِيٍّ حَباهُ اللهُ بِالرُّتْبَةِ الْعُلْيَا
عَلَيْهِ صَلاةُ اللهِ مَا طَافَ طَائِفٌ ۞ بِمَكَّةَ بَيْتِ اللهِ قَصْدًا أَتَى سَعْيَا

ذِكْرُهُ ﷺ دواءٌ لِلهَمِّ ومَغْفِرَةٌ للذَّنْب[1] : الْهَمُّ أَكْثَرُ ما يُتْعِبُ الإنْسانَ فِي الحَياة ، والذَّنْبُ هُوَ سَبَبُ الشَّقاءِ فِي القَبْرِ وبَعْدَ المَمات ، وكَمْ يَفْرَحُ المَرْءُ إذا وَجَدَ مَنْ يُخَفِّفُ عَنْهُ بَعْضَ هَمِّهِ ، وتَزْدادُ سَعادَتُهُ إنْ عَثَرَ عَلَى مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ إلَى الطَّاعَةِ ويُبْعِدُهُ عَنْ أَلَمِ ذَنْبِه ، فَما بالُكَ

(١) أَصْل سَيِّدنا النَّبي مالُوش زَيّ : د . مَجْدِي عاشُور .

بِمَنْ بِسَبَبِهِ يَزُولُ كُلُّ هَمٍّ ، ويُمْحَى كُلُّ ذَنْب .

كُلُّ هَذا جَعَلَهُ اللهُ لِحَبِيبِنا وحَبِيبِكَ ، فَقَدْ قالَ لَهُ الصَّحابيُّ : لأَجْعَلَنَّ كُلَّ وَقْتِي صَلاةً وسَلامًا عَلَيْكَ ، فقالَ لَهُ الحَبِيبُ ﷺ : (إذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ ، ويَغْفِرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَك) .

حُبُّهُ ﷺ يَقُومُ مَقامَ الأَعْمال[1] : مَنْ كانَ فِي دَرَجَةٍ أَوْ مَقام ، وبَذَلَ جُهْدَهُ ولَكِنْ لَمْ يَرْفَعْهُ ما قامَ بِهِ مِنْ أَعْمال ، وظَلَّ قائِمًا فِي رُتْبَتِهِ حَتَّى ضاقَ بِهِ الحال ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ التَّرَقِّيَ لَمْ يَعُدْ مُرْتَبِطًا بِجَوارِحِه ، وأَنَّ عِلاجَهُ فَقَطْ هُوَ فِي الرُّجُوعِ إلَى قَلْبِه ، فَيَتَعاهَدُهُ ويَرْعاهُ ويَبْحَثُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الوِلايَةِ فَيُحِبُّهُ ، فالقَلْبُ جابِرٌ لِلجَوارِح ، ما بَقِيَ الحُبُّ فِيهِ سارِح ، والمُوَفَّقُ مَنْ لا يَرْضَى إلَّا بِحُبِّ سَيِّدِ الرِّجال ، الَّذِي حازَ كُلَّ دَرَجاتِ الكَمال ، وحَضْرَتُهُ ﷺ هُوَ الَّذِي بَشَّرَنا وقالَ : (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) .

مُحِبٌّ ومَحْبُوبٌ لِعَلَّامِ الغُيُوب[2] : جَمِيلٌ أَنْ يَمْدَحَ المُحِبُّ مَحْبُوبَهُ فِي كُلِّ أَوْقاتِه ، والأَجْمَلُ أَنْ يَذْكُرَ المَحْبُوبُ مُحِبَّهُ فِي بَعْضِ عِباراتِه ، فَيَظَلُّ المُحِبُّ سَهْرانَ يُقَلِّبُ كَلامَ مُحِبِّهِ ويَتَنَفَّسُ مِنْ خِلالِهِ هَواءَ

(١) . (٢) أَصْل سَيِّدنا النَّبي مالُوش زَيّ : د . مَجْدِي عاشُور .

حياته ، فكيف بمن يذكره محبوبه بل يدعو الكون كله ليأنس بذكره حتى تسأل : من منهما المحب ومن المحبوب ؟!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (1) .

بسط التوفيق في رفع الحرج والضيق بالصلاة على الرؤوف الشفيق ﷺ :

إن شئت من بعد الضلالة تهتدي ❁ صل على الهادي البشير محمد

يا فوز من صلى عليه فإنه ❁ يحوي الأماني بالنعيم السرمدي

يا قومنا صلوا عليه تظفروا ❁ بالبشر والعيش الهني الأرغد

صلوا عليه وارفعوا أصواتكم ❁ يغفر لكم في يومكم قبل الغد

ويخصكم رب الأنام بفضله ❁ والفوز بالجنات يوم الموعد

صلى عليه الله جل جلاله ❁ ما لاح في الآفاق نجم الفرقد

ظهور الكرامات ونيل الخيرات :

إن أنت لازمت الصلاة على الذي ❁ صلى عليه الله في الآيات

وجعلتها وردا عليك مؤكدا ❁ لاحت عليك دلائل الخيرات

(1) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .

بيان ما يجب اعتقاده لله ورسوله

اعلم أنه يجب على كل عاقل من ذكر وأنثى أو خنثى أو عبد أو جني أو إنسي أن يعتقد أن الله منزه عن كل ما لا يليق به ؛ فيعتقد أنه تعالى ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدود مقدر ، وأنه تعالى لا يماثل الأجسام ، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام ، وأنه تعالى لا تحله الجواهر ، ليس كمثله شيء ، ولا هو مثل شيء ، وأنه لا يحده المقدار ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الأرضون والسموات ، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قال ، أو بالمعنى الذي أراده ؛ استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته مقهورون في قبضته ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد ، ويجب له صفة الحياة والقدرة ؛ يعني أنه تعالى حي قادر جبار قاهر ، لا يعتريه فتور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه تعالى ذو الملك والملكوت والجبروت ، له السلطان والقهر والخلق والأمر ، والسموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون في قبضته ، وأنه تعالى المتفرد بالخلق

والاخْتِراعِ ، المُتَوَحِّدُ بِالإيجادِ والإبْداعِ ، خَلَقَ الخَلْقَ وأَعْمالَهُمْ ، وقَدَّرَ رِزْقَهُمْ وآجالَهُمْ ، لا تُحْصَى مُقَدَّراتُهُ ، ولا تَتَناهَى مَعْلُوماتُهُ ، ويَجِبُ لَهُ صِفَةُ العِلْمِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ تَعالَى عالِمٌ بِجَمِيعِ المَعْلُوماتِ ، مُحِيطٌ يَجْرِي مِنْ تُخُومِ الأَرَضِينَ إلَى أَعْلَى السَّمَواتِ ، وأَنَّهُ تَعالَى عالِمٌ لا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ ، بَلْ يَعْلَمُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْداءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ ، ويَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى ويَطَّلِعُ عَلَى هَواجِسِ الضَّمائِرِ وحَرَكاتِ الخَواطِرِ وخَفِيَّاتِ السَّرائِرِ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفًا بِهِ تَعالَى ، ويَجِبُ لَهُ تَعالَى صِفَةُ الإرادَةِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ عالِمٌ بِالكائِناتِ مُدَبِّرٌ لِلحادِثاتِ ، فَلا يَجْرِي فِي المُلْكِ والمَلَكُوتِ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ ، صَغِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ ، خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ ، نَفْعٌ أَوْ ضُرٌّ ، إيمانٌ أَوْ كُفْرٌ ، عِرْفانٌ أَوْ نُكْرٌ ، فَوْزٌ أَوْ خُسْرانٌ ، زِيادَةٌ أَوْ نُقْصانٌ ، طاعَةٌ أَوْ عِصْيانٌ ، إلَّا بِقَضائِهِ وقَدَرِهِ وحِكْمَتِهِ ومَشِيئَتِهِ فَما شاءَ كانَ وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، هُوَ المُبْدِئُ المُعِيدُ الفَعَّالُ لِما يُرِيدُ ، لا رادَّ لِأَمْرِهِ ولا مُعَقِّبَ لِقَضائِهِ ، ولا مَهْرَبَ لِعَبْدِهِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إلَّا بِتَوْفِيقِهِ ورَحْمَتِهِ ، ولا قُوَّةَ عَلَى طاعَتِهِ إلَّا بِمَشِيئَتِهِ وإرادَتِهِ ، فَلَوْ اجْتَمَعَ الإنْسُ والمَلائِكَةُ والشَّياطِينُ عَلَى أَنْ يُحَرِّكُوا فِي العالَمِ ذَرَّةً

أَوْ يُسَكِّنُوها دُونَ إرادَتِهِ ومَشِيئَتِهِ لَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ ، وإرادَتُهُ قائِمَةٌ بِذاتِهِ فِي جُمْلَةِ صِفاتِهِ ، ولَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ مَوْصُوفًا بِها مُرِيدًا فِي أَزَلِهِ بِوُجُودِ الأَشْياءِ فِي أَوْقاتِها الَّتِي قَدَّرَها فَوُجِدَتْ فِي أَوْقاتِها كَما أَرادَ فِي أَزَلِهِ دُونَ تَقَدُّمٍ ولا تَأَخُّرٍ بَلْ وَقَعَتْ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِ وإرادَتِهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى ، ويَجِبُ لَهُ تَعالَى صِفَةُ السَّمْعِ والبَصَرِ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ تَعالَى سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَسْمَعُ ويَرَى ولا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وإنْ خَفِيَ ، ولا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَتِهِ مَرْئِيٌّ وإنْ دَقَّ ؛ يَرَى مِنْ غَيْرِ حَدَقَةٍ وأَجْفانٍ ، ويَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ أَصْمِخَةٍ وآذانٍ ، ويَعْلَمُ بِغَيْرِ قَلْبٍ ، ويَبْطِشُ بِغَيْرِ جارِحَةٍ ، ويَخْلُقُ بِغَيْرِ آلَةٍ سُبْحانَهُ وتَعالَى ، ويَجِبُ لَهُ صِفَةُ الكَلامِ ، وأَنَّ كَلامَهُ تَعالَى مُنَزَّهٌ عَنْ مُشابَهَتِهِ لِكَلامِ الخَلْقِ ، فَلَيْسَ بِصَوْتٍ ولا بِحَرْفٍ يَنْقَطِعُ بِإطْباقِ شَفَةٍ أَوْ تَحَرُّكِ لِسانٍ ، والقُرْآنُ والتَّوْراةُ والإنْجِيلُ والزَّبُورُ كُتُبُهُ المُنَزَّلَةُ عَلَى رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وأَنَّ القُرْآنَ مَقْرُوءٌ بِالأَلْسِنَةِ مَكْتُوبٌ فِي المَصاحِفِ مَحْفُوظٌ بِالقُلُوبِ وإنَّهُ مَعَ ذَلِكَ قَدِيمٌ قائِمٌ بِذاتِهِ تَعالَى لا يَقْبَلُ الانْفِصالَ والافْتِراقَ بِالانْتِقالِ إلَى القُلُوبِ والأَوْراقِ ، وأَنَّ سَيِّدَنا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ سَمِعَ كَلامَهُ بِغَيْرِ صَوْتٍ ولا حَرْفٍ كَما يَرَى الأَبْرارُ ذاتَ اللهِ تَعالَى فِي الآخِرَةِ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ ولا عَرَضٍ ، وإذا كانَتْ لَهُ هَذِهِ

الصِّفاتُ كانَ حَيًّا عالِمًا قادِرًا مُرِيدًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا بِالحَيـ
والقُدْرَةِ والإِرادَةِ والعِلْمِ والسَّمْعِ والبَصَرِ والكَلامِ ، ويَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ضِـ
هَذِهِ الصِّفاتِ ، ويَجِبُ اعْتِقادُ أَنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى لا مَوْجُودَ إِلَّا هُـ
وما سِواهُ حادِثٌ بِفِعْلِهِ وفائِضٌ مِنْ عَدْلِهِ عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوهِ وأَكْمَلِهـ
وأَتَمِّها وأَعْدَلِها ، وأَنَّهُ حَكِيمٌ فِي أَفْعالِهِ عادِلٌ فِي أَقْضِيَتِهِ لا يُقاسُ
بِعَدْلِ العِبادِ ؛ إِذِ العَبْدُ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الظُّلْمُ بِتَصَرُّفِهِ فِي مُلْكِ غَيْرِهِ ولا
يُتَصَوَّرُ الظُّلْمُ مِنَ اللهِ تَعالَى لِأَنَّ كُلَّ الأَشْياءِ مَمْلُوكَةٌ لَهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَـ
مُلْكٌ حَتَّى يَكُونَ تَصَرُّفُهُ فِيهِ ظُلْمًا ، فَكُلُّ ما سِواهُ مِنْ إِنْسٍ وجِنٍّ ومَلَكٍ
وشَيْطانٍ وسَماءٍ وأَرْضٍ وحَيَوانٍ ونَباتٍ وجَمادٍ وجَوْهَرٍ وعَرَضٍ ومُدْرَكٍ
ومَحْسُوسٍ ، حادِثٌ اخْتَرَعَهُ بِقُدْرَتِهِ بَعْدَ العَدَمِ اخْتِراعًا وأَنْشَأَهُ إِنْشا
بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا ؛ إِذْ كانَ فِي الأَزَلِ مَوْجُودًا وَحْدَهُ ولَمْ يَكُنْ مَعَـ
غَيْرُهُ ، فَأَحْدَثَ الخَلْقَ بَعْدَ ذَلِكَ إِظْهارًا لِقُدْرَتِهِ وتَحْقِيقًا لِما سَبَقَ مِنْ
إِرادَتِهِ لا افْتِقارًا إِلَيْهِ ، وإِنَّهُ مُتَفَضِّلٌ بِالخَلْقِ والاخْتِراعِ والتَّكْلِيفِ لا
عَنْ وُجُوبٍ ، ومُتَطَوِّلٌ بِالإِنْعامِ والإِصْلاحِ لا عَنْ لُزُومٍ ، فَلَهُ الفَضْلُ
والإِحْسانُ والنِّعْمَةُ والامْتِنانُ إِذْ كانَ قادِرًا عَلَى أَنْ يَصُبَّ عَلَى عِبادِهِ
أَنْواعَ العَذابِ ويَبْتَلِيَهُمْ بِالأَوْصابِ ، ولَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَكانَ مِنْهُ عَدْلًا ولَمْ

مِنْهُ قَبِيحًا ولا ظُلْمًا ، وأَنَّهُ عَزَّ وجَلَّ يُثِيبُ عِبادَهُ المُؤْمِنِينَ عَلَى
ـاعَةِ بِحُكْمِ الكَرَمِ والوَعْدِ لا بِحُكْمِ الاسْتِحْقاقِ ؛ إِذْ لا يَجِبُ عَلَيْهِ
ـدٍ فِعْلٌ كَما قالَ الإِمامُ اللَّقَّانِي :

فَإِنْ يُثِبْنا فَبِمَحْضِ الْفَضْلِ ❁ وَإِنْ يُعَذِّبْ فَبِمَحْضِ الْعَدْلِ
وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الصَّلاحَ وَاجِبُ ❁ عَلَيْهِ زُورٌ مَا عَلَيْهِ وَاجِبُ
أَلَمْ يَرَوْا إِيلامَهُ الْأَطْفَالا ❁ وَشِبْهَهَا فَحَاذِرِ الْمُحَالا

ـجِبُ اعْتِقادُ ما ذُكِرَ ، وأَنَّهُ تَعالَى لا يَجِبُ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ تَعالَى حَقٌّ ، وأَنَّ
ـهُ فِي الطَّاعَةِ واجِبٌ عَلَى الخَلْقِ بِإِيجابِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيائِهِ عَلَيْهِمُ
الصَّلاةُ والسَّلامُ لا بِمُجَرَّدِ العَقْلِ ولَكِنَّهُ بَعَثَ الرُّسُلَ وأَظْهَرَ صِدْقَهُمْ
المُعْجِزاتِ الظَّاهِرَةِ فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ ونَهْيَهُ ووَعْدَهُ ووَعِيدَهُ ، فَوَجَبَ عَلَى
ـلْقِ تَصْدِيقُهُمْ فِيما جاءُوا بِهِ ، وأَنَّهُ بَعَثَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ القُرَشِيَّ
ـيِّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ ولَيْسَ واجِبًا ذَلِكَ عَلَيْهِ بَلْ بِمَحْضِ الفَضْلِ كَما قالَ
ـقَّانِي :

ومِنْهُ إِرْسَالُ جَمِيعِ الرُّسُلِ ❁ بِلا وُجُوبٍ بَلْ بِمَحْضِ الْفَضْلِ
لَكِنْ بِهِمْ إِيمَانُنَا قَدْ وَجَبَا ❁ فَدَعْ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قَدْ لَعِبَا
وَاجِبٌ فِي حَقِّهِمْ أَمَانَهْ ❁ وَصِدْقُهُمْ وَضِفْ لَهُ الْفَطَانَهْ

وَمِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لِمَا أَتَوْا ❁ وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّهَا كَمَا رَوَوْا

وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ كَالأَكْلِ ❁ وَكَالْجِمَاعِ لِلنِّسَا فِي الْحِلِّ

ورسالَتُهُ ﷺ عامَّةٌ للعَرَبِ والعَجَمِ والجِنِّ والإنْسِ ؛ فَنَسَخَ بِشَرْ[عِهِ] الشَّرائِعَ إلَّا ما قَرَّرَهُ مِنْها ، كما قالَ :

وَنَسْخُهُ لِشَرْعِ غَيْرِهِ وَقَعْ ❁ حَتْمًا أَذَلَّ اللهُ مَنْ لَهُ مَنَعْ

وَنَسْخُ بَعْضِ شَرْعِهِ بِالْبَعْضِ ❁ أَجِزْ وَمَا فِي ذَا لَهُ مِنْ غَضِّ

فَضْلُ النَّبِيِّ ﷺ : والنَّبِيُّ ﷺ فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى سائِرِ الأَنْبياءِ وجَعَلَهُ [سَيِّدَ] البَشَرِ ، ومَنَعَ كَمالَ الإيمانِ بِشَهادَةِ التَّوْحيدِ وهِيَ قَوْلُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ما لَمْ تَقْتَرِنْ بها شَهادَةُ الرَّسُولِ وهُوَ قَوْلُ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، وأ[وجب على] الخَلْقِ تَصْديقَهُ فِي جَميعِ ما أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا والآخِرَةِ وأَنَّهُ لا يَقْبَلُ إيمانَ عَبْدٍ حَتَّى يُؤْمِنَ بما أَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ المَوْتِ و[مِنْهُ] سُؤالُ مُنْكَرٍ ونَكيرٍ وهُما شَخْصانِ هائِلانِ يُقْعِدانِ العَبْدَ فِي قَبْرِهِ ذا رُوحٍ وجَسَدٍ فَيَسْأَلانِهِ عَنِ التَّوْحيدِ والرِّسالَةِ لِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ويَقُولانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ وما دِينُكَ ومَنْ نَبِيُّكَ ؟ وسُؤالُهُما أَوَّلُ فِتْنَةٍ [بَعْدَ] المَوْتِ ، وأَنْ يُؤْمِنَ بِعَذابِ القَبْرِ وأَنَّهُ حَقٌّ وحُكْمُهُ عَدْلٌ عَلَى الجِ[سْمِ] والرُّوحِ عَلَى ما يَشاءُ اللهُ تَعالَى ، وأَنْ يُؤْمِنَ بِالميزانِ ذِي الكِفَّتَيْنِ

[ول]سانٍ وصِفَتُهُ فِي العِظَمِ ؛ أَنَّهُ مِثْلُ طِباقِ السَّمواتِ والأَرْضِ تُوزَنُ [فيه] الأَعْمالُ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعالَى ، والصَّنْجُ يَوْمَئِذٍ مَثاقِيلُ الذَّرِّ والخَرْدَلِ [تحـ]قيقًا لِتَمامِ العَدْلِ ، وتُطْرَحُ الحَسَناتُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ فِي كِفَّةِ [النـ]ورِ فَيَثْقُلُ بِها الميزانُ بِعَدْلِ اللهِ ، وأَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ الصِّراطَ حَقٌّ وهُوَ [جِسْرٌ] مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ وأَرَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ تَزِلُّ [عَلَيـ]ـهِ أَقْدامُ الكافِرِينَ بِحُكْمِ اللهِ تَعالَى تَهْوِي بِهِ إِلَى النَّارِ ، وتَثْبُتُ [عَلَيـ]ـهِ أَقْدامُ المُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ اللهِ تَعالَى فَيُساقُونَ إِلَى دارِ القَرارِ :

وَمِثْلُ هَذَا الْوَزْنُ وَالْمِيزَانُ ❁ فَتُوزَنُ الْكُتْبُ أَوِ الأَعْيَانُ

كَذَا الصِّرَاطُ فَالْعِبَادُ مُخْتَلِفْ ❁ مُرُورُهُمْ فَسَالِمٌ وَمُنْتَلِفْ

[و]أَنْ يُؤْمِنَ بِالحَوْضِ المَوْرُودِ ؛ حَوْضِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ماؤُهُ أَشَدُّ بَياضًا [مِـ]نَ اللَّبَنِ وأَحْلَى مِنَ العَسَلِ ، حَوْلَهُ أَبارِيقُ عَدَدُها بِعَدَدِ نُجُومِ السَّماءِ [لـ]ـهُ مِيزابانِ يَصُبَّانِ مِنَ الكَوْثَرِ ، وأَنْ يُؤْمِنَ بِالحِسابِ وتَفاوُتِ النَّاسِ [فـ]ـيهِ إِلَى مُناقَشٍ فِي الحِسابِ ومُسامَحٍ فِيهِ ، وإِلَى مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ [بِغَـ]ـيْرِ حِسابٍ وهُمُ المُقَرَّبُونَ ، فَيَسْأَلُ اللهُ تَعالَى مَنْ شاءَ مِنَ الأَنْبِياءِ [عَـ]ـنْ تَبْلِيغِ الرِّسالَةِ ، ومَنْ شاءَ مِنَ الكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ المُرْسَلِينَ ، [و]يَسْأَلُ المُبْتَدِعَةَ عَنِ السُّنَّةِ ويَسْأَلُ المُسْلِمِينَ عَنِ الأَعْمالِ ، وأَنْ يُؤْمِنَ

بِإخْراجِ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ حَتَّى لا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مُوَحِّدٌ بفَ
اللهِ تَعالَى ؛ فَلا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مُوَحِّدٌ ، وأَنْ يُؤْمِنَ بِشَفاعَةِ الأَ
ثُمَّ العُلَماءِ ثُمَّ الشُّهَداءِ ثُمَّ سائِرِ المُؤْمِنِينَ ؛ كُلٌّ عَلَى حَسَبِ جـ
ومَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ تَعالَى ، كَما قِيلَ :

وَوَاجِبٌ شَفَاعَةُ الْمُشَفَّعِ ۞ مُحَمَّدٍ مُقَدَّمًا لا تُمْـ

وَغَيْرُهُ مِنْ مُرْتَضَى الْأَخْيَارِ ۞ يَشْفَعُ كَمَا جَاءَ فِي الْأَخْبـ

إِذْ جَائِزٌ غُفْرَانُ غَيْرِ الْكُفْرِ ۞ فَلا نُكَفِّرْ مُؤْمِنًا بِالْو

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ ۞ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَ

وَوَاجِبٌ تَعْذِيبُ بَعْضِ ارْتَكَبْ ۞ كَبِيرَةً ثُمَّ الْخُلُودُ مُجْتَـ

وأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ساداتُنا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ
ثُمَّ عُثْمانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنهم ، وأَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِجَمِيعِ الصَّحابَةِ و
عَلَيْهِمْ كَما أَثْنَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ، فَكُلُّ ذَلِكَ بِما وَرَ
بِهِ الأَخْبار ، وشَهِدَتْ بِهِ الآثار ، فَمَنِ اعْتَقَدَ جَمِيعَ ذَلِكَ مُوقِنًا بِهِ
مِنْ أَهْلِ الحَقِّ والسُّنَّةِ الأَبْرار .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾

بَيانُ ما دَرَجَ عَلَيْهِ أُولُو الأَلْباب

فِي اسْتِيعابِ ما صَحَّ عَنْهُ ﷺ مِنْ أَحْكامٍ وآداب[1]

(بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، وإِقامُ الصَّلاةِ ، وإِيتاءُ الزَّكاةِ ، وحَجُّ البَيْتِ ، وصَوْمُ رَمَضان)[2] .

قَوْلُهُ ﷺ : **(بُنِيَ الإِسْلامُ ..... إلخ)** مَعْنَى الحَدِيث : أَنَّ الإِسْلامَ مَعْنَى الانْقِيادِ يَتَحَقَّقُ بِفِعْلِ هَذِهِ الخَمْسِ وخَصَّها لأَنَّها مَعالِمُ الأَعْمالِ الدِّينِيَّة ، ومَعْنَى بِنائِهِ عَلَى هَذِهِ الخَمْسِ تَرَكُّبُهُ مِنْها ، فَإِنَّ المَجْمُوعَ يَتَرَكَّبُ مِنْ أَجْزائِه ، وخَصَّها مَعَ كَثْرَةِ شُعَبِ الإِيمانِ لِما ذُكِرَ ، وحِينَئِذٍ تَكُونُ عَلَى بِمَعْنَى مِنْ ؛ وكَأَنَّهُ يَقُولُ : إِنَّ مَوادَّ الإِسْلامِ وأَجْزاءَهُ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِها لَيْسَتْ إِلَّا هَذِهِ مُبالَغَةً فِي أَهَمِّيَّتِها وعُلُوِّ شَأْنِها .

قَوْلُهُ ﷺ : **(شَهادَةُ)** إِلَى آخِرِ المَعْطُوفاتِ بِالجَرِّ عَلَى البَدَلِيَّةِ مِنْ خَمْسٍ ، ويَجُوزُ رَفْعُها عَلَى الخَبَرِيَّة ، **والشَّهادَةُ** إِقْرارٌ بِاللِّسانِ يُطابِقُ ما يَعْتَقِدُهُ الجَنانُ (القَلْب) .

وإِنَّما اقْتَصَرَ عَلَى الشَّهادَتَيْنِ مَعَ أَنَّهُ يَجِبُ الإِيمانُ بِجَمِيعِ الأَنْبِياءِ

(١) الشَّيْخ مُحَمَّد بنُ إِبْراهِيمَ السَّمالُوطِي ، د . العَجَمِي دَمَنْهُورِي خَلِيفَة .
(٢) رَواهُ الشَّيْخانِ عَنْ سَيِّدِنا عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما .

والمَلائِكَةِ والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ واليَوْمِ الآخِرِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عُلِمَ مِـ
الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ لانْدِراجِ ذَلِكَ فِي الإيمانِ بِالرَّسُولِ ﷺ ؛ فَإِنَّ المُر
مِنَ الشَّهادَةِ بِرِسالَتِهِ تَصْدِيقُهُ فِي كُلِّ ما جاءَ بِهِ .

(وإِقامُ الصَّلاةِ) : تَأْدِيَةُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ، وهُوَ مَصْـ
كالإِقامَةِ وحُذِفَتْ مِنْهُ تاءُ التَّعْوِيضِ لِمُشاكَلَةِ ما بَعْدَهُ دُونَ ما قَبْلَهُ .

(وإِيتاءُ الزَّكاةِ) : إِعْطاءُ ما وَجَبَ فِي مالٍ بَلَغَ نِصابًا وحالَ عَلَـ
الحَوْلُ ، ((ونِصابُ الأَمْوالِ ما يُعادِلُ فِي القِيمَةِ ٨٥ جِرامًا مِنَ الذَّهَـ
بِسِعْرِ اليَوْمِ بَعْدَ مُرُورِ عامٍ عَلَى المالِ المُسْتَحَقِّ لِلزَّكاةِ)) ، وهُوَ مَمْلُو
مِلْكًا تامًّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الأَصْنافِ الثَّمانِيَةِ المَذْكُورَةِ فِي آيَةِ :
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّـ
قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَـ
مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١) .

(والحَجُّ) : أَفْعالٌ مَخْصُوصَةٌ تَجِبُ فِي العُمُرِ مَرَّةً عَلَى المُسْتَطِيعِ .

(وصَوْمُ رَمَضانَ) : إِمْساكٌ عَنِ المُفْطِراتِ بِنِيَّةٍ ، فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ مِـ
طُلُوعِ الفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ .

---

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ : الآيَةُ ٦٠ .

(بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ) (١) .
ـمُرادُ بِالرَّجُلِ : الإِنْسانُ مُطْلَقًا ، والشِّرْكُ : عِبادَةُ غَيْرِ اللهِ ، وعَطْفُ
ـكُفْرِ عَلَيْهِ عَطْفُ عامٍّ عَلَى خاصٍّ ، قَوْلُهُ ﷺ : (تَرْكُ الصَّلاةِ) مُبْتَدَأٌ
ـؤَخَّرٌ خَبَرُهُ الظَّرْفُ قَبْلَهُ ومُتَعَلَّقُهُ مَحْذُوفٌ والتَّقْدِيرُ وَصْلَةٌ بَيْنَ الرَّجُلِ
ـالشِّرْكِ ؛ أَيْ إِنَّ تَرْكَها يُصَيِّرُ المُسْلِمَ شَبِيهًا بِالمُشْرِكِ ؛ لأَنَّ فِعْلَها هُوَ
المُمَيِّزُ بَيْنَهُما ، فَفِيهِ الحَثُّ الشَّدِيدُ عَلَى المُحافَظَةِ عَلَى الصَّلاةِ .

(الإِيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ
والقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ) (٢) .

مَعْناهُ : أَنَّ التَّصْدِيقَ الواجِبَ شَرْعًا الَّذِي يَنْجُو بِهِ المُكَلَّفُ عِنْدَ اللهِ
تَعالَى هُوَ أَنْ يُصَدِّقَ بِوُجُودِ اللهِ ووَحْدانِيَّتِهِ ذاتِهِ وصِفاتِهِ وأَفْعالِهِ ،
وبِوُجُودِ المَلائِكَةِ وعِصْمَتِهِمْ وهُمْ أَجْسامٌ رُوحانِيَّةٌ لا يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ
ولا أُنُوثَةٍ ، لا يَأْكُلُونَ ولا يَشْرَبُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ، لا
يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ، ويُصَدِّقُ بِأَنَّ جَمِيعَ كُتُبِ
الأَنْبِياءِ مُنَزَّلَةٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالَى ، وكُلَّ ما فِيها حَقٌّ ، وبِأَنَّ للهِ
تَعالَى رُسُلًا مِنْ بَنِي آدَمَ اصْطَفاهُمْ وعَصَمَهُمْ وهَداهُمْ وأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ

---

(١) رَواهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنا جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصارِيِّ رضي الله عنه .
(٢) رَواهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنا عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ رضي الله عنه .

شَرائِعَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ بِها ، ويَعْمَلُوا بِما فِيها ويُبَلِّغُوها النَّاسَ ويَأْمُرُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِها ، ويُصَدِّقُ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ تَعالَى قَدَّرَ الأَشْياءَ كُلَّها أَزَلًا خَيْرَها وشَرَّها ، فَما مِنْ شَيْءٍ كانَ أَوْ يَكُونُ مِنْ جَمِيعِ الحَوادِثِ الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ إِلَّا تَعَلَّقَ بِهِ العِلْمُ القَدِيمُ عَلَى ما عَلَيْهِ ، وخَصَّصَتْهُ إِرادَةُ اللَّهِ بِما هُوَ عَلَيْهِ ، وأَمَّا تَفاصِيلُ العَقائِدِ الإِلَهِيَّاتِ والنَّبَوِيَّاتِ والسَّمْعِيَّاتِ فَتَنْدَرِجُ فِي الإيمانِ بالكُتُبِ لِتَضَمُّنِها لَها وبَيانِها فِيها ، وظاهِرُ الحَدِيثِ أَنَّ النُّطْقَ اللِّسانِي والعَمَلَ بالأَرْكانِ لَيْسَ جُزْءًا مِنْ مُسَمَّى الإيمانِ ؛ فَيَكُونُ ما وَرَدَ مِمَّا يُفِيدُ أَنَّ الإيمانَ تَصْدِيقٌ بِالجَنانِ ونُطْقٌ بِاللِّسانِ وعَمَلٌ بالأَرْكانِ ، بَيانًا لِكَمالِهِ لِحَقِيقَتِهِ ، وبِهِ قِيلَ .

نَعَمْ ، لا يُحْكَمُ عَلَى المُكَلَّفِ ظاهِرًا بِأَحْكامِ المُسْلِمِينَ إِلَّا إِذا نَطَقَ بِالشَّهادَتَيْنِ أَوْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَنْ وُلِدَ عَلَى الإِسْلام ، أَمَّا هُوَ فَلَيْسَ شَرْطًا فِيهِ ، والمَبْحَثُ طَوِيلٌ والَّذِي تَكَفَّلَتْ بِبَسْطِهِ كُتُبُ الكَلام .

• **(الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً ؛ فَأَفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه ، وأَدْناها إِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان)**(١) .

(١) رَواهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنا أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

مَعْناهُ : أَنَّ ثَمَراتِ الإيمانِ وفُرُوعَهُ ولَوازِمَهُ وخِصالَ أَهْلِهِ المُتَمَسِّكِينَ بِآدابِهِ تَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ خَصْلَةً ، زِيادَةً ما بَيْنَ الثَّلاثِ إِلَى التِّسْعِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْنَى البِضْع ، والشُّعْبَةُ هِيَ الخَصْلَةُ مَجازًا وأَصْلُها غُصْنُ الشَّجَرَةِ اسْتُعِيرَتْ لِلخَصْلَةِ ، وهَذا العَدَدُ يُحْتَمَلُ أَنْ يُرادَ بِهِ التَّحْدِيدَ ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يُرادَ بِهِ التَّكْثِير ، وقَدْ نَصَّ فِي الحَدِيثِ عَلَى أَعْلاها وأَدْناها ، ولَمْ يَذْكُرْ ما بَيْنَهُما .

وقَدْ تَعَرَّضَ ناسٌ لِعَدِّها بالاجْتِهاد ، ومِنَ المُجازَفَةِ الحُكْمُ بِأَنَّ ما عَدُّوهُ هُوَ المُرادُ ، ومَعَ ذَلِكَ لَمْ يَجْرُوا فِيما عَدُّوهُ عَلَى نَمَطٍ واحِد ، قالَ الحافِظُ ابنُ حَجَر : ((وأَقْرَبُها إِلَى الصَّوابِ طَرِيقُ ابنِ حِبَّانَ فَإِنَّهُ عَدَّ كُلَّ طائِفَةٍ عَدَّها اللَّهُ فِي كِتابِهِ أَو النَّبِيُّ ﷺ فِي سُنَنِه)) .

قالَ الحافِظُ : ((وقَدْ رَأَيْتُها تَتَفَرَّعُ عَنْ أَعْمالِ القَلْبِ وأَعْمالِ اللِّسانِ وأَعْمالِ البَدَنِ ؛ **فَأَعْمالُ القَلْبِ** فِيها المُعْتَقَداتُ والنِّيَّاتُ وتَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعٍ وعِشْرِينَ خَصْلَةً : الإيمانُ باللَّهِ ويَدْخُلُ فِيهِ الإيمانُ بِذاتِهِ وصِفاتِهِ وتَوْحِيدُهُ وبِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ واعْتِقادُ حُدُوثِ ما سِواه ، والإيمانُ بِمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ والقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ ، والإيمانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ ؛ ويَدْخُلُ فِيهِ سُؤالُ القَبْرِ والبَعْثُ والنُّشُورُ والحِسابُ والمِيزانُ

والصِّراطُ والجَنَّةُ والنَّارُ والحُبُّ فِي اللهِ والبُغْضُ فِيهِ ومَحَبَّةُ النَّ
وتَعْظِيمُه ؛ ويَدْخُلُ فِيهِ الصَّلاةُ عَلَيْه ، واتِّباعُ سُنَّتِهِ ، والإِخْلاصُ
ويَدْخُلُ فِيهِ تَرْكُ الرِّياءِ والنِّفاقِ والتَّوْبَةُ والخَوْفُ والرَّجاءُ والشُّ
والوَفاءُ والصَّبْرُ والرِّضا بِالقَضاءِ والتَّوَكُّلُ والتَّواضُعُ والرَّحْمَة ، ويَدْ
فِيهِ التَّواضُعُ وتَوْقِيرُ الكَبِيرِ ورَحْمَةُ الصَّغِيرِ وتَرْكُ التَّكَبُّرِ والعُجْبِ وتَرْ
الحَسَدِ وتَرْكُ الحِقْدِ والغَضَبِ ، **وأَعْمالُ اللِّسانِ** تَشْمَلُ سَبْعَ خِصالٍ
التَّلَفُّظُ بِالتَّوْحِيدِ وتِلاوَةُ القُرْآنِ وتَعَلُّمُ العِلْمِ ، وتَعْلِيمُهُ ، والدُّعاءُ
والذِّكْرُ ويَدْخُلُ فِيهِ الاسْتِغْفارُ واجْتِنابُ اللَّغْوِ ، **وأَعْمالُ البَدَنِ** تَشْ
ثَمانِيًا وثَلاثِينَ خَصْلَةً : مِنْها ما يَخْتَصُّ بِالأَعْيانِ وهِيَ التَّطْهِيرُ حِـ
وحُكْمًا ؛ ويَدْخُلُ فِيهِ اجْتِنابُ النَّجاساتِ ، وسَتْرُ العَوْرَةِ والصَّلا
فَرْضًا ونَفْلًا ، والزَّكاةُ كَذلِكَ ، وفَكُّ الرِّقابِ والجُودُ ، ويَدْخُلُ فِ
إِطْعامُ الطَّعامِ وإِكْرامُ الضَّيْفِ والصِّيامُ فَرْضًا ونَفْلًا والحَجُّ والعُمْرَ
والطَّوافُ والاعْتِكافُ والْتِماسُ لَيْلَةِ القَدْرِ ، والفِرارُ بِالدِّينِ مِنَ الفِتَ
ويَدْخُلُ فِيهِ الهِجْرَةُ مِنْ بِلادِ الكُفْرِ والوَفاءُ بِالنَّذْرِ والتَّحَرِّي فِي اليَمِي
وأَداءُ الكَفَّاراتِ ؛ ومِنْها ما يَتَعَلَّقُ بِالاتِّباعِ وهِيَ سِتُّ خِصالٍ : التَّعَفُّ
بِالنِّكاحِ والقِيامُ بِحُقُوقِ العِيالِ وبِرُّ الوالِدَيْنِ ومِنْهُ اجْتِنابُ العُقُو

ـرْبِيَةُ الأَوْلادِ وصِلَةُ الرَّحِمِ وطاعَةُ المَمْلُوكِ سَيِّدَهُ ورِفْقُ السَّيِّدِ بِهِ ،
مِنْها ما يَتَعَلَّقُ بِالعادَةِ وهِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ خَصْلَةً : القِيامُ بِالإِمارَةِ مَعَ
ـعَدْلِ ومُتابَعَةُ وطاعَةُ أُولِي الأَمْرِ والإِصْلاحُ بَيْنَ النَّاسِ ويَدْخُلُ فِيهِ
ـتالُ البُغاةِ والمُعاوَنَةُ عَلَى البِرِّ ويَدْخُلُ فِيهِ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ
ـنِ المُنْكَرِ وإِقامَةُ الحُدُودِ والجِهادُ ومِنْهُ الرِّباطُ وأَداءُ الأَمانَةِ ،
مِنْهُ أَداءُ الخُمُسِ مَعَ وَفائِهِ ، وإِكْرامُ الجارِ وحُسْنُ المُعامَلَةِ ، وفِيهِ
ـكْتِسابُ المالِ مِنْ وَجْهِ الحَلالِ وإِنْفاقُهُ فِي وَجْهِهِ ، ومِنْهُ تَرْكُ التَّبْذِيرِ
الإِسْرافِ ورَدُّ السَّلامِ وتَشْمِيتُ العاطِسِ وكَفُّ الضَّرَرِ عَنِ النَّاسِ
ـاجْتِنابُ اللَّهْوِ وإِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ؛ فَهَذِهِ تِسْعٌ وسِتُّونَ خَصْلَةً
ـاعْتِبارِ ما ضُمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ أَوْ بِبَعْضٍ تَصَرُّفٍ وقَدْ سَبَقَ احْتِمالُ
ـأَنَّ العَدَدَ لِلتَّكْثِيرِ لا لِلتَّحْدِيدِ» .
قَوْلُهُ ﷺ : **(فَأَفْضَلُها قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)** : إِنْ أُرِيدَ بِهِ الشَّهادَتانِ
اللَّتانِ يَدْخُلُ بِهِما الإِسْلامَ عِنْدَ مَنْ لا يَعْتَدُّ بِمُجَرَّدِ التَّصْدِيقِ القَلْبِي
فَظاهِرٌ ، وعِنْدَ مَنْ يَعْتَدُّ بِهِ بِدُونِها فالأَفْضَلِيَّةُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ هَذا القَوْلَ
يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ حِفْظُ الدِّماءِ والأَمْوالِ وجَرَيانُ أَحْكامِ المُسْلِمِينَ عَلَى
قائِلِهِ وإِلَّا فَمُجَرَّدُ هَذا الذِّكْرِ لا يَكُونُ أَكْبَرَ أَجْرًا مِنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ

وقَوْلُهُ (فِي النَّار) أَيْ : أَصْحابُهُ بِسَبَبِهِ ، كَما وَرَدَ : (وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنا الحَياءَ مِنْكَ ومِنْ خَلْقِكَ بِمَنِّكَ وكَرَمِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين .

(**بَلِّغُوا عَنِّي ولَوْ آيَة ، وحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرائِيلَ ولا حَرَج ، ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار**)[1] .

وقَوْلُهُ ﷺ : (**بَلِّغُوا .... إلخ**) مَعْناهُ : انْقُلُوا عَنِّي إِلَى أُمَّتِي ما يُمْكِنُكُمْ نَقْلُهُ مِمَّا وَعَيْتُمُوهُ عَنِّي لِيَنْتَشِرَ بَيْنَ النَّاسِ ما جِئْتُ بِهِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷺ : (لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغائِبَ) وإِنَّما بالَغَ ﷺ بِقَوْلِهِ : (ولَوْ آيَة) دُونَ أَنْ يَقُولَ : (ولَوْ حَدِيثًا) لأَنَّ تَبْلِيغَ القُرْآنِ واجِبٌ ، ولأَنَّ الأَمْرَ بِتَبْلِيغِ الحَدِيثِ يُعْلَمُ مِنْ هَذا بِطَرِيقِ الأَوْلَى ، فَإِنَّ آياتِ القُرْآنِ مَعَ انْتِشارِها وكَثْرَةِ حَمَلَتِها تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِها وصَوْنِها عَنِ الضَّياعِ والتَّحْرِيف ، فَإِذا وَجَبَ تَبْلِيغُها وهِيَ بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ فالحَدِيثُ الَّذِي لَيْسَ مِثْلَها فِي ذَلِكَ أَوْلَى بِالتَّبْلِيغِ مِنْها .

وقَوْلُهُ ﷺ : (**وحَدِّثُوا ..... إلخ**) : مَعْناهُ لا ضِيقَ عَلَيْكُمْ ولا إِثْمَ فِي ذِكْرِ ما بَلَغَكُمْ عَنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ العَجائِبِ لِيَكُونَ عِبْرَةً ومَوْعِظَةً ،

(١) رَواهُ البُخارِي والإِمامُ أَحْمَدُ عَنْ سَيِّدِنا عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما .

والصِّيامِ والحَجِّ ، ومِنْ تَقْرِيرِ الحافِظِ المُتَقَدِّمِ يَظْهَرُ أَنَّ المُرادَ بِقَوْ أَصْلُ الإِيمانِ ، وبِالجُمْلَةِ فَفِي المَقامِ دِقَّةٌ تَحْتاجُ لإِمْعانِ النَّظَر .

وقَوْلُهُ ﷺ : (**وأَدْناها إِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيق**) ؛ أَيْ : إِزالَةُ يُؤْذِي المارِّينَ بِها مِنْ نَحْوِ شَوْكٍ وحَجَر .

وقَوْلُهُ ﷺ : (**والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمانِ**) : الحَياءُ بِالمَدِّ سَحاب ، عِبارَةٌ عَنْ مَلَكَةٍ تَحْمِلُ صاحِبَها عَلَى فِعْلِ الحَسَنِ وتَرْ القَبِيحِ ، فَيُبْنَى عَلَيْهِ جَمِيعُ الشُّعَبِ ؛ ولِذا خَصَّهُ بِالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ وَرَدَ : (الحَياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ) رَواهُ مُسْلِمٌ وأَبُو داوُدَ عَنْ عِمْرانَ بن حُصَ رضي الله عنه ، ورَوَى الشَّيْخانِ عَنْهُ أَيْضًا : (الحَياءُ لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْر) ، ورَ الطَّبَرانِيُّ فِي الأَوْسَطِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه مَرْفُوعًا : (الحَيا والإِيمانُ مَقْرُونانِ لا يَفْتَرِقانِ إِلَّا جَمِيعًا) ؛ أَيْ إِذا فارَقَ أَحَدُهُما تَبِعَ الآخَرُ ، ورَوَى الطَّبَرانِيُّ أَيْضًا عَنْ قُرَّةَ بنِ إِياس : (الحَياءُ هُوَ الدِّ كُلُّهُ) ، ورَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : (الحَياءُ مِنَ الإِيمان) ، ورَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : (الحَياءُ مِنَ الإِيمانِ ، والإِيمانُ الجَنَّةِ ، والبَذاءُ مِنَ الجَفاءِ ، والجَفاءُ فِي النَّار) .

وقَوْلُهُ : (والبَذاءُ) أَيْ : الفُحْشُ فِي القَوْلِ ، والجَفاءُ : الهَجْرُ وتَرْ

ويُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ ما يُعْلَمُ كَذِبُهُ ، أَوِ المَعْنَى : حَدِّثُوا إِنْ شِئْتُمْ ولا حرج عَلَيْكُمْ إذا لَمْ تُحَدِّثُوا ، فالمُرادُ بِالأَمْرِ بِالتَّحْدِيثِ الإِذْنُ والإِباحَةُ .

قَوْلُهُ ﷺ : (**وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ... إلخ**) أَيْ : بِأَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ لَمْ أَقُلْ أَوْ نَسَبَ إِلَيَّ أَمْرًا غَيْرَ مَنْسُوبٍ إِلَيَّ كَأَنْ يَقُولَ كَذِبًا عَمْدًا أَنَّهُ قُلْتُ كَذا أَوْ فَعَلْتُهُ أَوْ أَقْرَرْتُهُ ، وقَوْلُهُ ﷺ : (**فَلْيَتَبَوَّأْ**) أَيْ : فَلْيَتَّخِذْ مُتَبَوَّأً ومَسْكَنًا مِنَ النَّارِ مَعَ الكاذِبِينَ لأَنَّهُ كَذَبٌ عَلَى اللهِ فِي دِينِهِ فَإِنِّي مُشَرِّعٌ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعالَى ، والمَقْصُودُ مِنْ صِيغَةِ الأَمْرِ الإِخْبارُ أَيْ فَهُوَ مُتَبَوِّئٌ مَقْعَدَهُ الَّذي يَسْتَحِقُّهُ فِي النَّارِ .

• (**البِرُّ : حُسْنُ الخُلُقِ ، والإِثْمُ : ما حاكَ فِي صَدْرِكَ ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)(1) .

قَوْلُهُ ﷺ : (**البِرُّ ... إلخ**) أَيْ : إِنَّ مُعْظَمَ أَفْعالِ الطَّاعَةِ أَنْ يَتَخَلَّقَ العَبْدُ بِالأَخْلاقِ الحَسَنَةِ مَعَ الحَقِّ والخَلْقِ ، وعَلامَةُ الإِثْمِ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ فِي قَلَقٍ مِنَ الأَمْرِ وتَرَدُّدٍ وخَوْفٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ ذَنْبًا وأَنْ يَسْتَحِيَ مِنِ اطِّلاعِ مَنْ لَهُ قَدْرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى فاعِلِهِ ، **قَوْلُهُ** ﷺ : (**حاكَ**) أَيْ : تَحَرَّكَ وتَرَدَّدَ ولَمْ يَنْشَرِحْ لَهُ الصَّدْرُ ، وقَدْ رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رضي الله عنه بِلَفْظ : (البِرُّ ما سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ ، والإِثْمُ ما لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ولَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ ، وإِنْ أَفْتاكَ المُفْتُونَ) .

• **عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو** رضي الله عنهما ، **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ قالَ : (**لَيْسَ الواصِلُ بِالمُكافِئِ ، ولَكِنَّ الواصِلَ الَّذِي إِذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها**)(1) .

(**بِالمُكافِئِ**) : هُوَ الَّذِي يُعْطِي لِغَيْرِهِ نَظِيرَ ما أَعْطاهُ ذَلِكَ الغَيْرُ .

(**الواصِلُ الَّذِي إِذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها**) : أَيْ ولَكِنَّ الكامِلَ فِي صِلَةِ رَحِمِهِ هُوَ الَّذِي إِذا قَطَعَهُ أَرْحامُهُ ومَنَعُوهُ وَصَلَهُمْ وأَعْطاهُمْ ، وإِذا جَهِلُوا عَلَيْهِ حَلُمَ عَلَيْهِمْ ، وإِذا واجَهُوهُ بِالإِساءَةِ قابَلَهُمْ بِالإِحْسانِ ؛ وتِلْكَ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ ، ودَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ ، وفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَجُلًا قالَ : يا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ لِي قَرابَةً أَصِلُهُمْ ويَقْطَعُونَنِي ، وأَحْلُمُ عَنْهُمْ وهُمْ يَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، وأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وهُمْ يُسِيئُونَ إِلَيَّ ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (لَئِنْ كُنْتَ كَما قُلْتَ فَكَأَنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ ، ولا يَزالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ ما دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) .

• **عَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ** رضي الله عنها **أَنَّها قالَتْ : جاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَها ابْنَتانِ**

---

(1) رَواهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنا النَّوَّاسِ بنِ سَمْعان رضي الله عنه .

(1) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي ((الأَدَب)) وهَذا لَفْظُهُ ، والتِّرْمِذِيُّ ، وأَبُو داوُدَ ، وأَحْمَد .

تَسْأَلُنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ واحِدَةٍ ، فَأَعْطَيْتُها فَقَسَمَتْها ب
ابْنَتَيْها ، ثُمَّ قامَتْ فَخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ فَقالَ : (مَ
يَلِي مِنْ هَذِهِ البَناتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ)[1]

وقَدْ جاءَتْ أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ تُبَيِّنُ هَذا الإِحْس
وتُفَصِّلُهُ ؛ فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه عِنْدَ مُسْلِم : (مَنْ عالَ جارِيَتَيْنِ)
وفِي رِوايَةٍ لِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها : (مَنْ أَنْفَقَ عَ
ابْنَتَيْنِ أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ذاتَي قَرابَةٍ يَحْتَسِبُ عَلَيْهِما) ، وفِي رِوايَةٍ : (فَصَ
عَلَيْهِنَّ وأَطْعَمَهُنَّ وسَقاهُنَّ وكَساهُنَّ) ، وفِي حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما
عِنْدَ الطَّبَرانِي : (فَأَنْفَقَ عَلَيْهِنَّ وزَوَّجَهُنَّ وأَحْسَنَ أَدَبَهُنَّ) ، وفِي حَدِي
جابِرٍ رضي الله عنه عِنْدَ الإِمامِ أَحْمَد وفِي الأَدَبِ المُفْرَدِ لِلبُخارِي : (يُؤَدِّبُهُ
ويَرْحَمُهُنَّ ويَكْفُلُهُنَّ) زادَ الطَّبَرِي فِيهِ : (ويُزَوِّجُهُنَّ) ، وفِي حَدِيثِ أَبِ
سَعِيد : (فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ واتَّقَى اللهَ فِيهِنَّ) .

وهَذِهِ الرِّواياتُ المُخْتَلِفَةُ والأَحادِيثُ المُتَنَوِّعَةُ فِي هَذا المَوْضُوعِ والت
خَرَّجَها المُصَنِّفُونَ مِنْ أَحادِيثِ طائِفَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ الكِرامِ رضي الله عنهم تَدُ
عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ أَكْثَرَ مِنَ النُّصْحِ والمَقالِ فِي هَذا المَجا

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي ((الأَدَب)) وهَذا لَفْظُهُ ، ومُسْلِم فِي البِرِّ والصِّلَةِ والآداب .

بِأَجْمَلَ وفَصَّلَ ، وأَوْجَزَ وأَطْنَبَ ، لِيُؤَكِّدَهُ فِي نُفُوسِ المُسْلِمِين ، ولِيَقْتَلِعَ
ما عَسَى أَنْ يَكُونَ لا يَزالُ عالِقًا بِها مِنْ آثارِ الجاهِلِيَّةِ مِنْ كَراهَةِ
لبَنات ، واسْتِقْبالِهِنَّ واسْتِقْبالِ خَلَفِهِنَّ بِقُلُوبٍ مُنْقَبِضَة ، ونُفُوسٍ
حَزِينَةٍ مُبْتَئِسَة .

هَذِهِ الأَوْصافُ الكَثِيرَةُ الَّتِي ذَكَرَتْها هَذِهِ الأَحادِيثُ مِنَ النَّفَقَةِ ،
الصَّبْرِ عَلَيْهِنَّ ، وتَقْوَى اللهِ فِيهِنَّ ، وإِطْعامِهِنَّ وكِسْوَتِهِنَّ ، وإِحْسانِ
أَدَبِهِنَّ وتَزْوِيجِهِنَّ : هَذِهِ الأَوْصافُ كُلُّها يَجْمَعُها لَفْظُ الإِحْسانِ الَّذِي
اقْتَصَرَ ﷺ فِي حَدِيثِنا هَذا عَلَيْه .

والظَّاهِرُ أَنَّ الإِحْسانَ هُنا يَتَناوَلُ الإِحْسانَ الواجِبَ ، والقَدْرَ الزَّائِدَ :
فالإِحْسانُ الواجِبُ كالطَّعامِ والكِسْوَةِ والنَّفَقَةِ والصَّبْرِ وحُسْنِ الأَدَبِ
بالاقْتِصارِ عَلَى ما وَجَبَ مِنْ ذَلِكَ .

والزَّائِدُ ما زادَ عَلَى ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ إِشْعارٌ لِلبِنْتِ بِكَرامَتِها عَلَى وَلِيِّها ،
ورَفْعُ رُوحِها المَعْنَوِيَّة ، وعَدَمُ تَقْدِيمِ الذُّكُورِ عَلَيْها ، وعَدَمُ امْتِهانِها
بالعَمَلِ إِلَّا فِي حُدُودِ طاقَتِها ، وبِما يَتَناسَبُ مَعَ نَظائِرِها ، وحالَةِ
أُسْرَتِها .

عَلَى أَنَّ هُناكَ شَرْطًا لا بُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ لَهُ وهُوَ : أَنَّ شَرْطَ الإِحْسانِ أَنْ

يَكُونَ مُوافِقًا للشَّرْعِ الحَكِيم ، لا مُخالِفًا لَهُ :

فَلَيْسَ مِنَ الإِحْسانِ أَنْ تُمَكِّنَ البِنْتَ مِنَ الخُرُوجِ والدُّخُولِ دُونَ رَقِـ أَوْ حَسِيب ، ولَيْسَ مِنَ الإِحْسانِ أَنْ تَتْرُكَ لَها الحُرِّيَّةَ فِي اخْتِـ ثِيابِها إِذا ما خالَفَتْ مَنْهَجَ الشَّرِيعَةِ فِي أَنْ تَكُونَ واسِعَةً سابِغَةً تُغَطِّـ سائِرَ جِسْمِها ، لا تَشِفُّ ولا تَصِفُ ولا تَلْفِتُ إِلَيْها الأَنْظار ، ولا تَفْـ بِها النَّاس .

ولَيْسَ مِنَ الإِحْسانِ أَنْ تُتْرَكَ لَها الحُرِّيَّةُ فِي أَخْذِ زِينَتِها خارِجَ بَيْـ ووَضْعِ العُطُورِ والمَساحِيقِ وأَصْنافِ الزِّينَةِ والإِثارَة .

ولَيْسَ مِنَ الإِحْسانِ أَنْ تُتْرَكَ لَها الحُرِّيَّةُ فِي الزِّياراتِ والمُقابَلاتِ والخُرُوجِ إِلَى النَّوادِي والحَفَلات ، فَإِنَّ هَذا كُلَّهُ شَرٌّ كَبِيرٌ وبَلاءٌ مُسْتَطِيرٌ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَدْرَأَ عَنَّا ضَرَرَهُ ويَكُفَّ عَنِ الأُمَّةِ شَرَّهُ وخَطَرَهُ ، آمين .

• **عَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّها قالَتْ : ما غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ ما غِرْ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها ، ولَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلاثِ سِنِينَ ، لِـ كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُها ، ولَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَها بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِـ قَصَبٍ ، وإِنْ كانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي فِي خُلَّتِها مِنْها)**(١) .

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي ((الأَدَب)) وهَذا لَفْظُهُ ، ومُسْلِم فِي الفَضائِل .

لمُرادُ بِالقَصَبِ هُنا : لُؤْلُؤَةٌ مُجَوَّفَةٌ كالقَصْرِ المُنِيف :

الحِكْمَةُ فِي قَوْلِهِ ﷺ : (مِنْ قَصَب) ؛ ولَمْ يَقُلْ مِنْ لُؤْلُؤ : أَنَّ فِي لَفْظِ القَصَبِ مُناسَبَةً لِكَوْنِها أَحْرَزَتْ قَصَبَ السَّبْقِ بِمُبادَرَتِها إِلَى الإِيمانِ ـونَ غَيْرِها .

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : (بِبَيْتٍ) ، فَقالَ أَبُو بَكْرٍ الإِسْكافُ فِي فَوائِدِ الأَخْبار : لمُرادُ بِبَيْتٍ زائِدٍ عَلَى ما أَعَدَّ اللهُ لَها مِنْ ثَوابِ عَمَلِها .

ـالَ السُّهَيْلِي : لِذِكْرِ البَيْتِ مَعْنًى لَطِيف ؛ لأَنَّها كانَتْ رَبَّةَ بَيْتٍ قَبْلَ لمَبْعَثِ ثُمَّ صارَتْ رَبَّةَ بَيْتٍ فِي الإِسْلامِ مُنْفَرِدَةً بِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ عَلَى وَجْهِ لأَرْضِ فِي أَوَّلِ يَوْمِ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْتُ إِسْلامٍ إِلَّا بَيْتَها ، وهِيَ فَضِيلَةٌ ـما شارَكَها فِيها غَيْرُها ، وجَزاءُ الفِعْلِ يُذْكَرُ غالِبًا بِلَفْظِهِ وإِنْ كانَ أَشْرَفَ مِنْهُ ، فَلِذا جاءَ فِي الحَدِيثِ بِلَفْظِ البَيْتِ دُونَ لَفْظِ القَصْر .

ثُمَّ قالَ ابنُ حَجَر : وفِي ذِكْرِ البَيْتِ مَعْنًى آخَر ؛ لأَنَّ مَرْجِعَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْها ، لِما ثَبَتَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ (١) ، قالَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها : لَمَّا نَزَلَتْ دعا النَّبِيُّ ﷺ فاطِمَةَ وعَلِيًّا والحَسَنَ

(١) سُورَةُ الأَحْزاب : مِنَ الآيَةِ ٣٣ .

والحُسَيْنَ فَجَلَّلَهُمْ بِكِساءٍ فَقالَ : (اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي)(١) .

ومَرْجِعُ أَهْلِ البَيْتِ هَؤُلاءِ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها ؛ لأَنَّ الحَسانَيْنِ رضي الله عنهما مِنَ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ رضي الله عنها ، والسَّيِّدَةُ فاطِمَةُ بِنْتُها ، وسَيِّدُنا عَلِيٌّ رضي الله عنه فِي بَيْتِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عِنْدَما كَفَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ تَزَوَّجَ بِنْتَها بَعْدَه فَظَهَرَ رُجُوعُ أَهْلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ إِلَى أُمِّنا خَدِيجَةَ دُونَ غَيْرِها .

وعَلَى الجُمْلَةِ فَفِي الحَدِيثِ كَما قالَ النَّوَوِيُّ : دَلالَةٌ لِحُسْنِ العَهْ وحِفْظِ الوُدِّ ، ورِعايَةِ حُرْمَةِ الصَّاحِبِ حَيًّا ومَيِّتًا ، وإِكْرامِ مَعارِفِ ذ الصَّاحِبِ ، وفِيهِ ثُبُوتُ الغَيْرَةِ وأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ وُقُوعُها مِنْ فاضِلا النِّساءِ فَضْلًا عَمَّنْ دُونَهُنَّ ، وفِيهِ فَضْلُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها وتَقَدُّ عَلَى سائِرِ أُمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ .

• **عَنِ ابنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما ، **أَنَّهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (ما ز جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)**(٢) .

مَعْنَى هَذا الحَدِيثِ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَوْصَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالجار وبالَغَ فِي الوَصِيَّةِ بِهِ ، حَتَّى ظَنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ سَيُبَلِّغُهُ عَنْ ر بِأَنَّهُ سُبْحانَهُ سَيَجْعَلُ لِلجارِ نَصِيبًا مِنَ المِيراثِ فِي مالِ جارِهِ ، وذَل

(١) الحَدِيثُ أَخْرَجَه التِّرْمِذِي وغَيْرُه .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي ((الأَدَب)) ، ومُسْلِم فِي البِرِّ والصِّلَةِ والآداب .

يُبلغ ﷺ بذلِكَ أُمَّتَهُ ، وبِتَأَمُّلِ الأَحادِيثِ الوارِدَةِ فِي رِعايَةِ حُقُوقِ الجارِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَبَيَّنَ فَحْوَى هَذِهِ الأَحادِيثِ إِجْمالًا :

لَقَدْ قالَ ﷺ : (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جارَهُ) .

وقالَ ﷺ : (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جارِه) .

وقالَ ﷺ : (واللهِ لا يُؤْمِنُ ، واللهِ لا يُؤْمِنُ ، واللهِ لا يُؤْمِنُ) قِيلَ : مَنْ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : (الَّذِي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ) .

وكُلُّ هَذِهِ الأَحادِيثِ فِي الصَّحِيحِ ولَها نَظائِرُ كَثِيرَةٌ .

فَهِيَ إِذْنَ إِكْرامُهُ ، والإِحْسانُ إِلَيْهِ ، وصَرْفُ الأَذَى عَنْهُ ، ومِنْ ذَلِكَ الهَدِيَّةُ إِلَيْهِ ، وقَضاءُ حاجاتِهِ ، والسُّؤالُ عَنْهُ ، وصِيانَةُ أَسْرارِهِ .

واسْمُ الجارِ يَشْمَلُ كُلَّ جارٍ ، مُسْلِمًا كانَ أَوْ كافِرًا ، تَقِيًّا أَوْ فاجِرًا ، صَدِيقًا أَوْ عَدُوًّا ، نافِعًا أَوْ ضارًّا ، قَرِيبَ الدَّارِ أَوْ بَعِيدَها ، ولَهُ مَراتِبُ بَعْضُها أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ ، فَأَعْلاها مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفاتُ كُلُّها ؛ أَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ مِنْ حَدِيثِ جابِرٍ رضي الله عنه رَفَعَهُ : (الجِيرانُ ثَلاثَةٌ : جارٌ لَهُ حَقٌّ وهُوَ المُشْرِكُ لَهُ حَقُّ الجُوارِ ، وجارٌ لَهُ حَقّانِ وهُوَ المُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الجُوارِ وحَقُّ الإِسْلامِ ، وجارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ : مُسْلِمٌ لَهُ رَحِمٌ ، لَهُ حَقُّ الجُوارِ والإِسْلامِ والرَّحِمِ) .

هَذا ، والوَصِيَّةُ بالجارِ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبابِ التَّراحُمِ والتَّوا والتَّعاطُفِ والتَّعاوُنِ عَلَى الخَيْرِ ؛ فَإِنَّ اللهَ كَما أَوْصاكَ بِجارِكَ فَ أَوْصَى جارَكَ بِكَ ، ولَوِ اتَّبَعَ المُسْلِمُونَ هَذِهِ النَّصائِحَ الغالِيَةَ لَسَعِ واسْتَراحُوا ، وعاشُوا مُتَحابِّينَ مُتَعاوِنِين .

وفِي الحَدِيثِ تَعْظِيمُ حَقِّ الجارِ ، وأَنَّ صُوَرَ رِعايَةِ هَذِهِ الحُقُوقِ كَثِيرَ وأَنَّ تَعْظِيمَ حَقِّ الجارِ وإكْرامَهُ وصَرْفَ الأَذَى عَنْهُ مِنَ الإيمانِ ، و الإضْرارَ بِهِ فِي نَفْسِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ مالِهِ مِنَ الكَبائِرِ .

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (**إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْ نادَى جِبْرِيلَ : إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنا جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّماءِ : إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أ السَّماءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**)[1] .

قَوْلُهُ ﷺ : (إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نادَى جِبْرِيلَ : إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلا فَأَحِبَّهُ) : وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذا الحَدِيثِ بَيانُ سَبَبِ هَذِهِ المَحَ والمُرادِ مِنْها ؛ فَفِي حَدِيثِ ثَوْبانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (إنَّ العَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضا اللهِ تَعالَى ، فَلا يَزالُ كَذلِكَ حَتَّى يَقُولَ : يا جِبْرِيلُ ! إنَّ عَبْدِي فُلا

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ، ومُسْلِم .

تَمِسُ أَنْ يُرْضِيَنِي ، أَلا وإنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ عَلَيْه)[1] .

الْتِماسُ مَرْضاةِ اللهِ أَنْ يَكُونَ بالمُسارَعَةِ فِي طاعَتِهِ ، والفِرارِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، ومُوالاةِ أَوْلِيائِهِ ، والغَيْرَةِ عَلَى دِينِهِ ، والحُبِّ لَهُ ، والتَّعَلُّقِ هُ ، والحُبِّ فِيهِ ، والبُغْضِ فِيهِ .

مِنْ أَظْهَرِ ما يُحَقِّقُ لِلعَبْدِ ذَلِكَ أَنْ يُسارِعَ إِلَى أَداءِ ما افْتَرَضَ رَبُّهُ عَلَيْه ، طَيِّبَةً بِذَلِكَ نَفْسُهُ ، ومُنْشَرِحًا صَدْرُهُ ، قَرِيرَةً عَيْنُهُ ، ويَتَوَخَّى نْ يَكُونَ أَداؤُهُ لِهَذِهِ الفَرائِضِ عَلَى أَتَمِّ أَحْوالِها ، وأَكْمَلِ وُجُوهِها ثُمَّ يَسْتَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ النَّوافِلِ والعِباداتِ .

وفِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ الَّذِي أَخْرَجَهُ الإمامُ البُخارِي فِي الرَّقائِقِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قالَ : (إنَّ اللهَ تَعالَى قالَ : مَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، ولا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِها ، وقَدَمَهُ الَّتِي يَسْعَى بِها ، ولَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) .

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ والطَّبَرانِي فِي الأَوْسَط .

والمُرادُ بِالقَبُولِ فِي الحَدِيث : قَبُولُ القُلُوبِ لَهُ بِالمَحَبَّة ،
إِلَيْه ، والرِّضا عَنْهُ ، والمُرادُ بِمَحَبَّةِ اللهِ للعَبْدِ إرادَتُهُ الخَيْرَ
وتَوْفِيقُهُ لَهُ ، وإعانَتُهُ عَلَيْهِ ، وحُصُولُ الثَّوابِ لَهُ ، والمُرادُ بِمَـ
المَلائِكَةِ اسْتِغْفارُهُمْ لَهُ ، وإرادَتُهُمْ خَيْرَ الدَّارَيْنِ لَهُ ، ومَيْلُ قُلُوبِـ
إِلَيْهِ ، لِكَوْنِهِ مُطِيعًا للهِ ، مُحِبًّا لَهُ ، والمُرادُ بِمَحَبَّةِ العِبادِ لَهُ اعْتِقادُ
فِيهِ الخَيْرَ ، وإرادَتُهُمْ دَفْعَ الشَّرِّ عَنْهُ ما أَمْكَنَ .

وإذا كانَ للحُبِّ مِنَ اللهِ وعِبادِهِ أَسْبابُهُ وثَمَراتُهُ ، فَلِلْبُغْضِ كَذَلِـ
أَسْبابُهُ ونَتائِجُهُ ، وأَوَّلُ أَسْبابِ البُغْضِ الإعْراضُ عَنِ اللهِ ، وكُفْر
نِعْمَتِهِ ، والتَّقْصِيرُ فِي الطَّاعاتِ ، وعَدَمُ المُبالاةِ بِاقْتِرافِ السَّيِّئا
وانْتِهاكِ الحُرُماتِ ، والوُقُوعِ فِي أَعْراضِ النَّاسِ ، وإيذائِهِمْ بِالقَو
والفِعْلِ ، والظَّنِّ ، وتَجاوُزِ الحُدُود .

وما مِنْ راعٍ إِلَّا هُوَ عُرْضَةٌ لِهَذا اللَّوْنِ مِنَ الحُبِّ أَوِ البُغْضِ عَلَى قَدْرِ
يَرْعَى مِنْ مَسْئُولِيَّتِهِ ، ويُقْسِطُ فِي حُكْمِهِ ووِلايَتِهِ ، قَلَّتْ أَوْ عَظُمَتْ .

فَمَنْ عامَلَ النَّاسَ بِالرِّفْقِ بِهِمْ ، والإنْصافِ لَهُمْ ، وقِيادَتِهِمْ إِلَى الخَيْـ
والبِرِّ ، وزَجْرِهِمْ عَنِ الشُّرُورِ والآثامِ كانَ لَهُ مِنْ رَبِّهِ ومِنْ عِبادِهِ الحُـ
والوُدُّ ، ومَنْ شَقَّ عَلَى العِبادِ ، وسامَهُمْ سُوءَ العَذابِ ، وجارَ فِي حُكْمِهِ

والمُتَقَدَّمَ لَدَيْهِ المُنافِقُونَ ، وتَأَخَّرَ المُخْلِصُونَ الصَّادِقُونَ ، حَقَّتْ عَلَيْهِ
لَعْنَةُ اللهِ وعِبادِهِ ، وأَبْغَضَهُ أَهْلُ السَّمواتِ ، وأَهْلُ الأَرْض .
ـقُولُ النَّبِيِّ ﷺ : (خِيارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ، ويُحِبُّونَكُمْ ، وتُصَلُّونَ
ـلَيْهِمْ ، ويُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ ، وشِرارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ ، ويُبْغِضُونَكُمْ ،
وتَلْعَنُونَهُمْ ، ويَلْعَنُونَكُمْ) قالَ : قُلْنا : يا رَسُولَ اللهِ ! أَفَلا نُنابِذُهُمْ ؟
ـالَ : (لا ، ما أَقامُوا فِيكُمُ الصَّلاة ، لا ما أَقامُوا فِيكُمُ الصَّلاة)[1] .
ـمَعْنَى تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ : تَدْعُونَ لَهُمْ .
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : **(كُلُّ
أُمَّتِي مُعافًى إِلَّا المُجاهِرِينَ ، وإِنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ
بِاللَّيْلِ عَمَلًا ، ثُمَّ يُصْبِحُ وقَدْ سَتَرَهُ اللهُ فَيَقُولُ : يا فُلانُ عَمِلْتُ البارِحَةَ
كَذا وكَذا ، وقَدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ)**[2] .
المُؤْمِنُ الصَّادِقُ مِنْ شَأْنِهِ المُسارَعَةُ فِي الطَّاعات ، والفِرارُ مِنَ
المَعاصِي والسَّيِّئات ، إذا وَفَّقَهُ رَبُّهُ لِحَسَنَةٍ فَرِحَ واسْتَبْشَرَ ، وإذا وَقَعَ
فِي زَلَّةٍ حَزِنَ وابْتَأَسَ ، ولَكِنَّ الإنْسانَ عُرْضَةٌ لأَنْ يَقَعَ مِنْهُ ما يُذَمُّ

---

(١) رَواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بنِ مالِك رضي الله عنه .
(٢) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

بِسَبَبِهِ ، ويُعابُ عَلَيْهِ بارْتِكابِهِ أَوِ التَّقْصِيرِ فِيه ، إذا وَقَعَ المُؤْمِنُ
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ نَدَبَهُ الشَّارِعُ الحَكِيمُ إِلَى أَنْ يَسْتُرَ عَلَى نَفْسِهِ ،
يَتَكَلَّمَ إِلَى غَيْرِهِ بِما حَصَلَ مِنْهُ ، وأَنْ يَسْتَتِرَ بِسِتْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ
أَسْبَلَهُ عَلَيْه .

وحَسْبُنا قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : (لا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيا
سَتَرَهُ يَوْمَ القِيامَةِ)[1] .

كَذَلِكَ نَدَبَ الشَّارِعُ الحَكِيمُ مَنْ رَآهُ مِنَ المُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْ
ولا يُحَدِّثَ بِما كانَ مِنْهُ ، وفِي الحَدِيثِ الَّذِي رَواهُ مُسْلِم : (ومَنْ سَ
مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة) ، وهَذا إذا كانَ مِنْ أَهْلِ الصَّ
والصِّيانَة ، أَمَّا إِذا كانَ مِنَ الأَشْرارِ الفُجَّارِ فَإِنَّهُ لا يُنْدَبُ السَّتْرُ عَلَيْ
بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ أَمْرُهُ إِلَى مَنْ يَمْلِكُ كَبْحَ جِماحِهِ ، وكَفَّ أَذاه .

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (إِيَّاكُمْ والظَّنَّ ،
فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيث ، ولا تَحَسَّسُوا ولا تَجَسَّسُوا ولا تَناجَ
ولا تَحاسَدُوا ولا تَباغَضُوا ولا تَدابَرُوا ، وكُونُوا - عِبادَ اللهِ -
إِخْوانًا)[2] .

(١) صَحِيحُ مُسْلِم .
(٢) أَخْرَجَهُ البُخارِي فِي الأَدَب ، ومُسْلِم فِي البِرِّ والصِّلَةِ والآداب .

قَوْلُهُ ﷺ : **(إِيَّاكُمْ والظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيث)** : تَحْذِيرٌ مِنْ
ظَنِّ السُّوء ، وهُوَ التُّهْمَةُ الَّتِي لَيْسَ لَها سَبَب ، فالمُرادُ بِالظَّنِّ هُنا
الظَّنُّ السُّوءِ ، الَّذِي لا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ، ولا تَقُومُ عَلَيْهِ قَرائِنُ قَوِيَّة ،
فَمِثْلُ هَذا الظَّنِّ لا يَجُوزُ إِقْرارُ القَلْبِ عَلَيْه ، فَضْلًا عَنِ العَمَلِ بِمُوجِبِهِ
ومُقْتَضاه .

وهَذا حَدِيثٌ يُوافِقُ قَوْلَهُ تعالَى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا
مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم
بَعْضًا﴾[1] .

فَدَلَّ سِياقُ الآيَةِ عَلَى الأَمْرِ بِصَوْنِ عِرْضِ المُسْلِم غايَةَ الصِّيانَة ،
لِتَقَدُّمِ النَّهْيِ عَنِ الخَوْضِ فِيهِ بِالظَّنِّ ، فَإِنْ قالَ الظَّانُّ : أَبْحَثُ لأَتَحَقَّقَ
قِيلَ لَهُ : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ ، فَإِنْ قالَ : تَحَقَّقْتُ مِنْ غَيْرِ تَجَسُّسٍ قِيلَ
لَهُ : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم﴾ .

(ولا تَحَسَّسُوا ولا تَجَسَّسُوا) : أَصْلُ الكَلِمَةِ الَّتِي بِالحاءِ مِنَ الحِسِّ ،
وهُوَ الإِدْراكُ بِإِحْدَى الحَواسِّ الخَمْسِ الظَّاهِرَة ؛ وهِيَ السَّمْعُ والبَصَرُ
والشَّمُّ والذَّوْقُ واللَّمْسُ ، وأَمَّا الَّتِي بِالجِيمِ فَهِيَ مِنَ الجَسِّ ، وهُوَ
اخْتِبارُ الشَّيْءِ بِاليَدِ ، وهِيَ إِحْدَى الحَواس .

(١) سُورَةُ الحُجُرات : مِنَ الآيَةِ ١٢ .

عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ البُغْضَ المَذْمُومَ والَّذي يَنْهَى عَنْهُ النَّبيُّ ﷺ هُوَ ما كانَ بِغَيْرِ حَقٍّ ؛ كَأَنْ يَكُونَ لِدُنْيا أَوْ لِحَظِّ نَفْسِي ، أَمَّا البُغْضُ فِي اللهِ ولأَجْلِ دِينِ اللهِ فَهُوَ مِنَ الإيمان ، بَلْ مِنْ كَمالِ الإيمان ، ويُثابُ عَلَيْهِ صاحِبُه ، وفِي الحَدِيثِ الشَّرِيف : (مَنْ أَحَبَّ لله ، وأَبْغَضَ لله ، أَعْطَى لله ، ومَنَعَ لله فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإيمان)[1] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَة ، ومَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَة ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة ، واللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيه ، ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّة ، وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَة ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَة ، وحَفَّتْهُمُ المَلائِكَة ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)**[2] .

(ولا تَناجَشُوا) : النَّجَشُ : هُوَ أَنْ يَزِيدَ فِي ثَمَنِ السِّلْعَة ، وهُوَ لا يُـ شِراءَها ، بَلْ لِيَغُرَّ غَيْرَهُ ويُوقِعَهُ فِيها فَيَشْتَرِيَها بِثَمَنٍ أَكْثَر .

(ولا تَحاسَدُوا) : الحَسَدُ تَمَنِّي زَوالِ النِّعْمَةِ عَنْ مُسْتَحِقٍّ لَها .

أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَر عَنْ إِسْماعِيلَ بنِ أُمَيَّةَ مَرْفُوعًا : (ثَلا لا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ : الطِّيَرَةُ ، والظَّنُّ ، والحَسَدُ) ، قِيلَ : فَما المَخْ مِنْها يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : (إِذا تَطَيَّرْتَ فَلا تَرْجِعْ ، وإِذا ظَنَنْتَ تُحَقِّقْ ، وإِذا حَسَدْتَ فَلا تَبْغِ) .

وعَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ قالَ : ما مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وفِيهِ الحَسَدُ ، فَمَنْ يُجاوِزْ ذَلِكَ إِلَى البَغْيِ والظُّلْمِ لَمْ يَتْبَعْهُ مِنْهُ شَيْءٌ .

(ولا تَباغَضُوا) : البُغْضُ مِنَ الأُمُورِ الوِجْدانِيَّةِ الَّتي تَحْصُلُ لِلإِنْس مِنْ غَيْرِ اخْتِيارٍ وكَسْبٍ ، ومِثْلُ ذَلِكَ مِمَّا لا يَدْخُلُ تَحْتَ التَّكْلِيف ومِنْ هُنا كانَ المُرادُ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّباغُضِ النَّهْيُ عَنْ تَعاطِي أَسْبا البُغْض ، فَكَأَنَّهُ قالَ : لا تَتَعاطَوْا أَسْبابَ البُغْضِ كالتَّعَدِّي عَلَى النُّفُوس أَوِ الأَمْوالِ ، أَوِ الأَعْراضِ ، أَوْ إِيذاءِ الغَيْرِ فِي دِينِهِمْ ودُنْياهُمْ ، الحَيْلُولَةِ بَيْنَ النَّاسِ وبَيْنَ الوُصُولِ إِلَى حُقُوقِهِمْ أَوْ تَأْخِيرِها ، وهَكَ

... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبابِ التَّباغُض .

(١) أَخْرَجَهُ أبو داوُد فِي السُّنَّة ، عَنْ أَبِي أُمامَةَ رضي الله عنه .
(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِم فِي الذِّكْرِ والدُّعاء .

قالَ الإمامُ النَّوَوي : وهُوَ حَديثٌ عَظِيمٌ جامِعٌ لأَنْواعٍ مِنَ العُلومِ والقَوا
والآداب ، وهَذا حَقٌّ لا رَيْبَ فِيه ، فَقَدْ تَضَمَّنَ الحَديثُ مِنَ الحَ
والنَّصائِحِ والفَضائِلِ والآدابِ والقَواعِدِ ما تَقَرُّ بِهِ الأَعْيُنُ ، وتَنْشَ
بِهِ الصُّدُور ؛ فَفِيهِ فَضْلُ تَفْريجِ كُرُوبِ المُؤْمِنِينَ ، وقَضاءِ حَوائِجِهِ
والسَّتْرِ عَلَيْهِمْ ، وإعانَتِهِمْ فِي مَصالِحِهِمْ ، وأَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ هُوَ الـ
يَجْزِيهِمُ الجَزاءَ الأَوْفَى فِي الآخِرَة ، وفِيهِ فَضْلُ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الـ
النَّافِع ، وفَضْلُ الاجْتِماعِ عَلَى الذِّكْرِ وتِلاوَةِ القُرْآن ، وفِيهِ التَّحْذيرُ
التَّقْصِيرِ اعْتِمادًا عَلَى الجاهِ والنَّسَب .

• (**إِنَّ ابْنِي هَذا سَيِّد ، ولَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَ**
مِنَ المُسْلِمِين)[1] .

وقَوْلُهُ ﷺ : (**ابْنِي**) يُشِيرُ إِلَى سَيِّدِنا الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وقَوْ
(**سَيِّد**) أَيْ : حَلِيمٌ كَرِيمٌ ، وقَوْلُهُ ﷺ : (**ولَعَلَّ ... إلخ**) : تَرَجَّى
وُقُوعَ ذَلِكَ ، وقَدْ حَقَّقَ اللهُ رَجاءَهُ ، وقَوْلُهُ ﷺ : (**يُصْلِحُ بِهِ**) أَ
بِسَبَبِ عَمَلِهِ الَّذي يَعْمَلُهُ ، وقَدْ تَنَزَّهَ رضي الله عنه عَنِ الإِمارَةِ وعَزَلَ نَفْ
عَنْها ، وتَرَكَها لِمُعاوِيَة ، وقَوْلُهُ ﷺ : (**مِنَ المُسْلِمِينَ**) : يَرُدُّ قَوْلَ

(١) رَواهُ البُخارِي عَنْ أَبي بَكْرَة رضي الله عنه .

عَمَ أَنَّ الفِرْقَتَيْنِ لَيْسَتا مِنَ المُسْلِمِين ، قَبَّحَ اللهُ رَأْيَهُمْ ، فَأَحْسَنُ
السُّبُلِ أَنْ نَسْكُتَ عَمَّا جَرَى بَيْنَهُمْ ونَكِلَهُ إِلَى اللهِ ، أَوْ نُؤَوِّلَهُ بِما فِيهِ
وابٌ لَهُمْ ، وكانَ الإمامُ الحَسَنُ رضي الله عنه حَلِيمًا فاضِلًا وَرِعًا ، أَدّاهُ
لَى تَرْكِ الإمارَةِ رَغْبَةً فِيما عِنْدَ اللهِ ، ولَمْ يَكُنْ تَرْكُها مِنْ قِلَّةٍ ولا
مِنْ عِلَّةٍ ولا مِنْ ذِلَّة ، بَلْ لِحَقْنِ دِماءِ المُسْلِمِين ، فَراعَى أَمْرَ الدِّينِ
ومَصْلَحَتَهُ ، وتَسْكِينَ الفِتْنَة ، وكانَتْ وَفاتُهُ رضي الله عنه سَنَةَ تِسْعٍ وأَرْبَعِينَ مِنَ
الهِجْرَةِ ودُفِنَ بِالبَقِيع .

ومِنْ أَحْسَنِ الحَسَنِ تَذَكُّرُ فَضائِلِ أَهْلِ البَيْتِ مَعَ سِيرَةِ الحَسَن :

إِنَّ فَضائِلَ ومَناقِبَ آلِ البَيْتِ عَظِيمَةٌ مُقْتَرِنَةٌ بِصُلْبِ الإِسْلامِ وأَساسِهِ ،
فَعَلَى قَدْرِ التَّعْظِيمِ يَظْهَرُ حُسْنُ الإِيمانِ وقُوَّتُهُ فِي قَلْبِ الإِنْسان ، كَيْفَ
لا ؟ وهُمْ بَيْتُ النُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ والقُدْوَةِ ، خَصَّهُمُ اللهُ بِالذِّكْرِ فِي غَيْرِ ما
آيَةٍ بِالمَوَدَّةِ ، وعَدَمِ الإِيذاءِ ، والطَّهارَةِ ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لا يَخْفَى .
فَعَلَى هَذا ؛ يَجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَناقِبَ هَذا البَيْتِ النَّبَوِيِّ وفَضائِلَهُ ،
أَنْ يُعَظِّمَ قَدْرَهُمْ قَدْرَ تَعْظِيمِ سَيِّدِ هَذا البَيْتِ ، فَهُوَ مِنْهُمْ وهُمْ مِنْهُ
ﷺ ، فَقَدْ قالَ القاضِي عِياضٌ فِي (الشِّفا) عَقِبَ ذِكْرِهِ لِلأَثَرِ :
(مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ ، بَراءَةٌ مِنَ النَّارِ) ، قالَ : مَعْرِفَتُهُمْ هِيَ مَعْرِفَةُ

مَكانِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وإذا عَرَفَهُمْ بِذَلِكَ ، عَرَفَ وُجُوبَ حَقِّ[هِمْ]
وحُرْمَتِهِمْ بِسَبَبِهِ .

❁ وأَخْرَجَ التِّرْمِذِي والحاكِمُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : (أَحِبُّوا اللهَ لِما يَغْذوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ ، وأَحِبُّوني لِحُبِّ [اللهِ] تَعالَى ، وأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتي لِحُبِّي) (١).

❁ وأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ والدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ ، قالَ : (لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُ[ونَ] أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وتَكُونَ عِتْرَتي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، ويَكُونَ أَهْ[لي] أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ) (٢).

❁ وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قالَ : (أَدِّبُوا أَوْلادَكُمْ عَلَى ثَلاثِ خِصالٍ [:] حُبِّ نَبِيِّكُمْ ، وحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وعَلَى قِراءَةِ القُرْآنِ) (٣).

❁ وأَخْرَجَ الحافِظُ السِّلَفِي عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ قالَ فِى تَفْسِ[يرِ] قَوْلِهِ تَعالَى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (٤)

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِى سُنَنِهِ ، والحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك ، والطبراني فِي المُعْجَمِ الكبير ، و[أبو] نُعَيْم فِي الحِلْيَة ، والخَطيبُ البَغْدادي في تاريخ بَغْداد .
(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحيحِه ، والهَيْثَمي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِد ، والمُنْذري فِي التَّرْغيب والتَّرهيب .
(٣) أَخْرَجَهُ العَجْلُوني فِي كَشْف الغطاء ، والهِنْدي فِي كَنْز العُمَّال .
(٤) سُورَةُ مَرْيَم : الآيَة ٩٦ .

[لا] يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلاَّ وفِي قَلْبِهِ وُدٌّ لِعَلِيٍّ وأَهْلِ بَيْتِهِ .

❁ وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قالَ : (مَنْ أَرادَ التَّوَسُّلَ إِلَيَّ وأَنْ يَكُونَ لَهُ [عِ]نْدي يَدٌ أَشْفَعُ لَهُ بِها يَوْمَ القِيامَةِ فَلْيَصِلْ أَهْلَ بَيْتِي ويُدْخِلِ السُّرورَ [عَ]لَيْهِمْ) (١).

❁ وأَخْرَجَ ابنُ عَساكِرَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَنْ صَنَعَ إِلَى أَهْلِ بَيْتي يَداً كافَأْتُهُ عَلَيْها يَوْمَ القِيامَةِ) (٢).

❁ وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَرْبَعَةٌ أَنا لَهُمْ شَفِيعٌ يَوْمَ القِيامَةِ : المُكْرِمُ لِذُرِّيَّتي ، والقاضي لَهُمْ حَوائِجَهُمْ ، والسَّاعي لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ عِنْدَما اضْطُرُّوا إِلَيْهِ ، والمُحِبُّ لَهُمْ بِقَلْبِهِ ولِسانِهِ) (٣).

❁ وأَخْرَجَ مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِى أَهْلِ بَيْتِي) (٤).

❁ وأَخْرَجَ الحاكِمُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (وَعَدَني رَبِّي فِي أَهْلِ بَيْتي مَنْ أَقَرَّ مِنْهُمْ لِلَّهِ تَعالَى بِالتَّوْحِيدِ ولِي

---

(١) أَخْرَجَهُ المُتَّقي الهِنْدي فِي كَنْزِ العُمَّال .
(٢) أَخْرَجَهُ ابنُ عَدِي فِي الكامِل ، والهِنْدي في كَنْز العُمَّال ، والعَجْلُوني في كَشْف الخَفاء .
(٣) أَخْرَجَهُ المُتَّقي الهِنْدي فِي كَنْزِ العُمَّال ، والزبيدي فِي إِتْحاف السَّادَة المُتَّقين .
(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ، والنَّسائي ، والإِمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِه ، وابْنُ خُزَيْمَة فِي صَحيحِه .

بِالبَلاغِ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ)[١].

❁ وأَخْرَجَ ابنُ ماجه عَنِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِب رضي الله عنه أَنَّ رَسُـ
اللهِ ﷺ قالَ: (والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ الإيمانُ حَـ
يُحِبَّهُمْ لِلهِ ولِقَرابَتِي)[٢].

❁ أَخْرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، قالَ:
(ارْقُبُوا مُحَمَّداً ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِه)[٣].

❁ أَخْرَجَ الطَّبرانِيُّ، والحاكِمُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قالَ: قـ
رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِب، إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ فِيكُمْ ثَلا
أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَكُمْ، وأَنْ يُعَلِّمَ جاهِلَكُمْ، ويَهْدِيَ ضالَّكُمْ، وسَأَلْتُهُ
يَجْعَلَكُمْ جُوداءَ، نُجَداءَ، رُحَماءَ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلاً صَفَنَ بَيْنَ الرُّ
والمَقامِ، فَصَلَّى وصامَ، ثُمَّ ماتَ وهُوَ مُبْغِضٌ لأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، دَ
النَّار)[٤].

❁ وأَخْرَجَ الطَّبرانِيُّ والبَيْهَقِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ وهُوَ يَخْطُبُ عَـ
المِنْبَر: (ما بالُ أَقْوامٍ يُؤْذُونَنِي فِي نَسَبِي وذَوِي رَحِمِي، أَلا و

---

(١) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك، والهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال.
(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِه، والهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال، وابنُ عَساكِرَ فِي تَهْذِيب تاريخ دِمَشْـ
(٣) أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِي مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَة.
(٤) أَخْرَجَهُ الطبراني فِي المُعْجَمِ الكبير، والحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك.

ـذى نَسَبِي وذَوِي رَحِمِي فَقَدْ آذانِي، ومَنْ آذانِي فَقَدْ آذَى اللهَ
ـعالَى)[١].

❁ وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قالَ: (مَنْ أَحَبَّ اللهَ أَحَبَّ القُرْآنَ، ومَنْ
ـحَبَّ القُرْآنَ أَحَبَّنِي، ومَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ أَصْحابِي وقَرابَتِي)[٢].

❁ وأَخْرَجَ ابنُ النَّجَّارِ فِي تارِيخِهِ بِسَنَدِهِ عَنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ
رضي الله عنهما، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لِكُلِّ شَيْءٍ أَساسٌ، وأَساسُ
ـلإسْلامِ حُبُّ أَصْحابي وحُبُّ أَهْلِ بَيْتي)[٣].

❁ وأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ ﷺ قالَ: (إِنِّي تارِكٌ فِيكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ
ـبِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُما أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ كِتابُ اللهِ حَبْلٌ
ـمْدُودٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ، وعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، ولَنْ يَفْتَرِقا
ـحَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ، فانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِما)[٤].

❁ وأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قالَ: قامَ
ـفِينا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيباً فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: (أَيُّها
ـالنَّاسُ إِنَّما أَنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وجَلَّ

---

(١) وأَخْرَجَهُ الذَّهَبِي فِي مِيزانِ الاعْتِدال، وابنُ عَدِيٍّ فِي الكامِل.
(٢) وأَخْرَجَهُ ابنُ عِراقٍ فِي تَنْزِيهِ الشَّرِيعَة.
(٣) وأَخْرَجَهُ السُّيُوطِي فِي الدُّرِّ المَنْثُور.
(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، والسُّيُوطِي فِي الدُّرِّ المَنْثُور، والهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال.

فَأُجيبَهُ ، وإِنِّي تارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَوَّلُهُما كِتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فِيهِ الـهُدَى والنُّورُ ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وخُذوا بِهِ) وحَثَّ ورَ فيهِ ، ثُمَّ قالَ ﷺ : (وأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ فِي أَهْلِ بَيْتِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ[١] .

وسَمَّى ﷺ القُرْآنَ وأَهْلَ بَيْتِهِ ثَقَلَيْنِ لأَنَّ الثَّقَلَ كُلُّ نَفِيسٍ خَطِ مَصُونٍ ؛ وهُما كَذَلِكَ إِذْ كُلٌّ مِنْهُما مَعْدِنُ العُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ ، والحِ العِلْمِيَّةِ ، والأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ ؛ ولِذا حَثَّ ﷺ عَلَى الاقْتِداءِ والتَّمَسُّ بِهِما .

❁ وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (غَضِبَ اللهُ عَلَى مَنْ آذانِي فِي عِتْرَتِي)[٢] ، وصَحَّ أَنَّهُ ﷺ قالَ : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ - أَي يُؤَخَّرُ فِي أَجَلِهِ - وأَنْ يُمَتَّعَ بِما خَ اللهُ تَعالَى ، فَلْيَخْلُفْنِي فِي عِتْرَتِي خِلافَةً حَسَنَةً)[٣] .

❁ وأَخْرَجَ الحاكِمُ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ : قالَ رَسُولُ ا ﷺ : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِي مِنْ بَعْدِي)[٤] ، وصَحَّ عَنْهُ ﷺ

(١) وأَخْرَجَهُ ابنُ عَساكِرَ فِي تَهْذِيبِ تارِيخِ دِمَشْق .
(٢) أَخْرَجَ بِنَحْوِهِ الإِمامُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَد ، وابنُ عاصِمٍ فِي شَرْحِ السُّنَّة .
(٣) أَخْرَجَهُ المُتَّقِي الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .
(٤) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك ، والخَطِيبُ البَغْدادِي فِي تارِيخِ بَغْداد ، والهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّ

الَ : (إِنَّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَـنْ رَكِبَها جا ، ومَنْ تَـخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ)[١] ، و (مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ بِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ)[٢] .

وأَخْرَجَ ابنُ سَعْدٍ أَنَّهُ ﷺ قالَ : (أَنا وأَهْلُ بَيْتِي شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ غْصانُها فِي الدُّنْيا ، فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً)[٣] .

❁ وأَخْرَجَ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وأَبو يَعْلَى عَنْ سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه قالَ : الَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (النُّجُومُ أَمانٌ لأَهْلِ السَّماءِ ، وأَهْلُ بَيْتِي أَمانٌ مَّتِي)[٤] .

❁ وأَخْرَجَ الإِمامُ أَحْمَدُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾[٥] ، قالَ : الحَسَنَةُ مَوَدَّةُ آلِ حَمَّدٍ ﷺ .

❁ وأَخْرَجَ الإِمامُ أَحْمَدُ والطَّبَرانِيُّ والحاكِمُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ مَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٦] ،

(١) أَخْرَجَهُ الذَّهَبِي فِي مِيزانِ الاعْتِدال .
(٢) أَخْرَجَهُ الطبراني فِي المُعْجَم الكبير ، والهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِد ، والدُّولابي فِي الكُنَى الأَسْماء ، وأَبو نُعَيْم فِي الحِلْيَة .
(٣) أَخْرَجَ بِنَحْوِهِ السُّيُوطي فِي الدُّرِّ المَنْثُور ، والبَيْهَقِيُّ فِي دَلائِلِ النُّبُوَّة .
(٤) وأَخْرَجَهُ الطبراني فِي المُعْجَم الكبير ، والحَكِيمُ التِّرْمِذي فِي نَوادِرِ الأُصُول .
(٥) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الآيَة ٢٣ .
(٦) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الآيَة ٢٣ .

قالوا : يا رَسُولَ اللهِ مَنْ قَرابَتُكَ هَؤُلاءِ الَّذينَ وَجَبَتْ عَلَيْنا مَوَدَّتُهُمْ
قالَ ﷺ : (عَلِيٌّ وفاطِمَةُ وابْناهُما) .

❁ وأَخْرَجَ الطَّبَرانيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : (إِنَّ اللهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ وإِنَّ اللهَ جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب)[1] .

❁ وأَخْرَجَ الإمامُ أَحْمَدُ والحاكِمُ عَنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُغْضِبُنِي ما يُغْضِبُها ويَبْسُطُنِي ما يَبْسُطُها وإِنَّ الأَنْسابَ تَنْقَطِعُ يَوْمَ القِيامَةِ غَيْرَ نَسَبِي وصِهْري)[2] .

❁ وأَخْرَجَ أَبو الخَيْرِ القَزْوِينِي عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا زَوَّجَ عَلِيًّا بِفاطِمَةَ رضي الله عنها دَعا لَهُما ، فَقالَ : (جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُما وأَعَزَّ جَدَّكُما ، وبارَكَ عَلَيْكُما ، وأَخْرَجَ مِنْكُما كَثِيراً طَيِّباً)[3] ، قال أَنَسٌ : فَوَاللهِ لَقَدْ أَخْرَجَ اللهُ مِنْهُما الكَثِيرَ الطَّيِّبَ .

❁ وأَخْرَجَ البُخارِيُّ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قالَ : أَنَّهُ جاءَهُ رَجُلٌ مِن أَهْلِ العِراقِ وسَأَلَهُ عَنْ دَمِ البَعُوضِ ، فَقالَ ابنُ عُمَرَ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟

(١) أَخْرَجَهُ الطبراني في المُعْجَم الكبير .
(٢) وأَخْرَجَهُ البُخاري في صَحيحه ، والبَيْهَقي في السُّنَن الكُبْرى ، والهِنْدي في كَنْز العُمَّال ، و... حجر في فَتْح الباري .
(٣) وأَخْرَجَ بنَحْوِهِ الهيْثَمي في مَجْمَع الزَّوائِد .

قالَ : مِنْ أَهْلِ العِراقِ .
قالَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : انْظُروا إِلَى هَذا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ البَعُوضِ ، وقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي حَقِّ الحَسَنِ والحُسَيْنِ : (هُما رَيْحانَتايَ مِنَ الدُّنْيا)[1] .

❁ وأَخْرَجَ البَزّارُ وأَبو يَعْلَى والطَّبَرانِيُّ والحاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : (إِنَّ فاطِمَةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَحَرَّمَها اللهُ وذُرِّيَّتَها عَلَى النّارِ)[2] .

❁ وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَثْبَتُكُمْ عَلَى الصِّراطِ ، أَشَدُّكُمْ حُبًّا لأَهْلِ بَيْتِي وأَصْحابِي)[3] .

❁ وأَخْرَجَ ابنُ عَدِيٍّ والبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ عِتْرَتِي والأَنْصارِ ، فَهُوَ لإِحْدَى ثَلاثٍ : إِمَّا مُنافِقٌ ، وإِمَّا لِزِنْيَةٍ ، وإِمَّا لِغَيرِ طُهُورٍ)[4] ؛ يَعْنِي : حَمَلَتْهُ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ .

❁ وأَخْرَجَ ابنُ عَساكِرَ فِي تاريخِهِ عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قالَ : قالَ

(١) أَخْرَجَهُ البُخاري في كِتاب الأَدَب : بابُ رَحْمَة الوَلَد وتَقْبيله ومُعانَقَته .
(٢) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ في المُسْتَدْرَك ، والهَيْثَمي في مَجْمَع الزَّوائِد ، والبَزَّار في المُسْنَد .
(٣) أَخْرَجَهُ المُتَّقي الهِنْدي في كَنْز العُمَّال ، وابنُ عَدي في الكامِل .
(٤) أَخْرَجَهُ البَيْهَقي في شُعَب الإيمان ، وابنُ عَدي في الكامِل ، والدَّيْلَمي في الفِرْدَوْس .

رَسُولُ اللهِ ﷺ : (كُلُّ نَسَبٍ وصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيامَةِ ، إِلَّا نَسَ
وصِهْرِي) (١) .

● واعْلَمْ أَنَّ شَرْطَ مَحَبَّةِ أَهْلِ البَيْتِ النَّافِعَةِ مَحَبَّةُ أَصْحابِ النَّ
ﷺ ، وعَدَمُ الطَّعْنِ فِى أَحَدٍ مِنْهُمْ ؛ فَمَحَبَّةُ الصَّحابَةِ ومَحَبَّةُ أَه
البَيْتِ مُقترِنَتانِ لا يُنْتَفَعُ بِإِحْداهُما دُونَ الأُخْرَى .

فاحْذَرْ أَيُّها المُشْفِقُ عَلَى سَلامَةِ دِينِهِ والحَرِيصُ عَلَى مَحَبَّةِ ال
ورَسُولِهِ ، أَنْ تَصْغَى إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تَخْتَلِقُهُ الرَّافِضَةُ والخَوارِجُ فِي أَ
مِنَ الصَّحابَةِ أَوْ أَهْلِ البَيْتِ مِنَ الإِفْكِ والتَّنْقِيصِ ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ هُ
العارِفُونَ بِما جاءَ فِي كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ لا أُولَئِكَ المارِقُ
الطَّاعِنُونَ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ .

فاللهَ نَسْأَلُ أَنْ يَحْفَظَنا مِمَّا وَقَعُوا فيهِ ، وأَنْ يُحْيِينا ويُمِيتَنا عَلَى مَحَ
الصَّحابَةِ وأَهْلِ البَيْتِ ، وأَنْ يَحْشُرَنا فِي زُمْرَتِهِمْ ، وأَنْ لا يَجْعَلَ لأَ
مِنْهُمْ فِي عُنُقِنا ظُلامَةً نُطالَبُ بِها يَوْمَ القِيامَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لا يُغْفَرُ
رَحِمَ اللهُ هَذِهِ النُّفُوسَ الكَبِيرَةَ ، فَما عَرَفَ التَّارِيخُ أَعْظَمَ ولا أَكْمَلَ و
أَنْبَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وصَحابَتِهِ .

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكبير ، والبَيْهَقِي فِي السُّنَنِ الكُبْرى .

● **(بادِرُوا بالأَعْمالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِي كافِرًا ، ويُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كافِرًا ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا قَلِيل)** (١) .

قَوْلُهُ ﷺ : (**فِتَنًا**) : جَمْعُ فِتْنَةٍ وهِيَ الدَّاهِيَةُ العَظِيمَة ، أَيْ : بادِرُوا بِصالِحِ الأَعْمالِ قَبْلَ وُقُوعِها ، قَوْلُهُ ﷺ : (**كَقِطَعِ اللَّيْلِ**) هُوَ ظُلْمَةُ آخِرِه ؛ شَبَّهَ ﷺ الفِتَنَ بِهِ لِعَدَمِ الوُصُولِ والاهْتِداءِ إِلَى المَقْصُودِ فِي كُلٍّ ، أَيْ إِنَّ الفِتَنَ والمَفاسِدَ إِذا وَقَعَتْ شَغَلَتْكُمْ عَنِ الطَّاعاتِ وأَفْعالِ الخَيْرِ ، فَعَجِّلُوا بِها قَبْلَ تَعَذُّرِها ، قَوْلُهُ ﷺ : (**يُصْبِحُ ... إلخ**) يُرِيدُ أَنَّ نَوْعًا مِنْ عَظائِمِ الفِتَنِ يَنْقَلِبُ المَرْءُ عِنْدَ وُقُوعِهِ مِنَ الإِيمانِ إِلَى الكُفْرِ وعَكْسِهِ فِي اليَوْمِ الواحِد ، قَوْلُهُ ﷺ : (**بِعَرَضٍ**) أَيْ : مَتاعٌ دُنْيَوِيٌّ مَرْغُوبٌ فِيهِ يَعْرِضُ ويَحْدُثُ ثُمَّ يَذْهَبُ .

● **(تابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ فَإِنَّهُما يَنْفِيانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ كَما يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ ولَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوابٌ إِلَّا الجَنَّة)** (٢) .

(١) رَواهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

(٢) رَواهُ التِّرْمِذِيُّ والإِمامُ أَحْمَدُ عَنْ سَيِّدِنا عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُود رضي الله عنه .

قَوْلُهُ ﷺ : (تابِعُوا ... إِلَخ) أَيْ : أَكْثِرُوا مِنْ فِعْلِهِما ولا تُطِيلُوا الفَصْلَ بَيْنَ الفِعْلِ الأَوَّلِ والثَّانِي مِنْهُما سَواءٌ كانا حَجَّيْنِ أَوْ عُمْرَتَيْنِ أَوْ حَجًّا وعُمْرَة ، قَوْلُهُ ﷺ : (يَنْفِيانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ) أَيْ : هُما سَبَبانِ للغِنَى ولِغُفْرانِ الذُّنُوبِ ؛ أَمَّا كَوْنُهُما سَبَبًا للغِنَى ، فَلِما وَرَدَ : (أَنَّ اللهَ يُخْلِفُ عَلَى الحُجَّاجِ والعُمَّارِ ما أَنْفَقُوهُ الدِّرْهَمَ أَلْفَ أَلْفٍ أَوْ أَكْثَر)[١] ، وأَمَّا كَوْنُهُما سَبَبًا للغُفْرانِ فَلأَنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ خُصُوصًا إذا كانَتْ شاقَّةً كالجِهادِ والحَجِّ والعُمْرَة ، وأَيْضًا هُما عِبادَتانِ بَدَنِيَّتانِ مالِيَّتان ، وفِيهِما سَفَرٌ وغُرْبَةٌ ومُفارَقَةُ الوَطَنِ والأَهْلِ والمال ، وقَوْلُهُ ﷺ : (كَما يَنْفِي .... إِلَخ) تَشْبِيهٌ يُفِيدُ أَنَّهُما لا يُبْقِيانِ مِنَ الذُّنُوبِ شَيْئًا كَما أَنَّ المَعادِنَ الثَّلاثَةَ إذا نُفِخَ عَلَيْها بالكِيرِ خَرَجَتْ نَقِيَّةً مِنَ الصَّدأِ صافِيَةً لا خَبَثَ عَلَيْها ، قَوْلُهُ ﷺ : (ولَيْسَ ... إِلَخ) ؛ الحَجَّةُ : المَرَّةُ الواحِدَةُ مِنَ الحَجِّ ، والمَبْرُورَةُ : المَقْبُولَةُ أَوِ الَّتِي بَرَّ فِيها فاعِلُها فَلَمْ يَقْتَرِفْ فِيها ذَنْبًا إِلَى أَنْ فَرَغَ مِنْها ، فَإِذا كانَتْ كَذلِكَ وفَعَلَها عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ لَمْ يَقِفْ ثَوابُها عِنْدَ تَكْفِيرِ ذُنُوبِهِ فَقَطْ بَلْ يَسْتَحِقُّ دُخُولَ الجَنَّةِ مَعَ السَّابِقِين ، بِفَضْلِ اللهِ وكَرَمِه .

(١) رَواهُ البَيْهَقِي عَنْ سَيِّدِنا أَنَسٍ رضي الله عنه .

حِكْمَةُ الحَلِيمِ السَّتَّار

الإيمانُ بِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ القَرار فِي الدُّخُولِ إِلَى الجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّار

• (إِنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحابُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ ، أَتاهُ مَلَكانِ فَيُقْعِدانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسُولُه ، فَيُقالُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّار ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّة ، فَيَراهُما جَمِيعًا ويُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِراعًا ، ويُمْلأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون ، وأَمَّا الكافِرُ أَوِ المُنافِقُ فَيُقالُ لَهُ ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ لا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ ما يَقُولُ النَّاس ، فَيُقالُ لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْراقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُها مَنْ يَلِيهِ ، غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ ويُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ)[١] .

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذابِ القَبْرِ والدُّنْيا والآخِرَةِ ومِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ ، ونَسْأَلُهُ العَفْوَ والعافِيَةَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وما بَيْنَهُما بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ وبَرَكَةِ رَسُولِهِ ﷺ .

(١) رَواهُ الإِمامُ أَحْمَدُ والشَّيْخان عَنْ سَيِّدِنا أَنَسِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه .

انْتِفاعُ المَيِّتِ بالصَّدَقَةِ عَلَيْهِ ووُصُولُ ثَوابِها إِلَيْهِ

• عَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا أَتى النَّبِيَّ ﷺ فقالَ : يا رَسُولَ اللّه ! إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ ولَمْ توصِ ، وأَظُنُّها لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ ، أَفَلَها أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْها ؟ قالَ : (نَعَمْ)[1] .

وعَلَى العُمُوم يَلْحَقُ المَيِّتَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ لَه ؛ فالأُمَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ مُوَسَّعٌ عَلَيْها ، لَها ما سَعَتْ ، وما سُعِيَ لَها ، كَرامَةً لِنَبِيِّها ﷺ .

دُعاءُ المُسْلِمِ لأَخِيهِ مُسْتَجابٌ لا شَكَّ فِيه

عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :

(دُعاءُ المَرْءِ المُسْلِمِ مُسْتَجابٌ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ كُلَّما دَعا لأَخِيهِ بخَيْرٍ قالَ المَلَكُ آمِينَ ولَكَ بِمِثْلِ ذَلِك)[2] .

المُرادُ الدُّعاءُ لَهُ وهُوَ لا يَعْلَمُ ولَوْ بِحَضْرَتِهِ فَهُوَ دُعاءٌ خالِصٌ نَشَأَ عَنْ رَأْفَةٍ بِأَخِيهِ المُسْلِم ، وحُبِّهِ لَهُ ما يُحِبُّ لِنَفْسِه .

وقَوْلُهُ ﷺ : (عِنْدَ رَأْسِهِ .. إلخ) بيانٌ لِسَبَبٍ مِنْ أَسْبابِ الإجابَة .

وقَوْلُهُ ﷺ : (مُوَكَّلٌ بِهِ) أَيْ : بِالتَّأْمِينِ عَلَى دُعائِهِ ، والدُّعاءِ لَهُ بِمِثْلِ ما دَعا لأَخِيه .

• قالَ ﷺ : (لا تُصاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، ولا يَأْكُلْ طَعامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ)[3] .

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي ومُسْلِم . (٢) صَحِيحُ مُسْلِم . (٣) سُنَنُ أَبِي داوُد .

بَيانٌ غايَةٌ فِي الوُضُوحِ الجَلِيِّ
حَوْلَ التَّصَوُّفِ السُّنِّي النَّقِيِّ

المُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ والسَّالِكُ طَرِيقَها لا يَخْلُو عَنْ سِتَّةِ أَحْوال :

إِمَّا عابِدٌ ، وإِمَّا عالِمٌ ، وإِمَّا مُتَعَلِّمٌ ، وإِمَّا مُحْتَرِفٌ (صاحِبُ حِرْفَةٍ) ، وإِمَّا مُوحِّدٌ مُسْتَغْرِقٌ بالواحِدِ الصَّمَد .

(١) فالعابِدُ : هُوَ المُتَجَرِّدُ لِلْعِبادَةِ الَّذي لا شُغْلَ لَهُ غَيْرَها أَصْلًا ، لَوْ تَرَكَ العِبادَةَ لَجَلَسَ بَطَّالًا ، فالأَنْسَبُ لَهُ أَنْ يَسْتَغْرِقَ أَكْثَرَ أَوْقاتِهِ فِي العِبادَةِ ومَجالِسِ الذِّكْر .

قالَ ﷺ : (إِذا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا ، فَقِيلَ : يا رَسُولَ اللّهِ وما رِياضُ الجَنَّةِ ؟ قالَ : حِلَقُ الذِّكْر)[1] .

(٢) والعالِمُ : هُوَ الَّذي يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِعِلْمِهِ فِي فَتْوَى أَوْ تَدْرِيسٍ أَوْ تَصْنِيفٍ ، فَإِنْ أَمْكَنَهُ اسْتِغْراقُ الأَوْقاتِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ ما يَشْتَغِلُ بِهِ بَعْدَ المَكْتُوباتِ ورَواتِبِها ، إِذا قَصَدَ بِالتَّعْلِيمِ الاسْتِعانَةَ بِهِ عَلَى السُّلُوكِ ، والمُرادُ بِالعِلْمِ المُقَدَّمِ عَلَى العِبادَةِ العِلْمُ الَّذي يُرَغِّبُ النَّاسَ فِي الآخِرَةِ ويُزَهِّدُهُمْ فِي الدُّنْيا أَوْ يُعِينُهُمْ عَلَى سُلُوكِ طَرِيق

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .

انْتِفاعُ المَيِّتِ بِالصَّدَقَةِ عَلَيْهِ ووُصُولُ ثَوابِها إِلَيْهِ

• عَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ : يا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ ولَمْ تُوصِ ، وأَظُنُّها لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ ، أَفَلَها أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْها ؟ قالَ : (نَعَمْ)[1] .

وعَلَى العُمُومِ يَلْحَقُ المَيِّتَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ لَهُ ؛ فالأُمَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ مُوَسَّعٌ عَلَيْها ، لَها ما سَعَتْ ، وما سُعِيَ لَها ، كَرامَةً لِنَبِيِّها ﷺ .

دُعاءُ المُسْلِمِ لأَخِيهِ مُسْتَجابٌ لا شَكَّ فِيهِ

عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(دُعاءُ المَرْءِ المُسْلِمِ مُسْتَجابٌ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ كُلَّما دَعا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قالَ المَلَكُ آمِينَ ولَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ)[2] .

المُرادُ الدُّعاءُ لَهُ وهُوَ لا يَعْلَمُ ولَوْ بِحَضْرَتِهِ فَهُوَ دُعاءٌ خالِصٌ نَشَأَ عَنْ رَأْفَةٍ بِأَخِيهِ المُسْلِمِ ، وحُبِّهِ لَهُ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وقَوْلُهُ ﷺ : (عِنْدَ رَأْسِهِ .. إلخ) بَيانٌ لِسَبَبٍ مِنْ أَسْبابِ الإِجابَةِ .

وقَوْلُهُ ﷺ : (مُوَكَّلٌ بِهِ) أَيْ : بِالتَّأْمِينِ عَلَى دُعائِهِ ، والدُّعاءِ لَهُ بِمِثْلِ ما دَعا لأَخِيهِ .

• قالَ ﷺ : (لا تُصاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، ولا يَأْكُلْ طَعامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ)[3] .

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي ومُسْلِم . (٢) صَحِيحُ مُسْلِم . (٣) سُنَنُ أَبِي داوُد .

بَيانٌ غايَةٌ فِي الوُضُوحِ الجَلِيِّ
حَوْلَ التَّصَوُّفِ السُّنِّي النَّقِيِّ

المُرِيدُ حَرْثُ الآخِرَةِ والسَّالِكُ طَرِيقَها لا يَخْلُو عَنْ سِتَّةِ أَحْوال :

إِمَّا عابِدٌ ، وإِمَّا عالِمٌ ، وإِمَّا مُتَعَلِّمٌ ، وإِمَّا مُحْتَرِفٌ (صاحِبُ حِرْفَةٍ) ، وإِمَّا مُوَحِّدٌ مُسْتَغْرِقٌ بِالواحِدِ الصَّمَد .

(١) فالعابِدُ : هُوَ المُتَجَرِّدُ لِلعِبادَةِ الَّذي لا شُغْلَ لَهُ غَيْرَها أَصْلًا ، لَوْ تَرَكَ العِبادَةَ لَجَلَسَ بَطَّالًا ، فالأَنْسَبُ لَهُ أَنْ يَسْتَغْرِقَ أَكْثَرَ أَوْقاتِهِ فِي العِبادَةِ ومَجالِسِ الذِّكْر .

قالَ ﷺ : (إِذا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا ، فَقِيلَ : يا رَسُولَ اللهِ وما رِياضُ الجَنَّةِ ؟ قالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ)[1] .

(٢) والعالِمُ : هُوَ الَّذي يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِعِلْمِهِ فِي فَتْوَى أَوْ تَدْرِيسٍ أَوْ تَصْنِيفٍ ، فَإِنْ أَمْكَنَهُ اسْتِغْراقُ الأَوْقاتِ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ ما يَشْتَغِلُ بِهِ بَعْدَ المَكْتُوباتِ ورَواتِبِها ، إِذا قَصَدَ بِالتَّعْلِيمِ الاسْتِعانَةَ بِهِ عَلَى السُّلُوكِ ، والمُرادُ بِالعِلْمِ المُقَدَّمِ عَلَى العِبادَةِ العِلْمُ الَّذي يُرَغِّبُ النَّاسَ فِي الآخِرَةِ ويُزَهِّدُهُمْ فِي الدُّنْيا أَوْ يُعِينُهُمْ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .

الآخِرَةِ دُونَ العُلُومِ الَّتِي تَزِيدُ بِها الرَّغْبَةُ فِي المالِ والجاهِ والحَظْوَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ .

(٣) والمُتَعَلِّمُ : هُوَ القاصِدُ بِالتَّعَلُّمِ وَجْهَ اللهِ تَعالَى ، فاشْتِغالُهُ بِالتَّعَلُّمِ أَفْضَلُ مِنَ اشْتِغالِهِ بِالأَذْكارِ والنَّوافِلِ المُطْلَقَةِ ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُخَلِّيَ نَفْسَهُ مِنْ وِرْدٍ مِنَ الذِّكْرِ كُلَّ يَوْمٍ ، فَذَلِكَ أَعْوَنُ لَهُ عَلَى ما هُوَ بِسَبِيلِهِ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى ، بَلْ لَوْ كانَ مِنَ العَوامِّ لَكانَ حُضُورُهُ مَجْلِسَ الوَعْظِ والعِلْمِ أَفْضَلَ مِنَ اشْتِغالِهِ بِالأَوْرادِ ، قالَ كَعْبُ الأَحْبارِ ﵁ : (لَوْ أَنَّ ثَوابَ مَجْلِسِ العُلَماءِ بَدا لِلنَّاسِ لاقْتَتَلُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَتْرُكَ كُلُّ ذِي إِمارَةٍ إِمارَتَهُ وكُلُّ ذِي سُوقٍ سُوقَهُ) .

وقالَ سَيِّدُنا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﵁ : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ وعَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ مِثْلُ جَبَلِ تِهامَةَ ، فَإِذا سَمِعَ العالِمَ وخافَ واسْتَرْجَعَ ورَجَعَ عَنْ ذُنُوبِهِ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ولَيْسَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ شَيْءٌ ، فَلا تُفارِقُوا مَجْلِسَ العُلَماءِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَخْلُقْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ تُرْبَةً أَكْرَمَ مِنْ مَجْلِسِ العُلَماءِ) ، وقالَ عَطاءُ بنُ أَبِي رَباحٍ ﵁ : (حُضُورُ مَجْلِسِ العِلْمِ يُكَفِّرُ سَبْعِينَ مَجْلِسًا مِنْ مَجالِسِ اللَّغْوِ واللَّعِبِ) .

وعَلَى الجُمْلَةِ ، فَما يَنْحَلُّ عَنِ القَلْبِ عُقْدَةٌ مِنْ عُقَدِ حُبِّ الدُّنْيا بِقَوْلِ واعِظٍ حَسَنِ الكَلامِ زَكِيِّ السِّيرَةِ ، أَشْرَفُ وأَنْفَعُ مِنْ رَكَعاتٍ كَثِيرَةٍ مَعَ اشْتِمالِ القَلْبِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيا .

(٤) والمُحْتَرِفُ : الَّذِي يَحْتاجُ لِلْكَسْبِ لِعِيالِهِ لَيْسَ أَنْ يُضَيِّعَ العِيالَ ويَسْتَغْرِقَ الأَوْقاتَ فِي العِبادَةِ ، بَلْ وِرْدُهُ فِي وَقْتِ الصِّناعَةِ حُضُورُ السُّوقِ والاشْتِغالُ بِالكَسْبِ ، ولَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ لا يَنْسَى ذِكْرَ اللهِ فِي صِناعَتِهِ بِقَلْبِهِ ، بَلْ يُواظِبُ عَلَى التَّسْبِيحاتِ والأَذْكارِ وقِراءَةِ القُرْآنِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَمِعَ مَعَ العَمَلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَوِّتَهُ ، ومَتَى فَرَغَ مِنْ تَحْصِيلِ كِفايَتِهِ يَعُودُ إِلَى العِبادَةِ .

(٥) والوالِي : مَنْ مِثْلُ (الإمامِ والقاضِي وكُلِّ مُتَوَلٍّ مَصالِحَ المُسْلِمِينَ) ، قِيامُهُ بِحاجاتِ المُسْلِمِينَ وأَغْراضِهِمْ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ وقَصْدِ الإِخْلاصِ أَفْضَلُ مِنَ اشْتِغالِهِ بِالأَوْرادِ ، فَحَقُّهُ أَنْ يَشْتَغِلَ بِحُقُوقِ النَّاسِ نَهارًا ، ويَقْتَصِرَ عَلَى المَكْتُوباتِ ورَواتِبِها ، ويُقِيمَ الأَوْرادَ لَيْلًا .

(٦) والمُوَحِّدُ : المُسْتَغْرِقُ بِالواحِدِ الصَّمَدِ الَّذِي أَصْبَحَ وهُمُومُهُ هَمٌّ واحِدٌ ، فَلا يُحِبُّ إِلَّا اللهَ ولا يَخافُ إِلَّا مِنْهُ ، ولا يَتَوَقَّعُ الرِّزْقَ مِنْ غَيْرِهِ ، فَمَنِ ارْتَفَعَتْ دَرَجَتُهُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَى تَنَوُّعِ

الأَوْرادِ واخْتِلافِها ، بَلْ وِرْدُهُ بَعْدَ المَكْتُوباتِ وَرَواتِبِها واحِدٌ ، وهُوَ حُضُورُ القَلْبِ مَعَ اللهِ تَعالَى فِي كُلِّ حالٍ فَلا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ أَمْرٌ ، ولا يَقْرَعُ سَمْعَهُ قارِعٌ ، ولا يَلُوحُ لِبَصَرِهِ لائِحٌ إِلَّا كانَ لَهُ فِيهِ عِبْرَةٌ وفِكْرَةٌ ، فَهَذا جَمِيعُ أَحْوالِهِ تَصِحُّ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لازْدِيادِهِ وارْتِقائِهِ ، وهَذا مُنْتَهَى دَرَجَةِ الصِّدِّيقِينَ ، ولا وُصُولَ إِلَيْها إِلَّا بَعْدَ تَرْتِيبِ الأَوْرادِ والمُواظَبَةِ عَلَيْها ، فَلا يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَنْ يَغْتَرَّ ويَدَّعِيَ هَذِهِ المَرْتَبَةَ لِنَفْسِهِ ، ويَكْسِلَ عَنْ عِبادَتِهِ ، فَإِنَّ عَلامَةَ صاحِبِ هَذِهِ المَرْتَبَةِ أَنْ لا يَهْجِسَ فِي قَلْبِهِ وَسْواسٌ ، ولا يَخْطُرَ فِي قَلْبِهِ مَعْصِيَةٌ ، ولا تُزْعِجَهُ هَواجِمُ الأَهْوالِ .

واعْلَمْ أَنَّ العَمَلَ الصَّالِحَ لَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي إِصْلاحِ القَلْبِ وتَنْوِيرِهِ ، ولَكِنْ لا تَظْهَرُ ثَمَرَتُهُ إِلَّا بِالمُداوَمَةِ عَلَيْهِ ، ومَنْ تَعَوَّدَ عَمَلًا ثُمَّ فَتَرَ عَنْهُ دُونَ عُذْرٍ كانَ مَمْقُوتًا ، ولِذَلِكَ قالُوا : مَنْ تَعَوَّدَ للهِ عِبادَةً فَتَرَكَها مَلالَةً مَقَتَهُ اللهُ ، قالَ ﷺ : (أَحَبُّ الأَعْمالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُها وإِنْ قَلَّ)[1] . فَشُدَّ يَدَكَ يا أَخِي عَلَى المُحافَظَةِ عَلَى أَعْمالِ البِرِّ ، فَإِنَّ مَنْ حافَظَ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ ، وباشَرَ الإِيمانُ قَلْبَهُ حَقِيقَةَ المُباشَرَةِ ،

(١) أَخْرَجَهُ الشَّيْخانِ .

ومَتَى وَصَلَ العَبْدُ إِلَى هَذِهِ المَنْزِلَةِ زالَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ والشُّكُوكُ ، وصارَ لِلْعِبادَةِ عِنْدَهُ لَذَّةٌ عَظِيمَةٌ ، بِحَيْثُ يَخْتارُ الاشْتِغالَ بِالعِبادَةِ عَلَى تَحْصِيلِ أَغْراضِ الدُّنْيا ، فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ الإِيمانُ فِي القَلْبِ ،كَما يَدْخُلُ حُبُّ الماءِ البارِدِ الشَّدِيدِ بَرْدُهُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ الحَرِّ عَلَى جَوْفِ الظَّمْآنِ الشَّدِيدِ عَطَشُهُ ، فَيَرْتَفِعُ عَنْهُ تَعَبُ الطَّاعَةِ بِاسْتِلْذاذِهِ بِها ، بَلْ تَبْقَى الطَّاعَةُ غِذاءً لِقَلْبِهِ ، وسُرُورًا لَهُ وقُرَّةَ عَيْنٍ فِي حَقِّهِ ، ونَعِيمًا لِرُوحِهِ يَتَلَذَّذُ بِها أَعْظَمَ مِنَ الْتِذاذِهِ بِاللَّذَّاتِ الجِسْمانِيَّةِ .

واعْلَمْ أَنَّ ضَرَرَ الذُّنُوبِ فِي قَلْبِ الإِنْسانِ كَضَرَرِ السُّمِّ فِي الأَبْدانِ عَلَى اخْتِلافِ دَرَجاتِها فِي الضَّرَرِ ، ولَيْسَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ شَرٌّ وداءٌ إِلَّا سَبَبُهُ الذُّنُوبُ والمَعاصِي ، ولِلْمَعاصِي مِنَ الآثارِ القَبِيحَةِ المَذْمُومَةِ المُضِرَّةِ بِالقَلْبِ والبَدَنِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ما لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعالَى :

(أ) فَمِنْها حِرْمانُ العِلْمِ النَّافِعِ ؛ لأَنَّ العِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي القَلْبِ ، والمَعْصِيَةَ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ إِنْ كانَ ، أَوْ تَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ القَلْبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ ، وما أَصْدَقَ قَوْلَ الإِمامِ الشَّافِعِيِّ حِكايَةً عَنْ شَيْخِهِ الإِمامِ وَكِيعِ ابْنِ الجَرَّاحِ ، يَوْمَ قالَ :

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ۞ فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ۞ وَنُورُ اللهِ لا يُهْدَىٰ لِعاصِي

(ب) ومِنْهَا وَحْشَةٌ : يَجِدُها العاصِي بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ لا تُوازِيها و تُقارِبُها وَحْشَةٌ أَلْبَتَّة .

(ت) ومِنْها تَعَسُّرُ أَمْرِهِ : فَلا يَتَوَجَّهُ لأَمْرٍ إِلَّا يَجِدُهُ مُغْلَقًا دُونَهُ مُتَعَسِّرًا عَلَيْه .

(ث) ومِنْها ظُلْمَةٌ : يَجِدُها فِي قَلْبِهِ يُحِسُّ بِها كَما يُحِسُّ بِظُلْمَةِ الل البَهِيم وكُلَّما قَوِيَتِ الظُّلْمَةُ ازْدادَتْ حَيْرَتُه وظَهَرَتِ الظُّلْمَةُ عَلَى وَجْ بِحَيْثُ لا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ البَصائِر .

(ج) ومِنْها أَنَّها تُوهِنُ القَلْبَ والبَدَنَ .

(د) ومِنْها حِرْمانُ الطَّاعَةِ ومَحْقُ بَرَكَةِ العُمْر .

(هـ) ومِنْها أَنَّ المَعْصِيَةَ تُورِثُ الذِّلَّةَ وتُفْسِدُ العَقْلَ ، فَإِنَّ العَقْلَ نُ والمَعْصِيَةَ تُطْفِئُهُ .

(و) ومِنْها أَنَّها تُزِيلُ النِّعَمَ وتَجْلِبُ الفَقْرَ ، فَما زالَتْ عَنِ العَبْدِ نِ إِلَّا بِذَنْبٍ ، ولا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ :

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ (1)

(1) سُورَةُ الشُّورى الآيَة ٣٠ .

۞ واعْلَمْ أَخِي القارِئَ الكَرِيم بَعْدَ هَذا ، أَنَّ عُلَماءَ الشَّرِيعَةِ هُمْ أَئِمَّةُ التَّفْسِيرِ والحَدِيثِ والفِقْهِ ، وهَؤُلاءِ هُمُ الَّذِينَ حَمَى اللهُ تَعالَى بِهِمُ الدِّينَ ، لاسْتِنْباطِهِم الأَحْكامَ وتَدْوِينِهِم المَذاهِبَ ورَدِّهِم الحَوادِثَ المُتَجَدِّدَةَ إِلَى أَصْلٍ مِنَ النُّصُوص .

فَأَمَّا عُلَماءُ التَّفْسِيرِ ﵃ : فَإِنَّهُمْ عَرَفُوا مَعانِيَ كَلامِ اللهِ بِالتَّبَحُّرِ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ والنَّحْوِ والمَعانِي والبَيانِ والأُصُولِ ، فَعَرَفُوا المَعْطُوفَ والمَعْطُوفَ عَلَيْهِ فِي الحُكْمِ ، وعَرَفُوا المُجْمَلَ ، والمُبَيَّنَ ، والنَّاسِخَ والمَنْسُوخَ ، والخاصَّ والعامَّ ، وغَيْرَ ذَلِكَ ، وتَبَحَّرُوا أَيْضًا فِي عِلْمِ الصَّرْفِ والتَّأْوِيلِ وأُصُولِ القَصَصِ ، واخْتِلافِ وُجُوهِ القِراءاتِ ، وعَرَفُوا مَجازاتِ العَرَبِ واسْتِعاراتِها ، وما يَحْمِلُهُ اللَّفْظُ مِنَ المَعْنَى ، وما لا يَحْتَمِلُهُ ، وصَنَّفُوا فِي ذَلِكَ كُتُبًا ، فاتَّسَعَتْ بِذَلِكَ عُلُومُ القُرْآنِ ومَسائِلُهُ لَدَى جَمِيعِ الأُمَّة .

۞ وأَمَّا أَئِمَّةُ الحَدِيثِ ﵃ : فَإِنَّهُم مَيَّزُوا بَيْنَ صِحاحِ الأَحادِيثِ والآثارِ ، ومَيَّزُوا بَيْنَ صَحِيحِها ، وحَسَنِها ، وضَعِيفِها ، وعَرَفُوا طَبَقاتِ الرُّواةِ ، قُوَّةً وضَعْفًا فِي الضَّبْطِ والحِفْظِ ، وعَرَفُوا أَسْماءَهُمْ ، وأَنْسابَهُمْ ، وحَكَمُوا بِالجَرْحِ والتَّعْدِيلِ ؛ كُلُّ ذَلِكَ حِفْظًا لأَدِلَّةِ الشَّرِيعَةِ عَنِ الضَّياع .

۞ وأَمَّا الفُقَهاءُ رضي الله عنهم : فانْتَدبُوا لاسْتِنباطِ الأَحْكام ، والتَّفريغِ في المَسائِلِ ومَعْرِفَةِ التَّعالِيلِ والفُرُوقِ ، ورَدِّ الفُرُوعِ إلَى الأُصُولِ بالعِـ الجامِعَةِ حَتَّى اسْتَوْعَبُوا الحَوادِثَ بِحُكْمِ النُّصُوصِ ، ثُمَّ إنَّهُ تَفَرَّعَ مِـ عِلْمِ الفِقْهِ والأَحْكامِ عِلْمُ أُصُولِ الفِقْهِ ، وعِلْمُ الخِلافِ ، وتَفَرَّعَ مِـ عِلْمِ الخِلافِ عِلْمُ الجَدَلِ ، ولَمَّا لَمْ يَكْمُلْ عِلْمُ أُصُولِ الفِقْهِ (إلَّا بمَعْرِ ما يَجِبُ للهِ تَعالَى ، وما يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مِنْ صِفاتِ الحَدَثِ) صَنَّـ عِلْمَ أُصُولِ الدِّينِ ، فَكَمُلَ فَهْمُ الدِّينِ بِذَلِكَ أَصْلًا وفَرْعًا ، وكانَ مِـ جُمْلَةِ عِلْمِ الفِقْهِ : عِلْمُ فَرائِضِ المَوارِيثِ المُشْتَمِلِ عَلَى مَعْرِفَةِ عِـ قِسْمَتِها عَلَى اخْتِلافِ طَبَقاتِ الوارِثِينَ ، ولَزِمَ ذَلِكَ عِلْمُ الحِسابِ والجَبْرِ ، والمُقابَلَةِ ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي كُتُبِ الشَّرِيـ فَتَمَهَّدَتِ الشَّرِيعَةُ بِما ذَكَرْناهُ مِنَ العُلُومِ ، واتَّضَحَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ما يَتِمُّ الواجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ واجِبٌ .

ومِمَّا تَمَيَّزَتْ بِهِ مَناهِجُ الصُّوفِيَّةِ عَنْ مَناهِجِ الفُقَهاءِ وسائِرِ العُلَـ كَثْرَةُ مُجاهَداتِهِمْ ، ورِياضَةُ نُفُوسِهِمْ بِمُخالَفَةِ حُظُوظِها حَتَّى صارَ تَحْتَ تَصْرِيفِهِمْ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى (فَلا تَأْمُرُهُمْ إلَّا بِخَيْرٍ) ، وعَـ مُزاحَمَتِهِمْ عَلَى الدُّنْيا ومَناصِبِها وجَمْعِها وإنْفاقِها فِي الشَّهَو

وَنَحْوِ ذَلِكَ ، ورِضاهُمْ مِنَ الدُّنْيا بالقَلِيلِ وعَدَمُ رِضاهُمْ مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ إلَّا بالكَثِيرِ إعْطاءً للعُبُودِيَّةِ حَقَّها ، وعَدَمُ سُوءِ الظَّنِّ بأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ، ودَوامُ الطَّهارَةِ لَيْلًا ونَهارًا ؛ فَكُلَّما أَحْدَثَ أَحَدُهُمْ تَوَضَّأَ أَوْ تَيَمَّمَ .

ومِمَّا تَمَيَّزُوا بِهِ أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ مَزايا وكانُوا أَكْثَرَ تَحَقُّقًا بها أَنَّهُم لا يُؤْذُونَ مَنْ آذاهُم ، ولا يَشْمَتُ أَحَدُهُمْ بِمُصِيبَةٍ ولا يَنْطِقُ بِغِيبَةٍ .

ومِمَّا تَمَيَّزُوا بِهِ أَيْضًا كَوْنُهُمْ يَحْتَقِرُونَ نُفُوسَهُم ؛ فَلا يَرَوْنَ لَها فَضْلًا عَلَى أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ، ولا يَقُولُونَ نَحْنُ أَفْضَلُ مِنْ فُلانٍ ، ونَحْوَ ذَلِكَ مِنْ صِيَغِ التَّعالِي ومَشاعِرِ التَّكَبُّرِ ، فَإِنَّهُمْ فِي مَيْدانِ الأَخْلاقِ سَبَّاقُونَ إلَى كُلِّ خَيْرٍ ، نَزَّاعُونَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ ، فاعْلَمْ ذَلِكَ ، والحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلِكَ .

ومِمَّا تَمَيَّزُوا بِهِ كَذَلِكَ قِيامُهُمْ بِشَعائِرِ دَوْلَةِ الظَّاهِرِ والباطِنِ ، فَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ، ويَخْطُبُونَ ويَؤُمُّونَ فِي المَساجِدِ ، ويُدَرِّسُونَ العِلْمَ ، ويُفْتُونَ ، ويَقْضُونَ بَيْنَ النَّاسِ ، ويُخالِفُونَ نُفُوسَهُم ، وغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ آنِفًا .

ومِمَّا تَمَيَّزُوا بِهِ عَنْ غَيْرِهِم أَيْضًا وُقُوعُ الكَراماتِ والخَوارِقِ عَلَى

أَيْدِيهِمْ تَأْيِيدًا لَهُمْ لِكَوْنِهِم عَلَى الشَّرِيعَةِ المَحْضَةِ ، وبَيانًا لِكَوْنِهِم عَلَى قَدَمِ الصِّدْقِ فِي الاتِّباعِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ .

وقَدْ قالُوا : الكَراماتُ فَرْعٌ مِنَ المُعْجِزاتِ ، فَالكَرامَةُ كالمُعْجِزَةِ للنَّبِيِّ فِي الدَّلالَةِ عَلَى صِدْقِهِ ، وإِنْ تَفاوَتَ المَقامُ ، ومَنْ لا كَرامَةَ لَهُ لا تَمْيِيزَ لَهُ عَنِ العامَّةِ ، وإِنْ كانَ وَلِيًّا فِي الباطِنِ .

قالَ الشَّيْخُ (عِزُّ الدِّينِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ) فِي رِسالَتِهِ الَّتِي أَلَّفَها فِي مَدْحِ طَرِيقِ القَوْمِ : (مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ القَوْمَ قَعَدُوا عَلَى قَواعِدِ الشَّرِيعَةِ ، وقَعَدَ غَيْرُهُم عَلَى الرُّسُومِ ، ما يَقَعُ عَلَى يَدِ أَحَدِهِم مِنَ الكَراماتِ والخَوارِقِ ، ولا يَقَعُ ذَلِكَ عَلَى يَدِ فَقِيهٍ قَطُّ ، ولَوْ بَلَغَ الغايَةَ فِي العِلْمِ إِلَّا إِنْ سَلَكَ طَرِيقَهُم واعْتَقَدَ صِحَّتَها) .

وكانَ الشَّيْخُ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ : (وهَلْ ثَمَّ عِلْمٌ أَوْ طَرِيقٌ غَيْرُ ما بِأَيْدِينا مِنْ مَسائِلِ الشَّرِيعَةِ وأَعْمالِها ؟!) وكانَ يُنْكِرُ طَرِيقَ الصُّوفِيَّةِ لِعَدَمِ ذَوْقِهِ إِيَّاها ، واعْتِقادِهِ فِيها أَنَّها طَرِيقٌ زائِدَةٌ عَلَى الشَّرِيعَةِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِشَيْخٍ (عارِفٍ بِاللهِ) وأَخَذَ عَنْهُ الطَّرِيقَ ، وقَطَعَ سِلْسِلَةَ باب قَلْعَةِ الجَبَلِ بِالكُرَّاسِ الوَرَقِ ، ورَدَّ مَراكِبَ الفِرِنْجِ لَمَّا دَخَلُوا دِمْياطَ عِنْدَما نادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ مُشِيرًا إِلَى الرِّيحِ : يا رِيحُ خُذِيهِم ، فَعادَتِ الرِّيحُ

عَلَى مَراكِبِ الفِرِنْجِ فَكَسَرَتْها ، عِنْدَها قالَ ما نَقَلْناهُ عَنْهُ آنِفًا .

ومِمَّا تَمَيَّزُوا بِهِ أَيْضًا ، كَوْنُ النَّاسِ يَحْتاجُونَ إِلَيْهِم فِي الشَّدائِدِ ، ولا يَحْتاجُونَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ إِلَّا مَعَ شُهُودِ أَنَّ الخَلْقَ مُسَخَّرُونَ لَهُمْ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى ، وذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ دَلِيلٍ عَلَى عُلُوِّ مَقامِهِم فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ .

ومِمَّا تَمَيَّزُوا بِهِ أَيْضًا ، أَنَّ الدُّنْيا لا تَسْتَعْبِدُهُمْ وإِنَّما تَسْتَعْبِدُ غَيْرَهُم ، وأَنَّهُم لا يُلْقُونَ بِقِيادِهِم إِلَّا للهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى فَلا يُلْقُونَ بِقِيادِهِم إِلَى مالٍ أَوْ جاهٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ رِياسَةٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَذِلُّ لَهُ أَهْلُ الدُّنْيا وأَهْلُ الأَهْواءِ ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ دُنْياهُم ، وأَهْواءَهُم آلِهَةً يَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ .

إِنَّهُمْ أَغْنِياءُ أَوْ فُقَراءُ تَحَقَّقُوا بِقَوْلِهِ تَعالَى :

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [1] .

ويَقُصُّ عَلَيْنا الإِمامُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي فِي كِتابِهِ (لَطائِف المِنَن) قِصَّةَ ثَرِيٍّ صُوفِيٍّ تَحَقَّقَ بالآيَةِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيمَةِ ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ ثَراؤُهُ الضَّخْمُ العَرِيضُ أَنْ يَكُونَ صُوفِيًّا ، يَقُولُ (ابنُ عَطاءِ اللهِ) :

---

(١) سُورَةُ الحَدِيد : مِنَ الآيَةِ ٢٣ .

(قالَ بَعْضُ المَشايِخِ : كانَ رَجُلٌ بِالمَغْرِبِ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيا ، وَمِنْ أَهْلِ الجِدِّ والاجْتِهادِ ، وكانَ عَيْشُهُ مِمَّا يَصِيدُهُ مِنَ البَحْرِ ، وكانَ الَّذي يَصِيدُهُ يَتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ ، ويَتَقَوَّتُ بِبَعْضِهِ ، فَأَرادَ بَعْضُ أَصْحابِ هَذا الشَّيْخِ أَنْ يُسافِرَ إِلَى بَلَدٍ مِنْ بِلادِ المَغْرِبِ ، فَقالَ لَهُ هَذا الشَّيْخُ : إذا دَخَلْتَ إِلَى بَلَدِ كَذا ، فاذْهَبْ إِلَى أَخِي (فُلان) ، فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ ، وتَطْلُبُ الدُّعاءَ مِنْهُ لِي ، فَإِنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِياءِ اللهِ تَعالَى . قالَ : فَسافَرْتُ ، حَتَّى قَدِمْتُ تِلْكَ البَلْدَةَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَدُلِلْتُ عَلَى دارٍ لا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْمُلُوكِ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وطَلَبْتُهُ فَقِيلَ لِي : هُوَ عِنْدَ السُّلْطانِ ، فازْدادَ تَعَجُّبِي ، وبَعْدَ ساعَةٍ ، وإذا هُوَ آتٍ فِي أَفْخَرِ مَلْبَسٍ ومَرْكَبٍ ، وكَأَنَّما هُوَ مَلِكٌ فِي مَوْكِبِه ، قالَ : فازْدادَ تَعَجُّبِي أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِ ، قالَ : فَهَمَمْتُ بِالرُّجُوعِ وعَدَمِ الاجْتِماعِ بِهِ ، ثُمَّ قُلْتُ لا يُمْكِنُنِي مُخالَفَةُ الشَّيْخِ ، فاسْتَأْذَنْتُ ، فَأُذِنَ لِي ، فَلَمَّا دَخَلْتُ رَأَيْتُ ما هالَنِي مِنَ العَبِيدِ ، والخَدَمِ ، والشَّارَةِ الحَسَنَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَخُوكَ فُلانٌ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، قالَ : جِئْتَ مِنْ عِنْدِهِ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قالَ : إذا رَجَعْتَ إِلَيْهِ قُلْ لَهُ : إِلَى كَم اشْتِغالُكَ بِالدُّنْيا ؟ وإِلَى كَمْ إِقْبالُكَ عَلَيْها ؟ وإِلَى مَتَى لا تَنْقَطِعُ رَغْبَتُكَ فِيها ؟ فَقُلْتُ : هَذا واللهِ أَعْجَبُ مِنَ الأَوَّلِ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الشَّيْخِ ، قالَ : اجْتَمَعْتَ بِأَخِي فُلان ؟

قُلْتُ : نَعَم ، قالَ : فَما الَّذي قالَ لَكَ ؟ قُلْتُ : لا شَيْءَ . قالَ : لا بُدَّ أَنْ تَقُولَ لِي ؟ فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ما قالَ ، فَبَكَى طَوِيلًا وقالَ : (صَدَقَ أَخِي فُلانٌ ، هُوَ غَسَلَ اللهُ قَلْبَهُ مِنَ الدُّنْيا وجَعَلَها فِي يَدِهِ ، وعَلَى ظاهِرِهِ ، وأَنا أَخَذَها مِنْ يَدِي ، وعِنْدِي إِلَيْها بَقايا التَّطَلُّعِ) . واعْلَمْ أَنَّ (التَّصَوُّفَ) : مِنْ أَجَلِّ العُلُومِ قَدْرًا ، وأَعْظَمِها مَحَلًّا وفَخْرًا، وأَسْناها شَمْسًا وبَدْرًا ، وقَدْ فَضَّلَ اللهُ أَهْلَهُ عَلَى الكافَّةِ مِنْ عِبادِهِ بَعْدَ (رُسُلِهِ وأَنْبِيائِهِ) صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِم ، وجَعَلَ قُلُوبَهُم مَعْدِنَ الأَسْرارِ ، واخْتَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَّةِ بِطَوالِعِ الأَنْوارِ ، فَهُم الغِياثُ لِلْخَلْقِ ، والدَّائِرونَ فِي عُمُومِ أَحْوالِهِم مَعَ الحَقِّ ، قالَ الإمامُ (الطِّيبي) : (لا يَنْبَغِي للعالِمِ ولَوْ تَبَحَّرَ فِي العِلْمِ حَتَّى صارَ واحِدَ أَهْلِ زَمانِهِ أَنْ يَقْنَعَ بِما عَلِمَهُ وإِنَّما الواجِبُ عَلَيْهِ الاجْتِماعُ بِأَهْلِ الطَّرِيقِ لِيَدُلُّوهُ عَلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ حَتَّى يَكُونَ مِمَّنْ يُحَدِّثُهُمُ الحَقُّ فِي سَرائِرِهِم ، مِنْ شِدَّةِ صَفاءِ باطِنِهِمْ ، وحَتَّى يَخْلُصَ مِنَ الأَدْناسِ ، وعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَنِبَ ما شابَ عِلْمَهُ مِنْ كَدُوراتِ الهَوَى ، وحُظُوظِ نَفْسِهِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، حَتَّى يَسْتَعِدَّ لِفَيْضانِ العُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ عَلَى قَلْبِهِ ، والاقْتِباسِ مِنْ مِشْكاةِ أَنْوارِ النُّبُوَّةِ ، ولا يَتَيَسَّرُ ذَلِكَ عادَةً إِلَّا عَلَى يَدِ شَيْخٍ كامِلٍ عالِمٍ بِعِلاجِ أَمْراضِ النُّفُوسِ وتَطْهِيرِها مِنَ النَّجاساتِ المَعْنَوِيَّةِ ،

وحِكْمَةِ مُعامَلاتِها عِلْمًا وذَوْقًا ، لِيُخْرِجَهُ مِنْ رُعُوناتِ نَفْسِهِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ ودَسائِسِها الخَفِيَّة) .

فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الطَّرِيقِ عَلَى وُجُوبِ اتِّخاذِ الإنْسانِ شَيْخًا لَهُ يُرْشِدُهُ إِلَى زَوالِ تِلْكَ الصِّفاتِ الَّتي تَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ حَضْرَةِ اللهِ بِقَلْبِهِ لِيَصِحَّ حُضُورُهُ وخُشُوعُهُ فِي سائِرِ العِباداتِ مِنْ بابِ (ما لا يَتِمُّ الواجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ واجِبٌ) ، ولا شَكَّ أَنَّ عِلاجَ أَمْراضِ الباطِنِ واجِبٌ فَيَجِبُ عَلَى مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الأَمْراضُ أَنْ يَطْلُبَ شَيْخًا يُخْرِجُهُ مِنْ كُلِّ وَرْطَةٍ ، وإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي بَلَدِهِ أَوْ إِقْلِيمِهِ ، وَجَبَ عَلَيْهِ السَّفَرُ إِلَيْهِ ، وكانَ الإمامُ (أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل) رضي الله عنه يَقولُ لِوَلَدِهِ عَبْدِ الله :

(يا وَلَدِي عَلَيْكَ بِمُجالَسَةِ هَؤُلاءِ القَوْمِ ، فَإِنَّهُمْ زادُوا عَلَيْنا بِكَثْرَةِ العِلْمِ والمُراقَبَةِ والخَشْيَةِ والزُّهْدِ وعُلُوِّ الهِمَّة)

وكانَ الإمامُ الشَّافِعِيُّ وأَحْمَدُ يَتَرَدَّدانِ إِلَى مَجالِسِ الصُّوفِيَّةِ ويَحْضُرانِ مَعَهُم فِي مَجْلِسِ ذِكْرِهِم ، فَقِيلَ لَهُما : ما لَكُما تَتَرَدَّدانِ إِلَى مِثْلِ هَؤُلاءِ ؟! ؛ فَقالا : إِنَّ هَؤُلاءِ عِنْدَهُم رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّهِ ؛ وهُوَ تَقْوَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ومَحَبَّتُهُ ومَعْرِفَتُهُ .

وقَدْ قالَ بَعْضُ العارِفِينَ : (مَنْ يُؤْمِنُ بِكَلامِ أَهْلِ الطَّرِيقِ فَقُلْ لَهُ يَدْعُو لَكَ فَإِنَّهُ مُجابُ الدَّعْوَة) .

عِلْمُ التَّصَوُّف

يَنْبَغِي لِكُلِّ شارِعٍ فِي فَنٍّ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ ، لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ فِيهِ ، ولا يَحْصُلُ التَّصَوُّرُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ المَبادِئِ العَشَرَةِ المَذْكُورَةِ فِي قَوْلِ القائِلِ :

إِنَّ مَبادِئَ كُلِّ فَنٍّ عَشَرَهْ ۞ الحَدُّ والمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَهْ
وفَضْلُهُ ونِسْبَةٌ والواضِعْ ۞ والاسْمُ الاسْتِمْدادُ حُكْمُ الشَّارِعْ
مَسائِلٌ والبَعْضُ بِالبَعْضِ اكْتَفَى ۞ ومَنْ دَرَى الجَمِيعَ حازَ الشَّرَفا

(١) فَحَدُّ التَّصَوُّفِ : هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوالُ النَّفْسِ الإِنْسانِيَّةِ مَحْمُودُها ومَذْمُومُها ، وكَيْفِيَّةُ تَطْهِيرِها مِنَ المَذْمُومِ مِنْها ، وتَحْلِيَتِها بِالاتِّصافِ بِمَحْمُودِها ، وكَيْفِيَّةُ السُّلُوكِ والسَّيْرِ إِلَى اللهِ تَعالَى والفِرارِ إِلَيْهِ .

عِلْمُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ۞ إِلَّا أَخُو فِطْنَةٍ بِالحَقِّ مَعْرُوفُ
وكَيْفَ يَعْرِفُهُ مَنْ لَيْسَ يَشْهَدُهُ ۞ وكَيْفَ يَشْهَدُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مَكْفُوفُ ؟

(٢) ومَوْضُوعُهُ : أَفْعالُ القَلْبِ والحَواسِّ مِنْ حَيْثُ التَّزْكِيَةُ والتَّصْفِيَةُ .

(٣) وثَمَرَتُهُ : تَهْذِيبُ القُلُوبِ ، ومَعْرِفَةُ عَلَّامِ الغُيُوبِ ذَوْقًا ووِجْدانًا ، والنَّجاةُ فِي الآخِرَةِ والفَوْزُ بِرِضا اللهِ تَعالَى ، ونَيْلُ السَّعادَةِ الأَبَدِيَّةِ ،

وتَنْويرُ القَلْبِ وصَفاؤُه بحَيْثُ تَنْكَشِفُ لَهُ أُمُورٌ جَلِيلَةٌ ، ويَشْهَدُ أَحْوالًا عَجِيبَةً ، ويُعايِنُ ما عَمِيَتْ عَنْهُ بَصِيرَةُ غَيْرِه .

(٤) وفَضْلُهُ : أَنَّهُ أَشْرَفُ العُلُومِ لِتَعَلُّقِه بمَعْرِفَةِ اللهِ تعالَى وحُبِّهِ وهِيَ أَفْضَلُ التَّكالِيفِ والمَقاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى الإطْلاق .

(٥) ونِسْبَتُهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ العُلُوم : أَنَّهُ أَصْلٌ لَها وشَرْطٌ فِيها ، إِذْ لا عِلْمَ ولا عَمَلَ إِلَّا بقَصْدِ التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ ، فَنِسْبَتُهُ لَها كالرُّوحِ للجَسَد .

(٦) وواضِعُهُ : اللهُ تبارَكَ وتَعالَى ، أَوْحاهُ إِلَى رَسُولِه ﷺ والأَنْبِياءِ قَبْلَهُ ، فَإِنَّهُ رُوحُ الشَّرائعِ والأَدْيانِ المُنَزَّلَةِ كُلِّها .

واعْلَمْ أَنَّ هُنالِكَ ثَلاثَةَ أَلْفاظٍ قَدْ تَشْتَبِهُ عَلَى الجاهِلِ مَعانِيها ، ويَقَعُ اللَّبْسُ فِيها ، فَها نَحْنُ نُبَيِّنُها حَتَّى لا نَقَعَ فِيما وَقَعَ فِيهِ المُغْتَرُّونَ ، وهَذِهِ الأَلْفاظُ هِيَ : (الشَّرِيعَةُ ، والطَّرِيقَةُ ، والحَقِيقَةُ) .

فالشَّرِيعَةُ : وهِيَ الأَحْكامُ المُنَزَّلَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ والَّتي فَهِمَها العُلَماءُ مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ نَصًّا أَوِ اسْتِنْباطًا ، أَعْنِي الأَحْكامَ المُبَيَّنَةَ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ وعِلْمِ الفِقْهِ وعِلْمِ التَّصَوُّفِ .

والطَّرِيقَةُ : هِيَ العَمَلُ بالشَّرِيعَةِ ، والأَخْذُ بعَزائِمِها ، والبُعْدُ عَنِ التَّساهُلِ فِيما لا يَنْبَغِي التَّساهُلُ فِيهِ ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : اجْتِنابُ

المَنْهِيَّاتِ ظاهِرًا وباطِنًا ، وامْتِثالُ الأَوامِرِ الإِلَهِيَّةِ بقَدْرِ الطَّاقَةِ ، أَوْ هِيَ اجْتِنابُ المُحَرَّماتِ والمَكْرُوهاتِ وفُضُولِ المُباحاتِ ، وأَداءُ الفَرائِضِ وما اسْتَطاعَ مِنَ النَّوافِلِ تَحْتَ رِعايَةِ عارِفٍ مِنْ أَهْلِ النِّهايات .

أَمَّا الحَقِيقَةُ : فَهِيَ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسام :

الأَوَّل : رِقَّةُ الحِجابِ بَيْنَهُ وبَيْنَ ما آمَنَ بِه مِنَ ذاتِ اللهِ وصِفاتِه وجَلالِه وجَمالِه ، وقُرْبِه وأَقْرَبِيَّتِه ، وحَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وكَمالاتِ أَصْحابِها عَلَيْهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ ولا سِيَّما سَيِّدُهُم الأَعْظَم ﷺ ، وما أَخْبَرَ بِه ﷺ مِنْ نَعِيمِ القَبْرِ وعَذابِه ، والقِيامَةِ وأَهْوالِها ؛ والنَّارِ وما فِيها ، والجَنَّةِ ونَعِيمِها ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَيَكُونُ كَأَنَّهُ لَهُ مُعايِنٌ مُشاهِدٌ ، ويَتْبَعُ هَذا القِسْمَ أَحْوالٌ تَعْرِضُ لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ كالزُّهْدِ فِي الدُّنْيا ومَناصِبِها ، وشِدَّةِ الشَّوْقِ والهُيام ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَفْصِيلُهُ وسَيَأْتِي إِنْ شاءَ اللهُ كَثِيرٌ مِنْهُ ، ورُبَّما حَصَلَ مَعَ ذَلِكَ كَشْفٌ عَمَّا شاءَ اللهُ مِنَ العالَمِ العُلْوِيِّ أَوِ السُّفْلِيِّ وحَوادِثِه الماضِيَةِ أَوْ المُسْتَقْبَلَة .

ومِنْ هَذا القِسْمِ حَدِيثُ (حارِثَةَ بنِ مالِكٍ الأَنْصارِيِّ) رضي الله عنه حِينَ قالَ لَهُ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ : (كَيْفَ أَصْبَحْتَ يا حارِثَةُ ؟ قالَ أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، فَقالَ لَهُ : إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً ، فَما حَقِيقَةُ إِيمانِكَ ؟ ، وفي

رِوايَةٍ قالَ لَهُ ﷺ : اعْلَمْ ما تَقُولُ أَوْ انْظُرْ ما تَقُولُ .

فَقالَ : عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيا - أي أَعْرَضَتْ - فاسْتَوَى عِنْدِي حَجَرُها وذَهَبُها ، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وأَظْمَأْتُ نَهارِي وكَأَنِّي أَرَى عَرْشَ رَبِّي بارِزًا ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ يَتَزاوَرُونَ فِيها ، وكَأَنِّي أَسْمَعُ عُواءَ أَهْلِ النَّارِ فَقالَ لَهُ : عَرَفْتَ فالْزَمْ ، وفِي رِوايَةٍ أَنَّهُ ﷺ قالَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حارِثَةَ بنِ مالِك)[1] .

وهَذا القِسْمُ هُوَ أَعْلَى أَقْسامِها ، وأَشْرَفُ أَنْواعِها ، فَإِنَّهُ أَصْلٌ يَتَفَرَّعُ عَلَيْهِ القِسْمانِ الآخَرانِ ، وأَساسٌ يَنْبَنِيانِ عَلَيْه .

الثَّانِي : تَخَلِّي النَّفْسِ عَنْ رَذائِلِ الأَخْلاقِ ، وتَحَلِّيها بِالصِّفاتِ المَرْضِيَّةِ والأَخْلاقِ السَّنِيَّةِ ، بِحَيْثُ يَكُونُ راسِخَ القَدَمِ فِيها ، وتَكُونُ مَلَكاتٍ لَهُ .

الثَّالِثُ : تَيْسِيرُ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، وسُهُولَةُ أَفْعالِ الخَيْرِ عَلَيْهِ ، حَتَّى لا يَجِدَ فِيها مَشَقَّةً ولا كُلْفَةً ، بَلْ لَوْ أَرادَ أَنْ يَتْرُكَها لَمْ تُطاوِعْهُ نَفْسُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَدْ تَمَّ لَهُ انْشِراحُ الصَّدْرِ لِلإِسْلامِ ، واطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ كُلَّ الطُّمَأْنِينَةِ لِلبُعْدِ عَنْ مَحارِمِ اللهِ ، والقِيامِ بِأَوامِرِهِ ، وصَحَّتْ لَهُ حَقِيقَةُ الإِخْباتِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَلَكٌ فِي صُورَةِ إِنْسان .

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ والبَزَّارُ وغَيْرُهُما .

وإِذا فَهِمْنا هَذا عَرَفْنا أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا ذُكِرَ فِي تَعْرِيفِ الحَقِيقَةِ إِنَّما هُوَ بَيانٌ لِقِسْمٍ مِنْ أَقْسامِها أَوْ لِشَيْءٍ مِنْهُ ، وأَنَّ الحَقِيقَةَ ثَمَرَةُ الطَّرِيقَةِ وأَنَّهُ لا بُدَّ لِسالِكِ طَرِيقِ الآخِرَةِ مِنَ الجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الثَّلاثَةِ وعَدَمِ التَّعْطِيلِ لِشَيْءٍ مِنْها ، وذَلِكَ لأَنَّ الحَقِيقَةَ بِلا شَرِيعَةٍ باطِلَةٌ ، والشَّرِيعَةَ بِلا حَقِيقَةٍ عاطِلَةٌ .

وما زِلْنا نَذْكُرُ ونُكَرِّرُ قَوْلَ الإِمامِ (مالِكٍ) رضي الله عنه : (مَنْ تَشَرَّعَ ولَمْ يَتَحَقَّقْ فَقَدْ تَفَسَّقَ ، ومَنْ تَحَقَّقَ ولَمْ يَتَشَرَّعْ فَقَدْ تَزَنْدَقَ ، ومَنْ جَمَعَ بَيْنَهُما فَقَدْ تَحَقَّقَ) .

فَمَثَلُ الشَّرِيعَةِ كالسَّفِينَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّها سَبَبٌ لِلوُصُولِ إِلَى المَقْصِدِ والنَّجاةِ مِنَ الهَلاكِ ، والطَّرِيقَةُ مِثْلُ البَحْرِ الَّذِي فِيهِ الدُّرُّ مِنْ حَيْثُ إِنَّها مَحَلُّ المَقْصُودِ ، والحَقِيقَةُ مِثْلُ اللُّؤْلُؤِ العَظِيمِ ، فَلا يُوجَدُ اللُّؤْلُؤُ إِلَّا فِي البَحْرِ ولا يُوصَلُ لِذَلِكَ البَحْرِ إِلَّا بِالسَّفِينَةِ ؛ فَمَنْ نَظَرَ إِلَى حَقائِقِ الأَشْياءِ كُلِّها بِاللهِ وَجَدَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ والحَقِيقَةَ مُتَلازِمانِ تَلازُمَ الماءِ لِلْعُودِ والرُّوحِ لِلجَسَدِ ، والشَّرِيعَةُ شَجَرَةٌ والطَّرِيقَةُ أَغْصانُها والحَقِيقَةُ أَثْمارُها ، ولِذَلِكَ قِيلَ :

الشَّرِيعَةُ بابٌ ، والطَّرِيقَةُ آدابٌ ، والحَقِيقَةُ لُبابٌ أَيْ ثَمَراتٌ ونَتائِجُ .

وقيلَ أَيْضًا : (الشَّريعَةُ أَمْرٌ بِالْتِزام العُبُودِيَّةِ ، والحَقِيقَةُ مُشاهَدَةُ الرُّبُوبِيَّةِ (أَيْ رُؤْيَتُها بِالقَلْبِ) ، ويُعَبَّرُ عَنْ ذَلِكَ : بِأَنَّ الشَّريعَةَ مَعْرِفَةُ السُّلُوكِ إِلَى اللهِ تَعالَى ، والحَقِيقَةَ دَوامُ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، والطَّرِيقَةَ سُلُوكُ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ أَيْ العَمَلُ بِمُقْتَضاها .

وثَمَّةَ إِشْراقَةٌ وَضِيئَةٌ تَزِيدُ الأَمْرَ وُضُوحًا فِيما يَتَعَلَّقُ بـ (الشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ والحَقِيقَةِ) وهُوَ ما أَظْهَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ عِيسَى حَيْثُ يَقُولُ : لَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ سَيِّدِنا (جِبْرِيلَ) عليه السلام المَشْهُورِ الَّذي يَرْوِيهِ سَيِّدُنا (عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ) رضي الله عنه ، تَقْسِيمُ الدِّينِ إِلَى ثَلاثَةِ أَرْكانٍ بِدَلِيلِ قَوْلِ سَيِّدِنا (رَسُولِ اللهِ) ﷺ لِسَيِّدِنا عُمَرَ : (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم) :

أ - رُكْنُ الإِسْلام : وهُوَ الجانِبُ العَمَلِيُّ مِنْ عِباداتٍ ومعامَلاتٍ وأُمُورٍ تَعَبُّدِيَّةٍ ومَحَلُّهُ الأَعْضاءُ الظَاهِرَةُ الجِسْمانِيَّةُ ، وقَدِ اصْطَلَحَ العُلَماءُ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالشَّرِيعَةِ ، واخْتَصَّ بِدِراسَتِهِ السَّادَةُ الفُقَهاءُ .

ب - رُكْنُ الإِيمان : وهُوَ الجانِبُ الاعْتِقادِيُّ القَلْبِيُّ مِنْ إِيمانٍ بِاللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ والقَضاءِ والقَدَرِ ، وقَدِ اخْتَصَّ بِدِراسَتِهِ السَّادَةُ عُلَماءُ التَّوْحِيد .

ج - رُكْنُ الإِحْسان : وهُوَ الجانِبُ الرُّوحِيُّ القَلْبِيُّ ، وهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ ، وما يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَحْوالٍ وأَذْواقٍ وِجْدانِيَّةٍ ومَقاماتٍ عِرْفانِيَّةٍ وعُلُومٍ وَهْبِيَّةٍ ، وقَدِ اصْطَلَحَ العُلَماءُ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالحَقِيقَةِ ، واخْتَصَّ بِبَحْثِهِ السَّادَةُ الصُّوفِيَّةُ .

ولِتَوْضِيحِ الصِّلَةِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ نَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا ، الصَّلاةُ : فالإِتْيانُ بِحَرَكاتِها وأَعْمالِها الظَّاهِرَةِ والْتِزامُ أَرْكانِها وشُرُوطِها وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَهُ عُلَماءُ الفِقْهِ يُمَثِّلُ جانِبَ الشَّرِيعَةِ وهُوَ جَسَدُ الصَّلاةِ ، وحُضُورُ القَلْبِ مَعَ اللهِ تَعالَى فِي الصَّلاةِ يُمَثِّلُ جانِبَ الحَقِيقَةِ ، وهُوَ رُوحُ الصَّلاةِ ، فَأَعْمالُ الصَّلاةِ البَدَنِيَّةِ هِيَ جَسَدُها ، والخُشُوعُ رُوحُها ، وما فائِدَةُ الجَسَدِ بِلا رُوحٍ ؟ وكَما أَنَّ الرُّوحَ تَحْتاجُ إِلَى جَسَدٍ تَقُومُ فِيهِ فَكَذَلِكَ الجَسَدُ يَحْتاجُ إِلَى رُوحٍ يَقُومُ بِها .

ولِهَذا قالَ تَعالَى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [١] .

ولا تَكُونُ الإِقامَةُ إِلَّا بِجَسَدٍ ورُوحٍ ، ولِذا لَمْ يَقُلْ أَوْجِدوا الصَّلاةَ ، ومِنْ هُنا نُدْرِكُ التَّلازُمَ الوَثِيقَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ كَتَلازُمِ الرُّوحِ والجَسَدِ ، والمُؤْمِنُ الكامِلُ هُوَ الَّذي يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ ،

(١) سُورَةُ البَقَرَة : آيَة ٤٣ .

وهذا هُوَ تَوْجِيهُ الصُّوفِيَّةِ للنَّاسِ ، مُقْتَفِينَ بذَلِكَ أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ وأَصْحابِهِ الكِرامِ ، وللوُصُولِ إِلَى هَذا المَقامِ الرَّفِيعِ والإيمانِ الكامِلِ لا بُدَّ للإِنْسانِ مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ ، وهِيَ مُجاهَدَةُ النَّفْسِ وتَصْعِيدُ صِفاتِها النَّاقِصَةِ إِلَى كامِلَةٍ ، والتَّرَقِّي فِي مَقاماتِ الكَمالِ بِصُحْبَةِ المُرْشِدِينَ ، فَهِيَ الجِسْرُ المُوصِلُ مِنَ الشَّرِيعَةِ إِلَى الحَقِيقَةِ[1] ولا أَظُنُّ أَنَّ ساداتِنا الَّذِينَ تَحَدَّثُوا تَرَكُوا مَجالًا لِلزِّيادَةِ أَوِ التَّوْضِيحِ ، فالشَّرِيعَةُ هِيَ الأَساسُ ، والطَّرِيقَةُ هِيَ الوَسِيلَةُ ، والحَقِيقَةُ هِيَ الثَّمَرَةُ ، وهِيَ أَشْياءُ مُتَكامِلَةٌ مُنْسَجِمَةٌ ، فالتَّمَسُّكُ بالشَّرِيعَةِ يُؤَدِّي إِلَى السُّلُوكِ عَلَى الثَّانِيَةِ ويَصِلُ إِلَى الثَّالِثَةِ ، وأَمَّا الاصْطِلاحاتُ فَبِالإِمْكانِ حَذْفُها أَوْ وَضْعُ غَيْرِها ، فَالأَمْرُ لا يُغَيِّرُ شَيْئًا ولا مُشاحَّةَ فِي الاصْطِلاحِ .

(٧) أَمَّا اسْمُ عِلْمِ التَّصَوُّفِ : فَدِلالَةٌ عَلَى جَوْهَرِهِ ومَرْماهُ وهُوَ الصَّفاءُ ، والصُّوفِيُّ : مَنْ صَفا قَلْبُهُ مِنَ الكَدَرِ ، وامْتَلأَ مِنَ العِبَرِ ، واسْتَوَى عِنْدَهُ الذَّهَبُ والمَدَرُ ، قالَ بَعْضُ العارِفِينَ :

يا واصِفِي أَنْتَ فِي التَّحْقِيقِ مَوْصُوفِي ❁ وعارِفِي لا تُغالِطْ أَنْتَ مَعْرُوفِي

إِنَّ الفَتَى مَنْ بِعَهْدِهِ فِي الأَزَلِ يُوفِي ❁ صافَى فَصُوفِيَ لِهَذا سُمِّيَ الصُّوفِي

(١) حَقائِقُ عَنِ التَّصَوُّفِ (عَبْدُ القادِرِ عِيسَى) ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

وأُصُولُ التَّصَوُّفِ خَمْسَةٌ :

الأَوَّلُ : تَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ والعَلانِيَةِ ، وتَتَحَقَّقُ بالوَرَعِ والاسْتِقامَةِ .

الثَّانِي : اتِّباعُ السُّنَّةِ فِي الأَقْوالِ والأَفْعالِ ، ويَتَحَقَّقُ بالحِفْظِ وحُسْنِ الخُلُقِ .

الثَّالِثُ : الإِعْراضُ عَنِ الخَلْقِ فِي الإِقْبالِ والإِدْبارِ ، ويَتَحَقَّقُ بالصَّبْرِ والتَّوَكُّلِ .

الرَّابِعُ : الرِّضا عَنِ اللهِ فِي القَلِيلِ والكَثِيرِ ، ويَتَحَقَّقُ بالقَناعَةِ والتَّفْوِيضِ .

الخامِسُ : الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، ويَتَحَقَّقُ بالشُّكْرِ فِي السَّرَّاءِ والالْتِجاءِ إِلَيْهِ فِي الضَّرَّاءِ .

(٨) واسْتِمْدادُ عِلْمِ التَّصَوُّفِ : مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ والآثارِ الثَّابِتَةِ عَنْ خَواصِّ الأُمَّةِ .

(٩) وحُكْمُ الشَّارِعِ فِيهِ : هُوَ الوُجُوبُ العَيْنِيُّ : إِذْ لا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْ عَيْبٍ أَوْ مَرَضٍ قَلْبِيٍّ ؛ إِلَّا الأَنْبِياءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، قالَ بَعْضُ العارِفِينَ :

(مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذا العِلْمِ أَيِ التَّصَوُّفِ - أَخافُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الخاتِمَةِ ، وأَدْنَى النَّصِيبِ مِنْهُ التَّصْدِيقُ بِهِ وتَسْلِيمُهُ لأَهْلِهِ) .

(١٠) ومَسائِلُهُ : قَضاياهُ الباحِثَةُ عَنْ صِفاتِ القُلُوبِ ، ويَتْبَعُ ذَلِكَ شَرْحُ الكَلِماتِ الَّتِي تُتَداوَلُ بَيْنَ القَوْمِ ، كالزُّهْدِ والوَرَعِ والمَحَبَّةِ والفَناءِ والبَقاءِ .

بَيانُ مَنْ هُمُ الأَوْلِياء ، وَدَوامِ نَفْعِهِمْ مَوْتَى وأَحْياء

الأَوْلِياءُ هُم العارِفُونَ بِاللَّهِ تَعالَى حَسْبَما يُمْكِنُ ، المُواظِبُونَ عَلَى الطَّاعاتِ ، المُجْتَنِبُونَ لِلْمَعاصِي ، المُعْرِضُونَ عَنْ الانْهِماكِ فِي الشَّهَواتِ .

وهُمْ رضي الله عنهم أَنْواعٌ :

(١) فَمِنْهُمْ مَنْ لا يَحْصُرُهُ عَدَدٌ كَما يُشِيرُ إِلَيْهِ الحَدِيثُ الشَّرِيفُ : (سَبَقَ المُفَرِّدُونَ ، قالُوا ومَنِ المُفَرِّدُونَ يا رَسُولَ اللَّه ؟ قالَ : الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِرات)[١] ، وفِي رِوايَةٍ : (يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُم أَثْقالَهُم فَيَأْتُونَ يَوْمَ القِيامَةِ فِي مِثْلِ ظُلَلِ الغَمام) .

قالَ مُجاهِد : (لا يَكُونُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِراتِ حَتَّى يَذْكُرَ اللَّهَ قائِمًا وقاعِدًا ومُضْطَجِعًا) .

(٢) ومِنْهُمْ مَنْ يَحْصُرُهُ عَدَدٌ : فَعَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ) رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ فِي الخَلْقِ ثَلاثَمِئَةِ نَفْسٍ قُلُوبُهُم عَلَى قَلْبِ إِبْراهِيمَ عليه السلام ، ولِلَّهِ فِي الخَلْقِ أَرْبَعُونَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ مُوسَى عليه السلام ولِلَّهِ فِي الخَلْقِ خَمْسَةٌ قُلُوبُهُم عَلَى قَلْبِ جِبْرِيلَ عليه السلام ، ولِلَّهِ فِي الخَلْقِ ثَلاثَةٌ قُلُوبُهُم عَلَى قَلْبِ مِيكائِيلَ عليه السلام ، ولِلَّهِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه .

فِي الخَلْقِ واحِدٌ قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ إِسْرافِيلَ عليه السلام ، فَإِذا ماتَ الواحِدُ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكانَهُ مِنَ الثَّلاثَةِ ، وإِذا ماتَ مِنَ الثَّلاثَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكانَهُ مِنَ الخَمْسَةِ ، وإِذا ماتَ مِنَ الخَمْسَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكانَهُ مِنَ السَّبْعَةِ ، وإِذا ماتَ مِنَ السَّبْعَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكانَهُ مِنَ الأَرْبَعِينَ ، وإِذا ماتَ مِنَ الأَرْبَعِينَ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكانَهُ مِنَ الثَّلاثِمِئَةِ ، وإِذا ماتَ مِنَ الثَّلاثِمِئَةِ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكانَهُ مِنَ العامَّةِ ، فَبِهِمْ يُحْيِي ويُمِيتُ ، ويُمْطِرُ ويُنْبِتُ ، ويَدْفَعُ البَلاءَ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُود : كَيْفَ بِهِم يُحْيِي ويُمِيتُ ؟ قالَ : لأَنَّهُم يَسْأَلُونَ اللَّهَ إِكْثارَ الأُمَمِ فَيُكَثَّرُونَ ، ويَدْعُونَ عَلَى الجَبابِرَةِ فَيُقْصَمُونَ ، ويَسْتَسْقُونَ فَيُسْقَوْنَ ويَسْأَلُونَ فَتُنْبِتُ الأَرْضُ ، ويَدْعُونَ فَيُدْفَعُ بِهِمْ أَنْواعُ البَلاء)[١] .

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم : (خِيارُ أُمَّتِي فِي كُلِّ قَرْنٍ خَمْسُمِئَة) ، وهَؤُلاءِ لا يَنْقُصُونَ عَنِ العَدَدِ الَّذِي عَلِمْناهُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ المُشارُ إِلَيْهِ فِي حَدِيث : (لَنْ تَزالَ طائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ظاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّه)[٢] ، وهُوَ الرِّيحُ اللَّيِّنَةُ الَّتِي يُقْبَضُ فِيها كُلُّ إِنْسانٍ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ وحِينَئِذٍ تَكُونُ السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم وابنُ عَساكِر وغَيْرُهُما مِنْ أَئِمَّةِ الحَدِيث .
(٢) أَخْرَجَهُ الشَّيْخان .

وأَمَّا فَضْلُ الأَوْلياءِ وثُبُوتُ كَراماتِهِمْ فَثابِتٌ مِنَ الكِتابِ والسُّنَّة :

قالَ اللهُ تعالَى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١) .

وقالَ ﷺ : (إِنَّ مِنْ عِبادِ اللهِ عِبادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِياءُ والشُّهَداءُ ، قِيلَ مَنْ هُمْ يا رَسُولَ اللهِ لَعَلَّنا نُحِبُّهُمْ ؟ قالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحابَّوْا بِنُورِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَمْوالٍ وأَنْسابٍ ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ ، وهُمْ عَلَى مَنابِرَ مِنْ نُورٍ لا يَخافُونَ إِذا خافَ النَّاسُ ، ولا يَحْزَنُونَ إِذا حَزِنَ النَّاسُ) ثُمَّ تَلا ﷺ الآيَةَ المَذْكُورَة (٢) .

وظُهُورُ الكَراماتِ عَلَى الأَوْلِياءِ جائِزٌ عَقْلًا وواقِعٌ نَقْلًا :

أَمَّا جَوازُهُ عَقْلًا ، فَلِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعالَى ، بَلْ هُوَ مِنْ قَبِيلِ المُمْكِناتِ ، كَظُهُورِ مُعْجِزاتِ الأَنْبِياءِ ، ولا يَلْزَمُ مِنْ جَوازِها ووُقُوعِها مُحالٌ ، وكُلُّ ما هَذا شَأْنُهُ فَهُوَ جائِزُ الوُقُوعِ ، وهِيَ ثابِتَةٌ لَهُمْ فِي الحَياةِ وبَعْدَ المَوْتِ كَما ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، ولَيْسَ فِي مَذْهَبٍ مِنَ المَذاهِبِ الأَرْبَعَةِ قَوْلٌ بِنَفْيِها بَعْدَ المَوْتِ ، بَلْ ظُهُورُها حِينَئِذٍ أَوْلَى ، لأَنَّ النَّفْسَ حِينَئِذٍ صافِيَةٌ مِنَ الأَكْدارِ ، ولِذا قِيلَ : مَنْ

(١) سُورَةُ يُونُس : الآيَة ٦٢ .

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسائي وابنُ ماجه فِي صَحِيحِه .

لَمْ تَظْهَرْ كَرامَتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ كَما كانَتْ فِي حَياتِهِ فَلَيْسَ بِصادِقٍ .

والكَرامَةُ : أَمْرٌ خارِقٌ للعادَةِ ، غَيْرُ مَقْرُونٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ ولا هُوَ مُقَدِّمَةٌ لَها ، يَظْهَرُ عَلَى يَدِ عَبْدٍ ظاهِرِ الصَّلاحِ ، مُلْتَزِمٍ لِمُتابَعَةِ نَبِيٍّ كُلِّفَ بِشَرِيعَتِهِ ، مَصْحُوبٍ بِصَحِيحِ الاعْتِقادِ والعَمَلِ الصَّالِحِ ، عَلِمَ بِها أَوْ لَمْ يَعْلَمْ .

والوَلِيُّ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ إِذِ العِصْمَةُ لِلنَّبِيِّ لا لِلوَلِيِّ ، بَلْ هُوَ مَحْفُوظٌ ، ومَعْنَى الحِفْظِ فِي حَقِّهِ أَنَّهُ لا يَفْعَلُ مَعْصِيَةً ، وإِنْ فَعَلَها نَدِمَ فَوْرًا وتابَ تَوْبَةً تامَّةً وعَرَفَ زَلَّةَ نَفْسِه .

وأَمَّا مَنْ دامَ فِعْلُهُ لِلمَعْصِيَةِ ، أَوْ كانَ الأَغْلَبَ عَلَيْهِ فَلَيْسَ مِنْ هَؤُلاءِ القَوْمِ ، ولا مِنْ أَتْباعِهِم ، ولَمْ يَشُمَّ شَيْئًا مِنْ رَوائِحِ إِخْوانِهِم .

(١) وأَمَّا وُقُوعُ الكَرامَةِ نَقْلًا فَمِنْهُ أَوَّلًا : ما جاءَ فِي الكِتابِ العَزِيزِ : مِنْ قِصَّةِ السَّيِّدَةِ (مَرْيَمَ) ووِلادَتِها سَيِّدَنا (عِيسَى) عَلَيْهِ السَّلام مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ وما وَقَعَ لَها فِي كَفالَةِ سَيِّدِنا (زَكَرِيَّا) عَلَيْهِ السَّلام قالَ تَعالَى :

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ (١) .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيَة ٣٧ .

وكانَ لا يَدْخُلُ عَلَيْها غَيْرُهُ ، وإذا خَرَجَ مِنْ عِنْدِها أَغْلَقَ عَلَيْها الأَبْوابَ ، وكانَ يَجِدُ عِنْدَها فاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتاءِ ، وفاكِهَةَ الشِّتاءِ فِي الصَّيْفِ . وكَذَلِكَ هَزُّ السَّيِّدَةِ (مَرْيَمَ) جِذْعَ النَّخْلَةِ اليابِسِ ، فاخْضَرَّ وتَساقَطَ مِنْهُ الرُّطَبُ الجَنِيُّ فِي غَيْرِ أَوانِهِ ، قالَ تَعالَى :

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (١) .

(٢) قِصَّةُ أَصْحابِ الكَهْفِ : وهُمْ جَماعَةٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ خافُوا عَلَى إِيمانِهِم مِنْ مَلِكِهِمْ فَخَرَجُوا ودَخَلُوا غارًا فَلَبِثُوا بِلا طَعامٍ ولا شَرابٍ ثَلاثَمِئَةِ سَنَةٍ وتِسْعَ سِنِينَ نِيامًا بِلا آفَةٍ ، قالَ تَعالَى : ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ (٢) .

(٣) قِصَّةُ آصِف بن بَرْخِيا وَزِيرِ سَيِّدِنا (سُلَيْمان) عليه السلام فِي عَرْشِ بَلْقِيس : وهِيَ لَمَّا رَجَعَتْ رُسُلُ بَلْقِيسَ إِلَيْها مِنْ عِنْدِ سَيِّدِنا سُلَيْمان قالَتْ لَهُم : قَدْ عَرَفْتُ واللهِ ما هَذا بِمَلِكٍ وما لَنا بِهِ مِنْ طاقَةٍ ، فَبَعَثَتْ إِلَى سُلَيْمانَ : إِنِّي قادِمَةٌ إِلَيْكَ بِمُلُوكِ قَوْمِي ؛ حَتَّى أَنْظُرَ ما أَمْرُكَ ، وما تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ دِينِكَ ، ثُمَّ أَمَرَتْ بِعَرْشِها ، فَجَعَلَتْهُ داخِلَ سَبْعَةِ أَبْوابٍ

(١) سُورَةُ مَرْيَم : الآيَة ٢٥ .
(٢) سُورَةُ الكَهْف : مِنْ آيَة ١٦ إِلَى ٢٥ .

داخِلَ القَصْرِ ، وقَصْرُها داخِلَ سَبْعَةِ قُصُورٍ ، وأَغْلَقَتِ الأَبْوابَ ، وجَعَلَتْ عَلَيْها حُرَّاسًا يَحْفَظُونَهُ ، ثُمَّ قالَتْ لِمَنْ خَلَّفَتْ عَلَى سُلْطانِها : احْتَفِظْ بِما وَكَّلْتُكَ بِسَرِيرِ مُلْكِي لا يَخْلُصْ إِلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى آتِيكَ ، ثُمَّ أَمَرَتْ مُنادِيًا يُنادِي فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِها تُؤْذِنُهُمْ بِالرَّحِيلِ ، وتَجَهَّزَتْ لِلمَسِيرِ فِي اثْنَي عَشَرَ أَلْفًا مِنْ مُلُوكِ اليَمَنِ ، تَحْتَ كُلِّ مَلِكٍ أُلُوفٌ كَثِيرَةٌ ، وكانَ سُلَيْمانُ عليه السلام رَجُلاً مَهِيبًا لا يُبْتَدَأُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذي يَسْأَلُ عَنْهُ ، فَخَرَجَ يَوْمًا فَخَرَجَ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ فَرَأَى رَهَجًا(١) قَرِيبًا مِنْهُ فَقالَ : ما هَذا ؟ فَقِيلَ لَهُ : بَلْقِيسُ وقَدْ نَزَلَتْ مِنَّا عَلَى مَسِيرَةِ فَرْسَخٍ ، فَأَقْبَلَ سَيِّدُنا سُلَيْمانُ حِينَئِذٍ عَلَى جُنُودِهِ وقالَ لَهُمْ : ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ (٢).

وذَلِكَ لِيُرِيَها قُدْرَةَ اللهِ تَعالَى بِبَعْضِ ما خَصَّهُ مِنَ العَجائِبِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظَمِ القُدْرَةِ وصِدْقِهِ فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ بِمُعْجِزَةٍ يَأْتِي بِها فِي عَرْشِها :

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (٣) هُوَ المارِدُ القَوِيُّ ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ (٤) الَّذِى تَجْلِسُ فِيهِ لِلقَضاءِ ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ ، أَيْ

(١) الرَّهَج : الغُبار .
(٢)،(٣)،(٤) سُورَةُ النَّمْل : الآيَة ٣٨ . ٣٩ .

عَلَى الإتْيانِ بِهِ سالِمًا ﴿لَقَوِىٌّ﴾ عَلَى حَمْلِهِ ﴿أَمِينٌ﴾ عَلَى ما فِيهِ مِنَ الجَواهِرِ وغَيْرِها ؛ قالَ سَيِّدُنا سُلَيْمانُ ﵇ : أُرِيدُ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ (١) وهُوَ آصِفُ بنُ بَرْخِيا كاتِبُ سُلَيْمانَ وكانَ صِدِّيقًا عالِمًا باسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ، أَيْ يَرْجِعَ بَصَرُكَ ثُمَّ قالَ لِسَيِّدِنا سُلَيْمانَ مُدَّ عَيْنَيْكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ طَرْفُكَ فَمَدَّ سُلَيْمانُ عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ نَحْوَ اليَمِينِ ، ودَعا آصِفُ فَبَعَثَ اللهُ تَعالَى المَلائِكَةَ فَحَمَلُوا السَّرِيرَ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ يَجِدُّونَ جِدًّا حَتَّى انْحَرَفَتِ الأَرْضُ بِالسَّرِيرِ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمانَ بِقُدْرَةِ اللهِ وكانَتِ المَسافَةُ شَهْرَيْنِ مِنَ اليَمَنِ إِلَى فَلَسْطِينَ ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ سُلَيْمانُ ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ﴾ شاكِرًا لِرَبِّهِ لِما آتاهُ اللهُ مِنْ هَذِهِ الخَوارِقِ ﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ (٢) .

(ثانِيًا) ما أَكَّدَتْهُ السُّنَّةُ الصَّحِيحَة :

١ - قِصَّةُ (جُرَيْجٍ) العابِدِ الَّذي كَلَّمَهُ الطِّفْلُ فِي المَهْدِ ، وهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ (البُخارِيُّ) و (مُسْلِمٌ) فِي صَحِيحَيْهِما .

٢ - قِصَّةُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الغارَ ، وانْفِراجُ الصَّخْرَةِ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ

(١)،(٢) سُورَةُ النَّمْل : الآيَة ٤٠ .

سَدَّتْ عَلَيْهِم البابَ ، وهُوَ حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْه .

٣ - قِصَّةُ البَقَرَةِ الَّتِي كَلَّمَتْ صاحِبَها ، وهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ ، فَقَدْ رَوَى سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : (بَيْنَما رَجُلٌ راكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ قَدْ حَمَلَ عَلَيْها ، فالتَفَتَتْ إِلَيْهِ البَقَرَةُ فَقالَت : لَمْ أُخْلَقْ لِهَذا ، وإِنَّما خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ ، فَقالَ النَّاسُ : سُبْحانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَتَكَلَّم ! فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : آمَنْتُ بِهَذا أَنا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ) (١) .

ثالِثًا : ما دَلَّتْ عَلَيْهِ آثارُ الصَّحابَةِ الكِرام :

١ - قِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ ﵁ مَعَ أَضْيافِهِ فِي تَكْثِيرِ الطَّعامِ ، حَتَّى صارَ بَعْدَ الأَكْلِ أَكْثَرَ مِمَّا كانَ ، وهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فِي البُخارِي .

٢ - قِصَّةُ عُمَرَ ﵁ ، وهُوَ عَلَى مِنْبَرِ المَدِينَةِ يُنادِي بِقائِدِهِ : يا سارِيَةُ الجَبَلَ الجَبَلَ ! وهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

٣ - قِصَّةُ عُثْمانَ ﵁ ، مَعَ الرَّجُلِ الَّذى دَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرَهُ عَمَّا أَحْدَثَ فِي طَرِيقِهِ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى المَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ ، والحَدِيثُ كَما ذَكَرَهُ

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتابِ المُزارَعَةِ ، ومُسْلِمٌ فِي كِتابِ فَضائِلِ الصَّحابَةِ ، والتِّرْمِذِيُّ فِي كِتابِ المَناقِبِ .

التَّاجُ السُّبْكِي فِي الطَّبَقاتِ وغَيْرُه :

(أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلٌ ، كانَ قَدْ لَقِيَ امْرَأَةً فِي الطَّرِيقِ ، فَتَأَمَّلَها ، فَقالَ لَهُ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ ، وفِي عَيْنَيْهِ أَثَرُ الزِّنا ؟ فَقالَ الرَّجُلُ : أَوَحْيٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قالَ : لا ، ولَكِنَّها فِراسَةُ المُؤْمِنِ) .

٤ - سَماعُ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَلامَ المَوْتَى ، كَما أَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ قالَ : (دَخَلْنا مَقابِرَ المَدِينَةِ مَعَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَنَادَى : يا أَهْلَ القُبُورِ السَّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللهِ ، تُخْبِرُونَنا بِأَخْبارِكُمْ أَمْ نُخْبِرُكُمْ ؟ قالَ : فَسَمِعْنا صَوْتًا : وعَلَيْكُمُ السَّلامُ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُه يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، خَبِّرْنا عَمَّا كانَ بَعْدَنا ، فَقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَمَّا أَزْواجُكُمْ فَقَدْ تَزَوَّجْنَ ، وأَمَّا أَمْوالُكُمْ فَقَدِ اقْتُسِمَتْ ، والأَوْلادُ قَدْ حُشِرُوا فِي زُمْرَةِ اليَتامَى ، والبِناءُ الَّذى شَيَّدْتُمْ فَقَدْ سَكَنَهُ أَعْداؤُكُمْ ، فَهَذِهِ أَخْبارُ ما عِنْدَنا ، فَما أَخْبارُ ما عِنْدَكُمْ ؟ فَأَجابَهُ مَيِّتٌ : قَدْ تَخَرَّقَتِ الأَكْفانُ ، وانْتَثَرَتِ الشُّعُورُ ، وتَقَطَّعَتِ الجُلُودُ ، وسالَتِ الأَحْداقُ عَلَى الخُدُودِ ، وسالَتِ المَناخِرُ بِالقَيحِ والصَّدِيدِ ، وما قَدَّمْناهُ وَجَدْناهُ وما خَلَّفْناهُ خَسِرْناهُ ، ونَحْنُ مُرْتَهَنُون .

٥ - قِصَّةُ عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ وأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما اللَّذَيْنِ أَضاءَتْ لَهُما عَصا أَحَدِهِما فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وذَلِكَ عِنْدَما خَرَجَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذا افْتَرَقَتْ بِهِما الطَّرِيقُ أَضاءَتْ لِلآخَرِ عَصاهُ ، فَمَشَى كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما فِي ضَوْءِ عَصاهُ حَتَّى بَلَغَ أَهْلَهُ ، وهُوَ حَدِيثٌ صَحِيح .

٦ - قِصَّةُ خُبَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِطْفِ العِنَبِ الَّذى وُجِدَ فِي يَدِهِ يَأْكُلُهُ فِي غَيْرِ أَوانِهِ ، وهُوَ حَدِيثٌ فِي صَحِيحِ البُخارِي .

٧ - قِصَّةُ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص وسَعِيدِ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، وهِيَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُما دَعا عَلَى مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ ، فاسْتُجِيبَ لَهُ ، أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ومُسْلِمٌ .

٨ - قِصَّةُ عُبُورِ العَلاءِ بنِ الحَضْرَمِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البَحْرَ عَلَى فَرَسِهِ ، ونَبْعِ الماءِ مِنْ تَحْتِ رَمْلَةٍ بِدُعائِهِ ، أَخْرَجَهُ ابنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقات .

٩ - قِصَّةُ خالِد بنِ الوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي شُرْبِهِ السُّمَّ ولَمْ يَضُرَّهُ شَيْئًا ، أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ وأَبُو نُعَيْم والطَّبَرانِيُّ وابْنُ سَعْدٍ بِإِسْنادٍ صَحِيح .

١٠ - إِضاءَةُ أَصابِعِ حَمْزَةَ الأَسْلَمِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ[١] .

١١ - قِصَّةُ أُمِّ أَيْمَنَ وكَيْفَ عَطِشَتْ فِي طَرِيقِ هِجْرَتِها ، فَنَزَلَ عَلَيْها دَلْوٌ مِنَ السَّماءِ فَشَرِبَتْ .

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ .

١٢ - سَماعُ بَعْضِ الصَّحابَةِ سُورَةَ المُلْكِ ، مِنْ قَبْرٍ بَعْدَ أَنْ ضُربَ خِباءٌ فَوْقَهُ(١) .

١٣ - تَسْبيحُ القَصْعَةِ الَّتي أَكَلَ مِنْها سَلْمانُ الفارِسِيُّ وأَبو الدَّرْداءِ رضي الله عنهما وسَماعُهُما التَّسْبيحَ (٢) .

١٤ - قِصَّةُ سَفينَةَ رضي الله عنه مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ الأَسَدِ وكَيْفَ طَأْطَأَ رَأْسَهُ عِنْدَما خاطَبَهُ قائِلًا : أَنا مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

هَذا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ ، وقَليلٌ مِنْ كَثيرٍ مِمَّا وَرَدَ عَنْ كَراماتِ صَحابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

ثُمَّ تَوالَى وُرُودُ الكَراماتِ الكَثيرَةِ عَلَى يَدِ الأَوْلِياءِ فِي عَهْدِ التَّابِعينَ وتابِعِي التَّابِعينَ إِلَى يَوْمِنا هَذا ، مِمَّا يَصْعُبُ عَدُّهُ ، ويَضِيقُ حَصْرُهُ ؛ وقَدْ أَلَّفَ العُلَماءُ فِي ذَلِكَ مُجَلَّداتٍ كَثيرَةً ، وصَنَّفَ أَكابِرُ الأَئِمَّةِ مِنْهُمْ مُصَنَّفاتٍ فِي إِثْباتِ الكَرامَةِ للأَوْلِياءِ مِنْهُمْ : فَخْرُ الدِّينِ الرَّازي ، وأَبُو بَكْرٍ الباقَلَّاني ، وإِمامُ الحَرَمَيْنِ ، وأَبُو بَكْرِ بنُ فُورَك ، وحُجَّةُ الإِسْلام الغَزالِي ، وناصِرُ الدِّين البَيْضاوي ، وحافِظُ الدِّين النَّسَفِي ، وتاجُ الدِّينِ السُّبْكِي ، وأَبُو بَكْرٍ الأَشْعَري وأَبُو القاسِم القُشَيْري ،

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذيُّ في باب فَضائِلِ القُرْآن .
(٢) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ وأَبو نُعَيْم .

والنَّوَوِيُّ ، وعَبْدُ اللهِ اليافِعِيُّ ، ويُوسُفُ النَّبهانِي ، وغَيْرُهُمْ مِنَ العُلَماءِ المُحَقِّقِينَ الَّذِينَ لا يُحْصَى عَدَدُهُمْ ، وصارَ ذَلِكَ عِلْمًا قَوِيًّا ويَقِينًا ثابِتًا ، لا تَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الشُّكُوكُ أَو الشُّبُهاتُ ، ولا يُنْكِرُهُ إِلَّا المَحْرُومُ المَطْرُودُ عَنْ بابِ الفَضْلِ والإِحْسانِ ، قالَ الإِمامُ اللَّقَّانِي :

وأَثْبِتَنْ لِلأَوْلِيا الكَرامَة ❁ ومَنْ نَفاها فانْبِذَنْ كَلامَه

أَي اطْرَحْ كَلامَ مَنْ يَنْفِيها مِنْ بَعْضِ المُعْتَزِلَةِ ، ومَنْ جَرَى عَلَى طَرِيقَتِهِمْ .

وقَدْ يَتَساءَلُ سائِلٌ : لِماذا كانَتْ كَراماتُ الصَّحابَةِ عَلَى كَثْرَتِها أَقَلَّ مِنْ كَراماتِ الأَوْلِياءِ الَّذِينَ جاءُوا بَعْدَ عَصْرِ الصَّحابَةِ ؟! ويُجِيبُ عَلَى ذَلِكَ تاجُ الدِّين السُّبْكِي فِي الطَّبَقاتِ بِقَوْلِهِ : (الجَوابُ : ما أَجابَ بِهِ الإِمامُ الجَلِيلُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلَ رضي الله عنه حِينَ سُئِلَ عَنْ ذَلِك ، فَقالَ : أُولَئِكَ كانَ إِيمانُهُمْ قَوِيًّا ، فَما احْتاجُوا إِلَى زِيادَةِ شَيْءٍ يَقْوُونَ بِهِ ، وغَيْرُهُمْ كانَ إِيمانُهُمْ ضَعِيفًا لَمْ يَبْلُغُوا إِيمانَ أُولَئِكَ فَقَوُوا بِإِظْهارِ الكَراماتِ لَهُمْ)(١) .

❁ الحِكْمَةُ مِنْ إِجْراءِ الكَراماتِ عَلَى يَدِ الأَوْلِياء :

(١) جامِعُ كَراماتِ الأَوْلِياء لـ (يُوسُفَ إِسْماعِيلَ النَّبَهانِي) ج ١ ص ٢٠ .

اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ تَعالَى أَنْ يُكْرِمَ أَحْبابَهُ وأَوْلياءَهُ بِأَنْواعٍ مِنْ خَوارِقِ العاداتِ تَكْرِيمًا لَهُمْ عَلَى إيمانِهِمْ وإِخْلاصِهِمْ ، وتَأْيِيدًا لَهُمْ فِي جِهادِهِمْ ونُصْرَتِهِمْ لِدِينِ اللهِ ، وإِظْهارًا لِقُدْرَةِ اللهِ تَعالَى ، لِيَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمانًا ، وبَيانًا لِلنَّاسِ أَنَّ القَوانِينَ الطَّبِيعِيَّةَ والنَّوامِيسَ الكَوْنِيَّةَ إِنَّما هِيَ مِنْ صُنْعِ اللهِ وتَقْدِيرِهِ ، وأَنَّ الأَسْبابَ لا تُؤَثِّرُ بِذاتِها ، بَلِ اللهُ تَعالَى يَخْلُقُ النَّتائِجَ عِنْدَ الأَسْبابِ لا بِها ، كَما هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ .

وقَدْ يَقُولُ مُعْتَرِضٌ : إِنَّ تَأْيِيدَ الحَقِّ ونَشْرَ دِينِ اللهِ لا يَكُونُ بِخَوارِقِ العاداتِ ، بَلْ يَكُونُ بِإِقامَةِ الدَّلِيلِ المَنْطِقِيِّ والبُرْهانِ العَقْلِيِّ .

فَنَقُولُ : نَعَمْ لا بُدَّ مِنْ نَشْرِ الإِسْلامِ بِتَأْيِيدِ العَقْلِ السَّلِيمِ والمَنْطِقِ الصَّحِيحِ والحُجَّةِ الدَّامِغَةِ ، ولَكِنَّ التَّعَصُّبَ والعِنادَ يَدْعُوانِ إِلَى أَنْ تُخْرَقَ العاداتُ بِالكَراماتِ كَما اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ أَنْ يُؤَيِّدَ أَنْبِياءَهُ ورُسُلَهُ بِالمُعْجِزاتِ إِظْهارًا لِصِدْقِهِمْ ، وتَأْيِيدًا لَهُمْ فِي دَعْوَتِهِمْ ، وحَمْلًا لِلعُقُولِ المُتَحَجِّرَةِ والقُلُوبِ المُقْفَلَةِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ جُمُودِها ، وتَتَحَرَّرَ مِنْ تَعَصُّبِها ، فَتُفَكِّرَ تَفْكِيرًا سَلِيمًا مُسْتَقِيمًا يُوَصِّلُها إِلَى الإِيمانِ الرَّاسِخِ ، واليَقِينِ الجازِمِ .

ومِنْ هُنا يَتَّضِحُ أَنَّ الكَرامَةَ والمُعْجِزَةَ تَلْتَقِيانِ فِي بَعْضِ الحِكَمِ والمَقاصِدِ ، إِلَّا أَنَّ الفارِقَ بَيْنَهُما : أَنَّ المُعْجِزَةَ لا تَكُونُ إِلَّا للأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وأَنَّها تَظْهَرُ عَلَى يَدِ مُدَّعِي النُّبُوَّةِ وأَيْضًا فَإِنَّ الرَّسُولَ يَجِبُ عَلَيْهِ إِظْهارُ المُعْجِزَةِ مِنْ أَجْلِ دَعْواهُ إِذا تَوَقَّفَ إِيمانُ قَوْمِهِ عَلَيْها، بِخِلافِ الوَلِيِّ ، فَإِنَّهُ لا يَجِبُ إِظْهارُ الكَرامَةِ ، لأَنَّهُ مُتَّبِعٌ ، فَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللهِ بِحِكايَةِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ الَّذِي ثَبَتَ عِنْدَهُ رِسالَتُهُ بِلِسانِهِ لا بِلِسانٍ يُحْدِثُهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ، ومِنْ هُنا فَإِنَّ كُلَّ كَرامَةٍ لِوَلِيٍّ مُعْجِزَةٌ لِنَبِيٍّ .

❁ الفَرْقُ بَيْنَ الكَرامَةِ والاسْتِدْراجِ :

لا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ إِلَى الفَرْقِ بَيْنَ الكَرامَةِ والاسْتِدْراجِ ، وذَلِكَ لأَنَّنا نُشاهِدُ بَعْضَ الفَسَقَةِ المَنْسُوبِينَ لِلإِسْلامِ تَجْرِي عَلَى يَدَيْهِمْ خَوارِقُ العاداتِ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ مُجاهِرُونَ بِالمَعْصِيَةِ ، مُنْحَرِفُونَ عَنْ دِينِ اللهِ تَعالَى .

فَالكَرامَةُ لا تَكُونُ إِلَّا عَلَى يَدِ وَلِيٍّ ، وهُوَ صاحِبُ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ ، المُواظِبُ عَلَى الطَّاعاتِ ، المُجْتَنِبُ لِلمَعاصِي ، المُعْرِضُ عَنِ الانْهِماكِ فِي اللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ ، وهُوَ الَّذى قالَ اللهُ تَعالَى فِيهِ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وأَمَّا ما يَجْرِي عَلَى يَدِ الزَّنادِقَةِ والفَسَقَةِ مِنَ الخَوارِقِ ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ (الاسْتِدْراج) .

ثُمَّ إِنَّ الوَلِيَّ لا يَسْكُنُ إِلَى الكَرامَةِ ، ولا يَتَفاخَرُ بها عَلَى غَيْرِهِ ، قالَ العَلَّامَةُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ الكَبِير : (إِنَّ صاحِبَ الكَرامَةِ لا يَسْتَأْنِسُ بِتِلْكَ الكَرامَةِ ، بَلْ عِنْدَ ظُهُورِ الكَرامَةِ يَصِيرُ خَوْفُهُ مِنَ اللهِ تَعالَى أَشَدَّ ، وحَذَرُهُ مِنْ قَهْرِ اللهِ أَقْوَى ، فَإِنَّهُ يَخافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بابِ الاسْتِدْراجِ ، وأَمَّا صاحِبُ الاسْتِدْراجِ : فَإِنَّهُ يَسْتَأْنِسُ بِذَلِكَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ ، ويَظُنُّ أَنَّهُ إِنَّما وَجَدَ تِلْكَ الكَرامَةَ لأَنَّهُ كانَ مُسْتَحِقًّا لَها ، وحِينَئِذٍ يَحْتَقِرُ غَيْرَهُ ، ويَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ ، ويَحْصُلُ لَهُ أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللهِ وعِقابِهِ ، ولا يَخافُ سُوءَ العاقِبَةِ ، فَإِذا ظَهَرَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الأَحْوالِ عَلَى صاحِبِ الكَرامَةِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّها كانَتِ اسْتِدْراجًا لا كَرامَةً ، فَلِهَذا قالَ المُحَقِّقُونَ : والَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الاسْتِئْناسَ بالكَرامَةِ قاطِعٌ عَنِ الطَّرِيقِ وُجُوهٌ ؛ ثُمَّ ذَكَرَها حَتَّى عَدَّ إِحْدَى عَشْرَةَ حُجَّةً ، نَذْكُرُ مِنْها واحِدَةً : (إِنَّ مَنِ اعْتَقَدَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ صارَ مُسْتَحِقًّا لِكَرامَةٍ

(١) سُورَةُ يُونُس : الآيَة ٦٢ ، ٦٣ .

بِسَبَبِ عَمَلِهِ ، حَصَلَ لِعَمَلِهِ وَقْعٌ عَظِيمٌ فِي قَلْبِهِ ، ومَنْ كانَ لِعَمَلِهِ وَقْعٌ عِنْدَهُ كانَ جاهِلًا ولَوْ عَرَفَ رَبَّهُ لَعَلِمَ أَنَّ كُلَّ طاعاتِ الخَلْقِ فِي جَنْبِ جَلالِ اللهِ تَقْصِيرٌ ، وكُلَّ شُكْرِهِمْ فِي جَنْبِ آلائِهِ ونَعْمائِهِ قُصُورٌ ، وكُلَّ مَعارِفِهِمْ وعُلُومِهِمْ فِي مُقابَلَةِ عِزَّتِهِ حَيْرَةٌ وجَهْلٌ ؛ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الكُتُبِ أَنَّهُ قَرَأَ المُقْرِئُ فِي مَجْلِسِ الأُسْتاذ (أَبِي عَلِيٍّ الدَّقَّاق) قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (١) ، قالَ : عَلامَةُ أَنَّ الحَقَّ رَفَعَ عَمَلَكَ أَنْ لا يَبْقَى عِنْدَكَ (أَيْ عَمَلُكَ) فَإِنْ بَقِيَ عَمَلُكَ فِي نَظَرِكَ فَهُوَ مَدْفُوعٌ وإِنْ لَمْ يَبْقَ مَعَكَ فَهُوَ مَرْفُوعٌ) (٢) .

وعَلَى هَذا فَإِنَّنا حِينَ نَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَأْتِي بِخَوارِقِ العاداتِ لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكُمَ عَلَيْهِ بِالوِلايَةِ ، ولا يُمْكِنُ أَنْ نَعْتَبِرَ عَمَلَهُ هَذا كَرامَةً حَتَّى نَرَى سُلُوكَهُ وتَمَسُّكَهُ بِشَرِيعَةِ اللهِ ، قالَ أَبُو يَزِيدٍ البَسْطامِي : (لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَسَطَ مُصَلَّاهُ عَلَى الماءِ ، وتَرَبَّعَ فِي الهَواءِ ، فَلا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُروا كَيْفَ تَجِدُونَهُ فِي الأَمْرِ والنَّهْي) (٣) .

❁ زِيادَةُ بَيانٍ عَنْ مَوْقِفِ الصُّوفِيَّةِ مِنَ الكَراماتِ :

يَدَّعِي بَعْضُ المُنْحَرِفِينَ عَنْ طَرِيقِ الهُدَى أَنَّ مَقْصَدَ الصُّوفِيَّةِ مِنْ

(١) سُورَةُ فاطِر : الآيَة ١٠ . (٢) تَفْسِيرُ الرَّازِي ج ٥ ص ٦٩٢ .
(٣) اللُّمَعُ لـ (الطُّوسِي) ص ٤٠٠ .

سَيْرِهِمْ هُوَ الوُصُولُ إِلَى الكَراماتِ ، وهُمْ فِي هَذا إِنَّما يُتَرْجِمُونَ عَمَّا فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ أَمْراضٍ وعِلَلٍ دَفِينَةٍ ، فَإِنَّهُ لا يَخْفَى عَلَى كُلِّ إِنْسانٍ مُؤْمِنٍ صادِقٍ أَنَّ جُلَّ اهْتِمامِ الصُّوفِيَّةِ هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ وتَخْلِيصُها مِنْ صِفاتِها المَذْمُومَةِ كالرِّياءِ والنِّفاقِ وتَحْلِيَتُها بِالصِّفاتِ العالِيَةِ المَحْمُودَةِ ، وأَنَّهُمْ يَسْتَتِرُونَ مِنَ الكَرامَةِ بُعْدًا عَنْ شُبْهَةِ الرِّياءِ .

قالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِي : (مَنْ لَمْ يَكُنْ كارِهًا لِظُهُورِ الآياتِ وخَوارِقِ العاداتِ مِنْهُ كَراهِيَةَ الخَلْقِ لِظُهُورِ المَعاصِي فَهُوَ فِي حَقِّهِ حِجابٌ ، وسَتْرُها عَلَيْهِ رَحْمَةٌ ، فَإِنَّ مَنْ خَرَقَ عَوائِدَ نَفْسِهِ لا يُرِيدُ ظُهُورَ شَيْءٍ مِنَ الآياتِ وخَوارِقِ العاداتِ لَهُ ، بَلْ تَكُونُ نَفْسُهُ عِنْدَهُ أَقَلَّ وأَحْقَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِذا فَنِيَ عَنْ إِرادَتِهِ جُمْلَةً فَكانَ لَهُ تَحَقُّقٌ فِي رُؤْيَةِ نَفْسِهِ بِعَيْنِ الحَقارَةِ والذِّلَّةِ ، حَصَلَتْ لَهُ أَهْلِيَّةُ وُرُودِ الأَلْطافِ ، والتَّحَقُّقِ بِمَراتِبِ الصِّدِّيقِينَ)[١] .

قالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ الخَوَّاصُ : (الكُمَّلُ يَخافُونَ مِنْ وُقُوعِ الكَراماتِ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، ويَزْدادُونَ بِها وَجَلًا وخَوْفًا لاحْتِمالِ أَنْ تَكُونَ اسْتِدْراجًا)[٢] .

---

(١) نُورُ التَّحْقِيقِ لـ (حامِدْ صَقْر) ص ١٢٧ .

(٢) اليَواقِيتُ والجَواهِر لـ(عَبْدِ الوَهَّاب الشَّعْراني) ج ٢ ص ١١٣

ثُمَّ إِنَّ الصُّوفِيَّةَ يَمْنَعُونَ إِظْهارَ الكَرامَةِ إِلَّا لِغَرَضٍ صَحِيحٍ ، كَنُصْرَةِ شَرِيعَةِ اللهِ أَمامَ الكافِرِينَ والمُعانِدِينَ ، ومِثالُ ذَلِكَ ما حَدَثَ مَعَ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بنِ عَرَبِي فِي قِصَّتِهِ مَعَ الفَيْلَسُوفِ ، وهُوَ يَرْوِيها لَنا بِقَوْلِهِ : (حَضَرَ عِنْدَنا سَنَةَ سِتٍّ وثَمانِينَ وخَمْسِمِئَةٍ فَيْلَسُوفٌ يُنْكِرُ النُّبُوَّةَ عَلَى الحَدِّ الَّذِي يُثْبِتُها المُسْلِمُون ، ويُنْكِرُ ما جاءَتْ بِهِ الأَنْبِياءُ مِنْ خَرْقِ العَوائِدِ وأَنَّ الحَقائِقَ لا تَتَبَدَّلُ ، وكانَ زَمَنُ البَرْدِ والشِّتاءِ وبَيْنَ أَيْدِينا مَنْقَلٌ عَظِيمٌ يَشْتَعِلُ نارًا ، فَقالَ المُنْكِرُ المُكَذِّبُ : إِنَّ العامَّةَ تَقُولُ : إِنَّ (إِبْراهِيمَ) عليه السلام أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَلَمْ تَحْرِقْهُ ، والنَّارُ مُحْرِقَةٌ بِطَبْعِها الجِسْمَ القابِلَةَ للاحْتِراقِ ، وإِنَّما كانَتِ النَّارُ المَذْكُورَةُ فِي القُرْآنِ فِي قِصَّةِ إِبْراهِيمَ عِبارَةً عَنْ غَضَبِ نُمْرُودَ وحَنَقِهِ ، فَهِيَ نارُ الغَضَب ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَوْلِهِ قالَ لَهُ بَعْضُ الحاضِرِينَ (أَي الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ نَفْسُهُ) : فَإِنْ أَرَيْتُكَ أَنا صِدْقَ اللهِ فِي ظاهِرِ ما قالَهُ فِي النَّارِ أَنَّها لَمْ تَحْرِقْ (إِبْراهِيمَ) عليه السلام ، وأَنَّ اللهَ جَعَلَها عَلَيْهِ كَما قالَ بَرْدًا وسَلامًا ، وأَنا أَقُومُ لَكَ فِي هَذا المَقامِ مَقامَ إِبْراهِيمَ فِي الذَّبِّ عَنْهُ ، فَقالَ المُنْكِرُ : هَذا لا يَكُونُ ، فَقالَ لَهُ : أَلَيْسَتْ هَذِهِ النَّارَ المُحْرِقَةَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَقالَ : تَراها فِي نَفْسِكَ بِإِذْنِ اللهِ ، ثُمَّ أَلْقَى

النَّارَ الَّتي فِي المَنْقَلِ فِي حِجْرِ المُنْكِرِ ، وبَقِيَتْ عَلَى ثِيابِهِ مُدَّةً يُقَلِّبُها المُنْكِرُ بيدِهِ ، فَلَمَّا رَآها لَمْ تَحْرِقْهُ تعَجَّبَ ، ثُمَّ رَدَّها إِلَى المَنْقَلِ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : قَرِّبْ يَدَكَ أَيْضًا مِنْها ، فَقَرَّبَ يَدَهُ فَأَحْرَقَتْهُ ، فَقالَ لَهُ : هَكَذا كانَ الأَمْرُ ، وهِيَ مَأْمُورَةٌ ، تَحْرِقُ بالأَمْرِ وتَتْرُكُ الإحْراقَ كَذَلِكَ ، واللهُ تَعالَى الفاعِلُ لِما يَشاءُ ، فَأَسْلَمَ ذَلِكَ المُنْكِرُ واعْتَرَف)[1] .

وهُمْ كَذَلِكَ يُظْهِرُونَها لإبْطالِ سِحْرِ الكافِرينَ والضَّالِّينَ أَوِ الفَسَقَةِ المُشَعْوِذِينَ الَّذينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوا النَّاسَ عَنْ دِينِهِمْ ويُشَكِّكُوهُمْ فِي عَقائِدِهِمْ وإيمانِهِمْ ، ومِثالُ ذَلِكَ ما ذَكَرَهُ العَلَّامَةُ ابْنُ الهَيْثَمِي فِي الفَتاوَى الحَدِيثِيَّةِ مِنْ أَنَّ صُوفِيًّا ناظَرَ بَرْهَمِيًّا ، (والبَراهِمَةُ قَوْمٌ تَظْهَرُ لَهُم خَوارِقُ لِمَزِيدِ الرِّياضات) ، فَطارَ البَرْهَمِيُّ فِي الجَوِّ ، فارْتَفَعَتْ إِلَيْهِ نَعْلُ الشَّيْخِ ولَمْ تَزَلْ تَضْرِبُ رَأْسَهُ وتَصْفَعُهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ مَنْكُوسًا عَلَى رَأْسِهِ بَيْنَ يَدَي الشَّيْخِ والنَّاسُ يَنْظُرُونَ [2] .

ثُمَّ إِنَّ الصُّوفِيَّةَ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ أَعْظَمَ الكَراماتِ هِيَ الاسْتِقامَةُ عَلَى شَرْعِ اللهِ تَعالَى ، قالَ (أَبُو القاسِمِ القُشَيْرِي) رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى فِي رِسالَتِهِ : (واعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَجَلِّ الكَراماتِ الَّتى تَكُونُ للأَوْلِياءِ دَوامُ التَّوْفِيقِ

(١) الفُتُوحاتُ المَكِيَّة ج ٢ ص ٣٧١ .

(٢) الفَتاوَى الحَدِيثِيَّة لـ(ابنِ حَجَر) ص ٢٢٢ .

للطَّاعاتِ ، والحِفْظُ مِنَ المَعاصِي والمُخالَفات)[1] .

وذُكِرَ عِنْدَ (سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ التَّسْتُري) الكَراماتُ فَقالَ : (وما الآياتُ وما الكَراماتُ ؟! أَشْياءُ تَنْقَضِي لِوَقْتِها ، ولَكِنَّ أَكْبَرَ الكَراماتِ أَنْ تُبَدِّلَ خُلُقًا مَذْمُومًا مِنْ أَخْلاقِ نَفْسِكَ بِخُلُقٍ مَحْمُود)[2] .

وقالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِي : (الكَرامَةُ الحَقِيقِيَّةُ إِنَّما هِيَ حُصُولُ الاسْتِقامَةِ ، والوُصُولُ إِلَى كَمالِها ، ومَرْجِعُها أَمْران : صِحَّةُ الإيمانِ باللهِ عَزَّ وجَلَّ ، واتِّباعُ ما جاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظاهِرًا وباطِنًا ؛ فَالواجِبُ عَلَى العَبْدِ أَلَّا يَحْرِصَ إِلَّا عَلَيْهِما ولا تَكُونَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا فِي الوُصُولِ إِلَيْهِما ، وأَمَّا الكَرامَةُ بِمَعْنَى خَرْقِ العادَةِ فَلا عِبْرَةَ بِها عِنْدَ المُحَقِّقِينَ ، إِذْ قَدْ يُرْزَقُ بِها مَنْ لَمْ تَكْتَمِلِ اسْتِقامَتُهُ ، وقَدْ يُرْزَقُ بِها المُسْتَدْرَجُونَ) .

وقالَ : (إِنَّما هِيَ كَرامَتانِ جامِعَتانِ مُحِيطَتانِ : كَرامَةُ الإيمانِ بِمَزِيدِ الإيقانِ وشُهُودِ العِيانِ ، وكَرامَةُ العَمَلِ عَلَى الاقْتِداءِ والمُتابَعَةِ ومُجانَبَةِ الدَّعاوَى والمُخادَعَةِ ، فَمَنْ أُعْطِيَهُما ثُمَّ جَعَلَ يَشْتاقُ إِلَى غَيْرِهِما فَهُوَ عَبْدٌ مُفْتَرٍ كَذَّابٌ لَيْسَ ذا حَظٍّ فِي العِلْمِ والعَمَلِ بِالصَّواب ،

(١) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّة ص ١٦٠ .

(٢) كِتابُ اللُّمَعُ لـ (الطُّوسِي) ص ٤٠٠ .

كَمَنْ أُكْرِمَ بِشُهُودِ المَلِكِ عَلَى نَعْتِ الرِّضا فَجَعَلَ يَشْتاقُ إِلَى سِياسَةِ الدَّوابِّ وخَلَعَ الرِّضا)[١] .

وقالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بنُ عَرَبي : واعْلَمْ أَنَّ الكَرامَةَ عَلَى قِسْمَيْنِ : حِسِّيَّةٌ ومَعْنَوِيَّةٌ ، ولا تَعْرِفُ العامَّةُ إِلَّا الحِسِّيَّةَ ، مِثْلَ الكَلامِ عَلَى الخاطِرِ ، والإِخْبارِ بِالمُغَيَّباتِ الماضِيَةِ والكائِنَةِ والآتِيَةِ ، والأَخْذِ مِنَ الكَوْنِ ، والمَشْيِ عَلَى الماءِ ، واخْتِراقِ الهَواءِ ، وطَيِّ الأَرْضِ ، والاحْتِجابِ عَنِ الأَبْصارِ ، وإِجابَةِ الدُّعاءِ فِي الحالِ ، ونَحْوِ ذَلِكَ ، فالعامَّةُ لا تَعْرِفُ الكَراماتِ إِلَّا مِثْلَ هَذا . وأَمَّا الكَرامَةُ المَعْنَوِيَّةُ فَلا يَعْرِفُها إِلَّا الخَواصُّ مِنْ عِبادِ اللهِ تَعالَى ، وهِيَ أَنْ يُحْفَظَ عَلَى العَبْدِ آدابُ الشَّرِيعَةِ وأَنْ يُوَفَّقَ لِفِعْلِ مَكارِمِ الأَخْلاقِ واجْتِنابِ سَفاسِفِها ، والمُحافَظَةِ عَلَى أَداءِ الواجِباتِ مُطْلَقًا فِي أَوْقاتِها ، والمُسارَعَةِ إِلَى الخَيْراتِ ، وإِزالَةِ الغِلِّ والحِقْدِ مِنْ صَدْرِهِ لِلنَّاسِ والحَسَدِ وسُوءِ الظَّنِّ ، وطَهارَةِ القَلْبِ مِنْ كُلِّ صِفَةٍ مَذْمُومَةٍ ، وتَحْلِيَتِهِ بِالمُراقَبَةِ مَعَ الأَنْفاسِ ، ومُراعاةِ حُقُوقِ اللهِ تَعالَى فِي نَفْسِهِ وفِي الأَشْياءِ ، وتَفَقُّدِ آثارِ رَبِّهِ فِي قَلْبِهِ ، ومُراعاةِ أَنْفاسِهِ فِي دُخُولِها وخُرُوجِها ، فَيَتَلَقَّاها

(١) نُورُ التَّحْقِيقِ ص ١٢٨ .

بِالأَدَبِ إِذا وَرَدَتْ عَلَيْهِ ويُخْرِجُها وعَلَيْهِ حُلَّةُ الحُضُورِ مَعَ اللهِ تَعالَى ، فَهَذِهِ كُلُّها عِنْدَنا كَراماتُ الأَوْلِياءِ المَعْنَوِيَّةُ الَّتي لا يَدْخُلُها مَكْرٌ ولا اسْتِدْراجٌ)[١] .

ثُمَّ إِنَّ السَّادَةَ الصُّوفِيَّةَ لا يَعْتَبِرُونَ ظُهُورَ الكَراماتِ عَلَى يَدِ الوَلِيِّ دَلِيلًا عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، قالَ الإِمامُ اليافِعِي : (لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ لَهُ كَرامَةٌ مِنَ الأَوْلِياءِ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ مَنْ لَيْسَ لَهُ كَرامَةٌ مِنْهُمْ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ بَعْضُ مَنْ لَيْسَ لَهُ كَرامَةٌ مِنْهُمْ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضِ مَنْ لَهُ كَرامَةٌ ، لأَنَّ الكَرامَةَ قَدْ تَكُونُ لِتَقْوِيَةِ يَقِينِ صاحِبِها ، ودَلِيلًا عَلَى صِدْقِهِ وعَلَى فَضْلِهِ لا عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ ، وإِنَّما الأَفْضَلِيَّةُ تَكُونُ بِقُوَّةِ اليَقِينِ ، وكَمالِ المَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعالَى)[٢] .

كَما أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لا يَعُدُّونَ عَدَمَ ظُهُورِ الكَرامَةِ عَلَى يَدِ الوَلِيِّ الصَّالِحِ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ وِلايَتِهِ .

قالَ الإِمامُ القُشَيْرِىُّ فِي رِسالَتِهِ : (لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلوَلِيِّ كَرامَةٌ ظاهِرَةٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيا ، لَمْ يَقْدَحْ عَدَمُها فِي كَوْنِهِ وَلِيًّا)[٣] .

(١) الفُتُوحاتُ المَكِّيَّةُ ج ٢ ص ٣٦٩ .
(٢) نَشْرُ المَحاسِنِ الغالِيَةِ لـ(عَبْدِ اللهِ اليافِعِي) ص ١١٩ .
(٣) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ .

وقالَ شَيْخُ الإسْلام (زَكرِيَّا الأَنْصاري) فِي شَرْحِهِ لِرسالَةِ القُشَيْري عِنْدَ هَذا الكَلامِ : (بَلْ قَدْ يَكُونُ أَفْضَلَ مِمَّنْ ظَهَرَتْ لَهُ كراماتٌ ، لأَنَّ الأَفْضَلِيَّةَ إِنَّما هِيَ بِزِيادَةِ اليَقِينِ لا بِظُهُورِ الكَرامَةِ) .

❁ **بيانُ أَنَّ أَهْلَ القُبُورِ أَحْياءٌ كما أَخْبَرَ بذلِكَ سَيِّدُ الأَنْبِياءِ ﷺ :**

نَعَمْ .. إِنَّ كُلَّ أَهْلِ القُبُورِ أَحْياءٌ حَياةً بَرْزَخِيَّةً يَعْلَمُونَ بها ، ويَعْقِلُونَ وَيَسْمَعُونَ ويَرَوْنَ ، ويَعْرِفُونَ مَنْ زارَهُمْ ومَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، ويَرُدُّونَ عَلَيْهِ السَّلامَ ، ويَتَزاوَرُونَ بَيْنَهُمْ ، ويَتَأَذَّوْنَ أَوْ يَسْتَبْشِرُونَ بما يَبْلُغُهُمْ عَنِ الأَحياءِ ، ويَتَصَرَّفُونَ وتَصْدُرُ مِنْهُمْ أُمورٌ عَظِيمَةٌ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعالَى ، ويَتَنَعَّمُونَ أَوْ يُعَذَّبُونَ ، وتُعْرَضُ عَلَيْهِمْ أَعْمالُ الأَحْياءِ فَما رَأَوْهُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدُوا اللهَ تَعالَى ، واسْتَبْشَرُوا ودَعَوا لِفاعِلِهِ بالزِّيادَةِ والثَّباتِ ، وإنْ رَأَوا شَرًّا دَعَوا اللهَ لَهُمْ وقالُوا : اللَّهُمَّ راجِعْ بِهِمْ إِلَى الطَّاعَةِ واهْدِهِمْ كَما هَدَيْتَنا ، فَهُمْ إِذًا يَعْلَمُونَ مِنْ أَحْوالِهِمْ ، فَإِنَّ المَوْتَ نَقْلَةٌ مِنْ دارٍ إِلَى دارٍ وقَدْ ثَبَتَ كُلُّ ما ذَكَرْناهُ بِنَصِّ القُرْآنِ الكَرِيمِ وبِنَصِّ السُّنَّةِ وإِجْماعِ الأُمَّةِ :

فَأَمَّا إِثْباتُ حَياةِ الأَمْواتِ : فَتُبَيِّنُهُ جَلِيًّا هَذِهِ البَراهِينُ السَّاطِعَةُ :

١ - يَذْكُرُ القُرْآنُ الكَرِيمُ أَنَّ النَّبِيَّ (صالِحًا) عليه السلام قَدْ خاطَبَ قَوْمَهُ

بَعْدَ هَلاكِهِمْ بالرَّجْفَةِ ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ ويُدْرِكُونَ مَعْنَى خِطابِهِ ، وفِي هَذا يَقُولُ اللهُ تَعالَى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾ (١) .

٢- وكَذَلِكَ خاطَبَ (شُعَيْبٌ) عليه السلام قَوْمَهُ الهالِكِينَ فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٩٣﴾ (٢) .

ولا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ هَذا خِطابَ تَحَسُّرٍ أَوْ تَأَسُّفٍ ؛ لأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظاهِرِ المُرادِ القُرْآنِيِّ بِغَيْرِ دَلِيلٍ ، وفِيهِ مُخالَفَةٌ لأُصُولِ التَّفْسِيرِ الَّتِي أَجْمَعَ عَلَيْها المُفَسِّرُونَ .

٣ - إِنَّ السَّلامَ مِنَ اللهِ عَلَى الأَنْبِياءِ ثابِتٌ عَلَى دَوامِ الدُّهُورِ ، ولا مَعْنَى لَهُ إِنْ لَمْ يُدْرِكْهُ الأَنْبِياءُ ، ولَمْ يَعُوا مَعْناهُ ، والمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ الأَصْقاعِ يَتْلُونَ عَلَى الدَّوامِ : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ،

(١) سُورَةُ الأَعْراف : الآية ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) سُورَةُ الأَعْراف : الآية ٩١ - ٩٣ .

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ ، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (١) .

٤ – وقَدْ كَلَّمَ النَّبيُّ ﷺ أَهْلَ (القَليب) يَوْمَ بَدْر ، كَما ذَكَرَ ابنُ هِشام وغَيْرُهُ مِنْ أَصْحابِ السِّيَر ، فَقالَ بَعْضُ أَصْحابِهِ : يا رَسُولَ الله ، أَتُنادِي قَوْمًا مَوْتَى ؟ فَقالَ ﷺ : (واللهِ ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِما أَقُولُ مِنْهُمْ) .

٥ – وجاءَ فِي البُخارِي عَنْ أَنَسِ بن مالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : (إِنَّ العَبْدَ إِذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحابُهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِم ... الحَدِيث) ، وأَوْلَى بِمَنْ يَسْمَعُ قَرْعَ النِّعالِ أَنْ يَسْمَعَ الكَلامَ والأَصْوات .

٦ – وفِي البُخارِي أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ :

(إِذا وُضِعَتْ الجَنازَةُ واحْتَمَلَها الرِّجالُ عَلَى أَعْناقِهِمْ ، فَإِنْ كانَتْ صالِحَةً قالَتْ : قَدِّمُونِي ، وإِنْ كانَتْ غَيْرَ صالِحَةٍ قالَتْ : يا وَيْلِي أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِها ، يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسانُ ، ولَوْ سَمِعَها لَصَعِق) .

٧ – ولَوْ لَمْ تَكُنِ الحَياةُ البَرْزَخِيَّةُ ثابِتَةً لَما كانَ لِعَذابِ القَبْرِ ونَعِيمِهِ مَعْنًى ولا مَغْزًى ، ولا أَظُنُّ أَنَّ إِنْسانًا مُسْلِمًا يُمارِي فِي وُقُوعِ عَذابِ القَبْرِ ونَعِيمِهِ وأَنَّ النَّعِيمَ والعَذابَ عَلَى الرُّوحِ والجَسَدِ ، لأَنَّ فِعْلَ

(١) سُورَةُ الصَّافَّات ، وتَرْتِيبُ الآيات (٧٩ ، ١٠٩ ، ١٣٠ ، ١٨١) .

المَعاصِي والطَّاعاتِ بِهما ، (وأَمَّا نَعِيمُ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِي قُبُورِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ أَحْياءٌ يُصَلُّونَ ووَرَدَ فِي صِحاحِ الأَحادِيثِ أَنَّهُمْ يَحِجُّونَ)(١) ، وقَدْ يُكْرِمُ اللهُ بِذَلِكَ بَعْضَ أَهْلِ البَرْزَخِ وإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ بِذَلِكَ ثَوابٌ لانْقِطاعِ ثَوابِ عَمَلِهِم بِالمَوْتِ ، لَكِنْ إِنَّما يَبْقَى عَمَلُهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَتَنَعَّمُوا بِذِكْرِ اللهِ وطاعَتِهِ كَما يَتَنَعَّمُ بِذَلِكَ المَلائِكَةُ وأَهْلُ الخَيْرِ فِي الجَنَّةِ ، لأَنَّ الذِّكْرَ والطَّاعَةَ فِي ذاتِهِما أَعْظَمُ عِنْدَ أَهْلِها مِنْ جَمِيعِ نَعِيمِ أَهْلِ الدُّنْيا ولَذَّاتِها ، وحَدِيثُ : (إِذا ماتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ ... الحَدِيث) ، فَقَدْ قَرَّرَ انْقِطاعَ عَمَلِ المَيِّتِ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْفِ اسْتِمْرارَ انْتِفاعِ المَيِّتِ بِعَمَلِ غَيْرِهِ لَهُ ، كالحَجِّ عَنْهُ والدُّعاءِ لَهُ ، والصَّدَقَةِ عَلَيْهِ ، وسَدادِ دُيُونِهِ ، وإِنْفاذِ عَهْدِهِ ، وصَلاةِ الجَنازَةِ عَلَيْهِ ، مِمَّا جاءَ بِالنَّصِّ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ ، وهُوَ كَثِيرٌ لا خِلافَ عَلَيْهِ .

وأَمَّا عَذابُ القَبْرِ لِبَعْضِ المَوْتَى فَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعالَى عَنْ آلِ فِرْعَوْنَ فَقالَ : ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (٢) واتَّفَقَ جُمْلَةُ المُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الزَّمَنَ المُرادَ هُوَ ما قَبْلَ القِيامَةِ ، أَيْ فِي القَبْرِ

(١) انْظُرْ مَثَلًا : السُّنَّة لـ(أَحْمَد بن حَنْبَل) ص٥٠ ، وأُصُولَ الدِّين : لِعَبْد القاهِر البَغْدادي وغَيْرَها .
(٢) سُورَةُ غافِر : مِنَ الآية ٤٦ .

وقالَ ﷺ : (لَوْلا أَنْ لا تَدافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذابِ القَبْرِ ما أَسْمَعُ) - أَخْرَجَهُ مُسْلِم .

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ المَوْتَى بِزِيارَةِ الأَحْياءِ والاسْتِبْشارِ بِهِمْ ، فَعَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ : (قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (ما مِنْ عَبْدٍ يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ ويَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ ورَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ)[1] وقالَ ﷺ : (إِذا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ لا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلام)[2] ، أَمَّا تَزاوُرُ المَوْتَى وتَلاقِيهِم فَقَدْ قالَ ﷺ : (حَسِّنُوا أَكْفانَ مَوْتاكُمْ فَإِنَّهُمْ يَتَباهَوْنَ ويَتَزاوَرُونَ فِي قُبُورِهِم)[3] .

وَأَمَّا تَأَذِّي المَيِّتِ بِما يَبْلُغُهُ عَنِ الأَحْياءِ فَقَدْ قالَ ﷺ :

(إِنَّ المَيِّتَ يُؤْذِيهِ فِي قَبْرِهِ ما يُؤْذِيهِ فِي بَيْتِهِ)[4] .

وَأَمَّا تَصَرُّفُ المَوْتَى وصُدُورُ أُمُورٍ مِنْهُمْ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعالَى ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ بَعْدَ اسْتِشْهادِ سَيِّدِنا (جَعْفَرَ بنِ أَبِي طالِب) رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (عَرَفْتُ جَعْفَرًا فِي رِفْقَةٍ مِنَ المَلائِكَةِ يُبَشِّرُونَ أَهْلَ بِيشَةَ بِالمَطَر) ، وبِيشَةُ : بَلْدَةٌ عَلَى حُدُودِ اليَمَن .

وَأَمَّا عَرْضُ أَعْمالِ الأَحْياءِ عَلَى المَوْتَى فَقَدْ قالَ ﷺ :

(١) أَخْرَجَهُ الخَطِيب وابنُ عَساكِر . (٢) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ وابنُ أَبِي الدُّنْيا .
(٣) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ . (٤) أَخْرَجَهُ الدَيْلَمِي .

(تُعْرَضُ أَعْمالُكُمْ عَلَى المَوْتَى ، فَإِنْ رَأَوْا حَسَنًا اسْتَبْشَرُوا وإِنْ رَأَوْا سُوءًا قالُوا : اللَّهُمَّ راجِعْ بِهِمْ)[1] .

وَأَمَّا عِلْمُهُمْ بِأَحْوالِ أَهْلِ الدُّنْيا ورُؤْيَتُهُمْ لَهُمْ فَقَدْ قالَ ﷺ :

(إِنَّ المَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يَحْمِلُهُ ومَنْ يُغَسِّلُهُ ومَنْ يُدْلِيهِ فِي قَبْرِهِ)[2] .

وإِذا ثَبَتَ لَدَيْنا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ المَوْتَ لَيْسَ انْتِهاءً لِلإِنْسانِ وإِنَّما هُوَ انْتِقالٌ وأَنَّ المَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ أَحْياءٌ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ نَبِيٍّ وشَهِيدٍ وصالِحٍ وسِوَى ذَلِكَ وإِنَّما الفَرْقُ فِي طَبِيعَةِ الحَياةِ وحالِها ، فَهِيَ إِمَّا حَياةُ نَعِيمٍ أَوْ حَياةُ جَحِيم ، وإِذا سَلَّمْنا بِذَلِكَ كُلِّهِ ، عَلِمْنا أَنَّ المُتَوَسَّلَ بِهِ نَبِيًّا كانَ أَوْ صالِحًا يُحِسُّ بِزائِرِيهِ ويَعِي وُجُودَهُمْ (مَعَ مُراعاةِ الفارِقِ بَيْنَ طَبِيعَةِ حِسِّ أَهْلِ الدُّنْيا وطَبِيعَةِ حِسِّ أَهْلِ البَرْزَخِ ، إِذِ العالَمانِ مُتَغايِران) ، وإِذا تَحَقَّقَ هَذا كانَ التَوَجُّهُ إِلَيْهِ بِطَلَبِ الشَّفاعَةِ والوَسِيلَةِ أَمْرًا جائِزًا عَقْلًا وإِيمانًا ، وتَدْخُلُ القَضِيَّةُ حَيِّزَ الواقِعِ والمَشْرُوعِ إِذا عَلِمْنا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ السَّلَفِ قَدْ تَضَرَّعُوا وتَوَسَّلُوا بِجاهِ الصَّالِحِينَ والأَنْبِياءِ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ المُبارَك . (٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَد فِي مُسْنَدِهِ .

قَوْلٌ فَصْلٌ

فِي أَصْلِ مُصْطَلَحِ التَّصَوُّفِ ودَلالَته

١ - فِي اشْتِقاقِ اسْمِ التَّصَوُّفِ ومَعْناه :

لا يُمارِي عالِمٌ مُحَقِّقٌ فِي أَنَّ التَّسْمِيَةَ فِي حَدِّ ذاتِها لا تُسَبِّبُ إِشْكالًا إِذا كانَ مَضْمُونُها مُوافِقًا للكِتابِ والسُّنَّةِ والإِجْماعِ ، وهُناكَ شَواهِدُ وافِرَةٌ عَلَى ما نَقُولُ ، قَدَّمَها الإِسْلامُ مُنْذُ الوَهْلَةِ الأُولَى .

ولَعَلَّ أَوَّلَ هَذِهِ الشَّواهِدِ مُصْطَلَحُ (الصُّحْبَةِ والصَّحابَةِ) ، فالصَّحابَةُ : مُصْطَلَحٌ أُطْلِقَ عَلَى كُلِّ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ مُؤْمِنًا بِهِ ، وبِانْتِقالِهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى ، لَمْ يَحُزْ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ شَرَفَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ ، ولَكِنَّها بَقِيَتْ إِلَى يَوْمِنا هَذا عَلامَةً عَلَى الرِّجالِ والنِّساءِ الَّذِينَ مارَسُوا فِعْلَ الصُّحْبَةِ فَحازُوا أَصْلَ التَّسْمِيَة .

بَلْ إِنَّ الصَّحابَةَ أَنْفُسَهُمْ سُمُّوا بِالمُهاجِرِينَ والأَنْصارِ ، وهاتانِ تَسْمِيَتانِ أُخْرَيانِ ؛ الأُولَى : أُطْلِقَتْ عَلَى الَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ فِرارًا بِدِينِهِمْ .

والأُخْرَى (الأَنْصار) : وهُمُ الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوهُمْ وقاسَمُوهُمْ حَياتَهُمْ ، ونَصَرُوا نَبِيَّ اللهِ ﷺ ، حِينَ جابَهَتْهُ قُرَيْشٌ بِالعَداء ، وكانَ الأَنْصارُ

قَبْلَ ذَلِكَ يُعْرَفُونَ بِأَسْماءِ قَبائِلِهِمْ (الأَوْس والخَزْرَج) .

وكُلُّنا يَعْلَمُ ما خَصَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْضَ صَحابَتِهِ الكِرامِ مِنْ مُسَمَّياتٍ وأَلْقابٍ مِنْ أَمْثالِ بِلالٍ (الحَبَشِيِّ) ، وصُهَيْبٍ (الرُّومِيِّ) وسَلْمان (الفارِسِيِّ) وغَيْرِهِمْ .

فَضْلًا عَمَّا ذَكَرَهُ القُرْآنُ الكَرِيمُ مِنْ أَصْنافِ المُؤْمِنِينَ ، حَيْثُ مَيَّزَهُمْ بِصِفاتٍ وأَلْقابٍ شَتَّى ؛ كالخاشِعِينَ ، والقانِتِينَ ، والتَّائِبِينَ ، والمُتَصَدِّقِينَ ، والعابِدِينَ ، والحامِدِينَ ، والسَّائِحِينَ وغَيْرِهِمْ .

وإِذا ما انْتَقَلْنا إِلَى عَصْرِ التَّابِعِينَ ، وَجَدْنا أَنَّ مُصْطَلَحَ (التَّابِع) قَدْ أُطْلِقَ عَلَى مَنْ عاصَرَ نَفَرًا مِنَ الصَّحابَةِ واقْتَفَى آثارَ حَياتِهِمْ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّة ، والعَلاقَةُ هُنا بَيْنَ الاسْمِ والمُسَمَّى لا تَحْتاجُ إِلَى مَزِيدِ بَيان .

وكَذَلِكَ يُقالُ فِي بَقِيَّةِ المُصْطَلَحاتِ ذاتِ الطَّابَعِ السُّلُوكِي أَو العِلْمِي ، كَمُصْطَلَحِ (الزُّهْدِ) أَو (الزُّهَّادِ) الَّذِي أُطْلِقَ عَلَى جَماعَةٍ تَنْبُذُ سَيْطَرَةَ الشُّئُونِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وتُوقِفُ جُلَّ وَقْتِها عَلَى العِبادَة ابْتِغاءَ الفَوْزِ بِنَعِيمِ الآخِرَةِ ، والنَّجاةِ مِنْ عَذابِ النَّارِ ، وهُوَ مُصْطَلَحٌ ذُو طابَعٍ سُلُوكِي .

وهُناكَ مُصْطَلَحُ (الفَقِيهِ) أَو (الفُقَهاء) : وهُوَ مُصْطَلَحٌ ذُو طابَعٍ عِلْمِيٍّ غَلَبَ إِطْلاقُهُ عَلَى المُشْتَغِلِينَ بِاسْتِنْباطِ الأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ مَصادِرِها .

وهَكَذا : نَعْثُرُ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ التَّسْمياتِ يَتِمُّ التَّواطُؤ عَلَيْها انْطِلاقًا مِنْ طَبيعَةِ المَعْنَى المُرادِ التَّعْبيرُ عَنْهُ ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ التَّسْمياتِ قامَتْ عَلَى أَساسٍ مِنْ صِفَةِ اللِّباسِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعالَى :

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [1] ، فَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ صِفَةِ اللِّباسِ ، إِذْ كانَ أَصْحابُ سَيِّدِنا (عِيسَى) عليه السلام الَّذينَ ناصَرُوهُ يَتَمَيَّزُونَ بِلِبْسِ البَياضِ ، ولا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَصَرَهُ بَعْدَ ذَلِك وإِنْ لَمْ يَلْبَسِ البَياضَ ، يَنْدَرِجُ فِي زُمْرَةِ الحَوارِيِّينَ مِنْ جِهَةِ المَعْنَى ، فالتَّسْمِيَةُ بِالحَوارِيِّ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَةِ اللِّباسِ أَصْلا [2] ، عَلَى أَنَّ مَضْمُونَها يُفيدُ التَّأْييدَ والمُؤازَرَةَ والنُّصْرَةَ للمَسيحِ عليه السلام ، ولا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ما تُضْفيهِ سِمَةُ البَياضِ عَلَى هَذِهِ الصُّحْبَةِ مِنْ طَهارَةٍ ونَقاء .

والقُرْآنُ نَفْسُهُ لا يَنِي يُحَدِّثُنا عَنْ أَصْنافِ عِبادِ اللهِ المُؤْمِنينَ ، مُسَمِّيًا كُلَّ زُمْرَةٍ مِنْهُمْ بِتَسْمِيَةٍ هِيَ الغالِبَةُ عَلَى سُلُوكِ أَشْخاصِها ؛ فَمِنْهُمُ التَّوّابُونَ ، والصّابِرُونَ ، والمُحْسِنُونَ ، والسّاجِدُونَ ، والرّاكِعُونَ ، والذّاكِرُونَ ، والمُتَوَكِّلُونَ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نُعُوتٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنْ غَلَبَةِ الصِّفَةِ الَّتي تَقُومُ فِي العَبْدِ كَما ذَكَرْنا آنِفًا .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآية ٥٢ .

(٢) وَرَدَ فِي صَحيحِ البُخارِي أَنَّ الحَوارِيِّين : سُمُّوا كَذَلِكَ لِبَياضِ ثِيابِهِم .

ومِنْ طَريفِ ما قيلَ شِعْرًا فِي ذِكْرِ هَذِهِ التَّسْمياتِ قَوْلُ السَّيِّدِ الحِمْيَرِي [1] (ت ١٧٠ هـ) فِي مَدْحِ آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ :

أَهْلِ التُّقَى وذَوِي النُّهَى وأُولِي العُلَى ۞ والنّاطِقِينَ عَنِ الحَديثِ المُسْنَدِ
الصّائِمِينَ القائِمِينَ القانِتِينَ ۞ الفائِقِينَ بَنِي الحِجَى والسُّؤْدَدِ
الرّاكِعِينَ السّاجِدِينَ الحامِدِينَ ۞ السّابِقِينَ إِلَى صَلاةِ المَسْجِدِ
الفائِقِينَ الرّائِقِينَ السّائِحِينَ ۞ العابِدِينَ إِلَهَهُمْ بِتَوَدُّدِ

فَلا مُشاحَّةَ إِذَنْ مِنْ إِطْلاقِ التَّسْمياتِ عَلَى هَذا النَّحْوِ ما دامَتْ مُسْتَفادَةً مِنَ الفِعْلِ أَوِ الزِّيِّ ، أَو بِما اقْتَرَنَ بِهِما مِنْ مُسْتَلْزَماتٍ ، أَو لَواحِقَ أُخْرَى كاللِّباسِ والهَيْئَةِ و المَكانِ والزَّمانِ وما شابَهَ .

وَلَنا فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ مِثالٌ عَلَى التَّسْمِيَةِ المَكانِيَّةِ ، وهُوَ نَعْتٌ تَسَمَّى بِهِ فُقَراءُ المُهاجِرينَ الَّذينَ لَمْ يَجِدوا مَأْوًى لَهُمْ ، فَلاذُوا (بِصُفَّةِ) مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ ونُسِبُوا إِلَيْها .

وهُنا نَجِدُ أَنَّهُمْ قَدْ حازُوا شَرَفَ التَّسْمياتِ الثَّلاثِ (شَرَفِ الصُّحْبَةِ وشَرَفِ الهِجْرَةِ وشَرَفِ الصُّفَّةِ) وانْضَوَوْا تَحْتَ مَعانِي المُصْطَلَحاتِ الثَّلاثَة .

(١) الديوانُ جَمَعَهُ وحَقَّقَهُ وشَرَحَهُ : شاكِرُ هادي شُكْر .

إِذَنْ ، فَذِكْرُ إِنْسانٍ بِخَصِيصَةٍ عُرِفَ بِها عِنْدَ النَّاسِ ، سُنَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ وَنَبَوِيَّةٌ .

فَإِذا كانَ أَمْرُ التَّسْمِياتِ لا مُشاحَّةَ فِيه ، مادامَ مَضْمُونُهُ لا يُخالِفُ الكِتابَ ولا السُّنَّةَ ، فَلَنا فِيما تَقَدَّمَ أُسْوَةٌ فِي عَدِّ مُصْطَلَحِ (التَّصَوُّفِ) واحِدًا مِنَ المُصْطَلَحاتِ الَّتى شاعَ أَمْرُها أَوائِلَ القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِي ولَنا عَوْدٌ عَلَى تَحْدِيدِ هَذِهِ الفَتْرَةِ لاحِقًا .

ولَعَلَّ السِّراجَ الطُّوسِي (ت ٣٧٨ هـ) صاحِبَ كِتابِ (اللُّمَعِ) يُعَدُّ أَوَّلَ المُؤَرِّخِينَ لِتَجْرِبَةِ التَّصَوُّفِ ، فَقَدْ أَخَذَ عَلَى عاتِقِهِ تَحْقِيقَ أَصْلِ التَّسْمِيَةِ بِالصُّوفِي ، فَعَقَدَ لَها بابًا بِعُنْوان (بابُ الكَشْفِ عَنِ اسْمِ الصُّوفِيَّةِ ، ولِمَ سُمُّوا بِهَذا الاسْمِ ، ولِمَ نُسِبُوا إِلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ) ، وفِيهِ يَذْكُرُ أَنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ لِبْسِ الصُّوفِ اقْتِداءً بِالأَنْبِياءِ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِم والأَوْلِياءِ الصَّالِحِينَ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِم .

وهَذا كَما هُوَ بَيِّنٌ مَأْخُوذٌ مِنْ صِفَةِ اللِّباسِ ، وهُوَ يَخُصُّ الشَّكْلَ ، بَيْدَ أَنَّهُ يُضِيفُ إِلَيْهِ تَعْلِيلًا آخَرَ يَخُصُّ المَضْمُونَ ، وهُوَ أَنَّ التَّصَوُّفَ فِي مَضْمُونِهِ يَرْتَكِزُ عَلَى ثُنائِيَّةٍ مِنَ (المَقاماتِ والأَحْوالِ) الَّتِي هِيَ قِوامُ التَّجْرِبَةِ الصُّوفِيَّةِ ، والمَقاماتُ هِيَ المَراتِبُ الخُلُقِيَّةُ الَّتِي يَتَدَرَّجُ

فِيها الصُّوفِيُّ السَّالِكُ فِي صُعُودِهِ الرُّوحِيِّ ، أَمَّا الأَحْوالُ فَهِيَ الحالاتُ الشُّعُورِيَّةُ المُتَبايِنَةُ الَّتِي تَنْثالُ عَلَى وِجْدانِهِ هِبَةً مِنَ اللهِ تَعالَى .

فالصُّوفِيُّ لا يَقِفُ عِنْدَ مَقامٍ واحِدٍ أَو حالٍ واحِدَةٍ ، وإِنَّما هُوَ فِي طَوْرِ انْتِقالٍ دائِمٍ .

وقَد أَبانَ الصُّوفِيَّةُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ : (الصُوفِيُّ ابْنُ وَقْتِه) ، ولِذا ، فَإِنَّ لَقَبَ الزَّاهِدِ ، مَثَلًا ، لَنْ يَفِيَ بِالغَرَضِ لِلدَّلالَةِ عَلَى مَضْمُونِ التَّصَوُّفِ ؛ لأَنَّ الزَّاهِدَ يَقِفُ عِنْدَ مَقامِ الزُّهْدِ وحَسْب ، وهُوَ مِنْ بَعْضِ مَقاماتِ التَّصَوُّفِ ؛ والأَمْرُ نَفْسُهُ يَنْسَحِبُ عَلَى التَّوْبَةِ والصَّبْرِ ، والتَّوَكُّلِ ، وغَيْرِها مِنَ المَقاماتِ ، وكَذَلِكَ الأَحْوالُ ، كالقَبْضِ ، والبَسْطِ ، والأُنْسِ ، وغَيْرِها ، ولا يَصْلُحُ واحِدٌ مِنْها أَيْضًا لِلدَّلالَةِ عَلَى مَعْنَى التَّصَوُّفِ .

والجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ الكَلاباذِي (ت : ٣٨٠ هـ) قَدْ أَشارَ إِلَى بَعْضِ التَّسْمِياتِ الَّتِي أُطْلِقَتْ عَلَى الصُّوفِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى أَحْوالِهِمْ أَوْ مَقاماتِهِمْ ، مِنْ مِثْلِ : (غُرَباء) لِخُرُوجِهِمْ عَنِ الأَوْطانِ ، و(سَيَّاحُونَ) لِكَثْرَةِ أَسْفارِهِمْ وسِياحَتِهِمْ فِي البَرارِي ، و(شَكْفَتِيَّة) لإِيوائِهِمْ إِلَى الكُهُوفِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ (والشَّكْفَت : الغارُ والكَهْف) ، وأَهْلُ الشَّامِ سَمَّوْهُمْ

(جُوعِيَّة) لأَنَّهُمْ يَنالُونَ مِنْ الطَّعامِ قَدْرَ ما يُقِيمُ الصُّلْبَ للضَّرُورَةِ ، كَما قالَ النَّبِيُّ ﷺ :

(بحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ) ، و(فُقَراء) مِنْ تَخَلِّيهِمْ عَنِ الأَمْلاكِ[١] ، عَلَى أَنَّ هَذِهِ التَّسْمياتِ لَمْ تَصْمُدْ كَثِيرًا أَمامَ مُصْطَلَحِ (الصُّوفِي) لأَنَّها مِنْ أَبْعاضِهِ وكُلَّما عَبَّرَ المُصْطَلَحُ عَنِ المَعْنَى تَعْبِيرًا أَدَقَّ ، أَثْبَتَهُ التَّواطُؤُ والعُرْفُ ونَفَى غَيْرَهُ .

كَتَبَ السِّراجُ الطُوسِي : (فَلَمَّا كانَ الصُّوفِيَّةُ فِي الحَقِيقَةِ كَذَلِك ، لَمْ يَكُونُوا مُسْتَحَقِّينَ اسْمًا دُونَ اسْم ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ ما أَضَفْتُ إِلَيْهِمْ حالًا دُونَ حالٍ ، ولا أَضَفْتُهُمْ إِلَى عِلْمٍ دُونَ عِلْم ، لأَنِّي لَوْ أَضَفْتُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حالًا هُوَ ما وَجَدْتُ الأَغْلَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الأَحْوالِ والأَخْلاقِ والعُلُومِ والأَعْمالِ ، وسَمَّيْتُهُمْ بذَلِكَ ، لَكانَ يَلْزَمُ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ باسْمٍ آخَر ، وكُنْتُ أُضِيفُ إِلَيهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حالًا دُونَ حالٍ حَسْبَ ما يَكُونُ الأَغْلَبَ عَلَيهِمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ، نَسَبْتُها إِلَى ظاهِرِ اللِّبْسَةِ لأَنَّ لِبْسَةَ الصُّوفِ دَأْبُ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وشِعارُ الأَوْلِياءِ والأَصْفِياءِ ، فَلَمَّا أَضَفْتُهُمْ إِلَى ظاهِرِ اللِّبْسَةِ كانَ ذَلِكَ اسْمًا مُجْمَلًا

(١) التَّعَرُّف لِمَذْهَب أَهْل التَّصَوُّف ص ٢٩ ، ٣٠ .

عامًّا مُخْبِرًا عَنْ جَمِيعِ العُلُومِ والأَعْمالِ والأَخْلاقِ والأَحْوالِ الشَّرِيفَةِ المَحْمُودَةِ)[١] .

ثُمَّ يَأْتِي الطُّوسِي عَلَى ذِكْرِ الحَوارِيِّينَ فِي القُرْآنِ ، وسَبَبِ تَسْمِيَتِهِمْ بِهَذا الاسْمِ فَيَقُولُ : (وكانُوا قَوْمًا يَلْبَسُونَ البَياضَ ، فَنَسَبَهُمُ اللهُ إِلَى ذَلِكَ ولَمْ يَنْسِبْهُمْ إِلَى نَوْعٍ مِنَ العُلُوم ، والأَعْمالِ ، والأَحْوالِ الَّتِي كانُوا بِها مُتَرَسِّمِينَ ، فامْتازُوا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سائِرِ أَتْباعِ المَسِيحِ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ) .

ويَذْكُرُ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقاتِهِ خَبَرًا مُهِمًّا جَدِيرًا بالإِثْباتِ والذِّكْرِ ، وهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَصْحابَهُ فِي بِدايَةِ وَقْعَةِ بَدْرٍ أَنَّ اللهَ أَمَدَّهُمْ بالمَلائِكَةِ رَبْطًا عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وأَنَّ المَلائِكَةَ نَزَلَتْ : (والصُّوفُ فِي نَواصِي خَيْلِهِمْ) ، فَأَمَرَهُمْ ﷺ بقَوْلِهِ : (إِنَّ المَلائِكَةَ قَدْ سُوِّمَتْ فَسَوِّمُوا) ، فَكانَ أَنْ : (عُلِّمُوا بالصُّوفِ فِي مَغافِرِهِمْ وقَلانِسِهِمْ)[٢] .

ويَتَّصِلُ بِهَذا أَيْضًا أَنَّ الإِمامَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، كانَ فِي هَذا اليَوْمِ مُعَلَّمًا بِصُوفَةٍ بَيْضاء .

إِذَنْ ، فَمِنْ خِلالِ النَّماذِجِ الآنِفَةِ وغَيْرِها ، نَجِدُ أَنَّ الصُّوفَ صارَ رَمْزًا

(١) اللُّمَعُ للسِّراج الطُّوسِي .

(٢) الطَّبَقات (ابنُ سَعْد) تَحْقِيق : د . إِحْسان عَبَّاس - رَأْيٌ فِي اشْتِقاق كَلِمَة صُوفي .

دالًّا (ويَنْزاحُ انْزياحًا مَلْحُوظًا مِنْ جِهَةِ كَوْنِه مَدْلُولًا) : فالصُّوفَةُ المَعْقُودَةُ عَلَى رُؤُوسِ الصَّحابَةِ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ تَعْلَقُ دَلالَتُها بِتَقْدِيمِ الأَجْسادِ والأَرْواحِ فِي سَبيلِ اللهِ ؛ أَيْ أَنَّ البَدَنَةَ هُنا هِيَ الجَسَدُ ، وإراقَةَ الدَّمِ هُنا حَقِيقِيَّةٌ ولَيْسَتْ مَجازِيَّةً ، وفِي المُقابِلِ فَإِنَّ الغَوْثَ بنَ مُرٍّ الجاهِلِي ، كانَتْ صُوفَتُهُ المُعَلَّقَةُ بِرَأْسِهِ لا تُحِيلُ عَلَى مَعْنَى إراقَةِ الدَّمِ ، وإِنَّما عَلَى مَعْنَى إراقَةِ النَّفْسِ فِي العِبادَةِ وخِدْمَةِ بَيْتِ اللهِ ، فَإِذا صَحَّ هَذا التَّحْلِيلُ ، أَمْكَنَ الرَّبْطُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الجِهادِ بِمَعْنَى القِتالِ والحَرْبِ ، والجِهادِ بِمَعْنَى جِهادِ النَّفْسِ والهَوَى والشَّيْطانِ ، وكِلاهُما أَصْلٌ وارِدٌ فِي القُرْآنِ والسُّنَّة .

ولَقَدْ تَجَلَّى المَفْهُومُ الأَخِيرُ فِي مَضْمُونِ التَّصَوُّفِ تَجَلِّيًا عامًّا ، وعَلَى نَحْوٍ خاصٍّ فِي مَقُولَةِ (حاتِمِ الأَصَمِّ ، ٢٣٧ هـ) فِي قَوْلِهِ عَنْ سُلُوكِ مَذْهَبِ التَّصَوُّف : (مَنْ دَخَلَ فِي مَذْهَبِنا هَذا ، فَلْيَجْعَلْ فِي نَفْسِهِ أَرْبَعَ خِصالٍ مِنَ المَوْتِ : مَوْتًا أَبْيَضَ وهُوَ الجُوعُ ، ومَوْتًا أَسْوَدَ وهُوَ احْتِمالُ الأَذَى مِنَ الخَلْقِ ، ومَوْتًا أَحْمَرَ وهُوَ العَمَلُ الخالِصُ فِي مُخالَفَةِ الهَوَى ، ومَوْتًا أَخْضَرَ وهُوَ طَرْحُ الرِّقاعِ بَعْضِها عَلَى بَعْضٍ)[1] ، بَلْ إِنَّ

(١) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ (تَحْقِيقُ : مَعْرُوفُ زُرَيقُ وعَلِي عَبْدِ الحَمِيدِ بَلْطة جِي) ص٣٩٣ ، ٣٩٤ .

المَعْنَى يَبْلُغُ ذُرْوَتَه فِي قَوْلِ (سَهْلِ بنِ عَبْدِ اللهِ التَّسْتُرِي ، ٢٨٣ هـ) عَنِ الصُّوفِي ، بِما يُذَكِّرُنا بِمَعْنَى التَّضْحِيَةِ الجَسَدِيَّةِ ، فَيَقُولُ : (مالُهُ مُباحٌ ودَمُهُ هَدْرٌ)[1] .

فَيَتَبَيَّنُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَمْزَ الصُّوفَةِ يَتَنازَعُهُ مَعْنَيان :

الأَوَّلُ : حَقِيقِيٌّ وهُوَ المَوْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، والثَّانِي : مَجازِيٌّ وهُوَ مَوْتُ النَّفْسِ بِفَطْمِها عَنِ الأَهْواءِ وفُضُولِ الرَّغَباتِ بُغْيَةَ اسْتِخْلاصِها لِلهِ عَزَّ وجَلَّ ، ويَتَحَقَّقُ ذَلِكَ بِمُجاهَدَةِ النَّفْسِ عَبْرَ أَطْوارِها المُخْتَلِفَةِ ابْتِداءً مِنَ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، واجْتِيازِ هَذِهِ العَقَباتِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ الوُصُولُ والتَّحَقُّقُ بِمَقامِ النَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ المَرْضِيَّة .

ويُضافُ إِلَى تِلْكَ المَعانِي ما يَنْتُجُ عَنْها ، أَلَا وهُوَ السُّلُوك .

فالهَدَفُ مِنَ المُجاهَدَةِ أَو (السُّلُوكِ الصُّوفِي) بِتَعْبِيرٍ آخر ، هُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعالَى فِي أَسْمائِهِ وصِفاتِهِ وأَفْعالِهِ ، مِصْداقًا لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] ، وقَدْ فَسَّرَها مُجاهِدٌ بـ (إِلَّا لِيَعْرِفُونِ)[3] ، والمَعْرِفَةُ ثَمَرَةُ المُجاهَدَةِ والسَّعْي الصُّوفِي .

(١) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ (تَحْقِيقُ : مَعْرُوفُ زُرَيقُ وعَلِي عَبْدِ الحَمِيدِ بَلْطة جِي) ٦٠ .
(٢) سُورَةُ الذَّارِيات : الآيَة ٥٦ .
(٣) أَبُو حَيَّان الأَنْدَلُسِي (البَحْرُ المُحِيطُ فِي التَّفْسِير) .

بَلْ إِنَّ مُصْطَلَحَ (العارِف) يُسْتَبْدَلُ أَحْيانًا بِمُصْطَلَحِ (الصُّوفِي) بِاعْتِبارِهِما مُتَرادِفَيْنِ ، فَقَدْ قِيلَ : (إِنَّ الصُّوفِيَّ ابْنُ وَقْتِه)[1] ، كَما قِيلَ أَيْضًا : (إِنَّ العارِفَ ابْنُ وَقْتِه)[2] ، وقَدْ قِيلَ فِي المَعْرِفَةِ : (المَعْرِفَةُ حَياةُ القَلْبِ مَعَ الله) و(المَعْرِفَةُ تَأْتِي مِنْ عَيْنِ الجُودِ ، وبَذْلِ المَجْهُود)[3] ، وبِذا يَظْهَرُ التَّرابُطُ جَلِيًّا بَيْنَ المُجاهَدَةِ (السُّلُوكِ الصُّوفِي) والمَعْرِفَةِ ، وبِهِما مَعًا يَكْتَمِلُ مَعْنَى التَّصَوُّف ، وهَذا ما يُؤَكِّدُهُ الحَقُّ جَلَّ فِي عُلاه فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[4] ، وفِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[5] .

وإِذا تابَعْنا البَحْثَ ، وعَرَّجْنا عَلَى الرَّأْيِ الَّذي يَقُولُ إِنَّ التَّصَوُّفَ مُشْتَقٌّ مِنَ الصَّفاءِ أَو مِنْ أَهْلِ الصُّفَّة ، فَسَنَصِلُ إِلَى أَنَّ الأَمْرَ لا يَسْتَقِيمُ مِنْ جِهَةِ الاشْتِقاقِ اللُّغَوِي ، ولَكِنَّهُ يَسْتَقِيمُ مِنْ جانِبِ المَعْنَى ، فالصَّفاءُ مِنْ تَصْفِيَةِ النَّفْسِ مِنْ كَدُوراتِ البَشَرِيَّةِ ، وأَهْلُ الصُّفَّةِ بِعامَّةٍ كانُوا مُقِيمِينَ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الخَصْلَةِ فِي نُفُوسِهِمْ ، وما تَجْدُرُ الإِشارَةُ

(١) السَّهْرَوَرْدِي (عَوارِفُ المَعارِف) ص ٨٠ . (٢) السَّهْرَوَرْدِي (عَوارِفُ المَعارِف) .
(٣) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ . (٤) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ٢٨٢ .
(٥) سُورَةُ الأَنْفال : الآيَة ٢٩ .

إِلَيْه أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الكَلِماتِ المُؤَهَّلَةِ لأَنْ تَكُونَ أَصْلًا اشْتِقاقِيًّا لِلتَّصَوُّفِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِها ، تَشْتَرِكُ فِي حَرْفَيْنِ عَلَى الأَقَلِّ هُما الصَّادُ والفاءُ مَعَ مادَّةِ (صُوف) ، وأَمَّا المَدْلُولاتُ فَمُتَشابِهَةٌ ، وبِما أَنَّ التَّصَوُّفَ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى الصَّفاءِ ، وصِفَةِ أَهْلِ الصُّفَّة ، وبِهِ يَسْتَقِيمُ الاشْتِقاقُ لُغَوِيًّا مِنْ مادَّةِ (صُوف) ، وفِي ضَوْءِ ما تَقَدَّمَ مِنْ بَيانٍ فَإِنَّ اشْتِقاقَ التَّصَوُّفِ مِنَ الصُّوفِ هُوَ الرَّاجِحُ ، وهُوَ الرَّأْيُ الَّذي يُطْمَأَنُّ إِلَى صِحَّتِه ، والآراءُ الأُخْرَى مَرْجُوحَة[1] .

وسَوْفَ يَأْتِي أَنَّ بَعْضَ الصُّوفِيَّةِ قَدْ عَرَّفَ التَّصَوُّفَ بِما يُحِيلُ عَلَى مَقامِ التَّوَكُّلِ أَو الفَقْرِ أَو الزُّهْدِ وغَيْرِها ، وهَذِهِ مِنْ ضِمْنِ المَقاماتِ ؛ أَيْ مِنْ عَناصِرِ التَّصَوُّف .

كَما أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ أَحالَ عَلَى بَعْضِ المَفاهِيمِ المُرْتَبِطَةِ بِالأَحْوالِ فِي ذِكْرِهِ لِمَعْنَى التَّصَوُّفِ ، وكُلُّ هَذا داخِلٌ فِي المَعْنَى بِوَصْفِهِ عُنْصُرًا فِي تَكْوِينِه ، لا أَنَّهُ هُوَ وحَسْب .

(١) الآراءُ الاشْتِقاقِيَّةُ الأُخْرى نَذْكُرُها هُنا لِلتَّنْوِيهِ فَقَط ، لأَنَّ أَغْلَبَ الدِّراساتِ قَدِيمًا وحَدِيثًا عَنْها مَرْجُوحَةً :
١ - نِسْبَةً إِلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ مِنَ الصَّلاة ٢ - نِسْبَةً إِلَى القَفا ، وهِيَ خَصْلَةُ الشَّعْرِ عَلَى القَفا .
٣ - نِسْبَةً إِلَى الصَّفْوانَة ، وهِيَ نَوْعٌ مِنَ البَقْل .
وكَما لاحَظَ القُشَيْري : فَإِنَّ هَذِهِ الآراءَ لا يَشْهَدُ لَها اشْتِقاقٌ مِنْ جِهَةِ القِياسِ اللُّغَوِي .
انْظُرْ الرِّسالَةَ القُشَيْرِيَّة ص ٢٧٩ .

يَقُولُ السَّهْرَوَرْدِي البَغْدادِي : (وأَقْوالُ المَشايخِ فِي ماهِيَّةِ التَّصَوُّفِ تَزيدُ عَلَى أَلْفِ قَوْلٍ ، ويَطُولُ نَقْلُها)[1] ، ويُضِيفُ قائِلًا :

(لأَنَّهُم أَشارُوا فِيها إِلَى أَحْوالٍ فِي أَوْقاتٍ دُونَ أَوْقات ... فَقَدْ تُذْكَرُ أَشْياءُ فِي مَعْنَى التَّصَوُّفِ ذُكِرَ مِثْلُها فِي مَعْنَى الفَقْرِ .. وحَيْثُ وَقَعَ الاشْتِباهُ فَلا بُدَّ مِنْ فاصِلٍ ؛ فَقَدْ تَشْتَبِهُ الإشاراتُ فِي الفقْرِ بِمَعْنَى الزُّهْدِ تارَةً وبِمَعانِي التَّصَوُّفِ تارَةً ، ولا يَتَبَيَّنُ للمُسْتَرْشِدِينَ بَعْضُها مَعَ البَعْض ، فَنَقُولُ : التَّصَوُّفُ غَيْرُ الفقْرِ ، والتَّصَوُّفُ غيْرُ الزُّهْدِ ، فالتَّصَوُّفُ اسْمٌ جامِعٌ لِمَعانِي الفقْرِ ، ومَعانِي الزُّهْدِ مَعَ مَزيدِ أَوْصافٍ وإضافاتٍ لا يَكُونُ بِدُونِها الرَّجُلُ صُوفِيًّا وإِنْ كانَ زاهِدًا وفَقِيرًا) .

وفِيما يَلِي بَعْضُ النَّماذِجِ الَّتي جَرَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ الصُّوفِيَّةِ فِي مَعْنَى التَّصَوُّف :

۞ أَوَّلًا : قالَ مَعْرُوفٌ الكَرْخِي : (التَّصَوُّفُ هُوَ الأَخْذُ بالحَقائِقِ ، واليَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الخَلائِق)[2] ، مُشِيرًا فِي جُزْئِه الأَوَّلِ إِلَى طَبِيعَةِ الجانِبِ المَعْرِفِي للتَّصَوُّفِ ، وهُوَ مَعْرِفَةُ حَقائِقِ الأَشْياءِ وجَواهِرِها ، وعَدَمُ الاكْتِفاءِ بِما تُعْطِيهِ ظَواهِرُها ، أَمَّا الجُزْءُ الآخَرُ مِنَ التَّعْرِيفِ فَيُشِيرُ

(١) عَوارِفُ المَعارِف .　　(٢) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ .

إِلَى مَقامِ الزُّهْدِ ، وهُوَ التَّخَلِّي عَنِ الطَّمَعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ أَمْلاكٍ رَغْبَةً فِي اللهِ تَعالَى ، وبِمِثْلِ ذَلِكَ يَقُولُ (ذُو النُّونِ المِصْرِي) عَنِ الصُّوفِي : (الصُّوفِيُّ مَنْ إذا نَطَقَ أَبانَ نُطْقُهُ عَنِ الحَقائِقِ وإِنْ سَكَتَ نَطَقَتْ عَنْهُ الجَوارِحُ بِقَطْعِ العَلائِق) .

ثانِيًا : سُئِلَ (سَمْنُون ، ٢٩٠ هـ) عَنِ التَّصَوُّفِ فَقالَ : (أَنْ تَمْلِكَ شَيْئًا ولا يَمْلِكَكَ شَيْءٌ)[1] ، والعَلاقَةُ هُنا بَيْنَ المالِكِ والمَمْلُوكِ عَلاقَةٌ تَبادُلِيَّةٌ ، فَالمالِكُ للشَّيْءِ يَكُونُ مَمْلُوكًا ، كالمالِ : فَهُوَ مَمْلُوكٌ وفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ مالِكٌ لِقَلْبِ صاحِبِه ويَدِهِ ، فَأَنْ تَمْلِكَ شَيْئًا ولا يَمْلِكَكَ شَيْءٌ : هَذا يَعْنِي التَّحَقُّقَ بِمَقامِ العُبُودِيَّةِ الخالِصَةِ حَيْثُ تَحَرَّرْتَ مِنْ رِقِّ الأَكْوانِ وأَصْبَحَتْ عُبُودِيَّتُكَ خالِصَةً للهِ وَحْدَه .

۞ ثالِثًا : قالَ (عَمْرُو بنُ المَكِّيِّ ، ت ٢٩١ هـ) : (التَّصَوُّفُ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَشْغُولًا بما هُوَ أَوْلَى فِي الوَقْتِ)[2] ، وقالَ (أَحْمَدُ الجَرِيري ، ت ٣١١ هـ) : (التَّصَوُّفُ مُراقَبَةُ الأَحْوالِ ولُزُومُ الأَدَب)[3] ، وقالَ (أَبو بَكْرٍ الشِّبْلِي ، ٣٣٤ هـ) : (التَّصَوُّفُ ضَبْطُ حَواسِّكَ ومُراعاةُ أَنْفاسِك)[4] ، وقالَ الجُنَيْد : (التَّصَوُّفُ ذِكْرٌ مَعَ اجْتِماع ، ووَجْدٌ مَعَ

(١) اللُّمَعُ ص ٤٥ ،الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ .　　(٢) عَوارِفُ المَعارِف .
(٣) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ ص ٢٨٢ .　　(٤) طَبَقاتُ الصُّوفِيَّة ص ٣٤٠ .

اسْتِماع ، وعَمَلٌ مَعَ اتِّباع) .

وهَذِهِ التَّعْرِيفاتُ كُلُّها تَنْطَلِقُ مِنْ حالِ المُراقَبَةِ ، وبها يَتَمَكَّنُ العَبْدُ مِنْ أَداءِ أَعْمالِهِ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ ، وكَما أُرِيدَ لَها أَنْ تَكُونَ ، وحالُ المُراقَبَةِ مُسْتَفادٌ مِنَ الإِحْسانِ فِي قَوْلِهِ ﷺ : (الإِحْسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ)[1] .

۞ رابِعًا : سُئِلَ (الجُنَيْدُ ، ٢٩٧ هـ) عَنِ التَّصَوُّفِ فَقالَ : (هُوَ أَنْ يُمِيتَكَ الحَقُّ عَنْكَ ويُحْيِيكَ بِهِ)[2] ، وهُوَ قَوْلٌ صادِرٌ مِنْ حالِ الفَناءِ وفِيهِ يَفْنَى العَبْدُ عَنْ رُؤْيَةِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ لِيَراها بِرُؤْيَةِ اللهِ لَهُ ، فَتَكُونُ رُؤْيَتُهُ بِاللهِ ولِلهِ ولاحَظَّ لِلنَّفْسِ فِيها .

ويَدْخُلُ فِي المَعْنَى نَفْسِهِ قَوْلُ (أَبِي نَصْرٍ الطُّوسِي ، ت ٣٧٨ هـ) : (إِسْقاطُ رُؤْيَةِ الخَلْقِ ظاهِرًا وباطِنًا) ، وهُوَ رُؤْيَةُ الكَوْنِ عَلَى حَقِيقَةِ أَنَّهُ قائِمٌ بِاللهِ لا بِنَفْسِهِ ، وأَنَّ حَقِيقَتَهُ العَدَمُ ، ولَوْلا قِيامُ الوُجُودِ الحَقِّ بِهِ لَما ظَهَرَ ، أَيْ لَما وُجِدَ ، وهَذِهِ الحَقِيقَةُ لا تُدْرَكُ إِلَّا مِنْ حالِ الفَناءِ .

۞ خامِسًا : سُئِلَ (رُوَيْم ، ت ٣٠٣ هـ) عَنِ التَّصَوُّفِ فَقالَ : (اسْتِرْسالُ النَّفْسِ مَعَ اللهِ تَعالَى عَلَى ما يُرِيدُ)[3] ، ناظِرًا إِلَى التَّصَوُّفِ

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي كِتاب (الإيمان والسَّفَر) .

(٢) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ ص ٢٨٠ . (٣) اللُّمَعُ ص ٤٥ ، عَوارِفُ المَعارِفِ ص ٨٠ .

مِنْ مَقامِ الرِّضا ، الَّذِي يُحْمَدُ فِيهِ اللهُ عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، إِذْ لا مَجالَ لِلاعْتِراضِ أَوِ السَّخَطِ عَلَى إِرادَةِ اللهِ ومَشِيئَتِهِ .

والمَعْنَى نَفْسُهُ نَقْرَأُهُ عِنْدَ (أَبِي سَهْلٍ الصُّعْلُوكِي ، ت ٣٨٧ هـ) حَيْثُ يَقُولُ : (التَّصَوُّفُ : الإِعْراضُ عَنِ الاعْتِراضِ)[1] .

۞ سادِسًا : وهُوَ (لِرُوَيْم) أَيْضًا ؛ وفِيهِ يَنْتَقِلُ بِتَعْرِيفِ التَّصَوُّفِ مِنْ مَقامِ الرِّضا إِلَى مَقامَي الفَقْرِ والتَّوَكُّلِ ، يَقُولُ : (التَّصَوُّفُ مَبْنِيٌّ عَلَى ثَلاثِ خِصالٍ التَّمَسُّكُ بِالفَقْرِ والافْتِقارِ ، والتَّحَقُّقُ بِالبَذْلِ والإِيثارِ ، وتَرْكُ التَّصَرُّفِ والاخْتِيارِ)[2] ، وهُوَ هُنا قَدْ تَحَقَّقَ بِالمَنْهَجِ القُرْآنِي ، يَقُولُ اللهُ تَعالَى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[3] .

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[4] .

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[5] .

۞ سابِعًا : سُئِلَ الشَّيْخُ (مُحَمَّد زَكِي إِبْراهِيم) ، ما هُوَ المَقْصُودُ بِالتَّصَوُّفِ الإِسْلامِيِّ ؟ ، فَأَجابَ فَضِيلَتُهُ قائِلًا :

(١) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ ص ٢٨٣ . (٢) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ ص ٢٨٣ .

(٣) سُورَةُ فاطِر : مِنَ الآيَةِ ١٥ . (٤) سُورَةُ الحَشْر : مِنَ الآيَةِ ٩ .

(٥) سُورَةُ الإِنْسان : مِنَ الآيَةِ ٣٠ .

(التَّصَوُّفُ : هُوَ التَّخَلِّي عَنْ كُلِّ دَنِيٍّ ، والتَّحَلِّي بِكُلِّ سَنِيٍّ ، سُلوكًا إِلَى مَرَاتِبِ القُرْبِ والوُصُولِ ، فَهُوَ إعادَةُ بِناءِ الإِنْسانِ ، ورَبْطِهِ بِمَوْلاهُ فِي كُلِّ فِكْرٍ وقَوْلٍ وعَمَلٍ ونِيَّةٍ ، وفِي كلِّ مَوْقِعٍ مِنْ مَواقِعِ الإِنْسانِيَّةِ فِي الحَياةِ العامَّة . ويُمْكِنُ تَلْخِيصُ هَذا التَّعْرِيفِ فِي كَلِمَةٍ واحِدَةٍ ، هِيَ : (التَّقْوَى) فِي أَرْقَى مُسْتَوَياتِها الحِسِيَّةِ والمَعْنَوِيَّة .

فالتَّقْوَى عَقِيدَةٌ ، وخُلُقٌ ؛ فَهِيَ مُعامَلَةُ اللهِ بِحُسْنِ العِبادَةِ ، ومُعامَلَةُ العِبادِ بِحُسْنِ الخُلُقِ ، وهَذا الاعْتِبارُ هُوَ ما نَزَلَ بِهِ الوَحْيُ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وعَلَيْهِ تَدُورُ حُقُوقُ الإِنْسانِيَّةِ الرَّفِيعَةُ فِي الإِسْلام .

ورُوحُ التَّقْوَى هُوَ (التَّزَكِّي) :

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (١) ، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (٢) .

وبِهَذا المَعْنَى نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَيْقِنَ أَنَّ التَّصَوُّفَ قَدْ مُورِسَ فِعْلًا فِي العَهْدِ النَّبَوِي ، وعَهْدِ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ ومَنْ بَعْدَهُمْ .

وقَدِ امْتازَ التَّصَوُّفُ مَثَلًا بالدَّعْوَةِ والجِهادِ والخُلُقِ والذِّكْرِ والفِكْرِ والزُّهْدِ فِي الفُضُولِ ، وكُلُّ ذَلِكَ مِنْ مُكَوِّناتِ التَّقْوَى (أَو التَّزَكِّي) وبِهَذا يَكُونُ التَّصَوُّفُ مِمَّا جاءَ بِهِ الوَحْيُ ، ومِمَّا نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ ،

---

(١) سُورَةُ الأَعْلَى : الآيَة ١٤ . (٢) سُورَةُ الشَّمْس : الآيَة ٩ .

ومِمَّا حَثَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فَهُوَ مَقامُ (الإِحْسانِ) فِيها ، وهُوَ أَيْضًا مَقامُ الرَّبَّانِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ ، يَقُولُ تَعالَى :

﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (١) .

فالتَّصَوُّفُ إِذَنْ هُوَ : رَبَّانِيَّةُ الإِسْلام الجامِعَةُ للدِّينِ والدُّنْيا(٢) .

وإذا كانَ أَهْلُ التَّصَوُّفِ يَقْتَبِسُونَ أَفْكارَهُمْ مِنْ أَنْوارِ مِشْكاةِ النُّبُوَّةِ ، فَإِنَّنا نَجِدُ هَذا واضِحًا جَلِيًّا فِي قَوْلِ الشَّيْخ (عُمَر بن مُحَمَّد السَّهْرَوَرْدِي) حَيْثُ يَقُولُ : (إِنَّ الصُّوفِيَّ مَنْ يَضَعُ الأَشْياءَ فِي مَواضِعِها ويُدَبِّرُ الأَوْقاتَ والأَحْوالَ كُلَّها بالعِلْم ، يُقِيمُ الخَلْقَ مَقامَهُم ، ويُقِيمُ أَمْرَ الحَقِّ مَقامَهُ ، ويَسْتُرُ ما يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَرَ ، ويُظْهِرُ ما يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ ، ويَأْتِي بالأُمُورِ مِنْ مَواضِعِها بِحُضُورِ عَقْلٍ وصِحَّةِ تَوْحِيدٍ ، وكَمالِ مَعْرِفَةٍ ، ورِعايَةِ صِدْقٍ وإِخْلاص)(٣) .

هَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ التَّعْرِيفاتِ ، وكُلُّ واحِدٍ مِنْها يَتَّكِئُ فِي مَعْناهُ عَلَى أَحَدِ المَقاماتِ أَو الأَحْوالِ ، بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْها يَنْفَتِحُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَها كَبِيرُ اخْتِلاف .

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيَة ٧٩ .

(٢) أَبْجَدِيَّةُ التَّصَوُّفِ الإِسْلامِي (مُحَمَّد زَكِي إِبْراهِيم) .

(٣) الخُطَطُ التَوْفِيقِيَّة (عَلِي باشا مُبارَك) ج ١ ص ٩٠ .

كَما أَنَّ المَسْئُولَ الواحِدَ عَنِ التَّصَوُّفِ أَو الصُّوفِيِّ قَدْ يُجِيبُ انْطِلاقًا مِنَ المَقامِ أَو الحالِ الَّذى يَكُونُ غالِبًا عَلَيْهِ فِي أَثْناءِ الإجابَةِ ، أَو مُراعاةً لِحالِ السَّائِلِ .

وِلذَلِكَ اخْتَلَفَتِ العِبارَةُ ، والمَعْنَى المُشارُ إِلَيْهِ واحِدٌ ، وهُوَ كَما قالَ بَعْضُهُمْ :

عِباراتُنا شَتَّى وحُسْنُكَ واحِدٌ ۞ وكُلٌّ إِلَى ذاكَ الجَمالِ يُشِيرُ

ولِلهِ دَرُّ القائِلِ :

فَكَمْ بَيْنَ حُذَّاقِ الجِدالِ تَنازُعٌ ۞ وما بَيْنَ عُشَّاقِ الجَمالِ تَنازُعُ

ولَئِنْ كانَ مَفْهُومُ التَّصَوُّفِ ، فِي أَحَدِ جَوانِبِهِ الهامَّةِ ، يَسْتَنِدُ إِلَى ثُنائِيَّةِ المَقاماتِ والأَحْوالِ ، فَإِنَّهُ مِنْ جانِبٍ آخَرَ ، يَغْتَرِفُ مِنْ مَعِينِ الأَخْلاقِ الإِسْلامِيَّة .

وقَدْ آثَرْنا ذِكْرَ هَذا الجانِبِ بِمَعْزِلٍ عَنِ التَّعْرِيفاتِ السَّابِقَةِ ، لأَنَّهُ دُعامَةٌ قائِمَةٌ بِعَيْنِها فِي اسْتِكْمالِ مَفْهُومِ التَّصَوُّفِ ، فلا تَصَوُّفَ بلا أَخْلاقٍ ، ولَعَلَّ مُسْتَنَدَ الصُّوفِيَّةِ الأَخْلاقِيَّ يَنْبُعُ مِنْ عَيْنِ الآيَةِ القُرْآنِيَّةِ الَّتي يَمْدَحُ اللهُ تَعالَى رَسُولَهُ ﷺ فِيها : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [1] .

(١) سُورَةُ القَلَم : الآيَة ٤ .

ثُمَّ ما وَرَدَ فِي السُّنَّةِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : (إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ)[1] .

وِلذَلِكَ نَجِدُ الصُّوفِيَّةَ يَعْتَدُّونَ بِهَذا الأَصْلِ أَيَّما اعْتِدادٍ ، والتَّصَوُّفُ عِنْدَهُمْ مَقْرُونٌ بِالأَدَبِ دُونَ مُنازِعٍ ، قالَ (أَبُو حَفْص النَّيْسابُوري ، ت ٢٧٠ هـ) : (التَّصَوُّفُ كُلُّهُ أَدَبٌ ؛ لِكُلِّ وَقْتٍ أَدَبٌ ، ولِكُلِّ مَقامٍ أَدَبٌ فَمَنْ لَزِمَ آدابَ الأَوْقاتِ بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجالِ ، ومَنْ ضَيَّعَ الآدابَ فَهُوَ بَعِيدٌ بَعِيدٌ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ القُرْبَ ، ومَرْدُودٌ مِنْ حَيْثُ يَرْجُو القَبُولَ)[2] ، وقالَ (مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ القَصَّاب ، ٢٧٥ هـ) أُسْتاذُ الجُنَيْد : (التَّصَوُّفُ : أَخْلاقٌ كَرِيمَةٌ ظَهَرَتْ فِي زَمانٍ كَرِيمٍ مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ مَعَ قَوْمٍ كِرام)[3] .

وقالَ (أَبُو مُحَمَّدٍ الجَرِيرِي ، ت ٣١١ هـ) : إِنَّ التَّصَوُّفَ هُوَ الدُّخُولُ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، والخُرُوجُ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ)[4] ، ونَسَبَ الهَجْوِيرِيُّ قَوْلًا للإمام (مُحَمَّد الباقِر) رضي الله عنه : (التَّصَوُّفُ خُلُقٌ ، فَمَنْ زادَ عَلَيْكَ فِي الخُلُقِ زادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ)[5] .

بَلْ إِنَّ (أَبا الحُسَيْنِ النُّورِي ، ت ٢٩٥ هـ) يَتَجاوَزُ البُعْدَ المَعْرِفِيَّ

(١) أَخْرَجَهُ مالِكٌ فِي المُوَطَّأ ص ٤٧٣ .
(٢) طَبَقاتُ الصُّوفِيَّة .
(٣) اللُّمَعُ ،الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ .
(٤) اللُّمَعُ لـ(السِّراج الطُّوسِي) .
(٥) كَشْفُ المَحْجُوب ص ٢٣٤ .

للتَّصَوُّفِ لِيُقِيمَ أُصُولَهُ عَلَى الأَخْلاقِ وحَسْب ، حَيْثُ قالَ :

(لَيْسَ التَّصَوُّفُ رُسُومًا ولا عُلومًا ولَكِنَّها أَخْلاقٌ)[١] ، ولَعَلَّ النُّورِيَّ عَدَلَ إِلَى هَذا الرَّأْيِ لِشُيُوعِ أَدْعِياءِ التَّصَوُّفِ فِي عَصْرِهِ الَّذينَ يَتَمَسَّكُونَ بالمَعْرِفَةِ الصُّوفِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ دُونَ العَمَلِ بها ، ومِنَ المَعْرُوفِ أَنَّ المُعَوَّلَ عَلَيْهِ فِي المَعْرِفَةِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ هُوَ تِلْكَ المَعْرِفَةُ الذَّوْقِيَّةُ الصَّادِرَةُ عَنْ حَقِيقَةِ المُجاهَدَةِ بِالشَّرِيعَةِ .

وهُناكَ أَقْوالٌ أُخْرَى غَيْرُ قَلِيلَةٍ تَعْتَمِدُ البُعْدَ الأَخْلاقِيَّ فِي التَّرْجَمَةِ عَنْ مَفْهُومِ التَّصَوُّفِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الأَخْلاقَ السَّنِيَّةَ قاعِدَةٌ لا غِنَى عَنْها فِي إِحْكامِ مَبْنَى التَّصَوُّفِ ومَعْناه .

ولَقَدْ ظَلَّتْ هَذِهِ القاعِدَةُ ثابِتَةً ومُمْتَدَّةً وراسِخَةً فِي أَذْهانِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ ، ويُعَبِّرُ عَنْها (ابنُ عَرَبي ، ت ٦٣٨ هـ) الَّذي تَبَنَّى مَقُولَةَ أَسْلافِهِ يَوْمَ قالُوا (إِنَّ التَّصَوُّفَ خُلُقٌ ، فَمَنْ زادَ عَلَيْكَ فِي الخُلُقِ زادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ)[٢] .

ولَمْ يَكْتَفِ الصُّوفِيَّةُ بِحَدِّ التَّصَوُّفِ نَثْرًا ، بَلْ عَمِلَ بَعْضُهُم عَلَى حَدِّ

(١) طَبَقاتُ الصُّوفِيَّة (أَبو عَبْد الرَّحْمَن السُّلَمِي) .

(٢) ابنُ عَرَبي (الفُتُوحاتُ المَكِّيَّة) تَحْقِيق وتَقْدِيم : عُثْمان يَحْيَى ، تَصْدِيرُ ومُراجَعَة : د. إِبْراهِيم مَدْكُور ، ط٢ ، الهَيْئَة المِصْرِيَّة العامَّة لِلكِتاب ١١/ ٣٤٤ .

مَعْناهُ شِعْرًا ، قالَ (أَبُو الفَتْحِ البَسْتِي ، ت ٤٠٠ هـ) فِي مَعْناهُ المَأْخُوذِ مِنَ الصَّفاء .

تَنازَعَ النَّاسُ فِي الصُّوفِيِّ واخْتَلَفُوا ❁ قِدْمًا وظَنُّوهُ مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوفِ
ولَسْتُ أَنْحَلُ هَذا الاسْمَ غَيْرَ فَتًى ❁ صافَى فَصُوفِيَ حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي

وفِي وَصْفِ الصُّوفِيَّةِ وأَحْوالِهِمْ فِي الذِّكْرِ والمُناجاةِ والزُّهْدِ فِي الدُّنْيا مَحَبَّةً لِلهِ وشَوْقًا إِلَيْهِ ، بِما يُوافِقُ مَفْهُومَ التَّصَوُّفِ ، يَقُولُ (أَحْمَدُ بنُ الخَرَّاز ، ت ٢٧٩ هـ)[١] :

حَنِينُ قُلُوبِ العارِفِينَ إِلَى الذِّكْرِ ❁ وتَذْكارُهُمْ وَقْتَ المُناجاةِ لِلسِّرِّ
هُمُومُهُمُ جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ ❁ بِهِ أَهْلُ وُدِّ اللهِ كالأَنْجُمِ الزُّهْرِ
فَأَجْسامُهُمْ فِي الأَرْضِ قَتْلَى بِحُبِّهِ ❁ وأَرْواحُهُمْ فِي الحُجْبِ نَحْوَ العُلَى تَسْرِي
فَما عَرَّسُوا إِلَّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِمْ ❁ وما عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤْسٍ ولا ضُرِّ

ويَرْوِي (ذُو النُّونِ المِصْرِي) عَنِ (امْرَأَةٍ) رَآها فِي بَعْضِ سَواحِلِ الشَّامِ فَسَأَلَها : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ ؟ قالَتْ : مِنْ عِنْدِ أَقْوامٍ تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ ، فَقالَ : وأَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ قالَتْ إِلَى رِجالٍ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، فَقالَ : صِفِيهِمْ لِي ؛ فَأَنْشَدَتْ[٢] :

(١) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
(٢) عَوارِفُ المَعارِفِ السَّهْرَوَرْدِي .

قَوْمٌ هُمُومُهُمُ باللهِ قَدْ عَلِقَتْ ۞ فما لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إلَى أَحَدِ
فَمَطْلَبُ القَوْمِ مَوْلاهُمْ وسَيِّدُهُمْ ۞ يا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ للواحِدِ الصَّمَدِ
ما إنْ تُنازِعُهُمْ دُنْيا ولا شَرَفٌ ۞ مِنَ المَطاعِمِ واللَّذّاتِ والوَلَدِ
ولا لِلِبْسِ ثِيابٍ فائِقٍ أَنِقٍ ۞ ولا لِرَوحِ سُرُورٍ حَلَّ فِي بَلَدِ
إلَّا مُسارَعَةً فِي إثْرِ مَنْزِلَةٍ ۞ قَدْ قارَبَ الخَطْوُ فِيها باعِدَ الأَبَدِ
فَهُمْ رَهائِنُ غُدْرانٍ وأَوْدِيَةٍ ۞ وفِي الشَّوامِخِ تَلْقاهُمْ مَعَ العَدَدِ

ولـ(أَبِي نَصْرٍ السِّراجِ الطُّوسِي ، ت ٣٧٨ هـ) أَبْياتٌ فِي بَيانِ مَعْنَى التَّصَوُّفِ وأَحْوالِ الصُّوفِيَّةِ تَكادُ تَكُونُ جامِعَةً ، وفِيها تَفْسِيرٌ إشارِيٌّ طَرِيفٌ لِمَعانِي حُرُوفِ كَلِمَةِ (تَصَوُّف) ؛ فالتَّاءُ مِنَ التُّقَى ، والصَّادُ مِنَ الصَّفاءِ ، والواوُ مِنَ الوَفاءِ والفاءُ مِنَ الفُتُوَّةِ ، يَقُولُ :

لا تَسْأَمَنَّ مَقالَتِي يا صاحِ ۞ واقْبَلْ نَصِيحَةَ ناصِحٍ نَصَّاحِ
لَيْسَ التَّصَوُّفُ حِيلَةً وتَكَلُّفًا ۞ وتَقَشُّفًا وتَواجُدًا بِصِياحِ
لَيْسَ التَّصَوُّفُ كِذْبَةً وبَطالَةً ۞ وجَهالَةً ودُعابَةً بِمِزاحِ
بَلْ عِفَّةً ومُرُوءَةً وفُتُوَّةً ۞ ورِضًى وصِدْقًا والوَفا بِسَماحِ
وتُقًى وعِلْمًا واقْتِداءً والصَّفا ۞ وقَناعَةً وطَهارَةً بِصَلاحِ
مَنْ قامَ فِيهِ بِحَقِّهِ وحُقُوقِهِ ۞ وخَلا عَنِ الحَدَثانِ والأَشْباحِ

مُتَيَقِّنًا مُتَصَبِّرًا مُتَشَمِّرًا ۞ مُسْتَمْطِرًا مُتَقَصِّدًا بِسِياحِ
مُتَعَزِّزًا مُتَحَرِّزًا مُتَواضِعًا ۞ مُتَبَدِّلَ الأَشْباحِ والأَرْواحِ
تَتَشَعْشَعُ الأَنْوارُ مِنْ أَسْرارِهِ ۞ كَتَشَعْشُعِ المِشْكاةِ فِي المِصْباحِ
تاءُ التُّقَى صادُ الصَّفا واوُ الوَفا ۞ فاءُ الفُتُوَّةِ فاغْتَنِمْ يا صاحِ

وإنَّ نُعُوتَ هَؤُلاءِ الرِّجالِ ، مَعَ ما وَرَدَ فِي الأَبْياتِ السَّابِقَةِ ، تُحِيلُ عَلَى أَغْلَبِ المَعانِي الَّتِي نَقَلَتْها التَّعْرِيفاتُ المُتَنَوِّعَةُ لِلتَّصَوُّفِ ، مِنْ مِثْلِ : تَعَلُّقِ الهِمَمِ باللهِ ، والمُجاهَدَةِ فِيهِ ، والأُنْسِ بِذِكْرِهِ ، والسُّكْرِ بِمَحَبَّتِهِ ، وامْتِلاءِ القَلْبِ بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ ، وطَلَبِ الفَقْرِ والزُّهْدِ فِي الدُّنْيا ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعانٍ وصُوَرٍ تَرِدُ إلَى رُكْنَي التَّصَوُّفِ الأَساسِيَّيْنِ : المَقاماتِ والأَحْوالِ .

ولَكِنَّ السُّؤالَ الَّذِي يَبْقَى قائِمًا هُوَ : هَلْ تَمَكَّنَ الصُّوفِيَّةُ مِنْ وَضْعِ تَعْرِيفٍ جامِعٍ مانِعٍ لِلتَّصَوُّفِ ، بِحَيْثُ يَشْتَمِلُ عَلَى الجانِبِ المَعْرِفِيِّ والجانِبِ الأَخْلاقِيِّ فَضْلًا عَنْ رُكْنَي المَقاماتِ والأَحْوالِ ؟

لَعَلَّ الإمامَ (الجُنَيْد) وهُوَ المَنْعُوتُ بِسَيِّدِ الطَّائِفَةِ ، يُلْقِي الضَّوْءَ عَلَى هَذا التَّساؤُلِ ، فَمِنْ أَقْوالِهِ الجامِعَةِ فِي تَعْرِيفِ التَّصَوُّفِ :

(تَصْفِيَةُ القَلْبِ عَنْ مُوافَقَةِ البَرِيَّةِ ، ومُفارَقَةُ الأَخْلاقِ الدَّنِيَّةِ ، وإخْمادُ

الصِّفاتِ البَشَرِيَّةِ ، ومجُانَبَةُ الدَّعاوَى النَّفْسانِيَّةِ ، ومُنازَلَةُ الصِّفاتِ الرُّوحانِيَّةِ والتَّعَلُّقُ بالعُلُوم الحَقِيقِيَّةِ ، واسْتِعْمالُ ما هُوَ أَوْلَى عَلَى الأَبَدِيَّةِ ، والنُّصْحُ لِجَمِيعِ الأُمَّةِ ، والوَفاءُ للّهِ عَلَى الحَقِيقَةِ ، واتِّباعُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الشَّرِيعَةِ)[1] .

وهَذا التَّعْرِيفُ عَلَى طُولِهِ يُخْتَصَرُ فِي شِقَّيْنِ ؛ الأَوَّلُ : يَتَمَثَّلُ فِي مُجاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى وَفْقِ الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، والثَّانِي : فِي إِدْراكِ الحَقِيقَةِ (زُبْدَةِ الشَّرِيعَةِ) ، وبِهَذَيْنِ الشِّقَّيْنِ يَكْتَمِلُ مَعْنَى التَّصَوُّف .

ولَكِنْ بما أَنَّ المُصْطَلَحَ يَجْنَحُ إِلَى الإِيجازِ ، وإِفادَةِ المَعْنَى بِأَقَلِّ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِنَ الأَلْفاظِ ، فَقَدْ نَجِدُ مُبْتَغانا عِنْدَ (أَبِي بَكْرٍ الكِتَّانِي) الَّذي يُعَرِّفُ : (التَّصَوُّفَ) بِأَنَّهُ : (صَفاءٌ ومُشاهَدَةٌ) .

فالصَّفاءُ : هُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِمُجاهَدَةِ النَّفْسِ ، والمُشاهَدَةُ : هِيَ المُعَبَّرُ عَنْها بالحَقِيقَةِ ، والحَقِيقَةُ عِنْدَ الصُوفِيَّةِ ؛ شَهادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ كَما شَهِدَها اللّهُ عَزَّ وجَلَّ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ، والمَلائِكَةُ ، وأُولُو العِلْمِ وذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾[2] .

(1) التَعَرُّفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّف .

(2) سُورَةُ آلِ عِمْران : مِنَ الآيَة ١٨ .

وبِذَلِكَ يَكُونُ هَذا التَّعْرِيفُ مُؤَهَّلًا للتَّعْبِيرِ عَنْ مَعْنَى التَّصَوُّفِ ، مِنْ ناحِيَةٍ فَنِّيَّةٍ ومَوْضُوعِيَّةٍ ، لِكَوْنِهِ مُخْتَصَرًا ، ومُشْتَمِلًا عَلَى وَسِيلَةِ الصُّوفِيِّ فِي الوُصُولِ إِلَى حَقِيقَةِ التَّوْحِيد .

٢ - **فِي تارِيخِ المُصْطَلَح :**

إِتْمامًا للفائِدَةِ فِي بَيانِ المُصْطَلَح ، يَحْسُنُ الوُقُوفُ عَلَى الفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ الَّتِي بَدَأَ يَشِيعُ فِيها ، فَقَدْ دَفَعَ (الطُّوسِيُّ ، ت ٣٧٨ هـ) تُهْمَةَ الحُدُوثِ عَنْ هَذا المُصْطَلَحِ ، وأَنَّهُ لَمْ يُعْرَفْ إِلَّا فِي فَتْرَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ نِسْبِيًّا ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ تُهْمَةً كَهَذِهِ قَدْ تُخِلُّ بِنِسْبَةِ التَّصَوُّفِ إِلَى الإِسْلام ، أَوِ النَّظَرِ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ بِدْعَة .

ولَقَدْ مَرَّ مَعَنا أَنْ لا مُشاحَةَ فِي التَّسْمِيَةِ ما دامَ مَبْناها ومَعْناها لا يُخالِفانِ الكِتابَ والسُّنَّةَ ، وأَمَّا البُعْدُ الزَّمَنِيُّ أَوْ قُرْبُهُ مِنَ الصَّدْرِ الأَوَّلِ مِنَ الإِسْلام فَلا يُقَلِّلُ مِنْ قِيمَةِ المُصْطَلَح ، وإِنْ كانَ قُرْبُهُ يَزِيدُها صَلابَةً فِيما لَوْ كانَ مُتَداوَلًا فِيه .

وأَيًّا كانَ الأَمْرُ ، فـ (الطُّوسِيُّ) يُحاوِلُ إِرْجاعَ تارِيخِ الكَلِمَةِ إِلَى ما قَبْلَ الإِسْلام ، اسْتِنادًا إِلَى (مُحَمَّدِ بنِ إِسْحاقَ بنِ يَسارٍ ، ت ١٥٠ هـ) فِي كِتابِهِ الَّذي جَمَعَ فِيهِ أَخْبارَ مَكَّةَ ، قالَ : (إِنَّهُ قَبْلَ الإِسْلامِ قَدْ خَلَتْ

مَكَّةُ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ حَتَّى لا يَطُوفَ بِالبَيْتِ أَحَدٌ ، وكانَ يَجِيءُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ رَجُلٌ صُوفِيٌّ فَيَطُوفُ بِالبَيْتِ ويَنْصَرِفُ)[1] ، عَلَى أَنَّ هَذا الخَبَرَ لا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ كَثِيرًا فِي البَحْثِ المَوْضُوعِي ، بَلْ إِنَّ الطُّوسِيَّ نَفْسَهُ يُلَمِّحُ إِلَى الشَّكِ فِيهِ ، وهُوَ إِذْ يُورِدُهُ فَإِنَّما يُورِدُهُ للاسْتِئْناسِ لا لليَقِينِ ، يَقُولُ : (فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَبْلَ الإِسْلامِ كانَ يُعْرَفُ هَذا الاسْمُ ، وكانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الفَضْلِ والصَّلاحِ)[2] ، وهُنا نَتساءَلُ : هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذا الرَّجُلُ الصُّوفِيُّ مُنْحَدِرًا مِنْ سُلالَةِ بَنِي صُوفَةَ ؟ أَوْ مِمَّنْ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِم ؟ ثُمَّ يَرْوِي الطُّوسِي عَنِ (الحَسَنِ البَصْرِي ، ت ١١٠ هـ) أَنَّهُ قالَ : (رَأَيْتُ صُوفِيًّا فِي الطَّوافِ فَأَعْطَيْتُهُ شَيْئًا فَلَمْ يَأْخُذْ ، وقالَ مَعِيَ أَرْبَعَةُ دَوانِيقَ فَيَكْفِينِي ما مَعِي)[3] ، ويَسْتَدِلُّ كَذَلِكَ بِقَوْلِ (سُفْيانَ الثَّوْرِيِّ ، ت ١٦١ هـ) : (لَوْلا أَبُو هاشِم الصُّوفِيُّ ما عَرَفْتُ دَقِيقَ الرِّياء)[4] ، وبِناءً عَلَى هَذَيْنِ الخَبَرَيْنِ يَكُونُ مُصْطَلَحُ التَّصَوُّفِ قَدْ عُرِفَ فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِي .

ومِمَّا يُؤَكِّدُ صِحَّةَ شاهِدَي (الطُّوسِي) المَذْكُورَيْنِ آنِفًا ، قَوْلُ (مُساوِر

(١) اللُّمَعُ لـ(السِّراج الطُّوسِي) . (٢) المَصْدَرُ نَفْسُهُ .
(٣) اللُّمَعُ . (٤) ابْنُ الجَوْزِي (صِفَةُ الصَّفْوَة) .

الوَرَّاق ، ت ١٥٠ هـ) وهُوَ شاعِرٌ كُوفِيٌّ ومِنْ أَصْحابِ الحَدِيثِ ، فِي بَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ يَعِيبُ فِيهِما عَلَى رَجُلٍ رِياءَهُ وتَظاهُرَهُ بِالصَّلاحِ ، ويَذْكُرُ فِيها لَفْظَ التَّصَوُّفِ[1] :

تَصَوَّفَ كَيْ يُقالَ لَهُ أَمِينٌ ۞ وما يَعْنِي التَّصَوُّفَ والأَمانَهْ
ولَمْ يُرِدِ الإِلَهَ بِهِ ولَكِنْ ۞ أَرادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الخِيانَهْ

فَمِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّ اسْتِعْمالَ هَذِهِ الكَلِمَةِ كانَ قَدْ شاعَ قَبْلَ الخَمْسِينَ وبَعْدَ المائَةِ : ذَلِكَ أَنَّ صُورَةَ الصُّوفِيِّ فِي البَيْتَيْنِ ، تَكْشِفُ عَنْ أَنَّ التَّصَوُّفَ كانَ مَعْرُوفًا ومُمارَسًا مُنْذُ زَمَنٍ لا يُدْرَى حَدُّ بِدايَتِهِ ، ولَكِنَّهُ يَكْفِي للحَدْسِ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ نِسْبِيًّا ، لِكَيْ يَصِيرَ للتَّصَوُّفِ أَدْعِياءُ ، الأَمْرُ الَّذِي يُؤَكِّدُ صِحَّةَ الرِّوايَةِ الَّتِي نَقَلَها (الطُّوسِيُّ) عَنِ (الحَسَنِ البَصْرِيِّ) ، وبِذَلِكَ يَكُونُ مُصْطَلَحُ التَّصَوُّفِ والصُّوفِيِّ ، قَدْ عُرِفا فِيما بَيْنَ مَطْلَعِ القَرْنِ الهِجْرِيِّ الثَّانِي ونِهايَةِ النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنْهُ ، وهُوَ داخِلٌ فِي عَصْرِ التَّابِعِينَ .

٣ – فِي المَصْدَرِ الإِسْلامِيِّ للتَّصَوُّفِ :

ولَئِنْ كَثُرَ الجَدَلُ فِي اشْتِقاقِ التَّصَوُّفِ ، فَقَدْ كَثُرَ الخِلافُ فِي مَصادِرِهِ

(١) ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ (العِقْدُ الفَرِيد) .

عَلَى أَنَّ البَيانَ هُنا لَنْ يَدْخُلَ فِي مُعْتَرَكِ الخِلافِ بِقَدْرِ ما سَيُحاوِلُ اسْتِخْراجَ أَرْكانٍ إِسْلامِيَّةٍ عامَّةٍ تَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ أُصُولًا لِلتَّصَوُّفِ ؛ ولَقَدْ كانَ الصُّوفِيَّةُ الأَوائِلُ ، ولا سِيَّما المَعْنِيُّونَ بِتَأْرِيخِ التَّجْرِبَةِ الصُّوفِيَّةِ ، قَدْ تَصَدَّوا لِبَيانِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ ، فَاسْتَخْرَجُوا مِنْ مَصْدَرَيِ التَّشْرِيعِ الإِسْلامِيِّ (الكِتابِ والسُّنَّةِ) ما يُؤَكِّدُ شَرْعِيَّةَ التَّصَوُّفِ ، وانْتِماءَهُ الأَصِيلَ لِلإِسْلامِ ، وها هُوَ ذا (الطُّوسِي) يَذْهَبُ إِلَى تَقْيِيدِ التَّصَوُّفِ بِأَرْبَعَةِ أُصُولٍ إِسْلامِيَّةٍ هِيَ[1] :

١ - مُتابَعَةُ كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ .

٢ - الاقْتِداءُ بِالرَّسُولِ ﷺ .

٣ - التَّخَلُّقُ بِأَخْلاقِ الصَّحابَةِ والتَّابِعِين .

٤ - التَّأَدُّبُ بِآدابِ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِين .

وقَدْ أَيَّدَ أُصُولَ (الطُّوسِي) هَذِهِ كُلُّ مَنْ كَتَبَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ عَنِ التَّصَوُّفِ بَعْدَهُ حَتَّى إِنَّ (ابنَ خَلْدُون ، ت ٨٠٨ هـ) ، وهُوَ مِنْ غَيْرِ الصُّوفِيَّةِ ، يُدْرِكُ الصِّلَةَ الوَثِيقَةَ بَيْنَ التَّصَوُّفِ ومَصْدَرِهِ الإِسْلامِيِّ ، ويُقِرُّها بِما يَتَّفِقُ مَعَ مُجْمَلِ ما ذَكَرَهُ (الطُّوسِيُّ) فَيَقُولُ : (هَذا العِلْمُ مِنَ العُلُومِ

(١) اللُّمَعُ ص ٢١ .

الشَّرْعِيَّةِ الحادِثَةِ فِي المِلَّةِ وأَصْلُهُ أَنَّ طَرِيقَ هَؤُلاءِ القَوْمِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الأُمَّةِ ، وكِبارِها مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ ومَنْ بَعْدَهُمْ ، طَرِيقَ الحَقِّ والهِدايَةِ .

وأَصْلُها العُكُوفُ عَلَى العِبادَةِ ، والانْقِطاعُ إِلَى اللهِ تَعالَى ، والإِعْراضُ عَنْ زُخْرُفِ الدُّنْيا وزِينَتِها ، والزُّهْدُ فِيما يُقْبِلُ عَلَيْهِ الجُمْهُورُ مِنْ لَذَّةٍ ومالٍ وجاهٍ ، والانْفِرادُ عَنِ الخَلْقِ فِي الخَلْوَةِ لِلعِبادَةِ ، وكانَ ذَلِكَ عامًّا فِي الصَّحابَةِ والسَّلَفِ فَلَمَّا فَشا الإِقْبالُ عَلَى الدُّنْيا فِي القَرْنِ الثَّانِي وما بَعْدَهُ ، وجَنَحَ النَّاسُ إِلَى مُخالَطَةِ الدُّنْيا ، اخْتَصَّ المُقْبِلُونَ عَلَى العِبادَةِ بِاسْمِ الصُّوفِيَّةِ والمُتَصَوِّفَةِ)[1] وهَذِهِ شَهادَةٌ مِنْ ناقِدٍ تارِيخِيٍّ ذِي عَيْنٍ بَصِيرَةٍ ، وهُوَ مِنْ غَيْرِ الصُّوفِيَّةِ ، يَرَى أَنَّ أَصْلَ التَّصَوُّفِ نابِعٌ مِنَ الاقْتِداءِ بِالصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ ، وهَؤُلاءِ هُمُ النُّخْبَةُ الَّذِينَ اقْتَدَوا بِالرَّسُولِ الأَعْظَمِ ﷺ .

وأَمَّا ما يَخُصُّ أُصُولَ الطُّوسِي ، فَإِنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ ، مِنْ بَيْنِها يُعَدُّ المَصْدَرَ الأَوَّلَ لِثُنائِيَّةِ الأَحْوالِ والمَقاماتِ ، حَيْثُ ذَكَرَ التَّوَّابِينَ ، والصَّابِرِينَ ، والفُقَراءَ ، والمُتَوَكِّلِينَ ، والشَّاكِرِينَ ، والرَّاضِينَ ،

(١) ابْنُ خَلْدُون (المُقَدِّمَة) .

والذَّاكِرينَ ، والخاشِعينَ ، والخائِفينَ ، والرَّاجينَ ، والوَجِلينَ ، والمُقَرَّبينَ .

وفي ذِكْرِ المُشاهِدِينَ ، قالَ تعالَى : ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (١) ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ ويَدْخُلُ فِي المَقاماتِ والأَحْوال .

ولا يَسَعُنا هُنا إلَّا اسْتِحْضارُ مَعْنَى التَّصَوُّفِ الَّذى اسْتَخْلَصَهُ البَيانُ آنِفًا وهُوَ : (الصَّفاءُ والمُشاهَدَة) ، وقَدْ ذَكَرْنا أَنَّ : الصَّفاءَ هُوَ (الوَسِيلَةُ = المُجاهَدَة) ، والغايَةُ هِيَ (المُشاهَدَةُ = المَعْرِفَةُ) ، ويُسْتَدَلُّ عَلَى المُجاهَدَةِ مِنْ قَوْلِهِ تعالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٢) ، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (٣) ، وقالَ ﷺ (المُجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللهِ)(٤) .

أَمَّا سُلُوكُ الرَّسُولِ ﷺ ، والصَّحابَةِ والتَّابِعينَ وعِبادِ اللهِ الصَّالِحينَ ، فالشَّواهِدُ عَلَيْها وَفِيرَةٌ فِي هَذا المَجالِ ، ويُكْتَفَى بِإحالَةِ المُتَطَلِّعِ والمُسْتَزِيدِ عَلَى كُتُبِ السِّيَرِ والحَدِيثِ والطَّبَقاتِ والتَّاريخِ ، لِيَلْمَسَ مَدَى انْشِغالِ رِجالِ الصَّدْرِ الأَوَّلِ بِمُجاهَدَةِ النَّفْسِ وتَزْكِيَتِها حَسْبَ أُصُولِ الشَّرِيعَة .

---

(١) سُورَةُ ق : الآيَة ٣٧ .
(٢) سُورَةُ العَنْكَبُوت : مِنَ الآيَة ٦٩ .
(٣) سُورَةُ النَّازعات : الآيَة ٤٠ ، ٤١ .
(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذيُّ فِي بابِ فَضائِلِ الجِهاد .

أَمَّا ثَمَرَةُ المُجاهَدَةِ ، وهِيَ المَعْرِفَةُ ، فَتُسْتَخْلَصُ مِنْ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (١) ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٢) ، أَي فُرْقانًا بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، وهَذا الفُرْقانُ هُوَ الَّذي يُمَثِّلُ جَوْهَرَ المَعْرِفَةِ الصُّوفِيَّة ، حِينَما يَسْعَى صاحِبُها إلَى البَحْثِ عَنْ وَجْهِ الحَقِّ فِي الأَشْياءِ بِالتَّقْوَى .

والتَّقْوَى لَيْسَتْ مُجَرَّدَ عِلْمٍ وحَسْب ، وإنَّما سُلُوكٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَي مُجاهَدَة .

فَإذا ما انْتَقَلْنا إلَى الأَصْلِ الرَّابِعِ والأَخِيرِ مِنْ أُصُولِ الطُّوسِي ، وهُوَ التَّأَدُّبُ بِآدابِ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهُ يَنْطَبِقُ عَلَى الصُّوفِيَّة ، حَيْثُ تَجَلَّتِ المَعانِي السَّابِقَةُ فِي أَقْوالِهِمْ ذاتِ الطَّابَعِ المَعْرِفيِّ الصَّادِرِ عَنْ تَجْرِبَةِ المُجاهَدَة .

يَقُولُ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاق : (مَنْ زَيَّنَ ظاهِرَهُ بِالمُجاهَدَةِ حَسَّنَ اللهُ سَرائِرَهُ بِالمُشاهَدَة)(٣) ، ويَقُولُ (أَبُو عُثْمانَ المَغْرَبى ، ٣٧٣ هـ) : (مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُفْتَحُ لَهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، أَوْ يُكْشَفُ لَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْها مِنْ غَيْرِ لُزُومِ المُجاهَدَةِ فَهُوَ مُخْطِئ)(٤) ، ويَجْدُرُ التَّنْبِيهُ هُنا إلَى أَنَّ

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ٢٨٢ .
(٢) سُورَةُ الأَنْفال : مِنَ الآيَة ٢٩ .
(٣) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ .
(٤) المَصْدَرُ نَفْسُهُ .

الصُّوفِيَّةَ يَسْتَعْمِلُونَ مُصْطَلَحاتٍ مُتَداوَلَةٍ بَيْنَهُمْ ، كالكَشْفِ والفَتْحِ ، والمُشاهَدَةِ ، فِي سِياقِ التَّعْبِيرِ عَنِ الجانِبِ المَعْرِفِي لَدَيْهِم .

بَيانُ ما قَدْ يَتَبادَرُ إِلَى الأَذْهانِ بِالتَّساؤُلِ عَنِ السَّبَبِ فِي عَدَمِ انْتِشارِ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّصَوُّفِ فِي صَدْرِ الإِسْلامِ ، وعَدَمِ ظُهُورِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَّا بَعْدَ عَهْدِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ ؟

والجَوابُ عَنْ هَذا : (إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ مِنْ حاجَةٍ إِلَيْها فِي العَصْرِ الأَوَّلِ ، لأَنَّ أَهْلَ هَذا العَصْرِ كانُوا أَهْلَ تَقْوَى ووَرَعٍ ، وأَرْبابَ مُجاهَدَةٍ وإِقْبالٍ عَلَى العِبادَةِ بِطَبِيعَتِهِمْ ، وبِحُكْمِ قُرْبِ اتِّصالِهِمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَكانُوا يَتَسابَقُونَ ويَتَبارَوْنَ فِي الاقْتِداءِ بِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ما يَدْعُو إِلَى تَلْقِينِهِمْ عِلْمًا يُرْشِدُهُمْ إِلَى أَمْرٍ هُمْ قائِمُونَ بِهِ فِعْلًا ، وإِنَّما مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ العَرَبِيِّ القُحِّ ، يَعْرِفُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ بِالتَّوارُثِ كابِرًا عَنْ كابِرٍ ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْرِضُ الشِّعْرَ البَلِيغَ بِالسَّلِيقَةِ والفِطْرَةِ ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ شَيْئًا مِنْ قَواعِدِ اللُّغَةِ والإِعْرابِ والنَّظْمِ والقَرِيضِ ، فَمِثْلُ هَذا لا يَلْزَمُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّحْوَ ودُرُوبَ البَلاغَةِ ، ولَكِنَّ عِلْمَ النَّحْوِ وقَواعِدَ اللُّغَةِ والشِّعْرِ تُصْبِحُ لازِمَةً وضَرُورِيَّةً عِنْدَ تَفَشِّي اللَّحْنِ ، وضَعْفِ التَّعْبِيرِ ، أَوْ لِمَنْ يُرِيدُ مِنَ الأَجانِبِ أَنْ يَتَفَهَّمَها ويَتَعَرَّفَ عَلَيْها ، أَوْ

عِنْدَما يُصْبِحُ هَذا العِلْمُ ضَرُورَةً مِنْ ضَرُوراتِ الاجْتِماعِ كَبَقِيَّةِ العُلُومِ الَّتِي نَشَأَتْ وتَأَلَّفَتْ عَلَى تَوالِي العُصُورِ فِي أَوْقاتِها المُناسِبَةِ .

فالصَّحابَةُ والتَّابِعُونَ (وإِنْ لَمْ يَتَسَمَّوْا بِاسْمِ المُتَصَوِّفِينَ) كانُوا صُوفِيِّينَ فِعْلًا وإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ اسْمًا ، وماذا يُرادُ بِالتَّصَوُّفِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعِيشَ المَرْءُ لِرَبِّهِ لا لِنَفْسِهِ ، ويَتَحَلَّى بِالزُّهْدِ ومُلازَمَةِ العُبُودِيَّةِ ، والإِقْبالِ عَلَى اللهِ بِالرُّوحِ والقَلْبِ فِي جَمِيعِ الأَوْقاتِ ، وسائِرِ الكَمالاتِ الَّتِي وَصَلَ بِها الصَّحابَةُ والتَّابِعُونَ مِنْ حَيْثُ الرُّقِيِّ الرُّوحِيِّ إِلَى أَسْمَى الدَّرَجاتِ : فَهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا بِالإِقْرارِ فِي عَقائِدِ الإِيمانِ ، والقِيامِ بِفُرُوضِ الإِسْلامِ ، بَلْ قَرَنُوا الإِقْرارَ بِالتَّذَوُّقِ والوِجْدانِ ، وزادُوا عَلَى الفُرُوضِ الإِتْيانَ بِكُلِّ ما اسْتَحَبَّهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ نَوافِلِ العِباداتِ ، وابْتَعَدُوا عَنِ المَكْرُوهاتِ فَضْلًا عَنِ المُحَرَّماتِ ، حَتَّى اسْتَنارَتْ بَصائِرُهُمْ ، وتَفَجَّرَتْ يَنابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وفاضَتِ الأَسْرارُ الرَّبانِيَّةُ عَلَى جَوانِحِهِمْ .

وكَذَلِكَ كانَ شَأْنُ التَّابِعِينَ وتابِعِي التَّابِعِينَ ، وهَذِهِ العُصُورُ الثَّلاثَةُ كانَتْ أَزْهَى عُصُورِ الإِسْلامِ وخَيْرَها عَلَى الإِطْلاقِ ، وقَدْ جاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْلُهُ : (خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي هَذا فالَّذِي يَلِيهِ والَّذِي يَلِيهِ)[1] .

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي فِي صَحِيحِه فِي كِتابِ الشَّهاداتِ ، ومُسْلِمٌ فِي فَضائِلِ الصَّحابَةِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه .

فَلَمَّا تَقادَمَ العَهْدُ ، ودَخَلَ فِي حَظِيرَةِ الإِسْلام أُمَمٌ شَتَّى ، وأَجْناسٌ عَدِيدَةٌ ، واتَّسَعَتْ دائِرَةُ العُلُوم ، وتَقَسَّمَتْ وتَوَزَّعَتْ بَيْنَ أَرْبابِ الاخْتِصاص ؛ قامَ كُلُّ فَرِيقٍ بِتَدْوِينِ الفَنِّ والعِلْمِ الَّذِي يُجِيدُهُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، فَنَشَأَ (بَعْدَ تَدْوِينِ النَّحْوِ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ) عِلْمُ الفِقْهِ ، وعِلْمُ التَّوْحِيدِ ، وعُلُومُ الحَدِيثِ ، وأُصُولُ الدِّينِ ، والتَّفْسِيرُ ، والمَنْطِقُ ، ومُصْطَلَحُ الحَدِيثِ ، وعِلْمُ الأُصُولِ ، والفَرائِضُ (المِيراثُ) وغَيْرُها ...

وحَدَثَ بَعْدَ هَذِهِ الفَتْرَةِ أَنْ أَخَذَ التَّأْثِيرُ الرُّوحِيُّ يَتَضاءَلُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وأَخَذَ النَّاسُ يَتَناسَوْنَ ضَرُورَةَ الإِقْبالِ عَلَى اللهِ بِالعُبُودِيَّةِ ، وبِالقَلْبِ والهِمَّةِ ، مِمَّا دَعا أَرْبابُ الرِّياضَةِ والزُّهْدِ إِلَى أَنْ يَعْمَلُوا هُمْ مِنْ ناحِيَتِهِمْ أَيْضًا عَلَى تَدْوِينِ عِلْمِ التَّصَوُّفِ ، وإِثْباتِ شَرَفِهِ وجَلالِهِ وفَضْلِهِ عَلَى سائِرِ العُلُوم ، ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُمُ احْتِجاجًا عَلَى انْصِرافِ الطَّوائِفِ الأُخْرَى إِلَى تَدْوِينِ عُلُومِهِمْ (كَما يَظُنُّ ذَلِكَ خَطَأً بَعْضُ المُسْتَشْرِقِينَ) بَلْ كانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سَدًّا لِلنَّقْصِ ، واسْتِكْمالاً لِحاجاتِ الدِّينِ فِي جَمِيعِ نَواحِي النَّشاطِ ، مِمَّا لا بُدَّ مِنْهُ لِحُصُولِ التَّعاوُنِ عَلَى تَمْهِيدِ أَسْبابِ البِرِّ والتَّقْوَى)[1] .

(١) مِنْ بَحْث (التَّصَوُّف مِنْ الوِجْهَة التَّارِيخِيَّة) للدُّكْتور أَحْمَد عَلْوَش .

والفَضْلُ ما شَهِدَتْ بِهِ الأَعْداءُ

ولَمْ يَسْتَطِعِ المُسْتَشْرِقُونَ أَنْفُسُهُم ، عَلَى كَثافَةِ دِراساتِهِمْ لِلتَّصَوُّفِ ، واخْتِلافِ أَهْدافِهِم[1] ، إِلَّا أَنْ يُقِرُّوا بِالمَصْدَرِ الإِسْلامِي لَهُ ، ولَعَلَّ تَجْرِبَةَ (نِيكلسُون) فِي هَذا المَجالِ ، تَكُونُ مِثالاً جَيِّدًا عَلَى ذَلِكَ حِينَما تَراجَعَ عَنْ آرائِهِ السَّابِقَةِ الَّتِي أَعْلَنَها سَنَةَ ١٩٠٦م ، والَّتِي يَذْكُرُ فِيها أَنَّ التَّصَوُّفَ وَلِيدُ الأَفْلاطُونِيَّةِ المُحْدَثَةِ والمَسِيحِيَّةِ والغُنُوصِيَّةِ . وقَدْ كَتَبَ سَنَةَ ١٩٢١م مَقالاً يُثْبِتُ فِيهِ تَراجُعَهُ ، ويَنْفِي أَنْ يَكُونَ التَّصَوُّفُ وَلِيدَ الثَّقافاتِ الأَجْنَبِيَّةِ ، ويُشِيرُ إِلَى أَنَّ ظاهِرَتَي الزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ اللَّتَيْنِ نَشَأَتا فِي الإِسْلام ، كانَتا إِسْلامِيَّتَيْنِ فِي الصَّمِيم[2] ، أَمَّا ماسِينْيون ، فَإِنَّهُ يَرَى بَعْدَ دِراسَتِهِ لِمُصْطَلَحاتِ التَّصَوُّفِ أَنَّ مَصادِرَها أَرْبَعَةٌ :

١ - القُرْآنُ الكَرِيمُ ، وهُوَ المَصْدَرُ الرَّئِيسُ لِلمُصْطَلَحاتِ الصُّوفِيَّةِ .

٢ - العُلُومُ العَرَبِيَّةُ الإِسْلامِيَّةُ ، كَالحَدِيثِ والفِقْهِ وغَيْرِها .

(١) يَكْشِفُ (أَرْبري) عَنْ أَنَّ عَدَدًا لا بَأْسَ بِهِ مِنَ المُسْتَشْرِقِين ، انْطِلاقًا مِنْ مَوْقِفٍ مُنْحاز ، يَرَوْنَ أَنَّ كُلَّ فِكْرَةٍ سَلِيمَةٍ أَوْ ذاتِ طابَعٍ مُتَمَيِّزٍ فِي الإِسْلام هِيَ مِنْ أَصْلٍ أَجْنَبِيّ ، ويَجِبُ أَنْ يَنْسِبُوها إِلَى مَصْدَرٍ مِنَ المَصادِرِ غَيْرِ الإِسْلامِيَّة ، وهَذا عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ لَيْسَ بِالعِلْمِ الصَّادِقِ النَّزِيه ، بَلْ هُوَ مِنْ أَسْوَأِ أَشْكالِ التَّعَصُّبِ الطَّائِفِي .

(٢) arebrry ,aj anintroduction to the history of sufism , oxford . p55

فِي التَّصَوُّفِ الإِسْلامِي وتارِيخِهِ ، تَرْجَمَة (د . أَبو العلا عَفِيفي)

٣ – مُصْطَلَحاتُ المُتَكَلِّمِينَ الأَوائِل .

٤ – اللُّغَةُ العِلْمِيَّةُ الَّتي تَكَوَّنَتْ فِي الشَّرْقِ فِي القُرُونِ السِّتَّةِ المَسِيحِيَّةِ الأُولَى مِنْ لُغاتٍ أُخْرَى ، كاليُونانِيَّةِ والفارِسِيَّةِ وغَيْرِهِما وأَصْبَحَتْ لُغَةَ العِلْمِ والفَلْسَفَةِ ، ثُمَّ يُشِيرُ فِي نِهايَةِ الأَمْرِ إِلَى أَنَّ التَّصَوُّفَ الإِسْلامِيَّ قَدْ نَشَأَ مِنْ صَمِيمِ الإِسْلامِ نَفْسِهِ ، عَلَى الأَقَلِّ فِي القُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُولَى[١] ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ المُسْتَشْرِقِينَ يَرَى أَنَّه (لا صُوفِيَّةَ مِنْ غَيْرِ إِسْلام)[٢] .

ومِمَّا يُسْتَحْسَنُ فِي خِتامِ هَذا البَيانِ تَسْجِيلُ بَعْضِ أَقْوالِ الصُّوفِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ الَّتي تَرْبِطُ طَرِيقَهُمْ وعُلُومَهُمْ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ والسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وأَخْلاقِ الإِسْلامِ الرَّفِيعَة :

قالَ ذُو النُّونِ المِصْري : (مِنْ عَلاماتِ المَحَبَّةِ للهِ عَزَّ وجَلَّ مُتابَعَةُ حَبِيبِ اللهِ ﷺ فِي أَخْلاقِهِ وأَفْعالِهِ وأَوامِرِهِ وسُنَّتِهِ)[٣] .

وقالَ الجُنَيْدُ : (الطُّرُقُ كُلُّها مَسْدُودَةٌ عَلَى الخَلْقِ إِلَّا مَنِ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ)[٤] .

---

(١) introduction to the history of sufism

(٢) saddart, william, the mystcal doctrines and methods of islam
newdelhi, jaj company p 19

(٣) ، (٤) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ .

وقالَ : (مَنْ لَمْ يَحْفَظِ القُرْآنَ ، ولَمْ يَكْتُبِ الحَدِيثَ ، لا يُقْتَدَى بِهِ فِي هَذا الأَمْرِ ، لأَنَّ عِلْمَنا هَذا مُقَيَّدٌ بِالكِتابِ والسُّنَّة)[١] .

وقالَ (شاه الكَرْماني ، ت ٣٠٠ هـ) :

(مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ المَحارِمِ وأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَواتِ ، وعَمَّرَ باطِنَهُ بِدوامِ المُراقَبَةِ ، وظاهِرَهُ بِاتِّباعِ السُّنَّةِ ، وعَوَّدَ نَفْسَهُ أَكْلَ الحَلالِ ، لَمْ تُخْطِئْ لَهُ فِراسَةٌ)[٢] .

وقَدْ عَبَّرَ (الشِّبْلِي) عَنْ عِلْمِ التَّصَوُّفِ شِعْرًا بِما يَنْسَجِمُ وقَوْلَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ (عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب) كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، فِي وَصْفِهِ العُلَماءَ الرَّبَّانِيِّينَ بِقَوْلِهِ : (... وصَحِبُوا الدُّنْيا بِأَبْدانٍ أَرْواحُها مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ ...)[٣] .

يَقُولُ الشِّبْلِي[٤] :

عِلْمُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ لا نَفادَ لَهُ ۞ عِلْمٌ سَنِيٌّ سَماوِيٌّ رُبُوبِيُّ

فِيهِ الفَوائِدُ لِلأَلْبابِ يَعْرِفُها ۞ أَهْلُ الجَزالَةِ والصُّنْعُ الخُصُوصِيُّ

وَيَبْقَى عِلْمُ التَّصَوُّفِ أَسْمَى مِنْ أَنْ تَحُدَّهُ عِبارَةٌ ، أَوْ تَصِفَهُ كَلِماتٌ ،

---

(١) ، (٢) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّةُ . (٣) الشَّرِيفُ الرَّضِي : نَهْجُ البَلاغَة .

(٤) التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ .

فالتَّصَوُّفُ هُوَ كُلُّ ما قِيلَ ، وهُوَ فَوْقَ ما قِيلَ ، وفَوْقَ ما يُقالُ كَذَلِكَ .

وإذا كانَ الإِسْلامُ عَمَلَ الجَوارِحِ مُظْهِرَةً أَرْكانَ البُنْيانِ (مِنْ شَهادَةٍ وصَلاةٍ وصِيامٍ وزَكاةٍ وحَجٍّ) فالمُؤَدِّي لَهَا عَلَى تَمامِها ذَلِكَ هُوَ الإِنْسانُ الصُّوفِي .

وإذا كانَ الإيمانُ تَصْدِيقًا بِالجَنانِ وأَنَّهُ كَما يَزْدادُ فَإِنَّهُ يَعْتَرِيهِ النُّقْصانُ ، فالَّذِي يَزْدادُ إيمانُهُ ويَزْدادُ ويَزْدادُ فَذَلِكَ هُوَ الإِنْسانُ الصُّوفِي .

وإذا كانَ الإِحْسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ ، فَكُلُّ مَنْ تَحَقَّقَ بِهَذا المَقامِ فَذَلِكَ هُوَ الإِنْسانُ الصُّوفِي .

ويَبْقَى السُّلُوكُ المُحَمَّدِيُّ الصَّحِيحُ والطَّوِيَّةُ الصَّافِيَةُ المُخْلِصَةُ أَصْدَقَ فِي تَجْلِيَةِ مَعْنَى التَّصَوُّفِ مِنْ أَيِّ بَلاغَةٍ لَفْظِيَّةٍ ، ولِلَّهِ دَرُّ (المَكْزُونِ السِّنْجارِي ، ٦٣٨ هـ) يَوْمَ قالَ :

عِلْمُ التَّصَوُّفِ لَيسَ يُدْرَكُ ❁ بِالإِشارَةِ والعِبارَهْ
إِلَّا لِقَلْبٍ مُخْلِصٍ ❁ بِالرُّوحِ يُلْقِيها أَمارَهْ
فَجَلا اليَقِينُ الظَّنَّ عَنْهُ ❁ بِحَقِّهِ وجَلا غُبارَهْ

❁❁❁❁❁

شُيُوخٌ عارِفُونَ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، قائِلُونَ بِهِما فِي خَواطِرِهِمْ ، مُتَحَقِّقُونَ بِهِما فِي سَرائِرِهِمْ ، يُراعُونَ حُدُودَ اللهِ ، ويُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ ، قائِمُونَ بِمَراسِمِ الشَّرِيعَةِ ، لا يَتَأَوَّلُونَ فِي الوَرَعِ ، آخِذُونَ بِالاحْتِياطِ ، مُجْتَنِبُونَ لِأَهْلِ التَّخْلِيطِ ، مُشْفِقُونَ عَلَى الأُمَّةِ ، لا يَمْقُتُونَ أَحَدًا ولَوْ كانَ مِنَ العُصاةِ ، يُحِبُّونَ مَنْ أَحَبَّ اللهَ ، ويُبْغِضُونَ مَنْ أَبْغَضَ اللهَ ، لا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ ، يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ، ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ المُجْمَعِ عَلَيْهِ ، يُسارِعُونَ فِي الخَيْراتِ ، ويَفْنَوْنَ عَنِ النَّاسِ ، يُوَقِّرُونَ الكَبِيرَ ، ويَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ ، ويُمِيطُونَ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ اللهِ وعَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، يَدْعُونَ فِي الخَيْرِ بِالأَوْجَبِ فالأَوْجَبِ ، يُؤَدُّونَ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِها ، يَبَرُّونَ إِخْوانَهُمْ بَلِ النَّاسَ أَجْمَعَهُمْ ، لا يَقْتَصِرُونَ بِالجُودِ عَلَى مَعارِفِهِمْ ، فَجُودُهُمْ مُطْلَقٌ ، الكَبِيرُ لَهُمْ أَبٌ ، والمَثِيلُ لَهُمْ أَخٌ وكُفْؤٌ ، والصَّغِيرُ لَهُمْ ابْنٌ ، وجَمِيعُ الخَلْقِ لَهُمْ عائِلَةٌ يَتَفَقَّدُونَ حَوائِجَهُمْ ، إِنْ أَطاعُوا رَأَوا الحَقَّ يُوقِفُهُمْ فِي طاعَتِهِمْ إِيَّاهُ ، وإِنْ عَصَوْا سارَعُوا بِالتَّوْبَةِ والحَياءِ مِنَ اللهِ ولامُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى ما صَدَرَ مِنْهُمْ ، ولا يَهْرُبُونَ مِنْ مَعاصِيهِمْ إِلَى القَضاءِ والقَدَرِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ سُوءِ الأَدَبِ

مَعَ اللهِ ، هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ ، ذَوو شِدَّةٍ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ ، تَراهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، فِي نَظَرِهِمْ رَحْمَةٌ لِعِبادِ اللهِ ، كَأَنَّهُمْ يَبْكُون ، الهَمُّ أَغْلَبُ إِلَيْهِمْ مِنَ الفَرَحِ لِما يُعْطِيهِ مَوْطِنُ التَّكْلِيف ، فَمِثْلُ هَؤُلاءِ الَّذِين يُقْتَدَى بِهِمْ ، ويَجِبُ احْتِرامُهُمْ ، وهُمُ الَّذِينَ إِذا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ .

مَزِيدُ بَيانٍ عَنِ الشَّيْخِ المُرَبِّي المُسْتَوْفِي الأَرْكان :

١) أَنْ يَكُونَ عالِمًا بِالفَرائِضِ العَيْنِيَّة ؛ كَأَحْكامِ الصَّلاةِ والصَّوْمِ والزَّكاةِ والحَجِّ وأَحْكامِ المُعامَلاتِ والبُيُوعِ ... إلخ ، وأَنْ يَكُونَ عالِمًا بِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ فِي التَّوْحِيد ، فَيَعْرِفَ ما يَجِبُ للهِ تَعالَى ، وما يَجُوزُ فِي حَقِّهِ وما يَسْتَحِيلُ إِجْمالًا وتَفْصِيلًا ، وكَذَلِكَ فِي حَقِّ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلام ، وهَكَذا سائِرُ أَرْكانِ الإِيمان .

٢) أَنْ يَتَحَقَّقَ بِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَمَلًا وذَوْقًا بَعْدَ أَنْ عَرَفَها عِلْمًا ودِرايَةً ؛ فَيَشْهَدَ فِي قَلْبِهِ ورُوحِهِ صِحَّتَها ، ولا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ تَعَدُّدُ الحَضَرات ؛ إِذْ تَعَدُّدُ الحَضَراتِ لا يَدُلُّ عَلَى تَعَدُّدِ الذَّات .

٣) أَنْ يَكُونَ قَدْ زَكَّى نَفْسَهُ عَلَى يَدِ مُرَبٍّ ومُرْشِدٍ ، فَخَبَرَ مَراتِبَ النَّفْسِ وأَمْراضَها ووَساوِسَها ، وعَرَفَ أَسالِيبَ الشَّيْطانِ ومَداخِلَهُ ، وآفاتِ كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَراحِلِ السَّيْرِ ، وطَرائِقَ مُعالَجَةِ كُلِّ ذَلِكَ بِما

يُلائِمُ حالَةَ كُلِّ شَخْصٍ وأَوْضاعَهُ .

٤) أَنْ يَكُونَ قَدْ أُجِيزَ مِنْ شَيْخِهِ بِهَذِهِ التَّرْبِيَةِ وهَذا السَّيْر ؛ فَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ الاخْتِصاصِيُّونَ بِعِلْمٍ يَدَّعِيهِ لا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَتَصَدَّرَ فِيهِ .

ولِلشَّيْخِ المُرَبِّي سِماتٌ وعَلامات :

• **مِنْها** : أَنَّ مَنْ يُجالِسُهُ يَشْعُرُ بِنَفْحَةٍ إِيمانِيَّةٍ ، ونَشْوَةٍ رُوحِيَّةٍ ، فَهُوَ لا يَتَكَلَّمُ إِلَّا للهِ ، ولا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْر ، ولا يَتَحَدَّثُ إِلَّا بِمَوْعِظَةٍ أَوْ نَصِيحَة ؛ يُسْتَفادُ مِنْ كَلامِهِ ، يُنْتَفَعُ مِنْ قُرْبِهِ كَما يُنْتَفَعُ مِنْ بُعْدِهِ ، يُسْتَفادُ مِنْ لَحْظِهِ كَما يُسْتَفادُ مِنْ لَفْظِهِ .

• **ومِنْها** : أَنْ يُلاحَظَ فِي أَصْحابِهِ ومُرِيدِيهِ صُوَرُ الإِيمانِ والإِخْلاصِ والتَّقْوَى والتَّواضُع ؛ وهَكَذا يُعْرَفُ الطَّبِيبُ الماهِرُ بِآثارِهِ ونَتائِجِ جُهُودِهِ ؛ حَيْثُ تَرَى المَرْضَى الَّذِينَ شُفُوا عَلَى يَدَيْهِ ، وتَخَرَّجُوا مِنْ مَصَحَّتِهِ بِأَوْفَرِ قُوَّةٍ وأَتَمِّ عافِيَةٍ ؛ عِلْمًا بِأَنَّ كَثْرَةَ المُرِيدِينَ والتَّلامِيذِ وقِلَّتَهُمْ لَيْسَتْ مِقْياسًا وَحِيدًا ، وإِنَّما العِبْرَةُ بِصَلاحِ هَؤُلاءِ المُرِيدِينَ وتَقْواهُمْ ، وتَخَلُّصِهِمْ مِنَ العُيُوبِ واسْتِقامَتِهِمْ عَلَى شَرْعِ اللهِ تَعالَى ، والحِكْمَةُ الصُّوفِيَّةُ تَقُولُ : (اسْلُكْ طَرِيقَ الهُدَى ولا يَضُرَّكَ قِلَّةُ السَّالِكِين ، واحْذَرْ طَرِيقَ الرَّدَى ولا يَغُرَّكَ كَثْرَةُ الهالِكِين) .

• ومِنْها : أَنَّكَ تَرَى تَلامِذَتَهُ يُمَثِّلُونَ مُخْتَلِفَ طَبَقاتِ الأُمَّة ، وهَكَذا كانَ أَصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

الشَّيْخُ فِي مِيزانِ أَهْلِ الفَضْلِ والعِرْفانِ :

۞ لَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ سَمِعْتَ مِنْهُ ؛ إِنَّما شَيْخُكَ مَنْ أَخَذْتَ عَنْهُ .

۞ ولَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ واجَهَتْكَ عِبارَتُه ؛ إِنَّما شَيْخُكَ مَنْ سَرَتْ فِيكَ إِشارَتُه .

۞ ولَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ دَعاكَ إِلَى البابِ ؛ إِنَّما شَيْخُكَ مَنْ رَفَعَ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ الحِجاب .

۞ ولَيْسَ شَيْخُكَ مَنْ واجَهَكَ مَقالُه ؛ إِنَّما شَيْخُكَ الَّذِي نَهَضَ بِكَ حالُه .

۞ شَيْخُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ الهَوَى ، وأَدْخَلَكَ إِلَى مَيادِينِ طاعَةِ المَوْلَى .

۞ شَيْخُكَ هُوَ الَذي يَدْعُوكَ إِلَى اللهِ ، ولَيْسَ الَّذي يَدْعُوكَ إِلَى نَفْسِه .

۞ شَيْخُكَ هُوَ الَذي ما زالَ يَجْلُو مِرْآةَ قَلْبِكَ حَتَّى تَجَلَّتْ فِيكَ أَنْوارُ رَبِّكَ ؛ نَهَضَ بِكَ إِلَى اللهِ ، فَنَهَضْتَ إِلَيْه ، وسارَ بِكَ حَتَّى وَصَلْتَ إِلَيْه ، ولا زالَ مُحاذِيًا لَكَ حَتَّى أَلْقاكَ بَيْنَ يَدَيْه ، فَزَجَّ بِكَ فِي نُورِ

الحَضْرَة ، وقالَ : ها أَنْتَ ورَبُّكَ .

ونَصِيحَتِي لِكُلِّ إِنْسانٍ يَنْشُدُ صِدْقَ الإِيمانِ وصَحِيحَ العِرْفانِ أَنْ يَعْتَبِرَ بِمَنْ قالَ : ((إِنَّ هَذا العِلْمَ دِينٌ ، فانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ)) .

وقَدْ أَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ ابنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما بذَلِكَ ، فَقالَ ﷺ : (يا ابنَ عُمَرَ : دِينَكَ دِينَكَ ، إِنَّما هُوَ لَحْمُكَ ودَمُكَ ، فانْظُرْ عَمَّنْ تَأْخُذُ ، خُذِ الدِّينَ عَنِ الَّذِينَ اسْتَقامُوا ، ولا تَأْخُذْ عَنِ الَّذِينَ مالُوا) .

وقالَ بَعْضُ العارِفِين : ((العِلْمُ رُوحٌ تُنْفَخُ لا مَسائِلُ تُنْسَخُ ، فَلْيَنْتَبِهِ المُتَعَلِّمُونَ عَمَّنْ يَأْخُذُونَ ، ولْيَنْتَبِهِ العالِمُونَ لِمَنْ يُعْطُونَ)) .

خُرُوجًا مِنَ الغَفْلَةِ والنِّسْيان : هُناكَ طائِفَةٌ أُخْرَى مِنَ الشُّيُوخِ أَصْحابُ أَحْوال ، عِنْدَهُمْ تَبْذِيرٌ لَيْسَ لَهُمْ فِي الظَّاهِرِ ذَلِكَ التَّحَفُّظ ، تُسَلَّمُ أَحْوالُهُمْ لَهُم ولا يُصْحَبُون ، ولَوْ ظَهَرَ لَدَيْهِمْ مِنْ خَرْقِ العَوائِدِ ما عَسَى أَنْ يَظْهَرَ فَلا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ مَعَ وُجُودِ سُوءِ أَدَبٍ مَعَ الشَّرْعِ ؛ فَإِنَّهُ لا طَرِيقَ لَنا إِلَى اللهِ إِلَّا ما شَرَعَهُ ؛ فَمَنْ قالَ بِأَنْ ثَمَّ طَرِيقًا إِلَى اللهِ خِلافَ ما شَرَعَ فَقَوْلُهُ زُورٌ ؛ فَلا يُقْتَدَى بِشَيْخٍ لا أَدَبَ لَهُ وإِنْ كانَ صادِقًا فِي حالِهِ ، ولَكِنْ يُحْتَرَم .

واعْلَمْ أَنَّ حُرْمَةَ اللهِ فِي حُرْمَةِ الشَّيْخِ القُدْوَةِ وعُقُوقَهُ فِي عُقُوقِهِمْ ،

هُمْ أَبْوابُ الحَقِّ ، الحافِظُونَ أَحْوالَ القُلُوبِ عَلَى المُرِيدِين ، فَمَنْ صَحِبَ شَيْخًا مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ ولَمْ يَحْتَرِمْهُ فَعُقُوبَتُهُ فُقْدانُ وُجُودِ الحَقِّ فِي قَلْبِهِ ، وإِنَّما يَكُونُ ذَلِكَ لأَهْلِ الأَدَبِ ، والبابُ دُونَ غَيْرِ أَهْلِ الأَدَبِ مُغْلَقٌ ، ولا حِرْمانَ أَعْظَمُ عَلَى المُرِيدِ مِنْ عَدَمِ احْتِرامِ الشُّيُوخِ ؛ فامْتِثالٌ وأَدَب ، وُصُولٌ بِلا تَعَب .

قالَ بَعْضُ أَهْلِ اللهِ فِي مَجالِسِ أَهْلِ الله : مَنْ قَعَدَ مَعَهُمْ فِي مَجالِسِهِمْ وخالَفَهُمْ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَحَقَّقُونَ بِهِ فِي أَحْوالِهِمْ نَزَعَ اللهُ نُورَ الإِيمانِ مِنْ قَلْبِه ، فالجُلُوسُ مَعَهُمْ خَطَرٌ ، وجَلِيسُهُمْ عَلَى خَطَر .

وتَعَدَّدَتْ آراءُ أَهْلِ التَّرْبِيَةِ فِي حَقِّ المُرِيدِ مَعَ شَيْخٍ آخَرَ خِلافَ شَيْخِهِ ، هَلْ حالُهُ مَعَهُ مِنْ جانِبِ الحَقِّ مِثْلَ شَيْخِهِ أَمْ لا ؟ فَكُلُّهُمْ قالُوا بِوُجُوبِ حُرْمَتِهِ عَلَيْه ، ولا بُدَّ هَذا مَوْضِعُ إِجْماعِهِمْ ، وما عَدا هَذا فَمِنْهُمْ مَنْ قالَ : حالُهُ مَعَهُ عَلَى السَّواءِ فِي حالِهِ مَعَ شَيْخِهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ فَصَّلَ وقالَ : لا تَكُونُ الصُّورَةُ واحِدَةً إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ المُرِيدُ أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْخَ الآخَرَ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ فِي الطَّرِيق ، وأَمَّا إِذا لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ فَلا ، ولِهَذا وَجْهٌ ولِلآخَرِ وَجْهٌ آخَر ؛ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِلمَرْأَة : (إِنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى) ، وكانَتْ قَدْ جَهِلَتْ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

والمُرِيدُ لا يَقْصِدُ إِلَّا الحَقَّ ، فَإِذا ظَهَرَ مَقْصُودُهُ حَيْثُ ظَهَرَ قالَ بِهِ وأَخَذَهُ ؛ فَإِنَّ الرِّجالَ إِنَّما يُعْرَفُونَ بِالحَقِّ ، لا يُعْرَفُ الحَقُّ بِهِمْ .

والأَصْلُ كَما لَمْ يَكُنْ وُجُودُ العالَمِ بَيْنَ إِلَهَيْنِ ولا المُكَلَّفِ بَيْنَ رَسُولَيْنِ مُخْتَلِفَي الشَّرائِعِ ولا امْرَأَةٍ بَيْنَ زَوْجَيْنِ ، كَذَلِكَ لا يَكُونُ مُرِيدٌ بَيْنَ شَيْخَيْنِ إِذا كانَ مُرِيدَ تَرْبِيَة ، فَإِنْ كانَتْ صُحْبَتُهُ بِلا تَرْبِيَةٍ فَلا يُبالِي بِصُحْبَةِ الشُّيُوخِ كُلِّهِمْ ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ تَحْتَ حُكْمِهِمْ ، وهَذِهِ الصُّحْبَةُ تُسَمَّى صُحْبَةَ البَرَكَة .

فَتَأَمَّلْ هَذا البَيانَ بِعَيْنِ الاعْتِراف ، واشْرَبْ زُلالَهُ بِأَقْداحِ الانْقِيادِ وكَفِّ الاغْتِراف ، تَعْلَمْ أَنَّ هَؤُلاءِ الأَشْياخِ المُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الأَوْصاف ، والمَنْعُوتِينَ بِهَذِهِ السِّماتِ المُخْتَصَّةِ بِالأَشْرافِ وبِأَهْلِ الإِشْراف ، نُورُ الوُجُودِ كَبَوادِرِ الشُّهُودِ عِنْدَ أَهْلِ الجُحُودِ والاقْتِراف ، بَلْ هُمُ الكِبْرِيتُ الأَحْمَرُ الَّذي يَحِقُّ لِلأَرْواحِ فِي طَلَبِهِ الإِتْلاف ، فَإِذا شَمَّرْتَ ذَيْلَ الطَّلَبِ وشَدَدْتَ زِنارَ الرَّغْبَةِ وجانَبْتَ الانْحِراف ، فابْحَثْ عَمَّنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الأَوْصافِ مِنْ غَيْرِ خِلاف ، والْزَمْ رِكابَهُ واخْدِمْ بابَهُ واحْذَرِ الانْصِراف ، فَما كُلُّ وَقْتٍ يُساعِدُ بِالجَمْعِيَّةِ والائْتِلاف ، ولا كُلُّ ساعَةٍ يُقامُ فِيها السُّوقُ فَتَحُومُ عَلَى المَرام وتَحُفُّكَ الأَلْطاف ،

فَمَنْ تَسَوَّفَ وتَعَلَّلَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزوالِ زَمانِ نِعْمَةِ التَّخَلُّقِ والاتِّصاف ، خُصُوصًا فِي هَذا الزَّمانِ الَّذي لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِلَّا الرُّسُومُ والأَسْماءُ عِنْدَ أَهْلِ الإِنْصاف ، وقَنَعَتِ الطُّلَّابُ فِيهِ بِمُجَرَّدِ الانْتِساب والانْدراجِ فِي الدُّرُوجِ دُونَ سُلُوكٍ واتِّضاحٍ وانْكِشاف .

وعَنْ بَعْضِ العارِفِينَ رضي الله عنهم أَنَّ مِنْ عَلامَةِ حُبِّ اللهِ تَعالَى لِعَبْدِهِ أَنْ يُوَفِّقَهُ لِمُلازَمَةِ الأَوْلِياءِ والصَّالِحِينَ ، ويَسْلُكَ طَرِيقَهُمْ بِأَدَبٍ وامْتِثال :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ ❁ وَحَالَ مَنْ يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى
مَتَى أَرَاهُمْ وَأَنَّى لِي بِرُؤْيَتِهِمْ ❁ أَوْ تَسْمَعُ الأُذْنُ مِنِّي عَنْهُمُ خَبَرَا
مَنْ لِي وَأَنَّى لِمِثْلِي أَنْ يُزاحِمَهُمْ ❁ عَلَى مَوَارِدَ لَمْ آلَفْ بِهَا كَدَرَا
أُحِبُّهُمْ وَأُدَارِيهِمْ وَأُوثِرُهُمْ ❁ لا أَبْتَغِي فِي الْوَرَى مِنْ غَيْرِهِمْ وَطَرَا
قَوْمٌ كِرَامُ السَّجَايَا حَيْثُمَا جَلَسُوا ❁ تَرَى الْمَكَانَ عَلَى آثَارِهِمْ عَطِرَا
يُهْدِي التَّصَوُّفُ مِنْ أَخْلاقِهِمْ طَرَفًا ❁ حُسْنُ التَّآلُفِ مِنْهُمْ رَاقَنِي نَظَرَا
هُمْ أَهْلُ وُدِّي وَأَحْبَابِي الَّذِينَ هُمُ ❁ مِمَّنْ يَجُرُّ ذُيُولَ الْعِزِّ مُفْتَخِرَا
لا زَالَ شَمْلِي بِهِمْ فِي اللهِ مُجْتَمِعًا ❁ وَذَنْبُنَا فِيهِ مَغْفُورًا وَمُغْتَفَرَا

حِسانُ الأَرْزاق
فِي بَيانِ جُمْلَةٍ مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاق

إذا كانَ التَّصَوُّفُ مَوْصُوفًا أَنَّهُ الخُلُقُ ، ومَنْ زادَ عَنْكَ خُلُقًا زادَ عَنْكَ تَصَوُّفًا ، فاعْلَمْ يا أَخِي ((وَفَّقَنا اللهُ وإِيَّاكَ لِطاعَتِهِ والقِيامِ بِخِدْمَتِهِ)) أَنَّ الأَخْلاقَ عَلَى قِسْمَيْنِ (حَمِيدَة) و(سَيِّئَة) ؛ وقَدْ حَرَّرَها وعَدَّها بَعْضُ العُلَماءِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ فقال :

فَأَمَّا الأَخْلاقُ الحَمِيدَةُ الحَسَنَةُ ؛ فَهِيَ : العَقِيدَةُ الصَّحِيحَة ، ومَحَبَّةُ اللهِ تَعالَى ، ورَجاءُ الوُصُولِ إِلَيْهِ ، وخَوْفُ الفِراقِ مِنْهُ ، والإِحْسانُ ، والإِخْلاصُ ، والإِيثارُ ، واتِّباعُ السُّنَّة ، والاشْتِغالُ بِعَيْبِ النَّفْسِ عَنْ عَيْبِ النَّاس ، والإِنْصافُ ، وفِعْلُ الرُّخَصِ أَحْيانًا ، والاعْتِقادُ مَعَ التَّسْلِيم ، والافْتِقارُ الاخْتِيارِي ، والإِنْفاقُ بِغَيْرِ تَقْتِير ، وإِنْفاقُ المالِ لِصِيانَةِ العِرْضِ ، والأَمْرُ بِالمَعْرُوف ، وتَجَنُّبُ الشُّبَه ، واتِّقاءُ ما لا بَأْسَ بِهِ لِما بِهِ بَأْسٌ ، وإِصْلاحُ ذاتِ البَيْنِ ، وإِماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيق ، والاسْتِشارَةُ والاسْتِخارة ، والأَدَبُ والاحْتِرامُ والإِجْلالُ لأَفاضِلِ البَشَرِ [1] والأَزْمِنَةِ

(١) قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنا ويَرْحَمْ صَغِيرَنا ويَعْرِفْ لِعالِمِنا حَقَّهُ) رَواهُ الحاكِمُ والإِمامُ أَحْمَدُ عَنْ سَيِّدِنا عُبادَةَ بنِ الصَّامِت رضي الله عنه .

والأَمْكِنَة[١] ، وإِدخالُ السُّرورِ عَلَى المُؤْمِن ، والاسْتِرْشادُ والإِرْشادُ بِتَرْبِيَةٍ وتَعْلِيم ، وإِفْشاءُ السَّلامِ والابْتِداءُ بِهِ ، وإِكْرامُ الجار ، وإِجابَةُ السَّائِل ، والإِعْطاءُ قَبْلَ السُّؤال ، واسْتِكْثارُ قَلِيلِ الخَيْرِ مِنْ الغَيْر ، واحْتِقارُ عَظِيمِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وبَذْلُ الجاهِ والجُهْدِ والبِشْرِ والبَشاشَة ، والتَّواضُعُ ، والتَّوْبَةُ ، والتَّعاوُنُ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ، وتَدْبِيرُ المَنْزِلِ والمَعِيشَةِ ، والتَّفَكُّرُ ، والتَّكَبُّرُ عَلَى المُتَكَبِّر ، وتَنْزِيلُ النَّاسِ مَنازِلَهُمْ ، وتَقْدِيمُ الأَهَمِّ ، والتَّصَبُّرُ ، والتَّغافُلُ عَنْ زَلَلِ النَّاس ، وتَحَمُّلُ الأَذَى ، والتَّهْنِئَةُ ، والتَّسْلِيمُ لِمَجارِي القَدَر ، وتَرْكُ الأَذَى والبَطالَةِ والتَّكَلُّفِ والمِراء ، والتَّحَدُّثُ بِالنِّعْمَة ، والتَّكْثِيرُ مِنَ الإِخْوانِ والأَعْوان ، والتَّجَمُّلُ فِي المَلْبَسِ والهَيْئَة ، والتَّسْمِيَةُ بِاسْمٍ حَسَنٍ مَعَ تَغْيِيرِ اللَّقَبِ القَبِيح ، والتَّوْسِعَةُ عَلَى العِيالِ ، وتَجَنُّبُ مَواقِعِ التُّهَمِ ومَواضِعِ الظُّلْمِ والكَلامِ المَنْهِيِّ عَنْهُ ، والتَّعارُفُ فِي الله ، والتَّطَبُّبُ بِالطِّبِّ النَّبَوِي ، والثَّباتُ فِي الأُمُورِ ، والثِّقَةُ بِالله ، وجِهادُ النَّفْسِ ، وجَلْبُ المَصالِح ، والحُبُّ فِي الله ، والبُغْضُ فِي الله ، والحِلْمُ ، والحَياءُ ، وحِفْظُ الأَمانَةِ والعَهْدِ والعِرْضِ ، وحُسْنُ السَّمْتِ والتَّفْهِيمِ والحَزْمِ وطَلَبِ المَعِيشَةِ

(١) كِفايَةُ الرَّاغِب شَرْحُ هِدايَةِ الطَّالِب : الإِمامُ عَبْدُ الله با عَلَوي .

والمُعاشَرَةِ والحَمِيَّةِ ، وخِدْمَةُ الصُّلَحاءِ والفُقَراءِ والعُلَماءِ والإِخْوانِ الضَّيْفِ ، والخُشُوعُ ، وخَوْفُ اللهِ ، ودَرْءُ المَفاسِدِ ، ودَوامُ التَّفَكُّرِ والاعْتِبارِ والدَّأَبِ فِي طَلَبِ العِلْمِ وذِكْرِ الله ، والرِّفْقُ فِي المَعِيشَة ، ورَحْمَةُ الصِّغارِ والمَساكِينِ واليَتِيمِ والجِيرانِ والمَرِيضِ ، والزُّهْدُ ، والسَّخاءُ ، والسَّماحُ ، والسَّلامُ عِنْدَ اللِّقاءِ حَتَّى عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ ، والشَّجاعَةُ ، والشَّفاعَةُ ، والشُّكْرُ ، والصَّبْرُ ، والصِّدْقُ ، والصُّلْحُ ، والصُّحْبَةُ ، وصِلَةُ الرَّحِمِ ، وضَبْطُ النَّفْسِ ، وطَهارَةُ الظَّاهِرِ والباطِنِ ، والعِفَّةُ ، والعَدْلُ ، والعَفْوُ ، والعُزْلَةُ ، وعُلُوُّ الهِمَّةِ ، والغَضَبُ لله ، والغَيْرَةُ الحَمِيدة ، والغِبْطَةُ ، والفَزَعُ إِلَى الصَّلاةِ عِنْدَ الشَّدائِد ، والفِراسَةُ وفِعْلُ ما لا بُدَّ مِنْهُ ، والقِيامُ بِحَقِّ الحَقِّ والخَلْقِ ، وقَبُولُ الحَقِّ ، وقَوْلُ الحَقِّ ولَوْ كانَ مُرًّا ، والقَناعَةُ ، وقَضاءُ حَوائِجِ النَّاس ، وكَظْمُ الغَيْظِ ، وكَفالَةُ اليَتِيم ، ولِقاءُ القادِمِ ، ولُزُومُ الطَّهارَة ، والتَّهَجُّدُ ، والصَّلَوات المَأْثُورات ، والعَوائِدُ الجَمِيلَة ، والمُداراةُ ، والمُخاطَبَةُ بِلِينِ الكَلام ، ومُحاسَبَةُ النَّفْسِ ومُخالَفَتُها ، والمُعاشَرَةُ بِالمَعْرُوف ، ومَعْرِفَةُ الحَقِّ لأَهْلِهِ ولِمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ ، ومَحَبَّةُ أَهْلِ البَيْتِ ومَوَدَّتُهُمْ ، والنُّصْحُ ، والنَّزاهَةُ ، والوَرَعُ ، وهَضْمُ النَّفْسِ ، واليَقِينُ ، والتَّوْبَةُ ، والاسْتِغْفار .

وأَمَّا الأَخْلاقُ الذَّمِيمَةُ السَّيِّئَةُ : فَهِيَ العَقِيدَةُ الفاسِدَةُ ، وارْتِكابُ المَعاصِي ، وتَرْكُ التَّوْبَة ، والجَهْلُ بالفَرائِضِ والسُّنَن ، والبَطالَةُ عَن العَمَل ، والانْتِقادُ عَلى أَهْلِ الله ، واعْتِقادُ كَمالِ النَّفْس ، والاسْتِنْكافُ عَن التَّعَلُّم ، والْتِماسُ عُيُوبِ النَّاس ، وإِكْثارُ الضَّحِك ، وإِظْهارُ المَعْصِيَة ، والإِيذاءُ والاسْتِهْزاءُ ، والإِعانَةُ عَلى الباطِل ، والانْتِقامُ للنَّفْس ، وإِثارَةُ الفِتْنَة ، والاخْتِيالُ ، والاسْتِماعُ لِحَدِيثِ قَوْمٍ وهُمْ لَهُ كارِهُون . والاسْتِطالَةُ ، والإِصْرارُ عَلى الذَّنْبِ مَعَ رَجاءِ المَغْفِرَة ، واسْتِعْظامُ ما يُعْطِيه ، وإِظْهارُ الفَقْرِ مَعَ الكِفايَة ، والبَغْيُ ، والبُهْتانُ ، والبُخْلُ ، والشُّحُّ ، والتَّجَسُّسُ ، والتَّبْذِيرُ ، والتَّعَمُّقُ ، والتَّمَلُّقُ ، والتَّذَلُّلُ للأَغْنِياءِ لِغِناهُمْ ، والتَّقْتِيرُ ، والتَّحْقِيرُ ، وتَزْكِيَةُ النَّفْسِ ، والتَّجَبُّرُ ، والتَّبَخْتُرُ ، والتَّكَلُّفُ ، والتَّعَرُّضُ للتُّهَم ، والتَّكَلُّمُ بالمَنْهِيِّ ، والتَّشَدُّقُ ، وتَضْيِيعُ الوَقْتِ بما لا يَعْنِي ، والتَّكْذِيبُ ، والتَّسْفِيهُ ، والتَّنابُزُ بالأَلْقاب ، والتَّعْبِيسُ ، والتَّفْرِيطُ ، والتَّسْوِيفُ فِي الأَجَل ، والتَّمَنِّي المَذْمُوم ، والتَّزَيِّي بِزِيِّ الصَّالِحِينَ وأَهْلِ العِلْم زُورًا ، وتَناوُلُ الرُّخَصِ بالتَّأْوِيلات ، والتَّساهُلُ فِي تَدارُكِ الغَيْرَة ، والتَّهَوُّر ، والجَهْلُ بما لا بُدَّ مِنْهُ ، وجَحْدُ الحَقِّ ، والجِدالُ ، والجَفاءُ ، والجَوْرُ ، والجُبْنُ ، والحِرْصُ ، والحِقْدُ ، والحَسَدُ ،

والحُمْقُ ، وحُبُّ الرِّياسَةِ والجاهِ والشُّهْرَة ، والشَّهْوَةُ المُسْتَرْسِلَة ، وإِفْشاءُ العَيْب ، والحُزْنُ الدَّائِمُ ، والخَدِيعَةُ ، والخَيْبَةُ ، والخِيانَة ، وخُلْفُ الوَعْدِ ، والخُيَلاءُ ، والدُّخُولُ فِيما لا يَعْنِي ، والذَّمُّ ، والذُّلُّ ، والرِّبا ، والرِّياءُ ، والرُّكُونُ إِلَى الأَغْيار ، ورُؤْيَةُ الفَضْلِ عَلَى الأَقْران ، وسُوءُ الظَّنِّ ، والشَّماتَةُ ، والشَّرَهُ ، والشِّرْكُ الخَفِيُّ ، وصُحْبَةُ الأَشْرار ، والصَّلَفُ ، وطُولُ الأَمَلِ ، والطِّيرَةُ ، وطَلَبُ العِوَضِ عَلَى الطَّاعَة ، والظُّلْمُ ، والعَجَلَةُ ، والعُجْبُ ، والعَداوَةُ فِي غَيْرِ الدِّين ، والغَضَبُ ، والغُرُورُ ، والغَفْلَةُ ، والغَدْرُ ، والفِسْقُ ، والفَرَحُ المَذْمُوم ، والقَسْوَةُ ، وقَطْعُ الرَّحِم ، والكِبْرُ ، وكُفْرانُ النِّعَم والعَشِيرَة ، والكَسَلُ ، وكَثْرَةُ النَّوْمِ ، واللَّوْمُ ، والمُلاحاةُ والمُشاحَنَةُ ، ومُجالَسَةُ الأَغْنِياءِ لِغِناهُمْ ، والمِزاحُ المُفْرِطُ ، والنِّيَّةُ الفاسِدَةُ ، وهَجْرُ المُسْلِم ، وهَتْكُ السِّرِّ ، والوُقُوعُ فِي العِرْضِ ، والوُقُوعُ فِي غَلَبَةِ الدَّيْنِ ، واليَأْسُ مِنَ الرَّحْمَة .

فَمَنْ تَخَلَّقَ بِهَذِهِ الأَخْلاقِ الحَسَنَةِ المَحْمُودَة ، واجْتَنَبَ الأَخْلاقَ السَّيِّئَةَ المَذْمُومَةَ ؛ فَهُوَ الإِنْسانُ الكامِلُ حَقًّا والمُؤْمِنُ صِدْقًا ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ المَحْمُودَةِ أَوِ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنَ المَذْمُومَةِ نَقَصَ مِنْ كَمالِهِ بِحَسَبِها ، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

التَّرْبِيَةُ والتَّزْكِيَة

فِي التَّخْلِيَةِ والتَّحْلِيَة

اعْلَمْ أَيُّها المُرِيدُ سَعادَةَ الدُّنْيا والآخِرَة ، أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَنْ تَتَخَلَّى عَنِ الأَوْصافِ الذَّمِيمَة ؛ لأَنَّها نَجاساتٌ مَعْنَوِيَّةٌ لا يُمْكِنُ التَّقَرُّبُ بِها إِلَى الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ الإِلَهِيَّة ، كَما لا يُمْكِنُ التَّقَرُّبُ بِالنَّجاساتِ الصُّورِيَّةِ إِلَى العِباداتِ الإِلَهِيَّة ، فَلا بُدَّ لِلسَّالِكِ أَنْ يُزَكِّيَ نَفْسَهُ مِنْ جَمِيعِها ، ويَتَحَلَّى بِالأَوْصافِ الحَمِيدَة .

فالأَوْصافُ الذَّمِيمَةُ كالحَسَدِ ، والحِقْدِ ، والكِبْرِ ، والعُجْبِ ، والبُخْلِ ، والرِّياءِ ، وحُبِّ الجاهِ ، والرِّياسَةِ ، والتَّفاخُرِ ، والغَضَبِ ، والغِيبَةِ ، والنَّمِيمَةِ ، والكَذِبِ ، وكَثْرَةِ الكَلامِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرْناهُ سابِقًا .

ولِنُوَضِّحْ لَكَ بَعْضَ المَذْمُوماتِ مِنَ الأَخْلاقِ المُهْلِكات :

فَأَمَّا الحَسَدُ : فَحَقِيقَتُهُ أَنْ يَكْرَهَ نِعْمَةَ اللهِ تَعالَى عَلَى أَخِيهِ فَيُحِبَّ زَوالَها عَنْهُ ، وهُوَ مِنْ قَبِيحِ الخِصالِ ، ولا يُمْكِنُ قَطْعُ مادَّتِهِ مِنَ الباطِنِ بِالكُلِّيَّةِ إِلَّا بِسُلُوكِ طَرِيقِ التَّصَوُّفِ ؛ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَناتِ كَما تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ)[1] .

---

(١) رَواهُ ابنُ ماجَه .

واعْلَمْ أَنَّهُ لا شَيْءَ مِنَ الشَّرِّ أَضَرُّ مِنَ الحَسَدِ لأَنَّهُ يُوقِعُ الحاسِدَ فِي خَمْسِ عُقُوباتٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى المَحْسُودِ مَكْرُوهٌ :

١) أُولاها غَمٌّ لا يَنْقَطِعُ . ٢) وثانِيَتُها مُصِيبَةٌ لا يُؤْجَرُ عَلَيْها .
٣) وثالِثَتُها مَذَمَّةٌ لا يُحْمَدُ بِها . ٤) ورابِعَتُها أَنْ يَسْخَطَ عَلَيْهِ الرَّبُّ.
٥) وخامِسَتُها أَنْ يُغْلَقَ عَلَيْهِ بابُ التَّوْفِيق .

وقالَ الحَسَنُ البَصْرِي : يا ابنَ آدَمَ لِمَ تَحْسُدُ أَخاكَ ؟! فَإِنْ كانَ الَّذِي أَعْطاهُ اللهُ لِكَرامَتِهِ ، فَلِمَ تَحْسُدُ مَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ تَعالَى ، وإِنْ كانَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَلا يَنْبَغِي أَنْ تَحْسُدَ مَنْ مَصِيرُهُ إِلَى النَّار .

وقالَ بَعْضُ العارِفِينَ : ثَلاثَةٌ لا تُسْتَجابُ دَعْوَتُهُمْ : ١) آكِلُ الحَرام .
٢) ومُكْثِرُ الغِيبَة . ٣) ومَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ أَوْ حَسَدٌ لِلمُسْلِمِين .

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ وقالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (يا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تُصْبِحَ وتُمْسِيَ ولَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فافْعَلْ) .

ورَوَى ابنُ ماجَه بِإِسْنادٍ صَحِيحٍ والبَيْهَقِيُّ وغَيْرُهُما : قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قِيلَ يا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟

قالَ ﷺ : (كُلُّ مَخْمُومِ القَلْبِ صَدُوقِ اللِّسان) ، قالُوا : صَدُوقُ اللِّسانِ

نَعْرِفُه فَما مَخْمُومُ القَلْب ؟ قالَ ﷺ : (هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لا إِثْمَ فِيهِ ولا بَغْيَ ولا غِلَّ ولا حَسَدَ) .

واعْلَمْ أَنَّ الحَسَدَ المَذْمُومَ شَرْعًا إِنَّما هُوَ الحَسَدُ بِمَعْنَى تَمَنِّي زَوالِ نِعْمَةِ اللهِ عَنِ الغَيْر ، وهَذا مِصْداقُ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (١) .

وأَمَّا الحَسَدُ بِمَعْنَى تَمَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ ما للآخرِ فَهُوَ مَحْمُودٌ قَطْعًا إِنْ كانَ خَيْرًا أُخْرَوِيًّا : قالَ تَعالَى : ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ (٢) .

وقالَ ﷺ : (لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتاهُ اللهُ تَعالَى القُرْآنَ وهُوَ يَقُومُ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ والنَّهار ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ تَعالَى مالًا وهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آناءَ اللَّيْلِ والنَّهار) (٣) .

واعْلَمْ أَنَّ الخُلُوَّ مِنْ هَذا الوَصْفِ الذَّمِيم يَحْتاجُ إِلَى شَيْخٍ كامِلٍ ، وإِلَّا فَصاحِبُهُ لا يَخْلُو مِنْهُ ولَوْ بَلَغَ فِي العِبادَةِ ما بَلَغَ ، إِلا أَنْ يَتَوَلَّاهُ اللهُ تَعالَى بِنَفْحَةِ رَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِه .

وأَمَّا الحِقْدُ : فَهُوَ الانْطِواءُ عَلَى العَداوَةِ والبَغْضاءِ والتَّقاطُع ، وهُوَ قَبِيحٌ مَذْمُومٌ لأَنَّهُ يُنْتِجُ الحَسَدَ والتَّهاجُرَ وتَتَبُّعَ العَوْرات ، قالَ عَلَيْهِ

(١) سُورَةُ النِّساء : مِنَ الآيَة ٥٤ . (٢) سُورَةُ النِّساء : مِنَ الآيَة ٣٢ .
(٣) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

الصَّلاةُ والسَّلام : (لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ ، فَمَنْ هَجَرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ فَماتَ دَخَلَ النَّار) (١) ، ما لَمْ يَكُنِ المَهْجُورُ مُجاهِرًا بِالمَعاصِي ونَهاهُ الهاجِرُ ولَمْ يَنْتَه .

وعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قالَ : صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المِنْبَرَ فَنادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقالَ : (يا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسانِهِ ولَمْ يُفْضِ الإِيمانُ إِلَى قَلْبِهِ لا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ ولا تُعَيِّرُوهُمْ ولا تَتَبَّعُوا عَوْراتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْراتِ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، ومَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ ولَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِه) (٢) .

وأَمَّا الكِبْرُ : فَهُوَ تَعاظُمٌ يَنْشَأُ عَنْ رُؤْيَةِ الشَّخْصِ نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ ، قالَ تَعالَى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ (٣) .

والمَعْنَى أَمْنَعُهُمْ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ وما فِيها مِنَ الآياتِ والعِبَر .

وقالَ تَعالَى : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٤) .

وقالَ ﷺ : (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْر) (٥) .

(١) رَواهُ أَبو داوُد . (٢) رَواهُ التِّرْمِذي .
(٣) سُورَةُ الأَعْراف : مِنَ الآيَة ١٤٦ . (٤) سُورَةُ غافِر : مِن الآيَة ٣٥ .
(٥) رَواهُ مُسْلِم .

وقِيلَ : لا يَتَكَبَّرُ إلَّا كُلُّ وَضِيع ، ولا يَتَواضَعُ إلَّا كُلُّ رَفِيع .

واعْلَمْ أَنَّ الكِبْرَ أَوَّلُ مَعْصِيَةٍ عُصِيَ اللهُ بها ، قالَ تَعالَى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [1] ؛ فَمَنْ تَكَبَّرَ أَوْشَكَ أَنْ يُشارِكَ إبْلِيسَ فِي عُقُوبَةِ الطَّرْدِ والبُعْدِ والعَذابِ الَّذي لا آخِرَ لَهُ ، فَلا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الخاتِمَةِ ، والعِياذُ بِاللهِ .

وأَمَّا **العُجْبُ** : فَهُوَ تَكَبُّرٌ يَحْصُلُ فِي الباطِنِ مِنْ تَخَيُّلِ كَمالٍ فِي عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ ، وفُسِّرَ أَيْضًا بِأَنَّهُ اسْتِعْظامُ النِّعْمَةِ والرُّكُونُ إلَيْها ، مَعَ نِسْيانِ إضافَتِها إلَى اللهِ تَعالَى .

قالَ ﷺ : (ثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ شُحٌّ مُطاعٌ وهَوًى مُتَّبَعٌ وإعْجابُ المَرْءِ بِنَفْسِه)[2] .

بِهذا يَتَّضِحُ لَكَ - جَعَلَنِي اللهُ وإيَّاكَ مِنَ المُتَواضِعِينَ - أَنَّ الكِبْرَ والإعْجابَ يَسْلُبانِ الفَضائِلَ ويُكْسِبانِ الرَّذائِلَ ، قالَ ﷺ : (مَنْ تَعاظَمَ نَفْسَهُ واخْتالَ فِي مِشْيَتِه ، لَقِيَ اللهَ وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبان) ، وقالَ ﷺ : (مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لا يَنْظُرُ اللهُ إلَيْه) ؛ يَعْنِي نَظَرَ رَحْمَة .

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إنَّ نَبِيَّكُمْ واحِدٌ ، وإنَّ أَباكُمْ واحِدٌ ، وإنَّهُ لا

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ٣٤ .
(٢) رَواهُ الطَّبَرانِي والبَزَّارُ والبَيْهَقِي . .

فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ولا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إلَّا بِالتَّقْوى ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ) .

قالَ الأَصْمَعِي : بَيْنَما أَنا أَطُوفُ بِالبَيْتِ ذاتَ لَيْلَةٍ إذْ رَأَيْتُ شابًّا مُتَعَلِّقًا بِأَسْتارِ الكَعْبَةِ وهُوَ يَقُولُ :

يا مَنْ يُجِيبُ دُعا المُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ ۞ يا كاشِفَ الضُّرِّ والبَلْوَى مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نامَ وَفْدُكَ حَوْلَ البَيْتِ وانْتَبَهُوا ۞ وأَنْتَ يا حَيُّ يا قَيُّومُ لَمْ تَنَمِ
أَدْعُوكَ رَبِّي حَزِينًا هائِمًا قَلِقًا ۞ فارْحَمْ بُكائِي بِحَقِّ البَيْتِ والحَرَمِ
إنْ كانَ جُودُكَ لا يَرْجُوهُ ذُو سَفَهٍ ۞ فَمَنْ يَجُودُ عَلَى العاصِينَ بِالكَرَمِ

ثُمَّ بَكَى بُكاءً شَدِيدًا وأَنْشَدَ يَقُولُ :

أَلا أَيُّها المَقْصُودُ فِي كُلِّ حاجَةٍ ۞ إلَيْكَ شَكَوْتُ الضُّرَّ فارْحَمْ شِكايَتِي
أَلا يا رَجائِي أَنْتَ تَكْشِفُ كُرْبَتِي ۞ فَهَبْ لِي ذُنُوبِي كُلَّها واقْضِ حاجَتِي
أَتَيْتُ بِأَعْمالٍ قِباحٍ رَدِيئَةٍ ۞ وَما فِي الوَرَى عَبْدٌ جَنَى كَجِنايَتِي
أَتُحْرِقُنِي بِالنَّارِ يا غايَةَ المُنَى ۞ فَأَيْنَ رَجائِي ثُمَّ أَيْنَ مَخافَتِي

ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَإذا هُوَ زَيْنُ العابِدِينَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بن عَلِيِّ بن أَبِي طالِبٍ ﵃ ، فَرَفَعْتُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِي وبَكَيْتُ ، فَقَطَرَتْ دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوعِي عَلَى خَدِّهِ الشَّرِيفِ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ

وقالَ مَنْ هَذا ؟ قُلْتُ : عَبْدُكَ الأَصْمَعِي ، سَيِّدِي : ما هَذا البُكاءُ ؟! أَنْتَ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ ، أَلَيْسَ اللهُ تعالَى يَقُولُ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، فقالَ : يا أَصْمَعِي ، إنَّ اللهَ خَلَقَ الجَنَّةَ لِمَنْ أَطاعَهُ ولَوْ كانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وخَلَقَ النَّارَ لِمَنْ عَصاهُ ولَوْ كانَ حُرًّا قُرَشِيًّا ، أَلَيْسَ اللهُ تَعالَى يَقُولُ : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ .

جَعَلَنا اللهُ ومَنْ تُحِيطُ بِهِ شَفَقَةُ قُلُوبِنا مِنْ أَهْلِ الفَوْزِ والفَلاحِ بِجاهِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ والرَّسُولِ العَظِيمِ ﷺ .

وأَمَّا **البُخْلُ** : فَهُوَ عَدَمُ الإِعْطاءِ للغَيْرِ خَوْفَ نَقْصِ المالِ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (١) .

وقالَ ﷺ : (إِيَّاكُمْ والشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِماءَهُمْ واسْتَحَلُّوا مَحارِمَهُمْ) (٢) .

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرانَ : مِنَ الآيَةِ ١٨٠ .   (٢) صَحِيحُ مُسْلِم .

وقالَ ﷺ : السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ، والبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ ، ولَجاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ عابِدٍ بَخِيلٍ) (١) .

ورَوَى الأَصْفَهانِي مَرْفُوعًا : (أَلا إِنَّ كُلَّ جَوادٍ فِي الجَنَّةِ حَتْمٌ عَلَى اللهِ وأَنا بِهِ كَفِيل ، أَلا وإِنَّ كُلَّ بَخِيلٍ فِي النَّارِ حَتْمٌ عَلَى اللهِ وأَنا بِهِ كَفِيل) ، قالُوا : يا رَسُولَ اللهِ مَنِ الجَوادُ ومَنِ البَخِيلُ ؟ قالَ ﷺ : (الجَوادُ مَنْ جادَ بِحُقُوقِ اللهِ فِي مالِهِ ، والبَخِيلُ مَنْ مَنَعَ حُقُوقَ اللهِ وبَخِلَ عَلَى رَبِّهِ ، ولَيْسَ الجَوادُ مَنْ أَخَذَ حَرامًا وأَنْفَقَ إِسْرافًا) .

ورَوَى الطَّبَرانِي مَرْفُوعًا : (إِنَّ اللهَ اسْتَخْلَصَ هَذا الدِّينَ لِنَفْسِهِ ، ولا يَصْلُحُ لِدِينِكُمْ إِلَّا السَّخاءُ وحُسْنُ الخُلُق ، أَلا فَزَيِّنُوا دِينَكُمْ بِهِما) ، ورَوَى أَيْضًا الطَّبَرانِيُّ مَرْفُوعًا : (إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى بَعَثَ جِبْرِيل إِلَى إِبْراهِيمَ - عَلَيْهِما السَّلامُ - فَقالَ : يا إِبْراهِيمُ إِنِّي لَمْ أَتَّخِذْكَ خَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ أَعْبَدُ عِبادِي ، ولَكِن اطَّلَعْتُ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ فَلَمْ أَجِدْ قَلْبًا أَسْخَى مِنْ قَلْبِك) .

وقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّين ابنُ عَرَبِي - رَحِمَهُ اللهُ - عَنْ حَقِيقَةِ

(١) رواهُ البَيْهَقِي والطَّبَرانِي وغَيْرُهما .

الإِسْرافِ فَقالَ : ((الإِسْرافُ كَرَمٌ واسِعٌ خارِجٌ عَنِ الحَدِّ والمِقْدار ، ولَكِنْ لَمَّا كانَ صاحِبُ هَذا الحالِ لا يَقْدِرُ عَلَى المُداوَمَةِ عَلَيْهِ ، بَلْ يَنْدَمُ عَلَى ما يُخْرِجُهُ إذا وَجَدَ حالَهُ قَدْ ضاقَ ؛ جَعَلَهُ اللهُ تَعالَى مَذْمُومًا ، وجَعَلَ المَحْمُودَ حالَةً بَيْنَ إِسْرافٍ وتَقْتِير)) .

ومَنْ أَرادَ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَذا الخُلُقِ المَحْمُودِ فَلْيَسْلُكْ عَلَى يَدِ شَيْخٍ صادِقٍ كامِلٍ بِصِدْقٍ وإِخْلاص ، فَإِنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَى حَضْرَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وهُناكَ يَقْوَى يَقِينُهُ بِالله ويُنْفِقُ كُلَّ ما دَخَلَ فِي يَدِهِ ، بِخِلافِ البَعِيدِ عَنْ حَضْرَتِهِ فَإِنَّهُ بِالضِّدِّ مِنْ ذَلِك ، فَلا يَكادُ يُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا لِضَعْفِ يَقِينِه ، واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم .

وأَمَّا الرِّياءُ : فَهُوَ طَلَبُ المَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِإِراءَتِهِمُ الخِصالَ المَحْمُودَةَ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ (١) ، أَيْ لا يُرائِي بِعَمَلِه .

وقالَ ﷺ : (إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ وهُوَ الرِّياء ، يَقُولُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ لِلمُرائِينَ إذا جازَى اللهُ النَّاسَ بِأَعْمالِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُراؤُونَ فِي الدُّنْيا فانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزاء ؟)(٢) .

---

(١) سُورَةُ الكَهْف : مِنَ الآيَة ١١٠ .   (٢) رَواهُ الإِمامُ أَحْمَد .

ويَحْتاجُ مَنْ يُرِيدُ التَّخَلِّي مِنْ هَذا الوَصْفِ الذَّمِيمِ إِلَى شَيْخٍ كامِلٍ يُفْنِي اخْتِيارَهُ فِي اخْتِيارِهِ حَتَّى يَسِيرَ بِهِ فِي طَرِيقِ الغَيْبِ ، ويُوصِلَهُ إِلَى حَضْرَةِ رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ ، وذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْلُكِ الطَّرِيقَ لا يَصِحُّ لَهُ غالِبًا دُخُولَ حَضْرَةِ الإِحْسان ؛ الَّتِي يَعْبُدُ اللهَ فِيها كَأَنَّهُ يَراهُ ، فَهُوَ واقِفٌ فِي عِبادَتِهِ مَعَ نَفْسِهِ ، ومَعَ الخَلْقِ فِي الأَعْمال ، ولَوْ أَنَّهُ دَخَلَ حَضْرَةَ الإِحْسانِ لَشَهِدَ أَنَّ اللهَ تَعالَى هُوَ الفاعِلُ لِجَمِيعِ أَعْمالِهِ خَلْقًا وإِيجادًا وما بَقِيَ لَهُ ، إِلَّا أَنَّ الفِعْلَ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ مَجازًا ، لأَجْلِ قِيامِهِ بِالحُدُودِ والتَّكالِيفِ لا غَيْر ، ومَنْ كانَ كَذَلِكَ لَمْ يَجِدْ لِنَفْسِهِ عَمَلًا أَصْلًا ، فاسْتَراحَ مِنْ وَرْطَةِ الرِّياءِ بِالأَعْمالِ ، والإِعْجابِ بِها ، وطَلَبِ الثَّوابِ مِنَ اللهِ تَعالَى لأَجْلِهِ ونَحْوَ ذَلِكَ ، فَصارَ يَشْهَدُ جَوارِحَهُ كالآلَةِ الَّتِي يُحَرِّكُها المُحَرِّكُ فَيَرَى اللهَ هُوَ الفاعِلَ فِي جَوارِحِهِ بِالإِمْدادِ والقُوَى ، لا هُوَ ، فَإِيَّاكَ والرِّياءَ فَإِنَّهُ يُحْبِطُ العَمَلَ ويُبْطِلُ الثَّوابَ ويُوجِبُ المَقْتَ والعِقاب .

رَوَى الإِمامُ أَحْمَدُ وغَيْرُهُ مَرْفُوعًا : (أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيا فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيب) ، ورَوَى الطَّبَرانِيُّ وغَيْرُهُ مَرْفُوعًا : (مَنْ تَزَيَّنَ بِعَمَلِ الآخِرَةِ وهُوَ لا يُرِيدُها ولا يَطْلُبُها لُعِنَ فِي

السَّمواتِ والأَرْض) ، ورَوَى ابنُ جَرير الطَّبَري مُرْسَلًا : (لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلًا فِيهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ رِياء) ، وهُوَ عَلَى ضَرْبَيْن :

١) رِياءٌ مَحْضٌ وهُوَ أَنْ يُرِيدَ بِعَمَلِ الآخِرَةِ نَفْعَ الدُّنْيا .

٢) ورِياءُ تَخْلِيطٍ ، وهُوَ أَنْ يُرِيدَ نَفْعَ الدُّنْيا ونَفْعَ الآخِرَةِ ، وكِلاهُما مُحْبِطٌ للأَجْرِ ، نَعُوذُ باللهِ مِنْ ذَلِك .

وأَمَّا حُبُّ الجاهِ والرِّياسَة : فالغَرَضُ مِنْهُ انْتِشارُ الصِّيتِ وهُوَ مَذْمُومٌ قاطِعٌ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ إِلَّا لِمَنْ نَشَرَهُ اللهُ تَعالَى لِنَشْرِ دِينِه ، ولا يَخْلُصُ مِنْ حُبِّ الجاهِ إِلَّا الصِّدِّيقُون ، وقالَ ﷺ : (حَسْبُ ابن آدَمَ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعالَى أَنْ يُشارَ إِلَيْهِ بِالأَصابِعِ فِي دِينِه أَوْ دُنْياه)[1] .

وقالَ أَبُو يَزِيدَ البِسْطامِي : كابَدْتُ العِبادَةَ ثَلاثِينَ سَنَةً فَرَأَيْتُ قائِلًا يَقُولُ لِي : يا أَبا يَزِيد ، خِزانَتُه مَمْلُوءَةٌ مِنَ العِبادَة ، فَإِنْ أَرَدْتَ الوُصُولَ إِلَيْهِ فَعَلَيْكَ بِالذِّلَّة والافْتِقار .

وعَنِ المُتَوَلِّي رضي الله عنه أَنَّهُ كانَ يَقُولُ : الفَقِيرُ (الصُّوفِي) فِي هَذِهِ الدَّار كالجالِسِ فِي بَيْتِ الخَلاء ، فَإِنْ رُدَّ البابُ عَلَيْهِ قَضَى حاجَتَهُ وخَرَجَ

(١) رَواهُ الطَّبَرانِي .

مَسْتُورًا لَمْ يَرَ أَحَدٌ لَهُ عَوْرَة ، وإِنْ فُتِحَ البابُ كَشَفَ عَوْرَتَهُ وهَتَكَ سَرِيرَتَهُ ولَعَنَهُ كُلُّ مَنْ يَراهُ ، وعَلَى كُلِّ حالٍ مَتَى مالَ قَلْبُ السَّالِكِ إِلَى حُبِّ الجاهِ والرِّياسَةِ انْقَطَعَ عَنِ الطَّرِيق .

وأَمَّا التَّفاخُرُ : فَهُوَ المُباهاةُ بِالمَكارِمِ والمَناقِبِ مِنْ حَسَبٍ ونَسَبٍ وغَيْرِ ذَلِكَ ، وهُوَ مَذْمُومٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِقَوْلِه ﷺ : (إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَواضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ولا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)[1] ، وقَدْ يَكُونُ بالمالِ أَوْ بالآباءِ أَوْ بالعِبادَة .

وأَمَّا الغَضَبُ : فَهُوَ غَلَيانُ دَم القَلْبِ لِطَلَبِ الانْتِقام قالَ ﷺ : (الغَضَبُ مِنَ الشَّيْطانِ والشَّيْطانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ والماءُ يُطْفِئُ النَّارَ ، فَإِذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ)[2] .

وجاءَ فِي الخَبَرِ أَنَّ اللهَ تَعالَى يَقُولُ : (ابنَ آدَمَ اذْكُرْنِي إِذا غَضِبْتَ أَذْكُرْكَ إِذا غَضِبْتُ فَلا أُهْلِكَكَ فِيمَنْ هَلَكَ) .

وأَفْضَلُ الأَعْمالِ الحِلْمُ عِنْدَ الغَضَبِ والصَّبْرُ عِنْدَ الطَّمَع .

لَيْسَتِ الأَحْلامُ فِي حِينِ الرِّضا ۞ إِنَّمَا الأَحْلامُ فِي حِينِ الغَضَبِ

وخَوْفُ الرَّبِّ سُبْحانَهُ وتَعالَى يَدْفَعُ الغَضَبَ ، وما تَرَى النَّاسَ يَغْضَبُون

(١) رَواهُ مُسْلِم . (٢) رَواهُ ابنُ عَساكِر .

إلَّا لِحِجابِهِمْ عَنْ شُهُودِ أَنَّ اللَّهَ تَعالَى هُوَ الفاعِلُ لِكُلِّ ما بَرَزَ فِي الوُجُود ، وشُهُودِهِمُ الفِعْلَ مِنْ جِنْسِهِمْ ، ولَوْ أَنَّهُمْ سَلَكُوا الطَّرِيقَ لَوَجَدُوا الفِعْلَ لِلَّهِ تَعالَى بِبادِئِ الرَّأْيِ ، فَلا يَجِدُونَ مَنْ يُرْسِلُونَ عَلَيْهِ غَضَبَهُمْ ، ويَجِدُونَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَعَ فِي الوُجُودِ هُوَ عَيْنُ الحِكْمَةِ ، قالَ بَعْضُهُمْ :

إذَا مَا رَأَيْتَ اللَّهَ فِي الكُلِّ فاعِلًا ۞ رَأَيْتَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مِلَاحَا

وَإنْ لَمْ تَرَ إلَّا مَظَاهِرَ صُنْعِهِ ۞ حُجِبْتَ فَصَيَّرْتَ الْمِلاحَ قِبَاحَا

نَعَمْ الكامِلُ لا يَغْضَبُ إلَّا لِلَّهِ تعالَى ، وذَلِكَ إذا انْتُهِكَتْ حُرُماتُهُ لَكِنْ لا عَلَى وَجْهِ كَوْنِ المَعْصِيَةِ فِعْلًا لِلَّهِ تَعالَى ، بَلْ عَلَى وَجْهِ نِسْبَةِ الفِعْلِ إلَى العَبْدِ ، ومِنْ ثَمَّ تَعْلَمُ أَنَّهُ لا سَبِيلَ لأَحَدٍ إلَى تَبْرِئَةِ العَبْدِ جُمْلَةً واحِدَةً أَبَدًا .

وذَكَرَ العارِفُ الشَّعْرانِي أَنَّ الإمامَ الشَّافِعِيَّ رضي الله عنه كانَ مَشْهُورًا بِحُسْنِ الخُلُقِ فَعَمِلَ الحَسَدَةُ عَلَى إغْضابِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا ، فَبَرْطَلُوا[1] الخَيَّاطَ مَرَّةً أَنْ يَعْمَلَ لَهُ الكُمَّ اليَمِينَ ضَيِّقًا جِدًّا لا يُخْرِجُ يَدَهُ مِنْهُ إلَّا بِعُسْرٍ ، ويَعْمَلَ اليَسارَ كالخُرْجِ ، فَلَمَّا رَآهُ الإمامُ قالَ لَهُ : جَزاكَ اللَّهُ خَيْرًا

(١) رَشَوْهُ بالمال .

حَيْثُ ضَيَّقْتَ كُمِّي اليَمِينَ لأَجْلِ الكِتابَةِ ولَمْ تُحْوِجْنِي إلَى تَشْمِيرِه ، ووَسَّعْتَ اليَسارَ لأَحْمِلَ فِيهِ الكُتُب .

وذُكِرَ أَيْضًا أَنَّهُمْ صَبُّوا مَرَّةً عَلَى الإمامِ الجُنَيْدِ غُسالَةَ سَمَكٍ وهُوَ خارِجٌ لِصَلاةِ الجُمُعَةِ فَعَمَّتْهُ مِنْ رَأْسِهِ إلَى ذَيْلِهِ ، فَضَحِكَ وقالَ : مَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ فَصُولِحَ بالماءِ لا يَنْبَغِي لَهُ الغَضَبُ ، ثُمَّ عادَ إلَى البَيْتِ واسْتَعارَ ثَوْبَ زَوْجَتِهِ فَصَلَّى فِيه .

وأَمَّا الغِيبَةُ فَهِيَ : أَنْ تَذْكُرَ أَخاكَ بِما فِيهِ ، وتَعْلَمَ أَنَّهُ لَوْ سَمِعَهُ لَكَرِهَهُ ، سَواءٌ كانَ فِي بَدَنِهِ أَوْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ أَوْ دِينِهِ أَوْ دُنْياهُ أَوْ ثَوْبِهِ أَوْ دارِهِ أَوْ دابَّتِهِ ، فَمَتَى ذَكَرْتَهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَشْياءِ وكانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ فِيهِ كانَ غِيبَةً ، وإذا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كانَ بُهْتانًا وهُوَ أَشَدُّ مِنَ الغِيبَة .

قالَ تَعالَى : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [1] .

وقالَ ﷺ : (إيَّاكُمْ والغِيبَةَ فَإنَّ الغِيبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنا ، فَإنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْنِي ويَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ سُبْحانَهُ عَلَيْهِ ، وإنَّ صاحِبَ الغِيبَةِ لا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صاحِبُهُ)[2] .

(١) سُورَةُ الحُجُرات : مِنَ الآيَة ١٢ .
(٢) رَواهُ ابنُ أَبي الدُّنْيا .

فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَهَاوَنَ فِي وُقُوعِكَ فِي غِيبَةٍ ، فَضْلًا عَنْ وُقُوعِكَ فِي البُهْتَانِ ، وَلا تَقُلْ وَلَوْ فِي نَفْسِكَ إِنَّ لِي أَعْمالًا صالِحَةً تُكَفِّرُ عَنِّي تِلْكَ الغِيبَةَ ، فَرُبَّما كانَ مَنِ اغْتَبْتَهُ أَوْ بَهَتَّهُ لا تُرْضِيهِ جَمِيعَ أَعْمالِكَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وهَذا عَلَى فَرْضِ سَلامَةِ أَعْمالِكَ مِنَ الآفاتِ المُوجِبَةِ لِرَدِّها عَلَيْكَ مِنَ الرِّياءِ والسُّمْعَةِ وغَيْرِها ، فَإِنَّ الأَعْمالَ الَّتي دَخَلَها رِياءٌ أَوْ سُمْعَةٌ لا يَصِلُ إِلَى الآخِرَةِ شَيْءٌ مِنْها مَعَ صاحِبِها ، ولا يَنْبَغِي لِعاقِلٍ أَنْ يَتَكَدَّرَ مِنَ الغِيبَةِ فِيهِ ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ الفَرَحُ لأَنَّ اللهَ تَعالَى يُحَكِّمُهُ يَوْمَ القِيامَةِ فِي أَعْمالِ الَّذِي اغْتابَهُ فَيَأْخُذُ مِنْها ما شاءَ .

وأَمَّا النَّمِيمَةُ فَهِيَ : نَقْلُ كَلامِ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ عَلَى وَجْهِ الإِفْسادِ بَيْنَهُمْ قالَ تَعالَى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [1] .

وقالَ ﷺ : (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّام)[2] ، ورَوَى الإِمامُ أَحْمَدُ وغَيْرُهُ مَرْفُوعًا : (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبادِ اللهِ ؟ قالُوا : بَلَى ؛ قالَ : المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ الباغُونَ لِلبُرَآءِ العَيْبَ) ، وفِي رِوايَةٍ لأَبِي الشَّيْخِ : (الهَمَّازُونَ واللَّمَّازُونَ والمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ الباغُونَ لِلبُرَآءِ العَيْبَ يَحْشُرُهُمُ اللهُ فِي وُجُوهِ الكِلابِ) .

---

(١) سُورَةُ القَلَم : الآيَتان ١٠ ، ١١ .
(٢) رَواهُ الشَّيْخانِ البُخارِيُّ ومُسْلِم .

وقَدْ أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ ، وأَنَّها مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، فَيَنْبَغِي لِلعاقِلِ أَنْ يَجْتَنِبَها كُلَّ الاجْتِنابِ ، وأَنْ يَأْخُذَ حِذْرَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَنِمُّ لَهُ ، ولْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَمَّ لَهُ نَمَّ عَلَيْهِ .

وأَمَّا الكَذِبُ فَهُوَ : الإِخْبارُ بِالشَّيْءِ عَلَى خِلافِ ما هُوَ عَلَيْهِ وهُوَ مِنْ أَقْبَحِ الذُّنُوبِ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [1] .

وقالَ ﷺ : (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وما يَزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وإِيَّاكُمْ والكَذِبَ ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ ، والفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وما يَزالُ العَبْدُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)[2] .

ورَوَى الإِمامُ مالِكٌ مَرْفُوعًا : (قِيلَ : يا رَسُولَ اللهِ أَيَكُونُ المُؤْمِنُ كَذَّابًا ؟ قالَ : لا) .

ورَوَى أَبُو داوُدَ والتِّرْمِذِي والنَّسائِي والبَيْهَقِي مَرْفُوعًا : (وَيْلٌ لِلذِي يُحَدِّثُ الحَدِيثَ يُضْحِكُ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ) .

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : مِنَ الآيَة ٦١ .
(٢) رَواهُ الشَّيْخانِ وغَيْرُهُما .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لِي ولِوالِدَيَّ ولِوالِدِيهِمْ ولِمَنْ وَلَدُوا ، ولِمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيَّ وعَلَيْهِمْ ، ولِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمات ، الأَحْياءِ مِنْهُمْ والأَمْوات ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعوات .

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (الكَذِبُ لا يَصْلُحُ إِلَّا فِي ثَلاث : فِي الحَرْبِ لأَنَّ الحَرْبَ خُدْعَة ، والرَّجُلُ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ اثْنَيْن ، والرَّجُلُ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَهُ وبَيْنَ امْرَأَتِه)[1] .

واعْلَمْ أَنَّ الصِّدْقَ زَيْنُ الأَوْلِياء ، والكَذِبَ عَلامَةُ الأَشْقِياء ، كَما بَيَّنَ اللَّهُ تَعالَى فِي كِتابِهِ فَقالَ : ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [2] ، وقالَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [3] ، وقالَ : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [4] ، وقَدْ ذَمَّ الكاذِبِينَ ولَعَنَهُمْ فَقالَ عَزَّ مِنْ قائِل : ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [5] ، أَيْ لُعِنَ الكَذَّابُون ، وقالَ تَعالَى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [6] .

(١) رواهُ مُسْلِم .
(٢) سُورَةُ المائِدَة : مِنَ الآيَة ١١٩ .
(٣) سُورَةُ التَّوْبَة : الآيَة ١١٩ .
(٤) سُورَةُ الزُّمَر : ٣٣ ، ٣٤ .
(٥) سُورَةُ الذّارِيات : الآيَة ١٠ .
(٦) سُورَةُ الصَّف : الآيَة ٧ .

وأَمَّا كَثْرَةُ الكَلامِ فَهِيَ : صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ ، لأَنَّها يَتَوَلَّدُ مِنها أُمُورٌ مُحَرَّمَةٌ أَوْ مَكْرُوهَةٌ مِثْلُ ذِكْرِ المَعاصِي وأَحْوالِ النَّاس ، قالَ ﷺ : (مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُه ، ومَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُه ، ومَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)[1] .

ورَوَى التِّرْمِذِي والبَيْهَقِي مَرْفُوعًا : (لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ للقَلْب ، وإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القاسِي) ورَوَى التِّرْمِذِي وابنُ ماجه وغَيْرُهُما مَرْفُوعًا : (كُلُّ كَلامِ ابنِ آدَمَ عَلَيْهِ لا لَهُ ، إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرًا لله) ، ورَوَى أَبُو الشَّيْخِ مَرْفُوعًا : (أَكْثَرُ النَّاسِ ذُنُوبًا أَكْثَرُهُمْ كَلامًا فِيما لا يَعْنِيهِمْ) .

فَعَلَيْكَ بِالصَّمْتِ فِي جَمِيعِ الأَحْوال ، ولا تَتَكَلَّمْ إِلَّا بِما فِيهِ صَلاحُ دِينِكَ أَوْ دُنْياك ، وانْظُرْ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ، وقَوْلَهُ تَعالَى : ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ، أَفَلا تَسْتَحْيِي أَنْ لَوْ نُشِرَتْ عَلَيْكَ صَحِيفَتُكَ الَّتِي أَمْلَيْتَها صَدْرَ نَهارِك ، وأَكْثَرُ ما فِيها لَيْسَ

(١) رواهُ الطَّبَراني .

مِنْ أَمْرِ دِينِكَ ولا أَمْرِ دُنْياك ، ولِذا كانَ الرَّبِيعُ بنُ خَيْثَم رَحِمَهُ اللهُ إذا أَصْبَحَ وَضَعَ قِرْطاسًا وقَلَمًا ولا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ إلَّا كَتَبَها وحَفِظَها ، ثُمَّ يُحاسِبُ نَفْسَهُ عِنْدَ المَساء .

وقالَ إبراهِيمُ بنُ أَدْهَم : نَزَلَ بِي أَضْيافٌ فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ أَبْدال ، فَقُلْتُ أَوْصُونِي بِوَصِيَّةٍ حَتَّى أَخافَ اللهَ تَعالَى كَخِيفَتِكُمْ ، فَقالُوا نُوصِيكَ بِسَبْعَةِ أَشْياء :

أَوَّلُها : مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ فَلا تَطْمَعْ فِي يَقَظَةِ قَلْبِه .

ثانِيها : مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ فَلا تَطْمَعْ فِي أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ الحِكْمَة .

ثالِثُها : مَنْ كَثُرَ اخْتِلاطُهُ بِالنَّاسِ فَلا تَطْمَعْ فِي نَوالِهِ حَلاوَةَ العِبادَة .

رابِعُها : مَنْ أَفْرَطَ فِي حُبِّ الدُّنْيا خِيفَ عَلَيْهِ سُوءُ الخاتِمَةِ والعِياذُ بِاللهِ .

خامِسُها : مَنْ كانَ جاهِلًا فَلا تَرْجُ فِيهِ حَياةَ القَلْب .

سادِسُها : مَن اخْتارَ صُحْبَةَ الظَّالِم فَلا تَرْجُ فِيهِ اسْتِقامَةَ الدِّين .

سابِعُها : مَنْ طَلَبَ رِضا النَّاسِ فَقَلَّما يَنالُ رِضا اللهِ تَعالَى عَنْهُ .

واعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ المُرادُ بِالتَّخَلِّي عَنِ الأَوْصافِ الذَّمِيمَةِ ، والتَّحَلِّي بِالأَوْصافِ الحَمِيدَةِ أَنْ تَزُولَ هَذِهِ وتَحْدُثَ الأُخْرَى ، بَلِ المُرادُ أَنْ

يَظْهَرَ عَلَى العَبْدِ اسْتِعْمالُ الصِّفاتِ الحَسَنَةِ وتَتَعَطَّلَ الصِّفاتُ السَّيِّئَة ؛ وذَلِكَ أَنَّ حُكْمَ البَشَرِ حُكْمُ الطِّينَةِ المَعْجُونَةِ مِنْ سائِرِ الأَجْرامِ المُخْتَلِفَةِ فِي الطُّعُومِ والرَّوائِحِ والنَّفاسَةِ والخِسَّةِ والخِفَّةِ والثِّقَلِ وغَيْرِ ذَلِك ، فَإِذا عُجِنَتْ هَذِهِ الطِّينَةُ حَتَّى صارَتْ شَيْئًا واحِدًا ثُمَّ فُرِّقَتْ أَجْزاءً صِغارًا يَحْكُمُ العَقْلُ بَداهَةً بِأَنَّ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْها مَجْمُوعُ ما تَفَرَّقَ فِي غَيْرِهِ ، وحِينَئِذٍ فَفِي طِينَةِ البَشَرِ مِنْ صِفاتِ الشَّرِّ ما لا يُحْصَى ، ومِنْ صِفاتِ الخَيْرِ ما لا يُحْصَى ، وفِي الأَكابِرِ مِنْ صِفاتِ الشَّرِّ ما فِي الأَصاغِرِ وعَكْسِه ، إلَّا أَنَّ صِفاتِ الشَّرِّ خَفِيَّةٌ فِي الأكابر ، وصِفاتِ الخَيْرِ خَفِيَّةٌ فِي الأَصاغِر ، هَكَذا حُكْمُ جَمِيعِ أَبْناءِ آدَمَ ما عَدا الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلام ، فَإِنَّ اللهَ تَعالَى طَهَّرَ طِينَتَهُمْ بِسابِقِ العِنايَة ، لا بِعَمَلٍ عَمِلُوهُ ولا بِخَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، فَطِينَتُهُمْ كُلُّها خَيْرٌ لا شَرَّ فِيها ، وأَمَّا طِينَةُ غَيْرِهِمْ فَهِيَ باقِيَةٌ عَلَى أَصْلِها ، وما كانَ جِبِلِّيًّا فِي أَصْلِ النَّشْأَةِ ، فَمُحالٌ أَنْ يَزُولَ إلَّا بِانْعِدامِ الذَّات ، وما دامَتِ العِنايَةُ تَحُفُّ العَبْدَ ، فالصِّفاتُ الحَسَنَةُ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي العَبْدِ ، والسَّيِّئَةُ مُعَطَّلَةٌ ، فَإِذا تَخَلَّفَتْ عَنْهُ العِنايَةُ قامَتِ السَّيِّئَةُ ، وتَعَطَّلَتِ الحَسَنَة ، فَيَكُونُ العَبْدُ كالشَّيْطان .

ولَمَّا كانَتِ النَّفْسُ بِطَبْعِها مَيَّالَةً إلَى الشَّرِّ فارَّةً مِنَ الخَيْرِ كانَ العَبْدُ أَقْرَبَ إلَى الشَّرِّ مِنَ الخَيْرِ ، فَهُوَ فِي خَطَرٍ عَظِيم ، وفِي أَمْراضٍ شَدِيدَةٍ كَثِيرَة ، وبِذَلِكَ تَعْلَمُ يا أَخِي أَنَّكَ مَجْبُولٌ عَلَى الشَّرِّ ، وأَنَّكَ تَمِيلُ إلَيْهِ أَكْثَرَ مِنَ الخَيْر ؛ وإذًا فَأَنْتَ فِي حاجَةٍ شَدِيدَةٍ إلَى مُلازَمَةِ طَبِيبٍ حاذِقٍ صادِق ، يُزِيلُ ما بِكَ مِنْ آلامِ الشَّرِّ والفَسادِ ، حَتَّى تَظْهَرَ عَلَيْكَ الحَسَناتُ ، وتَتَعَطَّلَ السَّيِّئاتُ ، وإيَّاكَ أَنْ تَتَعَطَّلَ بِما تَراهُ مِنْ نَفْسِكَ مِنْ حُسْنِ الخِصالِ ، وحَمِيدِ الفِعالِ ، اتِّكالًا مِنْكَ عَلَى كَثْرَةِ عِلْمِكَ أَوْ عِبادَتِكَ ، فَإنَّ هَذا غُرُورٌ أَوْقَعَتْكَ فِيهِ نَفْسُكَ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، وما أَنْتَ إلَّا كَرَجُلٍ لَمْ يَأْكُلْ طُولَ عُمْرِهِ سِوَى الحَنْظَلِ البَشِعِ الطَّعْمِ ، فَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْكُلُ حُلْوًا لَذِيذَ الطَّعْمِ ، ولَوْ ذاقَ طَعْمَ العَسَلِ مَثَلًا لَوَجَدَ مَرارَةَ مَطْعَمِهِ ، وعَرَفَ أَنَّهُ يُقاسِي المَشَقَّاتِ فِي جَمِيعِ الأَوْقاتِ وهُوَ لا يَدْرِي ، فاجْتَهِدْ أَيُّها العاقِلُ لَعَلَّكَ تَحْظَى بِصِحَّةِ باطِنِكَ وتَقِفُ عَلَى ما أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الحال .

وَقَبْلَ كُلٍّ فاطْلُبِ الأُسْتَاذَا ۞ فَإِنْ تَجِدْهُ تَلْتَقِي عِيَاذَا
فَإِنَّهُ حِصْنُ الْفَتَى وَالْبَابُ ۞ وَعِنْدَهُ الأَسْرَارُ وَاللُّبَابُ
فَاصْدُقْ إِذَا أَلْفَيْتَهُ دَلِيلَا ۞ وَقُمْ لَدَى أَعْتَابِهِ ذَلِيلَا

ضِياءُ الشَّمْسِ فِي بَيانِ خَفايا النَّفْسِ

اعْلَمْ أَنَّ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ أَمْرٌ مُهِمٌّ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرادِ الإنْسانِ لأَنَّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ، أَيْ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالذُّلِّ والعَجْزِ والضَّعْفِ والفَناءِ عَرَفَ رَبَّهُ بِالعِزِّ والقُدْرَةِ والبَقاء ، ومَنْ جَهِلَ نَفْسَهُ فَهُوَ بِرَبِّهِ أَجْهَل ؛ فَعَلَى العاقِلِ أَنْ يُشَمِّرَ عَنْ ساعِدِ الجِدِّ فِي طَلَبِ المَعْرِفَة ، ولا يَتَوانَى فِي ذَلِكَ لِئَلَّا يُدْرِكَهُ المَوْتُ وهُوَ مُصابٌ بِعَمَى الجَهْل ، فَلا يَكُونُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ سَبِيلٌ إلَى البَصِيرَة ، قالَ تَعالَى :

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ لَطِيفَةٌ رَبَّانِيَّةٌ وهِيَ الرُّوحُ قَبْلَ تَعَلُّقِها بِالأَجْساد ، وقَدْ خَلَقَ اللهُ الأَرْواحَ قَبْلَ الأَجْساد ، فَكانَتْ حِينَئِذٍ فِي جِوارِ الحَقِّ وقُرْبِهِ ، فَلَمَّا أَمَرَها الحَقُّ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِالأَجْسادِ عَرَفَتِ الغَيْرَ فَحُجِبَتْ عَنْ حَضْرَةِ الحَقِّ بِسَبَبِ شُغْلِها عَنْهُ تَعالَى ، فَلِذَلِكَ احْتاجَتْ إلَى مُذَكِّرٍ قالَ تَعالَى : ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ .

وهِيَ جَوْهَرٌ مُشْرِقٌ عَلَى البَدَنِ فَإنْ أَشْرَقَ عَلَى ظاهِرِ البَدَنِ وباطِنِهِ حَصَلَتِ اليَقَظَة ، وإنْ أَشْرَقَ عَلَى باطِنِ البَدَنِ دُونَ ظاهِرِهِ حَصَلَ النَّوْمُ ، وإنِ انْقَطَعَ إشْراقُهُ بِالكُلِّيَّةِ حَصَلَ المَوْتُ .

وأَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وغَفْلَةٍ وشَهْوَةٍ وشِرْكٍ هُوَ الرِّضا عَنِ النَّفْس ، أَلا تَرَى أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كُلَّ الرِّضا أَفْرَطَ فِي الطُّغْيانِ ، حَتَّى بَلَغَ أَنَّهُ قالَ : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ .

وأَصْلُ كُلِّ طاعَةٍ ويَقَظَةٍ وعِفَّةٍ ومُشاهَدَةٍ عَدَمُ الرِّضا عَنْها ، فَحِينَئِذٍ لا شَيْءَ أَنْفَعُ للعَبْدِ مِنْ تَهْذِيبِ نَفْسِه .

ولِلنَّفْسِ باعْتِبارِ تَأَثُّرِها بالمُجاهَداتِ سَبْعُ مَراتِب :

الأُولَى) النَّفْسُ الأَمَّارَة : وهِيَ الَّتي تَمِيلُ إِلَى الطَّبِيعَةِ البَدَنِيَّة وتَأْمُرُ باللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ المَمْنُوعَةِ شَرْعًا ، وتَجْذِبُ القَلْبَ إِلَى الجِهَةِ السُّفْلِيَّة ، فَهِيَ مَأْوَى الشُّرُور ، ومَنْبَعُ الأَخْلاقِ الذَّمِيمَةِ كالكِبْرِ والحِرْصِ والشَّهْوَةِ والحَسَدِ والغَضَبِ والبُخْلِ والحِقْد .

وهَذِهِ المَرْتَبَةُ لِغالِبِ النُّفُوسِ قَبْلَ المُجاهَدَة .

الثَّانِيَةُ) النَّفْسُ اللَّوَّامَة : وهِيَ الَّتي تَنَوَّرَتْ بِنُورِ القَلْب ، فَتُطِيعُ القُوَّةَ العاقِلَةَ تارَةً ، وتَعْصِي أُخْرَى ، ثُمَّ تَنْدَمُ فَتَلُومُ نَفْسَها ، وهِيَ مَنْبَعُ النَّدامَةِ لأَنَّها مَبْدَأُ الهَوَى والعَثْرَةِ والحِرْص .

الثَّالِثَةُ) النَّفْسُ المُلْهَمَة : وهِيَ الَّتي أَلْهَمَها اللهُ العِلْمَ والتَّواضُعَ ، والقَناعَةَ ، والسَّخاوَةَ ؛ فَلِذا كانَتْ مَنْبَعَ الصَّبْرِ ، والتَّحَمُّلِ ، والشُّكْر .

الرَّابِعَةُ) النَّفْسُ المُطْمَئِنَّة : وهِيَ الَّتي تَنَوَّرَتْ بِنُورِ القَلْبِ حَتَّى تَخَلَّتْ عَنْ صِفَتِها الذَّمِيمَة ، واطْمَأَنَّتْ إِلَى الكَمالات ، ومَقامُها مَبْدَأُ الكَمال ، مَتَى وَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ فِيهِ عُدَّ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ لانْتِقالِهِ مِنَ التَّلْوِينِ إِلَى التَّمْكِينِ ، وصاحِبُها هائِمٌ هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسَماتُ الوِصال ، يُخاطِبُ النَّاسَ وهُوَ عَنْهُمْ فِي بُعْدٍ مِنْ شِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بالحَقِّ تعالَى .

الخامِسَةُ) النَّفْسُ الرَّاضِيَة : وهِيَ الَّتي رَضِيَتْ عَنِ اللهِ تعالَى ؛ كَما قالَ تَعالَى : ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ ، وشَأْنُها التَّسْلِيمُ والتَّلَذُّذُ بالحَيْرَةِ كَما قِيلَ :

زِدْني بِفَرْطِ الْحُبِّ فِيكَ تَحَيُّرًا ۞ وَارْحَمْ حَشًا بِلَظَى هَواكَ تَسَعَّرَا

السَّادِسَةُ) النَّفْسُ المَرْضِيَّة : وهِيَ الَّتي رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْها ، ويَظْهَرُ فِيها أَثَرُ رِضاهُ تَعالَى ، وهُوَ الكَرامَةُ ، والإِخْلاصُ ، والذِّكْرُ ، وفِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ يَضَعُ السَّالِكُ القَدَمَ الأُولَى فِي مَعْرِفَةِ اللهِ تَعالَى حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، وفِيها يَظْهَرُ تَجَلِّي الأَفْعال .

السَّابِعَةُ) النَّفْسُ الكامِلَة : وهِيَ الَّتي صارَتِ الكَمالاتُ لَها طَبْعًا وسَجِيَّة ، ومَعَ ذَلِكَ تَتَرَقَّى فِي الكَمال ، وتُؤْمَرُ بالرُّجُوعِ إِلَى العِبادِ لإِرْشادِهِمْ وتَكْمِيلِهِمْ ، ومَقامُها مَقامُ تَجَلِّياتِ الأَسْماءِ والصِّفات ، وحالُها البَقاءُ بِاللهِ ، تَسِيرُ بِاللهِ إِلَى اللهِ ، وتَرْجِعُ مِنَ اللهِ إِلَى اللهِ ،

لَيْسَ لَها مَأْوَى سِواه ، عُلُومُها مُسْتَفادَةٌ مِنَ اللهِ كَما قِيلَ :

وَبَعْدَ الْفَنَا فِي اللهِ كُنْ كَيْفَمَا تَشَا ❁ فَعِلْمُكَ لا جَهْلٌ وَفِعْلُكَ لا وِزْرُ

واعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ جَرَتْ عادَةُ اللهِ تَعالَى أَنَّ التَّرَقِّيَ مِنْ مَقام إِلَى آخَرَ لا يَكُونُ إِلَّا عَلَى يَدِ المُسَلِّكِ العارِفِ بِمَقاماتِ الطَّرِيقِ وأَحْواله ، ولا تَظُنَّ أَنَّ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ تَتَيَسَّرُ بِطَرِيقِ العَقْلِ كَما ظَنَّتِ الفَلاسِفَةُ والبَراهِمَةُ وغَيْرُهُمْ مِنَ الجُهَّال ، وشَرَعُوا فِي تَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ بِالرِّياضِيَّاتِ عَلَى العَمَى فَوَقَعُوا فِي الآفاتِ والشُّبُهاتِ والضَّلالات ، فَإِنَّ تَزْكِيَةَ النُّفُوسِ كَمُعالَجَةِ الأَبْدانِ فَكَما لا يَجُوزُ للمَرِيضِ اسْتِعْمالُ الأَدْوِيَةِ إِلَّا بِنَظَرِ طَبِيبٍ حاذِقٍ ذِي تَجْرِبَةٍ فِي المُعالَجَة ، كَذَلِكَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ لا تَتَيَسَّرُ إِلَّا بِنَظَرِ نَبِيٍّ ، أَوْ وَلِيٍّ ذِي تَجْرِبَةٍ فِي هَذا الشَّأْن .

واعْلَمْ أَنَّ للنَّفْسِ حُجُبًا نُورانِيَّةً وحُجُبًا ظُلْمانِيَّةً وسَبِيلُ المُرِيدِ للوُصُولِ إِلَى تَخَلُّصِ النَّفْسِ مِنَ الحُجُبِ إِنَّما يَكُونُ بِتَقْدِيمِ مُجاهَدَتِها ومُخالَفَتِها ، والخُرُوجِ عَنْ هَواها ، لأَنَّها أَعْظَمُ حِجابٍ بَيْنَ العَبْدِ ورَبِّه .

وأَنْواعُ المُجاهَدَةِ كَثِيرَة ، وكُلُّ مُرِيدٍ يَلِيقُ بِهِ نَوْعٌ مِنْها لا يَلِيقُ بِغَيْرِه ، عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ المُرِيدِ وضَعْفِه ، ومَعْرِفَةُ ما هُوَ الأَشَقُّ نَظَرًا إِلَى حالِهِ وإِلَى زَمانِ مُجاهَدَتِهِ وغَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَمِثالُ ذَلِكَ :

• أَنَّ المُجاهَدَةَ بِالصَّوْمِ والصَّلاةِ أَشَقُّ عَلَى الأَثْرِياءِ مِنَ المُجاهَدَةِ بِالصَّدَقَةِ والعِتْقِ ، وفِي حَقِّ الفَقِيرِ والحَرِيصِ بِالعَكْسِ .

• والمُجاهَدَةُ بِتَرْكِ المُجادَلَةِ ، والمُنازَعَةِ ، وإِظْهارِ الفَضْلِ ، وتَرْكِ التَّنافُسِ فِي المَجْلِسِ ، وطَلَبِ التَّصَدُّرِ أَشَقُّ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ مِنَ المُجاهَدَةِ بِالصَّوْمِ والصَّلاة .

• والمُجاهَدَةُ بِالصَّوْمِ فِي الصَّيْفِ أَشَقُّ مِنَ المُجاهَدَةِ بِالصَّوْمِ فِي الشِّتاءِ وفِي قِيامِ اللَّيْلِ بِالعَكْسِ .

فَتَعْيِينُ أَنْواعِ المُجاهَدَةِ لأَنْواعِ المُرِيدِينَ مُفَوَّضٌ إِلَى رَأْيِ الشَّيْخِ الَّذِي يُسَلِّكُهُمْ ويُرَبِّيهِمْ لا إِلَى اخْتِيارِهِمْ ، لأَنَّ ذَلِكَ خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وخَطْبٌ جَسِيم .

وأَصْلُ المُجاهَدَةِ ومِلاكُها فَطْمُ النَّفْسِ عَنِ المَأْلُوفات ، وحَمْلُها عَلَى خِلافِ هَواها فِي عُمُومِ الأَوْقات .

قالَ بَعْضُ العارِفِين : ما أَخَذْنا التَّصَوُّفَ مِنَ القِيلِ والقال ، ولَكِنْ مِنَ الجُوعِ ، وتَرْكِ الدُّنْيا ، وقَطْعِ المَأْلُوفاتِ ، وامْتِثالِ الأَوامِر ، واجْتِنابِ المَنْهِيَّات .

وقالَ بَعْضُ المَشايِخِ : مَنْ دَخَلَ فِي مَذْهَبِنا هَذا فَلْيَجْعَلْ فِي نَفْسِهِ

أَرْبَعَ خِصالٍ مِنَ المَوْت : ١- مَوْتٌ أَحْمَر ، ٢- ومَوْتٌ أَسْوَد ، ٣- ومَوْتٌ أَبْيَض ، ٤- ومَوْتٌ أَخْضَر ؛ فالمَوْتُ الأَحْمَرُ مُخالَفَةُ النَّفْس ، والمَوْتُ الأَسْوَدُ احْتِمالُ أَذَى النَّاس ، والمَوْتُ الأَبْيَضُ الجُوع ، والمَوْتُ الأَخْضَرُ طَرْحُ الرِّقاعِ بَعْضُها عَلَى بَعْض (أَيْ تَشْمِيرُ ساعِدِ الجِدِّ والسَّهَر) .

والنَّفْسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى سُوءِ الأَدَبِ ، والعَبْدُ مَأْمُورٌ بِمُلازَمَةِ الأَدَب ، فالنَّفْسُ تَجْرِي بِطَبْعِها فِي مَيْدانِ المُخالَفَة ، والعَبْدُ يَرُدُّها بِجُهْدِهِ عَنْ سُوءِ المُطالَبَة ، فَمَنْ أَطْلَقَ عِنانَها فَهُوَ شَرِيكُها فِي فَسادِها ، فَهِيَ العَدُوُّ المُلازِمُ للإِنْسان ، لِقَوْلِهِ ﷺ : (أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ)[1] .

وقِيلَ قالَ اللّهُ تَعالَى لِبَعْضِ أَوْلِيائِهِ فِي المَنام : (عادِ نَفْسَكَ فَلَيْسَ لِي مِنَ المَمْلَكَةِ مُنازِعٌ غَيْرُها) ؛ أَيْ لأَنَّها تَطْلُبُ ما هُوَ لَهُ ؛ وهُوَ الكِبْرِياءُ والعَظَمَة ، وأَنْ تَنْقادَ لَها النَّاسُ وتُطِيعُها ، وقَدْ وَرَدَ عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ : (الكِبْرِياءُ رِدائِي ، والعَظَمَةُ إِزارِي ، فَمَنْ نازَعَنِي فِيهِما قَصَمْتُهُ ولا أُبالِي) .

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تملِكَها فَلا تُمَلِّكْها ، وضَيِّقْ عَلَيْها ولا تُوَسِّعْ لَها ، فَإِنْ

(١) رَواهُ البَيْهَقِي .

مَلَّكْتَها مَلَكَتْك ، وإِنْ لَمْ تُضَيِّقْ عَلَيْها اتَّسَعَتْ عَلَيْكَ ، وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقْوَى عَلَيْها فَأَضْعِفْها بِقَطْعِ أَسْبابِها ، وإِلَّا قَوِيَتْ عَلَيْكَ وصَرَعَتْك ، واسْتَعِنْ عَلَيْها بِالجُوعِ فَإِنَّهُ زِمامٌ قاهِرٌ لَها .

وبِالحَقِيقَةِ إِنَّ أَمْرَ النَّفْسِ وعِلاجَها عَسِير ، لا يُمْكِنُ بِمَرَّةٍ واحِدَةٍ بَلْ بِالتَّكْرارِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَهِيَ مُشَبَّهَةٌ بِالدَّابَّةِ الحَرُونِ فَلا تَنْقادُ إِلَّا بِاللِّجام .

وإِنَّما تَذِلُّ وتَنْقادُ بِثَلاثَةِ أَشْياء :

أَحَدُها : مَنْعُ شَهَواتِها فَإِنَّ الدَّابَّةَ الحَرُونَ إِنَّما تَلِينُ إِذا نَقَصَ عَلَفُها .

الثَّانِي : حَمْلُ أَثْقالِ الطَّاعات ؛ لأَنَّ الدَّابَّةَ الحَرُونَ إِذا قَلَّ عَلَفُها وزِيدَ فِي حِمْلِها ذَلَّتْ وصَغُرَتْ وضَعُفَتْ قُوَّتُها وانْقادَتْ وأَطاعَتْ .

الثَّالِثُ : أَنْ تَسْتَعِينَ عَلَيْها بِاللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وتَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ أَنْ يُعِينَكَ عَلَيْها .

وقالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ الله : ما عُبِدَ اللهُ بِشَيْءٍ مِثْلَ مُخالَفَةِ النَّفْس[1] .

(١) تَنْوِيرُ القُلُوب : شَيْخُ مَشايِخِي العارِفُ العَلَّامة والحَبْرُ الفَهَّامَة مُحَمَّد أَمِين الكُرْدِي (ت ١٣٣٢ هـ) قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ونَوَّرَ ضَرِيحَهُ .

بُحوثٌ مِلْؤُها الإخْلاصُ والأُنس

فِي اسْتِنْباطِ ما تَعْنِيه كَلِمَةُ نَفْس ۞

المَبْحَثُ الأَوَّل

فِي أَنَّ لَفْظَ ((نَفْس)) يَجِيءُ بِمَعْنَى : ((ذاتِ اللهِ تعالَى)) جَلَ شَأْنُهُ :

قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ (١) ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (٢) ، ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (٣) ، ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ (٤) ، ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ (٥) .

وفِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ : (يا عِبادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ فَلا تَظالَمُوا)(٦) .

المَبْحَثُ الثَّاني

فِي أَنَّهُ (لَفْظُ نَفْس) يَجِيءُ بِمَعْنَى : ((**الرُّوحِ الإِنْسانِي**)) ، وهُوَ الجِسْمُ

۞ رسالَةٌ شَرِيفَةٌ لِمَعانِي النَّفْسِ النَّفِيسَة : عَبْدُ اللهِ بنُ عُثْمان بن مُوسَى الرُّومِي .

(١) سُورَةُ طه : ٤١ . (٢) سُورَةُ آلِ عِمْران : ٢٨ .

(٣) سُورَةُ الأَنْعام : ١٢ . (٤) سُورَةُ الأَنْعام : ٥٤ .

(٥) سُورَةُ المائِدَة : ١١٦ .

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِم فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنا أَبِي ذَرٍّ الغِفارِي رضي الله عنه .

اللَّطِيفُ الحالُّ فِي البَدَنِ ، عِنْدَ جُمْهُورِ المُتَكَلِّمِينَ وأَهْلِ الحَدِيث .

قالَ اللهُ تعالَى : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ (١) ؛ أَيْ : اخْرُجِي عَنْ بَدَنِكِ الَّذي أَلِفْتِه ، ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ، فَهَذا حالُ أَهْلِ البَرْزَخِ إِلَى البَعْثِ والنُّشُور ، ثُمَّ إذا حُشِرَ الأَجْسادُ يُقالُ لَها : ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أَيْ : فادْخُلِي فِي أَبْدانِ عِبادِي كَما دَخَلْتِ أَوَّلًا ، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ مَعَ بَدَنِكِ الَّذي حَلَلْتِ فِيه .

وقالَ تعالَى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ (٢) .

وقالَ تَعالَى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (٣) ؛ أَيْ : تَذْهَبَ وتَخْرُجَ أَرْواحُهُمْ .

وقالَ تعالَى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٤) .

وفِي غَيْرِ واحِدٍ مِنَ الأَحادِيث : (وهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ) يَعْنِي : المُحْتَضَر .

قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام : (إذا خَرَجَتِ النَّفْسُ يَتْبَعُها البَصَر) .

---

(١) سُورَةُ الفَجْر : ٢٧-٣٠ . (٢) سُورَةُ الأَنْعام : ٩٣ .

(٣) سُورَةُ التَّوْبَة : ٥٥ . (٤) سُورَةُ الزُّمَر : ٤٢ .

وفي غَيْرِ واحِدٍ مِنَ الأَحاديثِ : (والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ) .

وفي بَعْضِ الطُّرُقِ : (والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه) .

فَإنْ قُلْتَ : إنَّ ما هُوَ بِيَدِهِ تَعالَى مِنْ ذاته ﷺ لَيْسَ هُوَ رُوحَهُ الشَّرِيفَ فَقَطْ ، بَلْ رُوحُهُ الشَّرِيفُ مَعَ بَدَنِهِ المُنِيفِ ؛ فَيَكُونُ الحَدِيثُ الشَّرِيفُ مِثالًا للمَعْنَى الَّذي سَيَأْتِي فِي المَبْحَثِ الخامس .

قُلْتُ : نَعَمْ إلَّا أَنَّ أَعَزَّ الأَشْياءِ فِي الإنْسانِ هُوَ رُوحُهُ ، سِيَّما رُوحِهِ الشَّرِيف ، فَناسَبَ المَقامَ الَّذي هُوَ مَقامُ الحَلِفِ والقَسَمِ بِذاتِهِ تَعالَى - جَلَّ جَلالُهُ وعَمَّ نَوالُه - ويُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ نَسَبَ هَذِهِ النَّفْسَ الشَّرِيفَةَ إلَى يَدِهِ تَعالَى ، وهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفاتِهِ تَعالَى بِلا كَيْفٍ عِنْدَ سَلَفِنا الصَّالِحِين ، رِضْوانُ اللهِ تَعالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين .

المَبْحَثُ الثَّالث

فِي أَنَّهُ (**لَفْظُ نَفْس**) يَجِيءُ بِمَعْنَى (**باطِنِ الإنْسانِ**) ؛ مِثْلَ الصَّدْرِ والقَلْبِ وما يُشاكِلُهُما مِنَ المَدارِك : قالَ اللهُ تَعالَى :

• ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ (١) .

• ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (٢) .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٨٤ .
(٢) سُورَةُ الأَعْراف : ٢٠٥ .

• ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ (١) .

• ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٢) .

• ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ (٣) .

• ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (٤) .

• ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ (٥) .

• ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ (٦) .

• ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ (٧) .

• ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (٨) .

• ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ (٩) .

• ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ (١٠) .

• ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ (١١) .

---

(١) سُورَةُ آل عِمْران : ١٥٤ .
(٢) سُورَةُ يُوسُف : ٧٧ .
(٣) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٣٥ .
(٤) سُورَةُ البَقَرَة : ٨٧ .
(٥) سُورَةُ البَقَرَة : ١٠٩ .
(٦) سُورَةُ البَقَرَة : ١٣٠ .
(٧) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٣٥ .
(٨) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٦٥ .
(٩) سُورَةُ النِّساء : ١١٣ .
(١٠) سُورَةُ النِّساء : ٤ .
(١١) سُورَةُ المائِدَة : ٥٢ .

• ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ (1) ؛ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ الإيمانَ إِنَّما هُوَ بالقَلْبِ ، وأَمَّا العَمَلُ بالأَرْكانِ فَخارِجٌ عَنْهُ ، وعَلَى أَنْ يَكُونَ ﴿كَسَبَتْ﴾ مِنْ قَبِيلِ الإِسْنادِ إِلَى السَّبَبِ ، مِثْلَ قَوْلِهِ تعالَى : ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ (2) ، ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ (3) .

• ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (4) .

• ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (5) .

• ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (6) .

• ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (7) .

• ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (8) .

• ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ (9) .

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ

(1) سُورَةُ الأَنْعام : ١٥٨ . (2) سُورَةُ القَصَص : ٤ .
(3) سُورَةُ الأَعْراف : ٢٧ . (4) سُورَةُ يُونُس : ١٠٠ .
(5) سُورَةُ هُود : ٣١ . (6) سُورَةُ الأَنْبياء : ٦٤ .
(7) سُورَةُ النَّمْل : ١٤ . (8) سُورَةُ السَّجْدَة : ١٧ .
(9) سُورَةُ المُجادلَة : ٨ .

إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (1) .

• ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ (2) .

المَبْحَثُ الرَّابع

فِي أَنَّهُ (لَفْظُ نَفْس) يَجِيءُ بِمَعْنَى : (هَذا الهَيْكَل المَحْسُوس) ؛ وهُوَ البَدَن :

قالَ اللَّهُ تَعالَى : • ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (3) .

• ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (4) .

• ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ (5) .

• ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (6) .

• ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ (7) .

• ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (8) .

• ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ (9) .

• ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (10) .

(1) سُورَةُ ق : ١٦ . (2) سُورَةُ طه : ٦٧ ، ٦٨ . (3) سُورَةُ آلِ عِمْران : ١٨٥ .
(4) سُورَةُ آل عِمْران : ١٤٥ . (5) سُورَةُ البَقَرَة : ٥٤ . (6) سُورَةُ الأَنْعام : ١٥١ .
(7) سُورَةُ يُوسُف : ٢٦ . (8) سُورَةُ يُوسُف : ٣٠ . (9) سُورَةُ يُوسُف : ٣٢ .
(10) سُورَةُ يُوسُف : ٥١ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّ مُراوَدَتَها كما نَشَأَتْ عَنْ دَقائِقِ الحُسْنِ وبَدائِعِ الفِطْرَةِ الَّتي تَحَقَّقَتْ فِي هَيْكَلِهِ الشَّرِيفِ عليه السلام ، كَذَلِكَ تَنْشَأُ عَنِ المَلَكاتِ الفاضِلَةِ والأَخْلاقِ الحَسَنَةِ المُتَحَقِّقَةِ فِيهِ عليه السلام ، ومَحَلُّها الرُّوحُ أَوِ القَلْبُ ؛ فالمُناسِبُ هُوَ المَعْنَى فِي المَبْحَثِ الخامِسِ أَوِ الثّانِي أَوِ الثّالِثِ ، لا الرّابِع .

قُلْنا : نَعَمْ ، إِنَّ فَرْطَ المَحَبَّةِ تَنْشَأُ عَمَّا ذَكَرْتَ - أَيْضًا - إِلَّا أَنَّ القَلْبَ والرُّوحَ أَمْرانِ غائِبانِ غَيْرُ مَحْسُوسَيْنِ للمُحِبِّ المَشْغُوفِ ، وإِنَّما المَشْهُودُ المُبْصَرُ المُعايَنُ هُوَ هَذا الهَيْكَلُ المَحْسُوس .

فالظَّاهِرُ أَنَّ الَّذي سَلَبَ عَنْها الصَّبْرَ والقَرارَ ، وهَتَكَ حِجابَ عِصْمَتِها بِحَيْثُ ما وَقَعَتْ لَها مُبالاةٌ وما اجْتَنَبَتْ عَنْ قَصْدِ السُّوءِ والفَحْشاءِ مَعَ عُلُوِّ شَأْنِها (لأَنَّها زَوْجَةُ سُلْطانِ مِصْرَ وبِنْتُ سُلْطانِ المَغْرِب) ، وعَنِ الشُّهْرَةِ بِالسُّوءِ عِنْدَ أَهْلِ مَدِينَتِها ؛ إِنَّما هُوَ مُشاهَدَةُ الصَّنائِعِ العَجِيبَةِ ، ومُعايَنَةُ البَدائِعِ الغَرِيبَةِ الأَنِيقَةِ المُبْصَرَةِ المُعايَنَةِ المُتَحَقِّقَةِ فِي هَيْكَلِهِ الشَّرِيف .

ويُؤَيِّدُ ما قُلْنا : قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (١) .

(١) **سُورَةُ يُوسُف** : ٣١ .

إِذِ النَّصُّ الشَّرِيفُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ هَذِهِ الحَيْرَةَ الواقِعَةَ لَهُنَّ والدَّهْشَةَ المُذْهِلَةَ إِيَّاهُنَّ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ ، بِحَيْثُ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وسَلَبْنَ ونَفَيْنَ عَنْهُ عليه السلام - سَلْبًا مُقارَنًا بالحَلِفِ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ - كَوْنَهُ مِنْ جِنْسِ البَشَرِ والإِنْسانِ ؛ إِنَّما نَشَأَتْ مِنَ المُعايَنَةِ والإِبْصارِ ، ونَبَعَتْ مِنَ المُشاهَدَةِ والإِحْساسِ بَغْتَةً وفَجْأَةً ، إِذِ الوَقْتُ قَصِيرٌ فِي الغايَةِ ، والأَمَدُ سَرِيعٌ بِالنِّهايَة .

وكَذا يُؤَيِّدُ ما قُلْنا : قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ (١) ، وأَنَّ زَلِيخا إِنَّما طَلَبَتْ وأَرادَتْ مِنْهُ عليه السلام الوِقاعَ ودَواعِيَهُ ، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٢) ، ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (٣) .

قالَ اللهُ تَعالَى :

• ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ (٤) .

أَيْ : لَمْ تَكُونُوا بالِغِي بَلَدٍ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ تَحْصُلُ لأَبْدانِكُمْ .

(١) **سُورَةُ يُوسُف** : ٣٢ . (٢) **سُورَةُ يُوسُف** : ٢٣ .
(٣) **سُورَةُ يُوسُف** : ٢٤ . (٤) **سُورَةُ النَّحْل** : ٧ .

• ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [1].

أَيْ : قاتِلٌ نَفْسَكَ ؛ أَسَفًا عَلَى إِصْرارِهِمْ عَلى كُفْرِهِمْ وإِنْكارِهِمْ لِهَذا الحَديث .

• ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [2].

• ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ [3].

• ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [4].

• ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [5].

• ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ﴾ [6].

• ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [7].

• ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ [8].

---

(١) سُورَةُ الكَهْف : ٦ . (٢) سُورَةُ الكَهْف : ٢٨ . (٣) سُورَةُ الكَهْف : ٧٤ .
(٤) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٣٤ . (٥) سُورَةُ آلِ عِمْران : ٦١ . (٦) سُورَةُ القَصَص : ١٩ .
(٧) سُورَةُ الأَحْزاب : ٥٠ . (٨) سُورَةُ فاطِر : ٨ .

• ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [1].

• ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [2].

• ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [3].

• ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ [4].

أَي : المُجاهَدَةُ بالحَرْبِ والقِتالِ مَعَ الأَعْداءِ الظَّاهِرَةِ .

وفي الحَديثِ الصَّحيح : (نَفْسُكَ مَطِيَّتُكَ ؛ فارْفُقْ بِها) .

وفيهِ أَيْضًا : (إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا) .

المَبْحَثُ الخامِس

في أَنَّهُ (لَفْظُ نَفْس) يَجِيءُ بِمَعْنَى : (الرُّوحِ مَعَ البَدَن) :

• ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [5].

• ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [6].

• ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ [7].

---

(١) سُورَةُ الذَّارِيات : ٢٠ ، ٢١ (٢) سُورَةُ فُصِّلَت : ٥٣ . (٣) سُورَةُ الحَديد : ٢٢ .
(٤) سُورَةُ الصَّفّ : ١١ . (٥) سُورَةُ الشَّمْس : ٧ - ١٠ . (٦) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٨٦ .
(٧) سُورَةُ يُونُس : ١٥ .

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ (١) ، أَيْ : إِنَّما ضَرَرُ بَغْيِكُمْ وسُوءُ عاقِبَتِهِ عَلَى بَدَنِكُمْ مَعَ رُوحِهِ ؛ حَيْثُ يُعَذَّبانِ بِعَذابِ جَهَنَّمَ بِسَبَبِ هَذا البَغْيِ .

• ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ (٢) .

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ (٣) .

• ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (٤) .

• ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ (٥) .

• ﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ (٦) .

• ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (٧) ؛ أَيْ : حَتَّى يُغَيِّروا ما تَحَقَّقَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مُواظَبَةِ الطَّاعاتِ واجْتِنابِ المَعاصِي ؛ وذَلِكَ إِنَّما يَتَحَقَّقُ بِالبَدَنِ مَعَ الرُّوحِ .

• ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ (٨) ؛

(١) سُورَةُ يُونُس : ٢٣ . (٢) سُورَةُ يُونُس : ٣٠ . (٣) سُورَةُ يُونُس : ٤٤ .
(٤) سُورَةُ الأَعْراف : ١٨٨ . (٥) سُورَةُ يُونُس : ٥٤ . (٦) سُورَةُ يُونُس : ١٠٨ .
(٧) سُورَةُ الرَّعْد : ١١ . (٨) سُورَةُ الرَّعْد : ٤٢ .

أَيْ : يَعْلَمُ تَعالَى ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ مُؤْمِنَةٍ مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ والأَخْلاقِ المَرْضِيَّةِ ؛ مِثْلِ : الإيمانِ والإِخْلاصِ ، ويَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ كافِرَةٍ مِنَ الأَعْمالِ الفاسِدَةِ والأَخْلاقِ السَّيِّئَةِ ؛ مِثْلِ : الكُفْرِ ، والشِّرْكِ ، والنِّفاقِ .

• ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ (١) ؛ أَيْ : تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مِنَ النُّفوسِ الصَّالِحَةِ والنُّفوسِ الطَّالِحَةِ ؛ فالنُّفوسُ الصَّالِحَةُ تُجْزَى بِما عَمِلَتْ مِنَ الخَيْراتِ مِثْلِ الإيمانِ والإِخْلاصِ ، وكَذا سائِرُ الأَعْمالِ الباطِنَةِ ؛ وذَلِكَ بِالرُّوحِ ، ومِثْلُ سائِرِ الأَعْمالِ الظَّاهِرَةِ المُتَحَقِّقَةِ فِي أَعْضاءِ البَدَنِ ، وكَذا النُّفُوسُ الطَّالِحَةُ تُجْزَى بِما عَمِلَتْ مِنَ الشُّرُورِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ .

• ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ (٢) ؛ أَيْ : أَحْسَنْتُمْ بِالإيمانِ والإِخْلاصِ والأَعْمالِ الصَّالِحَةِ وبِاجْتِنابِ المَعاصِي ، يَتَرَتَّبُ لإِحْسانِكُمْ هَذا نَفْعٌ لأَبْدانِكُمْ وأَرْواحِكُمْ ، وإِنْ أَسَأْتُمْ بِالشِّرْكِ والكُفْرِ وسائِرِ المَعاصِي ، يَتَرَتَّبُ لإِساءَتِكُمْ هَذِهِ ضَرَرٌ لأَبْدانِكُمْ وأَرْواحِكُمْ .

(١) سُورَةُ النَّحْل : ١١١ . (٢) سُورَةُ الإِسْراء : ٧ .

• ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (١) ؛ أَيْ : لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .

• ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٢) ؛ أَيْ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا بِما فِي وُسْعِها ؛ مِثْلِ : الإيمانِ باللهِ وأَنْبيائِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، والتَّحَلِّي بِالأَخْلاقِ المَرْضِيَّة ، والتَّخَلِّي عَنْ رَذائِلِها ، واكْتِسابِ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، والاجْتِنابِ عَنِ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ ، وكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا فِي وُسْعِ الإنْسانِ ومِمَّا يَتَّصِفُ بِهِ جِنْسُ بَنِي آدَم .

• ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ (٣) .

• ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦ﴾ (٤) ؛ أَيْ : ومَنْ جاهَدَ بِاجْتِنابِ الكُفْرِ والشِّرْكِ وسائِرِ الأَخْلاقِ الذَّمِيمَةِ والأَعْمالِ المَنْهِيَّةِ ، وباكْتِسابِ الإيمانِ والتَّوْحِيدِ وسائِرِ الأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ والأَعْمالِ المَرْضِيَّةِ ، فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْعِ نَفْسِهِ ونَجاتِها مِنْ خِزْيِ الدُّنْيا وعَذابِ الآخِرَةِ ، وفَوْزِها بِسَعادَةِ الدَّارَيْنِ .

• ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥) .

---

(١) سُورَةُ طه : ١٥ . (٢) سُورَةُ الأَنْعام : ١٥٢ . (٣) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٧٢ .
(٤) سُورَةُ العَنْكَبُوت : ٦ . (٥) سُورَةُ آلِ عِمْران : ٢٥ .

• ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (١) .

• ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٢) .

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣) ؛ أَيْ : ما قَدَّمَتْ مِنَ الإيمانِ والإخْلاصِ وسائِرِ الأَعْمالِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَة .

• ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (٤) .

• ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥) .

• ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ (٦) .

• ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ (٧) .

• ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (٨) .

• ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٩) ؛ أَي : الأَرْواحُ والأَبْدانُ قُورِنَتْ واتَّصَلَتْ ؛

---

(١) سُورَةُ غافِر : ١٧ . (٢) سُورَةُ فُصِّلَتْ : ٤٦ . (٣) سُورَةُ الحَشْر : ١٨ .
(٤) سُورَةُ النَّحْل : ٢٨ . (٥) سُورَةُ آلِ عِمْران : ١١٧ . (٦) سُورَةُ هُود : ٢١ .
(٧) سُورَةُ فاطِر : ٣٢ . (٨) سُورَةُ المُزَّمِّل : ٢٠ . (٩) سُورَةُ التَّكْوِير : ٧ .

كُلٌّ بِالآخَرِ ، أَوْ كانَ مَعْناهُ : يُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ؛ الصَّالِحِ مَعَ الصَّالِحِ فِي الجَنَّةِ ، والرَّجُلِ السَّوْءِ مَعَ الرَّجُلِ السَّوْءِ فِي النَّارِ .

• ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ (١) .

• ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ (٢) .

• ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ (٣) .

• ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ (٤) .

• ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ (٥) .

• ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ (٦) .

• ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ (٧) .

• ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : ٤٤ .   (٢) سُورَةُ النُّور : ٦١ .   (٣) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٧٢ .
(٤) سُورَةُ آلِ عِمْران : ٣٠ .   (٥) سُورَةُ المائِدَة : ٢٥ .   (٦) سُورَةُ المائِدَة : ١٠٥ .
(٧) سُورَةُ الأَنْعام : ٢٤ .

أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ (١) .

• ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (٢) .

• ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

المَبْحَثُ السَّادِس

فِي أَنَّهُ **(لَفْظُ نَفْس)** يَجِيءُ بِمَعْنَى : **(أَمْرٍ مَوْجُودٍ فِي بَدَنِ الإِنْسانِ)** جُبِلَ عَلَى الشَّرِّ والفَسادِ وتَحْرِيضِ صاحِبِهِ وإِغْرائِهِ عَلَى القَبائِحِ والفَضائِحِ وتَثْبِيطِهِ عَنِ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ؛ وهُوَ المَذْمُومُ مِنْ بَيْنِ ما صَدَقَ عَلَيْهِ النَّفْسُ ؛ وهُوَ الَّذِي أُمِرَ العِبادُ أَنْ يَتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ويُجاهِدُوهُ مُجاهَدَةَ الأَعْداءِ الظَّاهِرَةِ ، بَلْ أَشَدَّ ؛ حَتَّى يُقالَ لَهُ : ((الجِهادُ الأَكْبَرُ)) ، وأُمِرُوا أَنْ يُخالِفُوهُ مُخالَفَةً أَكِيدَةً حَتَّى إِنَّ تَشَرُّفَ الإِنْسانِ بِتَشَرُّفِ الزُّلْفَةِ والكَرامَةِ عِنْدَ اللهِ تَعالَى ؛ بِمُخالَفَتِهِ إِيَّاهُ وعَدَمِ مُساعَدَتِهِ إِلَى ما يَدْعُوهُ .

قالَ اللهُ تَعالَى حِكايَةً عَنْ سَيِّدِنا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ (٤) .

• ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (٥) .

---

(١) سُورَةُ الأَنْعام : ١٣٠ .   (٢) سُورَةُ النَّجْم : ٣٢ .   (٣) سُورَةُ البَقَرَة : ١٠٢ .
(٤) سُورَةُ يُوسُف : ٥٣ .   (٥) سُورَةُ يُوسُف : ١٨ .

• ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [١].

• ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ [٢].

• ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ [٣].

• ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [٤]:

نَزَلَتْ فِي عَدِيِّ بن رَبِيعَةَ بن أَبِي سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ، كَفَرَ بالبَعْثِ، وكانَ خَتَنَ الأَخْنَسِ بنِ شَرِيف[٥].

فالمُرادُ مِنْ لَوْمِها: هُوَ لَوْمُها عَلَى نَفْسِها فِي الآخِرَةِ؛ بِسَبَبِ كُفْرِها وشِرْكِها وإِنْكارِها هَذا البَعْثَ، ومُخالَفَةِ الرَّسُولِ فِي دارِ الدُّنْيا.

• ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ [٦].

• ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [٧].

• وقالَ سَيِّدُ العارِفِينَ ﷺ: (اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي، فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي، تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ وتُبْعِدْنِي مِنَ الخَيْرِ)[٨].

(١) سُورَةُ إبْراهِيم: ٢٢. (٢) سُورَةُ طه: ٩٦.
(٣) سُورَةُ غافِر: ١٠. (٤) سُورَةُ القِيامَة: ١، ٢.
(٥) الخَتَنُ: كُلُّ مَنْ كانَ مِنْ قِبَلِ المَرْأَةِ؛ مِثْلُ الأَبِ والأَخ.
(٦) سُورَةُ المائِدَة: ٣٠. (٧) سُورَةُ الزُّمَر: ٥٦.
(٨) رَواهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكَبِير.

• وقالَ أَيْضًا ﷺ: (اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَعْفٍ وعَوْرَةٍ وذَنْبٍ وخَطِيئَةٍ، وإِنِّي لا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ)[١].

• وقالَ أَيْضًا ﷺ: (اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا)[٢].

• وقالَ أَيْضًا ﷺ: (رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وشَرِّ الشَّيْطانِ وشِرْكِهِ)[٣].

• وقالَ أَيْضًا ﷺ: (أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ)[٤].

المَبْحَثُ السَّابِع

فِي أَنَّهُ (لَفْظُ نَفْس) يَجِيءُ بِمَعْنَى: (مُطْلَقِ الذَّاتِ) مِنَ المَخْلُوقِ؛ إِنْسانًا كانَ أَوْ مَلَكًا، أَوْ جِنًّا، حَيَوانًا كانَ أَوْ جَمادًا:

قالَ اللهُ تعالَى:

• ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [٥].

• ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾ [٦].

• ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ. (٢) أَخْرَجَهُ البُخارِي.
(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه.
(٤) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِي. (٥) سُورَةُ البَقَرَة: ٤٨. (٦) سُورَةُ لُقْمان: ٢٨.

تَمُوتُ﴾ (١) ؛ أَي : وما تَدْري ذاتٌ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ والمَلَكِ ؛ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (خَمْسٌ مِنْ مَفاتِيحِ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ) وقَرأَ الآيَةَ مِنْ قَوْلِهِ تَعالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَة (٢) .

• ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (٣) .

• ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤) .

• ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٥) .

• ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٦) ؛ أَيْ : كُلُّ خَلْقٍ مُحْتَبَسٌ يَوْمَ القِيامَةِ بِسَبَبِ الحِسابِ عَلَى أَعْمالِه ؛ فَيَتَخَلَّصُ بِثِقَلِ مَوازِينِه ، ويَشْقَى بِخِفَّتِها .

• ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ (٧) ؛ أَيْ : حُجَّةٌ وشاهِدٌ عَلَى ذاتِه ؛ لا حاجَةَ فِي الشَّهادَةِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِه ؛ لِشَهادَةِ جَوارِحِه بِما فَعَلْنَ مِنَ المَعاصِي فِي الدُّنْيا ؛ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٨) .

• ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (٩) ؛ أَيْ : لا يَمْلِكُ مَخْلُوقٌ لِمَخْلُوقٍ شَيْئًا .

---

(١) سُورَةُ لُقْمان : ٣٤ . (٢) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم . (٣) سُورَةُ الأَحْزاب : ٦ .
(٤) سُورَةُ يس : ٥٤ . (٥) سُورَةُ ق : ٢١ . (٦) سُورَةُ المُدَّثِّر : ٣٨ .
(٧) سُورَةُ القِيامَة : ١٤ . (٨) سُورَةُ النُّور : ٢٤ . (٩) سُورَةُ الانفطار : ١٩ .

المَبْحَثُ الثَّامِن

فِي أَنَّهُ (لَفْظُ نَفْس) يَجِيءُ بِمَعْنَى : (الجِنْس) ؛ قالَ اللهُ تَعالَى :

• ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (١) ؛ أَيْ : مِنْ جِنْسِكُمْ .

• ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (٢) .

• ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ (٣) ؛ أَيْ : مِنْ جِنْسِكُمْ .

• ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ (٤) ... ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (٥) ؛ أَيْ ضَرَبَ اللهُ لَكُمْ - مَعاشِرَ الأَحْرارِ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ عَبِيدًا وجَوارِيَ - مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؛ أَيْ : مِنْ أَجْناسِكُمْ أَيُّها الأَحْرارُ ، هَلْ لَكُمْ شُرَكاءُ فِيما تَمْلِكُونَ مِنَ الأَمْوالِ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ ؛ أَيْ : تَخافُونَ مَمالِيكَكُمْ فِي تَصَرُّفِكُمْ فِي أَمْوالِكُمْ ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ؛ أَيْ كَخَوْفِكُمْ مِنْ أَجْناسِكُمْ - شُرَكاء أَحْرار - حَيْثُ لا تَقْطَعُونَ أَمْرًا دُونَ مَشُورَتِهِمْ ؟!

• ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ (٦) .

---

(١) سُورَةُ التَّوْبَة : ١٢٨ . (٢) سُورَةُ النِّساء : ١ . (٣) سُورَةُ الرُّوم : ٢١ .
(٤) ، (٥) سُورَةُ الرُّوم : ٢٨ . (٦) سُورَةُ الشُّورى : ١١ .

واعْتَصِمْ بِالكِتَابِ فِي كُلِّ شَيْءٍ[1]

أَنَـا فِـي الْحُــبِّ لا أَزَالُ حَـيِّـيًّا ۞ مُسْتَـمِدًّا للشَّرْعِ مَـا دُمْـتُ حَـيًّا
أَسْــأَلُ اللهَ وَعْــدَهُ وَلِــقَـاهُ ۞ إِنَّـــهُ كَانَ وَعْــدُهُ مَــأْتِـيًّـا
كَيْفَ أَنْسَى ذَاتَ الْحَبِيبِ وَقَلْبِي ۞ يَـعْــبُـدُ اللهَ بُـكْـرَةً وَعَـشِـيًّا
نَفْسُ إِنْ جِئْتِ حَيَّهُ فَاسْتَرِيحِي ۞ لِتَنَالِـي بِـهِ الْمَــقَامَ الْعَلِـيَّا
وَاصْبِري وَاحْذَرِي وَسِيرِي تَقَرِّي ۞ وَاعْشَقِي تُدْرِكِي الأَمَانَ الْقَوِيَّا
اذْكُرِ اللهَ ما اسْتَطَعْتَ سَبِيلًا ۞ ذَاكِــرُ اللهِ عَــادَ مِــنْهُ وَلِــيَّا
وَاعْتَصِمْ بِالْكِتَابِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ۞ قَدْ وَجَدْنا الْكِتَابَ حَبْلًا قَـوِيًّا
وَتَجَـرَّدْ عَـنْ كُلِّ شَـيْءٍ سِـواهُ ۞ فَـإِذَا مُـتَّ بِالْمَحَـبَّةِ تَحْـيَا

وقالَ أَيْضًا قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ونَوَّرَ ضَرِيحَهُ :

يَا مُرِيدًا لِلنَّفْسِ مَعْنَى عُـلاهَا ۞ احْفَظِ النَّفْسَ بِالتُّقَى مِنْ أَذَاهَا
وَاقْصِـدِ اللهَ وَحْـدَهُ وَتَـواضَـعْ ۞ إِنَّ فَـضْــلَ الإِلَــهِ لا يَتَنَــاهَـىٰ
وَسَـلِ اللهَ مَـا تَـشَاءُ بِـعَـزْمٍ ۞ وَاجْعَلِ اللهَ حَيْثُ كُنْتَ الْجَاهَا

---

(١) لِواصِلِ طَرِيقِ أَهْلِ الوَصْل : الشَّيْخ عَلِي عَقْل ؛ مِنْ كِتاب ((السُّمُوُّ الرُّوحِي فِي الأَدَبِ الصُّوفِي)) لِمَوْلانا العارِف أَحْمَد عَبْد المُنْعِم عَبْد السَّلام الحَلوانِي ، وقَدْ أَهْداهُ إِلَيَّ بَقِيَّةُ الصَّالِحِينَ الوَلِي سَيِّدِي يُسْرِي عَبْد العال عَلِي (مِنْ خُلَفاءِ العارِفِ الصَمَدانِي سَيِّدِي حَسَن كامِل المَلطاوِي) .

تَنْبِيهٌ وإِعْلام .. بيانٌ يَدْفَعُ كَثِيرًا مِنَ الأَوْهام

اعْلَمْ - أَيَّدَكَ اللهُ وإِيَّايَ بِالعِلْمِ والإِيمان - أَنَّهُ رَوَى الإِمامانِ البُخارِيُّ ومُسْلِمٌ رَحِمَهُما اللهُ تعالَى فِي صَحِيحَيْهِما عَنْ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : **(لا عَدْوَى ولا طِيرَةَ ولا هامَةَ ولا صفر)** ، فَقالَ أَعْرابِيٌّ : يا رَسُولَ الله ، فَما بالُ الإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّها الظِّباءُ ، فَيُخالِطُها البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيُجْرِبُها ؟ فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ) ؟

فَقَدْ رُوِيَ هَذا الحَدِيثُ بِرِواياتٍ مُتَعَدِّدَة ؛ فَفِي المَشارِقِ لِلصَّاغانِي رامِزًا لِلبُخارِي عَنْ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (وخَيْرُها الفَأْلُ) ، ورامِزًا لِلبُخارِيِّ ومُسْلِم عَنْ سَيِّدِنا جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (لا عَدْوَى ولا طِيرَةَ ولا غُولَ) ، وفِي الجامِعِ الصَّغِيرِ لِلسُّيُوطِي رامِزًا لِمُسْنَدِ الإِمامِ أَحْمَد ، ولِمُسْلِم عَنْ سَيِّدِنا جابِر بن عَبْد اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (لا عَدْوَى ولا طِيرَةَ ولا هامَةَ ولا صَفَرَ ولا غُولَ) .

وفِي كِتاب ((الآثار)) لِلطَّحاوِي عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قال :

(العِيافَةُ والطِّيرَةُ والطَّرْقُ مِنَ الجِبْت) :

العِيافَةُ : تَنْفِيرُ الطَّيْرِ لِيَنْظُرَ هَلْ يَسِيرُ يَمِينًا أَوْ شِمالًا .

والطِّيَرَةُ : التَّشاؤُمُ بِأَسْماءِ الطُّيُورِ وأَلْوانِها وجِهَةِ مَسِيرِها وإِنْ لَمْ يَكُنْ تَنْفِير ، فَهُوَ أَعَمُّ مِمَّا قَبْلَهُ ، فَإِذا سارَ يَمِينًا أَقْدَمَ عَلَى السَّفَرِ مَثَلًا ، أَوْ شِمالًا فَلا ، وإِذا رَآهُ غُرابًا أَوْ عُقابًا (نِسْرًا) امْتَنَعَ تَشاؤُمًا بِالاسْمِ وهُوَ الغُرْبَةُ أَوِ العِقاب ، وهَكَذا .

والطَّرْقُ : هُوَ الضَّرْبُ بِالحَصَى لأَخْذِ الفَأْلِ ، أَوِ الخَطُّ بِالرَّمْلِ لإِظْهارِ أَمْرٍ مُغَيَّب .

الجِبْت : الشِّرْك .

قالَ العُلَماءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعالَى فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِماتِ بِاخْتِصار : مَعْنَى (لا عَدْوَى) : لا سِرايَةَ لِلمَرَضِ مِنْ صاحِبِهِ إِلَى غَيْرِهِ ، وهَذا نَفْيٌ لِما كانَتِ الجاهِلِيَّةُ تَعْتَقِدُهُ فِي بَعْضِ الدَّاءاتِ كالجَرَبِ أَنَّها تُعْدِي بِطَبْعِها مِنْ غَيْرِ إِضافَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعالَى ؛ فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتِقادَهُمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (لا عَدْوَى) ؛ ولِذَلِكَ لَمَّا سَأَلَ الأَعْرابِيُّ عَنِ الإِبِلِ الصَّحِيحَةِ يُخالِطُها الجَمَلُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : (فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ) ؛ أَيِ الأَوَّلُ لَمْ يَجْرَبْ بِالعَدْوَى بَلْ بِقَضاءِ اللَّهِ وقَدَرِهِ ، فَكَذَلِكَ الثَّانِي وما بَعْدَهُ هَكَذا .

وقَدْ وَرَدَتْ أَحادِيثُ أَشْكَلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَعْضُها ، حَتَّى ظَنَّ

بَعْضُهُمْ أَنَّها ناسِخَةٌ لِقَوْلِهِ ﷺ : (لا عَدْوَى) ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) ؛ والمُمْرِضُ : صاحِبُ الإِبِلِ المَرِيضَةِ ، والمُصِحُّ : صاحِبُ الإِبِلِ الصَّحِيحَةِ ، والمُرادُ النَّهْيُ عَنْ إِيرادِ الإِبِلِ المَرِيضَةِ عَلَى الصَّحِيحَةِ .

ومِثْلُهُ قَوْلُهُ ﷺ : (فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرارَكَ مِنَ الأَسَد) .

وقَوْلُهُ ﷺ : (إِذا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ فِي أَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوها) .

ودُخُولُ النَّسْخِ فِي هَذِهِ لا مَعْنَى لَهُ ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ ﷺ : (لا عَدْوَى) خَبَرٌ ، وهُوَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ناسِخًا لِلنَّهْيِ فِي هَذِهِ الأَحادِيثِ الثَّلاثَةِ وما فِي مَعْناها .

فالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الجُمْهُورُ مِنَ العُلَماء : أَنَّهُ لا نَسْخَ فِي ذَلِكَ ، وأَنَّ مَعْنَى (لا عَدْوَى) : نَفْيٌ لِما يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الأَمْراضَ تُعْدِي بِطَبْعِها مِنْ غَيْرِ اعْتِقادٍ بِقَدَرِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ؛ ويَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ : (فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ) .

وأَمَّا نَهْيُهُ ﷺ عَنْ إِيرادِ المُمْرِضِ عَلَى المُصِحِّ ، وأَمْرُهُ بِالفِرارِ مِنَ المَجْذُومِ ، ونَهْيُهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي مَوْضِعِ الطَّاعُونِ فَإِنَّهُ مِنْ بابِ

اجْتِنابِ الأَسْبابِ الَّتي هِيَ سَبَبُ البَلاءِ إذا كانَ فِي عافِيَةٍ مِنْها .

فَكَما أَنَّهُ مَأْمُورٌ أَنْ لا يُلْقِيَ نَفْسَهُ فِي الماءِ أَوْ فِي النَّار ، أَوْ يَدْخُلَ تَحْتَ الهَدْمِ ونَحْوِهِ مِمَّا جَرَتْ بِهِ العادَةُ أَنَّهُ مُهْلِكٌ ، فَكَذَلِكَ اجْتِنابُ مُقارَبَةِ المَجْذُومِ والقُدُومُ عَلَى بَلَدٍ فِيهِ الطَّاعُونُ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّها أَسْبابُ المَرَضِ والتَّلَفِ ، واللهُ تَعالَى هُوَ خالِقُ الأَسْبابِ ومُسَبَّباتِها ، لا خالِقَ ولا مُقَدِّرَ غَيْرُهُ ، وقَدْ رَوَى أَبُو داوُد : أَنَّهُ ﷺ مَرَّ بِحائِطٍ مائِلٍ فَأَسْرَعَ وقالَ : (أَخافُ مَوْتَ الفَوات) .

(فَإِنْ قُلْتَ) : رَوَى جابِرٌ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ مَعَ مَجْذُومٍ وقالَ : (بِسْمِ اللهِ ثِقَةً بِاللهِ وتَوَكُّلًا عَلَيْهِ) فَما وَجْهُهُ ؟

(فالجَوابُ) : أَنَّ حالَ النَّبِيِّ ﷺ أَقْوَى مِنْ حالِ الأُمَّة ، فَلا يُخافُ عَلَيْهِ ﷺ مِمَّا يُخافُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ العِلَلِ المُعْدِيَة ، وأَنَّ المَنْفِيَّ العَدْوَى بِالطَّبْع ، والأَمْرُ بِالفِرارِ مِنْهُ لأَنَّ اللهَ تَعالَى أَجْرَى العادَةَ بِالعَدْوَى عِنْدَ المُخالَطَةِ كَما عَلِمْتَ ، أَوْ لِئَلَّا يَتَّفِقَ لِلمُخالِطِ شَيْءٌ بِالقَدَرِ فَيَظُنَّ أَنَّهُ عَدْوَى فَيَقَعُ فِي الحَرَج ، أَوْ لِئَلَّا يَحْصُلَ لِلمَجْذُومِ كَسْرُ خاطِرٍ بِرُؤْيَتِهِ الصَّحِيحَ ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي شُرُوحِ البُخارِي ، وذَكَرَ حاصِلَها الشَّنَوانِي عَلَى مُخْتَصَرِ ابنِ أَبِي جَمْرَة .

وأَمَّا الطِّيَرَةُ : فَهِيَ التَّشاؤُم ، وأَصْلُ التَّطَيُّرِ[١] : أَنَّهُمْ كانُوا فِي الجاهِلِيَّةِ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الطَّيْر ؛ فَإِذا خَرَجَ أَحَدُهُمْ لأَمْرٍ فَإِنْ رَأَى الطَّيْرَ طارَ عَنْ يَمِينِهِ تَيَمَّنَ بِهِ واسْتَمَرَّ ، وإِنْ رَآهُ طارَ عَنْ يَسارِهِ تَشاءَمَ بِهِ ورَجَعَ ، فَنَهَى ﷺ عَنْ ذَلِكَ وأَبْطَلَهُ وقالَ : (وخَيْرُها الفَأْلُ) ؛ أَيْ خَيْرُ الطِّيَرَةِ الفَأْلُ ، وهُوَ التَّيَمُّنُ بِالكَلامِ الحَسَن ؛ كَمَنْ عَزَمَ عَلَى سَفَرٍ فَسَمِعَ مَنْ يَقُولُ : يا سَلام يا سَلام يا سَلامَة ، أَو كَسَماعِ مَرِيضٍ : يا سالِم يا شافِي يا مُعافِي ؛ ولِهَذا جاءَ فِي الخَبَرِ أَنَّهُ ﷺ كانَ لا يَتَطَيَّرُ (لا يَتَشاءَمُ) ولَكِنْ يَتَفاءَلُ ، وكانَ يُحِبُّ إِذا خَرَجَ لِحاجَةٍ أَنْ يَسْمَعَ : يا راشِد .

وقَدْ كانَ بَعْضُ عُقَلاءِ الجاهِلِيَّةِ يُنْكِرُ التَّطَيُّرَ ويَتَمَدَّحُ بِتَرْكِهِ ، قالَ شاعِرٌ مِنْهُمْ :

وَما عاجِلاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الفَتَى ۞ نَجاحًا ولا عَنْ رَيْثِهِنَّ قُصُورُ

وقالَ آخَرُ :

لَعَمْرُكَ ما تَدْرِي الضَّوارِبُ بِالحَصَى ۞ ولا زاجِراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ

وكانَ أَكْثَرُهُمْ يَتَطَيَّرُونَ ويَعْتَمِدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، ويَصِحُّ مَعَهُمْ غالِبًا

(١) هَذا هُوَ الأَصْلُ ، وإِلَّا فالمُرادُ نَفْيُ كُلِّ ما يُتَطَيَّرُ بِهِ .

لِتَزْيِينِ الشَّيطانِ لَهُمْ ذَلِكَ ، وبَقِيَتْ بَقايا فِي كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِين .

وقَدْ أَخْرَجَ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَفَعَهُ : (لا طَيْرَ ، والطَّيْرُ عَلَى مَنْ تَطَيَّرَ) ، وأَخْرَجَ ابنُ عَدِيٍّ ، بِسَنَدَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ : (إذا تَطَيَّرْتُمْ فامْضُوا وعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا) ، وأَخْرَجَ الطَّبَرانِي عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رَفَعَهُ : (لَنْ يَنالَ الدَّرَجاتِ العُلَى مَنْ تَكَهَّنَ أَوْ اسْتَقْسَمَ ، أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا) .

فائِدَةٌ بِكُلِّ خَيْرٍ عائِدَة : أَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ مَوْقُوفًا : (مَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الطِّيَرَةِ شَيْءٌ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، ولا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ولا إِلَهَ غَيْرُكَ) .

وفِي مَراسِيلِ أَبِي داوُدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : (لَيْسَ عَبْدٌ إِلَّا يَدْخُلُ قَلْبَهُ الطِّيَرَةُ فَإِذا أَحَسَّ بِذَلِكَ فَلْيَقُلْ : أَنا عَبْدُ الله ، ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِالله ، لا يَأْتِي بِالحَسَناتِ إِلَّا الله ، ولا يُذْهِبُ السَّيِّئاتِ إِلَّا الله ، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ثُمَّ يَمْضِي لِوَجْهِهِ) .

فَحَصَلَ مِنْ مَجْمُوعِ هَذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ وغَيْرِهِما : أَنَّ مَنْ عَرَضَ لَهُ الطِّيَرَةُ فَلْيَدْعُ ولْيَقُلْ : أَنا عَبْدُ اللهِ ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِالله ، اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، ولا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، ولا إِلَهَ غَيْرُكَ : اللَّهُمَّ لا يَأْتِي

بِالحَسَناتِ إِلَّا أَنْتَ ، ولا يُذْهِبُ السَّيِّئاتِ إِلَّا أَنْتَ ، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم) .

(تَأْرِيخٌ لازِم) : وقَدْ لازَمَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ - فِي جائِحَةِ كُورونا - كوفيد ١٩ ، والَّتِي اجْتاحَتِ العالَمَ بِأَسْرِهِ مُنْذُ سَنَةِ ٢٠١٩م هَذا الذِّكْرَ وكَتَبُوهُ وأَبْرَزُوهُ فِي بُيُوتِهِمْ : (**حَيٌّ صَمَدٌ باقِي ، ولَهُ كَنَفٌ واقِي**) .

وأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : (**ولا هامَةَ**) بِتَخْفِيفِ المِيمِ عَلَى الصَّحِيح ، وحَكَى أَبُو زَيْدٍ تَشْدِيدَها ، وهِيَ فِي الأَصْلِ : الرَّأْس ، وتُطْلَقُ عَلَى طَيْرٍ مِنْ طُيُورِ اللَّيْلِ ، وهُوَ المُرادُ هُنا ؛ قِيلَ : هُوَ البُومَة ، كانُوا يَتَشاءَمُونَ بِها إِذا حَلَّتْ عَلَى بَيْتِ أَحَدِهِمْ يَقُولُ : نَعَتْ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ دارِي ؛ وعَلَى هَذا فالمَعْنَى : لا شُؤْمَ بِالبُومَة .

وقِيلَ : كانَتِ العَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ رُوحَ القَتِيلِ الَّذِي لا يُؤْخَذُ بِثَأْرِهِ تَصِيرُ هامَةً فَتَقُولُ : اسْقُونِي اسْقُونِي ، فَإِذا أُخِذَ بِثَأْرِهِ طارَت .

وقِيلَ : كانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ عِظامَ المَيِّتِ - وقِيلَ رُوحُهُ - تَصِيرُ هامَةً فَتَطِيرُ ويُسَمُّونَهُ الصَّدَى ؛ وعَلَى هَذا فالمَعْنَى لا حَياةَ لِهامَةِ المَيِّت ، فَنَفَى النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعَ ذَلِك .

وقَوْلُهُ ﷺ : (ولا صَفَرَ) أيْ لا صَفَرَ مُؤَخَّرٌ عَنْ مَحِلِّهِ ؛ فَفيهِ رَدٌّ عَلَى النَّسِيءِ ؛ فَكانَتِ العَرَبُ تُؤَخِّرُ المُحَرَّمَ إِلَى صَفَر ، ويَجْعَلُونَ صَفَرًا هُوَ الشَّهْرَ الحَرام ، والصَّفَرُ فِيما يَزْعُمُ العَرَبُ : حَيَّةٌ فِي البَطْنِ تَعُضُّ الإِنْسانَ إذا جاعَ ، واللَّدْغُ الَّذي يَجِدُهُ عِنْدَ الجُوعِ مِنْ عَضِّها ؛ فَنَفَى المُصْطَفَى ﷺ ذَلِكَ ، والمُرادُ أَنَّهُمْ كانُوا يَتَشاءَمُونَ بِدُخُولِ شَهْرِ صَفَر ، لِما يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ فِيهِ كَثْرَةَ الدَّواهِي والفِتَن ، فالمَعْنَى : ولا تَشاؤُمَ بِهَذا الشَّهْر ، ولا أَنَّ الأُمُورَ الرَّدِيئَةَ تَقَعُ فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ بَلْ هُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الشُّهُور .

هَذا ، وأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : (ولا غُولَ) فَقَدْ كانَتِ العَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الشَّياطِين ، يَتَراءَى لِلنَّاسِ فَيُضِلُّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ ويُهْلِكُهُمْ (فَلا غُولَ) : أَيْ لا وُجُودَ لَهُ ولا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُضِلَّ أَحَدًا عَنِ الطَّرِيق .

وأَحْسَنَ اللهُ إِلَى مَنْ قالَ :

أَلا إِنَّما الأَيَّامُ إِبْداعُ واحِدٍ ۞ وَهَذِي اللَّيالِي كُلُّها أَخَواتُ

وَفَّقَنا اللهُ تَعالَى لِمَراضِيه ، وأَذْهَبَ عَنَّا الشَّرَّ ودَواعِيه ، آمِين ، بِجاهِ الأَمِينِ ﷺ .

بَيانٌ فِي سائِرِ الأَدْيانِ والعِبادات

وزُبْدَةُ جَمِيعِ الأَحْوالِ والمَقامات ، واخْتِلافِ تَجَلِّياتِ الأَسْماءِ والصِّفات

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالَى إِنَّما خَلَقَ جَمِيعَ المَوْجُوداتِ لِعِبادَتِهِ ، فَهُمْ مَجْبُولُونَ عَلَى ذَلِكَ ، مَفْطُورُونَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ الأَصالَة ، فَما فِي الوُجُودِ شَيْءٌ إِلَّا وهُوَ يَعْبُدُ اللهَ تَعالَى بِحالِهِ ومَقالِهِ وفِعالِهِ ، بَلْ بِذاتِهِ وصِفاتِه .

فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ مُطِيعٌ للهِ تَعالَى ؛ لِقَوْلِهِ تَعالَى لِلسَّمواتِ والأَرْض : ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ؛ ولَيْسَ المُرادُ بِالسَّمواتِ إِلَّا أَهْلُها ، ولا بِالأَرْضِ إِلَّا سُكَّانُها .

وقالَ تَعالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ، ثُمَّ شَهِدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ بِقَوْلِهِ : (كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ) لأَنَّ الجِنَّ والإِنْسَ مَخْلُوقُونَ لِعِبادَتِهِ وهُمْ مُيَسَّرُونَ لِما خُلِقُوا لَهُ ؛ فَهُمْ عِبادُ اللهِ بِالضَّرُورَة ، ولَكِنْ تَخْتَلِفُ العِباداتُ لاخْتِلافِ مُقْتَضَياتِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ ؛ لأَنَّ اللهَ مُتَجَلٍّ بِاسْمِهِ (المُضِلّ) كَما هُوَ مُتَجَلٍّ بِاسْمِهِ (الهادِي) ؛ فَكَما يُحِبُّ ظُهُورَ أَثَرِ اسْمِهِ (المُنْعِم) كَذَلِكَ تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ ظُهُورَ أَثَرِ اسْمِهِ (المُنْتَقِم) .

واخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَحْوالِهِمْ لاخْتِلافِ أَرْبابِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ ،

قالَ اللهُ تعالَى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يَعْنِي عِبادَ اللهِ مَجْبُولِينَ عَلَى طاعَتِهِ مِنْ حَيْثُ الفِطْرَةُ الأَصْلِيَّة ، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ لِيَعْبُدَهُ مَن اتَّبَعَ الرُّسُلَ مِنْ حَيْثُ اسْمُهُ (الهادِي) ، ولِيَعْبُدَهُ مَنْ يُخالِفُ الرُّسُلَ مِنْ حَيْثُ اسْمُهُ (المُضِلُّ) ، فاخْتَلَفَ النَّاسُ وافْتَرَقَتِ المِلَلُ وظَهَرَتِ النِّحَلُ ، وذَهَبَتْ كُلُّ طائِفَةٍ إِلَى ما عَلِمَتْهُ أَنَّهُ صَواب ، ولَوْ كانَ ذَلِكَ العِلْمُ عِنْدَ غَيْرِها خَطَأً ، ولَكِنْ حَسَّنَهُ اللهُ عِنْدَها لِيَعْبُدُوهُ مِنَ الجِهَةِ الَّتِي تَقْتَضِيها تِلْكَ الصِّفَةُ المُؤَثِّرَةُ فِي ذَلِكَ الأَمْر ، وهَذا مَعْنَى قَوْلِهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ : ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ ، فَهُوَ الفاعِلُ بِهِمْ عَلَى حَسَبِ ما يُرِيدُهُ مُرادُهُ ، وهُوَ عَيْنُ ما اقْتَضَتْهُ صِفاتُهُ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ وتَعالَى يَجْزِيهِمْ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَى أَسْمائِهِ وصِفاتِهِ ؛ فَلا يَنْفَعُهُ إِقْرارُ أَحَدٍ بِرُبُوبِيَّتِهِ ولا يَضُرُّهُ جُحُودُ أَحَدٍ بِذَلِكَ ، بَلْ هُوَ سُبْحانَهُ وتَعالَى يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ عَلَى ما هُوَ مُسْتَحَقٌّ لِذَلِكَ مِنْ تَنَوُّعِ عِباداتِهِ الَّتِي تَنْبَغِي لِكَمالِهِ ، فَكُلُّ مَنْ فِي الوُجُودِ عابِدٌ للهِ تعالَى ، مُطِيعٌ لِقَوْلِهِ تعالَى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ، لأَنَّ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ ما يُسَمَّى مُخالَفَةً ومَعْصِيَةً وجُحُودًا وغَيْرَ ذَلِكَ ، فَلا يَفْقَهُهُ كُلُّ أَحَد ، ثُمَّ إِنَّ النَّفْيَ إِنَّما وَقَعَ عَلَى الجُمْلَة ،

فَصَحَّ أَنْ يَفْقَهَهُ البَعْض ؛ فَقَوْلُهُ : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ يَعْنِي مِنْ حَيْثُ الجُمْلَة ، فَيَجُوزُ أَنْ يَفْقَهَهُ بَعْضُهُمْ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالَى لَمَّا أَوْجَدَ هَذا الوُجُودَ ، وأَنْزَلَ آدَمَ مِنَ الجَنَّة ، وكانَ آدَمُ وَلِيًّا قَبْلَ نُزُولِهِ إِلَى الدُّنْيا ، فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الدُّنْيا آتاهُ اللهُ تَعالَى النُّبُوَّةَ ؛ لأَنَّ النُّبُوَّةَ تَشْرِيعٌ وتَكْلِيفٌ ، والدُّنْيا دارُ التَّكْلِيف ، بِخِلافِ الجَنَّة ، فَإِنَّهُ كانَ بِها وَلِيًّا ، لأَنَّها دارُ الكَرامَةِ والمُشاهَدَة ، وذَلِكَ هُوَ الوِلايَة ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ أَبُونا آدَمُ عليه السلام وَلِيًّا فِي نَفْسِهِ إِلَى أَنْ ظَهَرَتْ ذُرِّيَّتُهُ فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ، وكانَ يُعَلِّمُهُمْ ما أَمَرَهُ اللهُ تَعالَى بِهِ ، وكانَتْ لَهُ صُحُفٌ أَنْزَلَها اللهُ عَلَيْه ، فَمَنْ تَعَلَّمَ مِنْ أَوْلادِهِ قِراءَةَ تِلْكَ الصُّحُفِ آمَنَ بِالضَّرُورَةِ لِما فِيها مِنَ البَيانِ الَّذِي لا يُمْكِنُ أَنْ يَرُدَّهُ مُتَأَمِّلٌ ، فَهَؤُلاءِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، وأَمَّا مَنِ اشْتَغَلَ بِلَذّاتِهِ عَنْ تَعَلُّمِ قِراءَةِ تِلْكَ الصُّحُفِ ، واتَّبَعَ هَواهُ ، آلَتْ بِهِ ظُلْمَةُ الغَفْلَةِ إِلَى الغُرُورِ بِالدُّنْيا ، ثُمَّ آلَ بِهِ ذَلِكَ إِلَى الإِنْكارِ وعَدَمِ الإِيمانِ بِما فِي الصُّحُفِ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى آدَمَ عليه السلام ، وهَؤُلاءِ هُمُ الكُفَّارُ ، ثُمَّ لَمَّا تُوُفِّيَ آدَمُ عليه السلام افْتَرَقَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، فَذَهَبَتْ طائِفَةٌ مِمَّنْ كانَ يُؤْمِنُ بِقُرْبِ آدَمَ عليه السلام مِنَ اللهِ تَعالَى إِلَى أَنْ يُصَوِّرَ شَخْصًا مِنْ حَجَرٍ عَلَى صِفَةِ

آدم ؛ لِيَحْفَظَ حُرْمَتَهُ بالخِدمَةِ لَهُ ، ولِيُقِيمَ نامُوسَ المَحَبَّةِ بِمُشاهَدَةِ شَخْصِهِ عَلَى الدَّوام ، لَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ مُقَرِّبًا لَهُ إِلَى اللهِ تعالَى ؛ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ خِدْمَةَ آدَمَ فِي حالِ حَياتِهِ كانَ مُقَرِّبًا لَهُ إِلَى اللهِ تَعالَى ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَوْ خَدَمَ شَخْصَ آدَمَ كانَ كَذَلِك .

ثُمَّ تَبِعَتْها طائِفَةٌ مِنْ بَعْدِها ، فَضَلُّوا فِي الخِدْمَةِ فَعَبَدُوا الصُّورَةَ نَفْسَها ، فَهؤُلاءِ عَبَدَةُ الأَوْثان .

ثُمَّ ذَهَبَتْ طائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى القِياسِ بِعُقُولِهِمْ ، فَزَيَّفُوا عَبَدَةَ الأَوْثانِ وقالُوا : الأَوْلَى أَنْ نَعْبُدَ الطَّبائِعَ الأَرْبَعَةَ ، لأَنها أَصْلُ الوُجُودِ ، إِذِ العالَمُ مُرَكَّبٌ مِنْ حرارَةٍ وبُرُودَةٍ ويُبُوسَةٍ ورُطُوبَةٍ ، فَعِبادَةُ الأَصْلِ أَوْلَى مِنْ عِبادَةِ الفَرْعِ ، لأَنَّ الأَوْثانَ فَرْعُ العابِدِ ، لأَنها تَحْتَها فَهُوَ أَصْلُها فَعَبَدُوا الطَّبائِعَ ، وهَؤُلاءِ هُمُ الطَّبِيعِيُّون .

ثُمَّ ذَهَبَتْ طائِفَةٌ إِلَى عِبادَةِ الكَواكِبِ السَّبْعَة ، فَقالُوا : إِنَّ الحَرارَةَ والبُرُودَةَ واليُبُوسَةَ والرُّطُوبَةَ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْها فِي نَفْسِهِ لَهُ حَرَكَةٌ اخْتِيارِيَّةٌ فَلا فائِدَةَ فِي عِبادَتِها ، والأَوْلَى عِبادَةُ الكَواكِبِ السَّبْعَةِ وهِيَ : (زُحَل ، والمُشْتَرَى ، والمَرِّيخ ، والشَّمْس ، والزُّهْرَة ، وعُطارد ، والقَمَر) ؛ لأَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْ هَؤُلاءِ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ سائِرٌ فِي فَلَكِه ،

يَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةٍ مُؤَثِّرَةٍ فِي الوُجُودِ تارَةً نَفْعًا وتارَةً ضُرًّا ؛ فَالأَوْلَى عِبادَةُ مَنْ لَهُ التَّصَرُّف ، فَعَبَدُوا الكَواكِبَ وهَؤُلاءِ هُمُ الفَلاسِفَة .

وذَهَبَتْ طائِفَةٌ إِلَى عِبادَةِ النُّورِ والظُّلْمَة ؛ لأَنَّهُمْ قالُوا : إِنَّ اخْتِصاصَ الأَنْوارِ بالعِبادَةِ تَضْيِيعٌ للجانِبِ الثَّانِي ، لأَنَّ الوُجُودَ مُنْحَصِرٌ مِنْ نُورٍ وظُلْمَةٍ ، فَالعِبادَةُ تَضْيِيعٌ لِهَؤُلاءِ أَوْلَى ، فَعَبَدُوا النُّورَ المُطْلَقَ حَيْثُ كانَ مِنْ غَيْرِ اخْتِصاصٍ بِنَجْمٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وعَبَدُوا الظُّلْمَةَ المُطْلَقَةَ المُتَجَلِّيَةَ حَيْثُ كانَتْ ، فَسَمَّوا النُّورَ : يَزْدان ، وسَمَّوا الظُّلْمَةَ : أَهْرَمْن ؛ وهَؤُلاءِ هُمُ الثَّنَوِيَّة .

ثُمَّ ذَهَبَتْ طائِفَةٌ إِلَى عِبادَةِ النَّارِ لأَنَّهُمْ قالُوا : إِنَّ مَبْنَى الحَياةِ عَلَى الحَرارَةِ الغَرِيزِيَّةِ وهِيَ مَعْنًى ، وصُورَتُها الوُجُودِيَّةُ هِيَ النَّارُ ، فَهِيَ أَصْلُ الوُجُودِ وَحْدَهُ ، فَعَبَدُوا النَّارَ وهَؤُلاءِ هُمُ المَجُوس .

ثُمَّ ذَهَبَتْ طائِفَةٌ إِلَى تَرْكِ العِبادَةِ رَأْسًا زَعْمًا بِأَنَّها لا تُفِيدُ ، وإِنَّما الدَّهْرُ بما يَقْتَضِيهِ مَجْبُولٌ مِنْ حَيْثُ الفِطْرَةُ الإِلَهِيَّةُ عَلَى ما هُوَ الواقِع ، فَما ثَمَّ إِلَّا أَرْحامٌ تَدْفَعُ وأَرْضٌ تَبْلَعُ ، وهَؤُلاءِ هُمُ الدَّهْرِيُّونَ ويُسَمَّوْنَ بالمَلاحِدَةِ أَيْضًا .

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الكِتابِ مُتَفَرِّقُونَ : فَبَراهِمَةٌ وهَؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ

إِبْراهِيمَ وأَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ولَهُمْ عِبادَةٌ مَخْصُوصَةٌ ، ويَهُودٌ وهَؤُلاءِ المُوسَوِيُّونَ ، ونَصارَى وهَؤُلاءِ العِيسَوِيُّونَ ، ومُسْلِمُونَ وهُمُ المُحَمَّدِيُّون .

فهَؤُلاءِ عَشَرُ مِلَل ، وهُمْ أُصُولُ المِلَلِ المُخْتَلِفَة ، وهِيَ لا تَتَناهَى لِكَثْرَتِها ، ومَدارُ الجَمِيعِ عَلَى هَذِهِ العَشْرِ المِلَل : وهُمُ الكُفَّارُ والطَّبائِعِيَّةُ والفَلاسِفَةُ والثَّنَوِيَّةُ والمَجُوسُ والبَراهِمَةُ والدَّهْرِيَّةُ واليَهُودُ والنَّصارَى والمُسْلِمُون .

وما ثَمَّ طائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الطَّوائِفِ إِلَّا وقَدْ خَلَقَ اللهُ مِنْها ناسًا لِلجَنَّة وناسًا لِلنَّار ، أَلا تَرَى أَنَّ الكُفَّارَ فِي الزَّمَنِ المُتَقَدِّمِ مِنَ النَّواحِي الَّتِي لَمْ تَصِلْ إِلَيْها دَعْوَةُ رُسُلِ ذَلِكَ الوَقْتِ مُنْقَسِمُونَ عَلَى عامِلِ خَيْرٍ جَزاهُ اللهُ بِالجَنَّة ، وعامِلِ شَرٍّ جَزاهُ اللهُ بِالنَّار ؟ وكَذَلِكَ أَهْلُ الكِتاب ، فالخَيْرُ قَبْلَ نُزُولِ الشَّرائِعِ ما قَبِلَتْهُ القُلُوبُ وأَحَبَّتْهُ النُّفُوسُ واسْتَبْشَرَتْ بِهِ الأَرْواح ، وبَعْدَ نُزُولِ الشَّرائِعِ ما تَعَبَّدَ اللهُ بِهِ عِبادَهُ ، والشَّرُّ قَبْلَ نُزُولِ الشَّرائِعِ ما قَبِلَتْهُ القُلُوبُ وكَرِهَتْهُ النُّفُوسُ وتَأَلَّمَتْ بِهِ الأَرْواح ، وبَعْدَ نُزُولِ الشَّرائِعِ ما نَهَى اللهُ عَنْهُ عِبادَهُ .

تَجَلَّيْتَ فِي الأَشْياءِ حِينَ خَلَقْتَها ۞ فَها هِيَ أُمِيطَتْ عَنْكَ فِيها البَراقِعُ
قَطَعْتَ الوَرَى مِنْ ذاتِ حُسْنِكَ قِطْعَةً ۞ ولَمْ تَكُ مَوْصُولًا ولا فَصْلُ قاطِعُ

وَلَكِنَّهَا أَحْكَامُ رُتْبَتِكَ اقْتَضَتْ ۞ أُلُوهِيَّةً لِلضِّدِّ فِيهَا التَّجَامُعُ
فَأَنْتَ الْوَرَى حَقًّا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ۞ وَأَنْتَ الَّذِي يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ
وَمَا الْخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ ۞ وَأَنْتَ بِهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
وَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ ۞ وَغَيْرَانِ فِي حُكْمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ ۞ وَيُوضَعُ حُكْمُ الْمَاءِ وَالْأَمْرُ وَاقِعُ
تَجَمَّعَتِ الْأَضْدَادُ فِي وَاحِدِ الْبَهَا ۞ وَفِيهِ تَلاشَتْ وَهْوَ عَنْهُنَّ سَاطِعُ
فَكُلُّ بَهَاءٍ فِي مَلاحَةِ صُورَةٍ ۞ عَلَى كُلِّ قَدٍّ شَابَهَ الْغُصْنَ يَانِعُ
وَكُلُّ اسْوِدَادٍ فِي تَصَافِيفِ طُرَّةٍ ۞ وَكُلُّ احْمِرَارٍ فِي الْعَوَارِضِ نَاصِعُ
وَكُلُّ كَحِيلِ الطَّرْفِ يَقْتُلُ صَبَّهُ ۞ بِمَاضٍ كَسَيْفِ الْهِنْدِ حَالًا مُضَارِعُ
وَكُلُّ اسْمِرَارٍ فِي الْقَوَائِمِ كَالْقَنَا ۞ عَلَيْهِ مِنَ الشَّعْرِ الرَّسِيلِ شَرَائِعُ
وَكُلُّ مَلِيحٍ بِالْمَلاحَةِ قَدْ زَهَا ۞ وَكُلُّ جَمِيلٍ بِالْمَحَاسِنِ بَارِعُ
وَكُلُّ لَطِيفٍ جَلَّ أَوْ دَقَّ حُسْنُهُ ۞ وَكُلُّ جَلِيلٍ فَهْوَ بِاللُّطْفِ صَادِعُ
مَحَاسِنُ مَنْ أَنْشَاهُ ذَلِكَ كُلُّهُ ۞ فَوَحِّدْ وَلا تُشْرِكْ بِهِ فَهْوَ وَاسِعُ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْفَظْ بِغَيْرِيَّةِ الْبَهَا ۞ إِلَيْهِ الْبَهَا وَالْقُبْحُ بِالذَّاتِ رَاجِعُ
فَكُلُّ قَبِيحٍ إِنْ نَسَبْتَ لِفِعْلِهِ ۞ أَتَتْكَ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ تُسَارِعُ
يُكَمِّلُ نُقْصَانَ الْقَبِيحِ جَمَالُهُ ۞ فَمَا ثَمَّ نُقْصَانٌ وَلا ثَمَّ بَاشِعُ

وَيَرْفَعُ مِقْدَارَ الْوَضِيعِ جَلالُهُ ❁ إِذَا لاحَ فِيهِ فَهْوَ لِلْوَضْعِ رَافِعُ
وَأَطْلِقْ عَنَانَ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَا تَرَى ❁ فَتِلْكَ تَجَلِّيَاتُ مَنْ هُوَ صَانِعُ

بَيَانٌ بِبَعْضِ أَسْرَارِ خُصُوصِيَّاتِ أُمَّةِ سَيِّدِ السَّادَاتِ ﷺ

لِلّهِ خَواصٌّ فِي الأَزْمِنَةِ والأَمْكِنَةِ والأَشْخاص ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ جَعَلَ اللّهُ تَعالَى مُطْلَقَ أُمَّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سَبْعِ مَراتِب :

المَرْتَبَةُ الأُولَى : الإِسْلام . المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : الإِيمان . المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : الصَّلاح . المَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ : الإِحْسان . المَرْتَبَةُ الخامِسَةُ : الشَّهادَة . المَرْتَبَةُ السَّادِسَة : الصِّدِّيقِيَّة . المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ : القُرْبَة ، وما بَعْدَ هَذِهِ المَرْتَبَةِ إِلَّا النُّبُوَّة ، وقَدِ انْسَدَّ بابُها بِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

ثُمَّ إِنَّ **الإِسْلامَ** مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسَةِ أُصُول : الأَوَّلُ : شَهادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّه . والثَّانِي : إِقامَةُ الصَّلاة . الثَّالِثُ : إِيتاءُ الزَّكاة . الرَّابِعُ : صَوْمُ رَمَضان . الخامِسُ : الحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللّهِ الحَرام لِمَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

وأَمَّا **الإِيمانُ** فَمَبْنِيٌّ عَلَى رُكْنَيْن : الرُّكْنُ الأَوَّلُ : التَّصْدِيقُ اليَقِينِي بِوَحْدانِيَّةِ اللّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، والقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ مِنَ اللّهِ تَعالَى ؛ وهَذا التَّصْدِيقُ اليَقِينِي هُوَ عِبارَةٌ عَنْ سُكُونِ

القَلْبِ إِلَى تَحْقِيقِ ما أَخْبَرَهُ بِهِ مِنَ الغَيْب ، كَسُكُونِهِ إِلَى ما شاهَدَهُ بِبَصَرِهِ مِنَ الوُجُودِ فَلا يَشُوبُهُ رَيْب .

الرُّكْنُ الثَّانِي : الإِتْيانُ بِما بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَيْه .

وأَمَّا **الصَّلاحُ** : فَمَبْنِيٌّ عَلَى ثَلاثَةِ أَرْكان : الأَوَّلُ : هُوَ الإِسْلامُ ، والثَّانِي : هُوَ الإِيمانُ ، والثَّالِثُ : دَوامُ عِبادَةِ اللّهِ تَعالَى بِشَرْطِ الخَوْفِ والرَّجاءِ فِي اللّهِ تَعالَى .

وأَمَّا **الإِحْسانُ** : فَمَبْنِيٌّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكان : الإِسْلامُ ، والإِيمانُ ، والصَّلاحُ ، والرُّكْنُ الرَّابِعُ : الاسْتِقامَةُ فِي المَقاماتِ السَّبْعَةِ ؛ وهِيَ : التَّوْبَةُ ، والإِنابَةُ ، والزُّهْدُ ، والتَّوَكُّلُ ، والرِّضا ، والتَّفْوِيضُ ، والإِخْلاصُ فِي جَمِيعِ الأَحْوال .

وأَمَّا **الشَّهادَةُ** فَمَبْنِيَّةٌ عَلَى خَمْسَةِ أَرْكان : الإِسْلامُ ، والإِيمانُ ، والصَّلاحُ ، والإِحْسانُ ، والرُّكْنُ الخامِسُ : الإِرادَةُ ، ولَهُ ثَلاثَةُ شُرُوطٍ : الأَوَّلُ : انْعِقادُ المَحَبَّةِ لِلّهِ تَعالَى مِنْ غَيْرِ عِلَّة ، ودَوامُ التَّذَكُّرِ مِنْ غَيْرِ فَتْرَة ، والقِيامُ عَلَى النَّفْسِ بِالمُخالَفَةِ مِنْ غَيْرِ رُخْصَة .

وأَمَّا **الصِّدِّيقِيَّةُ** : فَمَبْنِيَّةٌ عَلَى سِتَّةِ أَرْكان : الإِسْلامُ ، والإِيمانُ ، والصَّلاحُ ، والإِحْسانُ ، والشَّهادَةُ ، والرُّكْنُ السَّادِسُ : المَعْرِفَةُ ؛

ولها ثلاثُ حضَرات : الحَضْرَةُ الأُولَى : عِلْمُ اليَقِين ، والحَضْرَةُ الثَّانِيَةُ : عَيْنُ اليَقِين ، والحَضْرَةُ الثَّالثَةُ : حَقُّ اليَقِين ، ولِكُلِّ حَضْرَة مِنْ جِنْسِها سَبْعَةُ شُرُوطٍ : الأَوَّلُ : الفَناء ، الثَّانِي : البَقاء ، الثَّالثُ : مَعْرِفَةُ الذَّاتِ مِنْ حَيْثُ تَجَلِّي الأَسْماء ، الرَّابِعُ : مَعْرِفَةُ الذَّاتِ مِنْ حَيْثُ تَجَلِّي الصِّفات ، الخامِسُ : مَعْرِفَةُ الذَّاتِ مِنْ حَيْثُ الذَّات ، السَّادِسُ : مَعْرِفَةُ الأَسْماءِ والصِّفاتِ بِالذَّات ، السَّابِعُ : الاتِّصافُ بِالأَسْماءِ والصِّفات .

وأَمَّا **القُرْبَةُ** : فَمَبْنِيَّةٌ عَلَى سَبْعَةِ أَرْكان : الإِسْلامُ ، والإِيمانُ ، والصَّلاحُ ، والإِحْسانُ ، والشَّهادَةُ ، والصِّدِّيقِيَّةُ ، والرُّكْنُ السَّابِعُ : الوِلايَةُ الكُبْرَى ، ولَها أَرْبَعُ حَضَراتٍ : الحَضْرَةُ الأُولَى : حَضْرَةُ الخُلَّة (وهِيَ مَقامُ إِبْراهِيمَ الَّذي مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِنًا) ، والحَضْرَةُ الثَّانِيَةُ : حَضْرَةُ الحُبِّ (فِيهِ بَرَزَتْ لِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ خِلْعَةُ التَّسَمِّي بِحَبِيبِ اللّه) ، والحَضْرَةُ الثَّالِثَةُ : حَضْرَةُ الخِتام (وهُوَ المَقامُ المُحَمَّدِي) ، فِيهِ رُفِعَ لِواءُ الحَمْد ، والحَضْرَةُ الرَّابِعَةُ : حَضْرَةُ العُبُودِيَّة : فِيهِ سَمَّاهُ اللّهُ تَعالَى بِعَبْدِهِ حَيْثُ قالَ : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ، وفِيهِ نُبِّئَ وأُرْسِلَ ﷺ إِلَى الخَلْقِ لِيَكُونَ رَحْمَةً لِلعالَمِين .

وعَلَى قَدْرِ تَحَقُّقِ المُسْلِمِ مِنْ هَذِهِ الخُصُوصِيَّات ؛ فَذَلِكَ نَصِيبُهُ وِراثَةً فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ :

(أَنْتَ مُحَمَّد ، بِقَدْرِ ما فِيكَ مِنْ مُحَمَّد) .

مَزِيدُ بَيانٍ عَنْ أَسْرارِ العِباداتِ والتَّرَقِّي فِي المَقامات

فَأَمَّا الصَّلاةُ : فَإِنَّها عِبارَةٌ عَنْ واحِدِيَّةِ الحَقِّ تَعالَى ، وإِقامَتُها إِشارَةٌ إِلَى إِقامَةِ نامُوسِ الواحِدِيَّةِ بِالاتِّصافِ بِسائِرِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ : **فالطُّهْرُ** : عِبارَةٌ عَنِ الطَّهارَةِ مِنَ النَّقائِصِ الكَوْنِيَّة ، وكَوْنُهُ يُشْتَرَطُ بِالماءِ إِشارَةٌ إِلَى أَنَّها لا تَزُولُ إِلَّا بِظُهُورِ آثارِ الصِّفاتِ الإِلَهِيَّةِ الَّتي هِيَ حَياةُ الوُجُود ؛ لأَنَّ الماءَ سِرُّ الحَياةِ ، وكَوْنُ التَّيَمُّمِ يَقُومُ مَقامَ الطَّهارَةِ لِلضَّرُورَةِ إِشارَةٌ لِلتَّزَكِّي بِالمُخالَفاتِ والمُجاهَداتِ والرِّياضاتِ ، فَلَوْ تَزَكَّى عَسَى أَنْ يَكُونَ ، فَإِنَّهُ أَنْزَلُ دَرَجَةً عَمَّنْ جُذِبَ عَنْ نَفْسِهِ فَتَطَهَّرَ عَنْ نَقائِصِها بِماءِ حَياةِ الأَزَلِ الإِلَهِي ، وإِلَيْهِ أَشارَ ﷺ بِقَوْلِهِ : (آتِ نَفْسِي تَقْواها وزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها) ، فَآتِ نَفْسِي تَقْواها إِشارَةٌ إِلَى المُجاهَداتِ والمُخالَفاتِ والرِّياضات ، وقَوْلُهُ ﷺ : (وزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها) إِشارَةٌ إِلَى الجَذْبِ الإِلَهِيِّ لأَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ التَّزَكِّي بِالأَعْمالِ والمُجاهَدات .

ثُمَّ اسْتِقبالُ القِبْلَةِ : إشارَةٌ إِلَى التَّوَجُّهِ الكُلِّي فِي طَلَبِ الحَقِّ .

ثُمَّ النِّيَّةُ : إشارَةٌ إِلَى انْعِقادِ القَلْبِ فِي ذَلِكَ التَّوَجُّه .

ثُمَّ تَكْبِيرَةُ الإِحْرامِ : إشارَةٌ إِلَى أَنَّ الجَنابَ الإِلَهِيَّ أَكْبَرُ وأَوْسَعُ مِمَّا عَسَى أَنْ يَتَجَلَّى بِهِ عَلَيْهِ فَلا يُقَيِّدُهُ بِمَشْهَدِهِ ، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ مَشْهَدٍ ومَنْظَرٍ ظَهَرَ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ فَلا انْتِهاءَ لَهُ .

وقِراءَةُ الفاتِحَةِ : إشارَةٌ إِلَى وُجُودِ تَجَلِّي كَمالِهِ فِي الإِنْسانِ ، لأَنَّ الإِنْسانَ هُوَ فاتِحَةُ الوُجُودِ ؛ فَتَحَ اللهُ بِهِ أَقْفالَ المَوْجُوداتِ ، فَقِراءَتُها إشارَةٌ إِلَى ظُهُورِ الأَسْرارِ الرَّبَّانِيَّةِ تَحْتَ الأَسْرارِ الإِنْسانِيَّة .

ثُمَّ الرُّكُوعُ : إشارَةٌ إِلَى شُهُودِ انْعِدامِ المَوْجُوداتِ الكَوْنِيَّةِ تَحْتَ مَوْجُوداتِ التَّجَلِّياتِ الإِلَهِيَّة .

ثُمَّ القِيامُ : عِبارَةٌ عَنْ مَقامِ البَقاءِ ، ولِهَذا يَقُولُ فِيهِ : (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) ؛ وهَذِهِ كَلِمَةٌ لا يَسْتَحِقُّها العَبْدَ لأَنَّها إِخْبارٌ عَنْ حالٍ إِلَهِيٍّ ؛ فالعَبْدُ فِي القِيامِ الَّذي هُوَ إِشارَةٌ إِلَى البَقاءِ خَلِيفَةُ الحَقِّ تَعالَى ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ عَيْنُهُ لِيُرْفَعَ الإِشْكال ، فَلِهَذا أَخْبَرَ عَنْ حالِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ، أَعْنِي تَرْجَمَ عَنْ سَماعِ حَقِّهِ ثَناءَ خَلْقِهِ ، وهُوَ فِي الحالَيْنِ واحِدٌ غَيْرُ مُتَعَدِّد .

ثُمَّ السُّجُودُ : عِبارَةٌ عَنْ سَحْقِ آثارِ البَشَرِيَّةِ ومَحْقِها بِاسْتِمْرارِ ظُهُورِ الذَّاتِ المُقَدَّسَة .

ثُمَّ الجُلُوسُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ : إشارَةٌ إِلَى التَّحَقُّقِ بِحَقائِقِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ ؛ لأَنَّ الجُلُوسَ اسْتِواءٌ فِي القَعْدَة ، وذَلِكَ إِشارَةٌ إِلَى حَقِيقَةِ قَوْلِهِ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ .

ثُمَّ السَّجْدَةُ الثَّانِيَةُ : إشارَةٌ إِلَى مَقامِ العُبُودِيَّةِ ، وهُوَ الرُّجُوعُ مِنَ الحَقِّ إِلَى الخَلْقِ .

ثُمَّ التَّحِيَّاتُ : إشارَةٌ إِلَى الكَمالِ الحَقِّي والخَلْقِي ، لأَنَّهُ عِبارَةٌ عَنْ ثَناءٍ عَلَى اللهِ تَعالَى وثَناءٍ عَلَى نَبِيِّهِ وعَلَى عِبادِهِ الصَّالِحِين ، وذَلِكَ هُوَ مَقامُ الكَمال ، فَلا يَكْمُلُ الوَلِيُّ إِلا بِتَحَقُّقِهِ بِالحَقائِقِ الإِلَهِيَّةِ واتِّباعِهِ لِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وبِتَأَدُّبِهِ لِسائِرِ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، وهُنا أَسْرارٌ كَثِيرَةٌ قَصَدْنا فِيها الاخْتِصار .

وأَمَّا الزَّكاةُ : فَعِبارَةٌ عَنِ التَّزَكِّي بِإِيثارِ الحَقِّ عَلَى الخَلْق ، أَعْنِي يُؤْثِرُ شُهُودَ الحَقِّ فِي الوُجُودِ عَلَى شُهُودِ الخَلْق ، فَإِذا أَرادَ أَنْ يَشْهَدَ نَفْسَهُ يُؤْثِرُ الحَقَّ فَيَشْهَدُهُ سُبْحانَهُ ، وإِذا أَرادَ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفاتِ نَفْسِهِ يُؤْثِرُ الحَقَّ فَيَتَّصِفُ بِصِفاتِهِ ، وإِذا أَرادَ أَنْ يَعْلَمَ ذاتَهُ فَيَجِدَ الإِنِّيَّةَ يُؤْثِرُ

الحَقَّ فَيَعْلَمَ ذاتَهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى فَيَجِدَ الهُوِيَّةَ ، فَهَذِهِ إِشارَةُ الزَّكاة ، وأَمَّا كَوْنُهُ واحِدًا فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ فِي العَيْنِ فَلأَنَّ الوُجُودَ لَهُ أَرْبَعُونَ مَرْتَبَةً ، والمَطْلُوبُ المَرْتَبَةُ الإِلَهِيَّة ، فَهِيَ المَرْتَبَةُ العُلْيا ، وهِيَ واحِدَةٌ مِنْ أَرْبَعِين[1] .

وأَمَّا الصَّوْمُ : فَإِشارَةٌ إِلَى الامْتِناعِ عَنِ اسْتِعْمالِ المُقْتَضَياتِ البَشَرِيَّةِ لِيَتَّصِفَ بِصِفاتِ الصَّمَدِيَّة ؛ فَعَلَى قَدْرِ ما يَمْتَنِعُ أَيْ يَصُومُ عَنْ مُقْتَضَياتِ البَشَرِيَّةِ تَظْهَرُ آثارُ الحَقِّ فِيه ، وكَوْنُهُ شَهْرًا كامِلًا إِشارَةٌ إِلَى الاحْتِياجِ إِلَى ذَلِكَ فِي مُدَّةِ الحَياةِ الدُّنْيا جَمِيعِها ، فَلا يَقُولُ إِنِّي وَصَلْتُ فَلا أَحْتاجُ إِلَى تَرْكِ مُقْتَضَياتِ البَشَرِيَّة ، فَإِنْ فَعَلَ هَذا فَهُوَ مَخْدُوعٌ مَمْكُورٌ بِهِ ، فَيَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَنْ يَلْزَمَ الصَّوْمَ وهُوَ تَرْكُ المُقْتَضَياتِ البَشَرِيَّةِ ما دامَ فِي دارِ الدُّنْيا لِيَفُوزَ بِالتَّمْكِينِ مِنْ حَقائِقِ الذَّاتِ الإِلَهِيَّة ، وهُناكَ أَبْحاثٌ كَثِيرَةٌ فِي نِيَّةِ الصَّوْمِ والفِطْرِ والسُّحُورِ والتَّراوِيحِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اخْتَصَّ بِهِ رَمَضانُ فَلْنَكْتَفِ بِما مَضَى .

وأَمَّا الحَجُّ : فَإِشارَةٌ إِلَى اسْتِمْرارِ القَصْدِ فِي طَلَبِ اللهِ تَعالَى .

والإِحْرامُ : إِشارَةٌ إِلَى تَرْكِ شُهُودِ المَخْلُوقات .

---

[1] الإِنْسانُ الكامِلُ فِي مَعْرِفَةِ الأَواخِرِ والأَوائِلِ : عَبْدُ الكَرِيمِ الجِيلي .

ثُمَّ المَخِيطُ : تَرْكُهُ إِشارَةٌ إِلَى تَجَرُّدِهِ عَنْ صِفاتِهِ المَذْمُومَةِ بِالصِّفاتِ المَحْمُودَة .

وحَلْقُ الرَّأْسِ : تَرْكُهُ إِشارَةٌ إِلَى تَرْكِ الرِّياسَةِ البَشَرِيَّة .

وتَقْلِيمُ الأَظافِرِ : تَرْكُهُ إِشارَةٌ إِلَى شُهُودِ فِعْلِ اللهِ فِي الأَفْعالِ الصَّادِرَةِ مِنْهُ .

وتَرْكُ الطِّيبِ : إِشارَةٌ إِلَى التَّجَرُّدِ عَنِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ لِتَحَقُّقِهِ بِحَقِيقَةِ الذَّات .

ثُمَّ تَرْكُ النِّكاحِ : إِشارَةٌ إِلَى التَّعَفُّفِ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الوُجُود .

ثُمَّ تَرْكُ الكُحْلِ : إِشارَةٌ إِلَى الكَفِّ عَنْ طَلَبِ الكَشْفِ بِالاسْتِرْسالِ فِي هُوِيَّةِ الأَحَدِيَّة .

ثُمَّ المِيقاتُ : عِبارَةٌ عَنِ القَلْب .

ثُمَّ مَكَّةُ : عِبارَةٌ عَنِ المَرْتَبَةِ الإِلَهِيَّة .

ثُمَّ الكَعْبَةُ : عِبارَةٌ عَنِ الذَّات .

ثُمَّ الحَجَرُ الأَسْوَدُ : عِبارَةٌ عَنِ اللَّطِيفَةِ الإِنْسانِيَّة ، واسْوِدادُهُ : عِبارَةٌ عَنْ تَلَوُّنِهِ بِالمُقْتَضَياتِ الطَّبِيعِيَّة ؛ وإِلَيْهِ الإِشارَةُ بِقَوْلِهِ ﷺ : (نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ أَشَدَّ بَياضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطايا بَنِي آدَم) ؛

فَهَذا الحَديثُ عِبارَةٌ عَن اللَّطِيفَةِ الإِنْسانِيَّةِ لأَنَّهُ مَفْطُورٌ بالأَصالَةِ عَلَى الحَقِيقَةِ الإِلَهِيَّة ، وهِيَ مَعْنَى قَوْلِه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ، ورُجُوعُهُ إِلَى الطَّبائِعِ والعادَةِ والعَلائِقِ والقَواطِعِ هُوَ اسْودادُهُ ، وكُلُّ ذَلِكَ خَطايا بَنِي آدَمَ ، وهَذا قَوْلُهُ :﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ ، فَإِذا فَهِمْتَ فاعْلَمْ أَنَّ الطَّوائِفَ عِبارَةٌ عَمَّا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ تُدْرِكَ هُوِيَّتَهُ ومَحْتِدَهُ ومَنْشَأَهُ ومَشْهَدَهُ ، وكَوْنَهُ سَبْعَةً إِشارَةٌ إِلَى الأَوْصافِ السَّبْعَةِ الَّتي بِها تَمَّتْ ذاتُهُ ؛ وهِيَ الحَياةُ والعِلْمُ والإِرادَةُ والقُدْرَةُ والسَّمْعُ والبَصَرُ والكَلامُ ، وثَمَّ مَلْحَظٌ بِاقْتِرانِ هَذا العَدَدِ بِالطَّواف ؛ وهِيَ لِيَرْجِعَ مِنْ هَذِهِ الصِّفاتِ إِلَى صِفاتِ اللهِ تَعالَى فَيَنْسِبَ حَياتَهُ إِلَى الله وعِلْمَهُ إِلَى الله ، وكَلامَهُ إِلَى الله ، فَيَكُونَ كَما قالَ ﷺ : (... حَتَّى أَكُونَ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِه ... الحَديث) .

ثُمَّ الصَّلاةُ مُطْلَقًا بَعْدَ الطَّوافِ : إِشارَةٌ إِلَى بُرُوزِ الأَحَدِيَّةِ وقِيامِ نامُوسِها فِيمَنْ تَمَّ لَهُ ذَلِكَ ، وكَوْنُها يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ خَلْفَ مَقامِ إِبْراهِيمَ إِشارَةٌ إِلَى بُرُوزِ الخُلَّة ، فَهُوَ عِبارَةٌ عَنْ ظُهُورِ الآثارِ فِي جَسَدِهِ ؛ فَإِنْ مَسَحَ بِيَدِهِ أَبْرَأَ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ، وإِنْ مَشَى بِرِجْلِهِ

طُوِيَتْ لَهُ الأَرْضُ ، وكَذَلِكَ باقِي أَعْضائِهِ لِتَحَلُّلِ الأَنْوارِ الإِلَهِيَّةِ فِيها مِنْ غَيْرِ حُلُول .

ثُمَّ زَمْزَمُ : إِشارَةٌ إِلَى عُلُومِ الحَقائِق ، فالشُّرْبُ مِنْها إِشارَةٌ إِلَى التَّضَلُّعِ مِنْ ذَلِك .

ثُمَّ الصَّفا : إِشارَةٌ إِلَى التَّصَفِّي مِنَ الصِّفاتِ الخِلْقِيَّة .

ثُمَّ المَرْوَةُ : إِشارَةٌ إِلَى الارْتِواءِ مِنَ الشُّرْبِ بِكاساتِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ الإِلَهِيَّة .

ثُمَّ الحَلْقُ : حِينَئِذٍ إِشارَةٌ إِلَى تَحَقُّقِ الرِّياسَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي ذَلِكَ المَقام .

ثُمَّ التَّقْصِيرُ : إِشارَةٌ لِمَنْ قَصَّرَ فَنَزَلَ عَنْ دَرَجَةِ التَّحْقِيقِ الَّتي هِيَ مَرْتَبَةُ أَهْلِ القُرْبَة ؛ فَهُوَ فِي دَرَجَةِ العَيان ، وذَلِكَ حَظُّ كافَّةِ الصِّدِّيقِين .

ثُمَّ الخُرُوجُ عَنِ الإِحْرام : عِبارَةٌ عَنِ التَّوَسُّعِ لِلخَلْقِ والنُّزُولِ إِلَيْهِمْ بِعَدَمِ العِنْدِيَّةِ فِي مَقْعَدِ الصِّدْق .

ثُمَّ عَرَفات : عِبارَةٌ عَنْ مَقامِ المَعْرِفَةِ بِالله ، **والعَلَمَيْن** : عِبارَةٌ عَنِ الجَمالِ والجَلالِ اللَّذَيْنِ عَلَيْهِما سَبِيلُ المَعْرِفَةِ بِالله ؛ لأَنَّهُما الأَدِلَّاءُ عَلَى اللهِ تَعالَى .

ثُمَّ المُزْدَلِفَة : عِبارَةٌ عَنْ شُيُوعِ المَقامِ وتَعالِيه .

ثُمَّ المَشْعَرُ الحَرام : عِبارَةٌ عَنْ تَعْظِيمِ الحُرُماتِ الإلَهِيَّة ، بِالوُقُوفِ مَعَ الأُمُورِ الشَّرْعِيَّة .

ثُمَّ مِنَى : عِبارَةٌ عَنْ بُلُوغِ المُنَى لأَهْلِ مَقام القُرْبَة .

ثُمَّ الجِمارُ الثَّلاث : عِبارَةٌ عَنِ النَّفْسِ والطَّبْعِ والعادَة ؛ فَيَحْصُبُ كُلًّا مِنْها بِسَبْعِ حَصيات ؛ يَعْنِي يُفْنِيها ويُذْهِبُها ويَدْحَضُها بِقُوَّةِ آثار السَّبْعِ الصِّفاتِ الإلَهِيَّة .

ثُمَّ طَوافُ الإفاضَة : عِبارَةٌ عَنْ دَوام التَّرَقِّي لِدَوام الفَيْضِ الإلَهِي ، فَإنَّهُ لا يَنْقَطِعُ بَعْدَ الكَمالِ الإنْساني ؛ إذْ لا نِهايَةَ للهِ تَعالَى .

ثُمَّ طَوافُ الوَداع : إشارَةٌ إلَى الهِدايَةِ إلَى اللهِ تَعالَى بِطَرِيقِ الحال ، لأَنَّهُ إيداعُ سِرِّ اللهِ تَعالَى فِي مُسْتَحَقِّهِ ، فَأَسْرارُ اللهِ تَعالَى وَدِيعَةٌ عِنْدَ الوَلِيِّ لِمَنْ يَسْتَحِقُّها لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ، وهُنا أَسْرارٌ كَثِيرَةٌ فِي ذِكْرِ الأَدْعِيَةِ المَتْلُوَّةِ فِي جَمِيعِ تِلْكَ المَناسِك ، وتَحْتَ كُلِّ دُعاءٍ سِرٌّ مِنْ أَسْرارِ اللهِ تَعالَى ، أَضْرَبْنا عَنْ ذِكْرِها قَصْدًا للاخْتِصار ، واللهُ أَعْلَم .

وأَمَّا الإيمانُ : فَهُوَ أَوَّلُ مَدارِجِ الكَشْفِ عَنْ عالَمِ الغَيْب ، وهُوَ المَرْكَبُ الَّذي يَصْعَدُ بِراكِبِهِ إلَى المَقاماتِ العَلِيَّةِ والحَضَراتِ السَّنِيَّة ؛ فَهُوَ

عِبارَةٌ عَنْ تَواطُؤِ القَلْبِ عَلَى ما بَعُدَ عَنِ العَقْلِ دَرْكُهُ ، فَكُلُّ ما عُلِمَ بِالعَقْلِ لا يَكُونُ تَواطُؤُ القَلْبِ عَلَى ذَلِكَ إيمانًا ، بَلْ هُوَ عِلْمٌ نَظَرِيٌّ مُسْتَفادٌ بِدَلائِلِ المَشْهُود ، فَلَيْسَ هُوَ بِإيمانٍ ؛ لأَنَّ الإيمانَ يُشْتَرَطُ فِيهِ قَبُولُ القَلْبِ للشَّيْءِ بِغَيْرِ دَلِيل ، بَلْ تَصْدِيقٌ مَحْضٌ ، ولِهَذا نَقَصَ نُورُ العَقْلِ عَنْ نُورِ الإيمان ، لأَنَّ طائِرَ العَقْلِ يَطِيرُ بِأَجْنِحَةِ الحِكْمَةِ وهِيَ الدَّلائِل ، ولا تُوجَدُ الدَّلائِلُ إلَّا فِي الأَشْياءِ الظَّاهِرَةِ الأَثَر ، وأَمَّا الأَشْياءُ الباطِنَةُ فَلا يُوجَدُ لَها دَلِيلٌ البَتَّة .

وطَيْرُ الإيمان يَطِيرُ بِأَجْنِحَةِ القُدْرَةِ ولا وُقُوفَ لَهُ عَنْ أَوْجٍ دُونَ أَوْجٍ ؛ بَلْ يَسْرَحُ فِي جَمِيعِ العَوالِم ، لأَنَّ القُدْرَةَ مُحِيطَةٌ بِجَمِيعِ ذَلِكَ .

فَأَوَّلُ ما يُفِيدُ الإيمانُ صاحِبَهُ أَنْ يَرَى بِبَصِيرَتِهِ حَقائِقَ ما أَخْبَرَ بِهِ ، فَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ إنَّما كُشِفَتْ بِنُورِ الإيمان ، ثُمَّ لا يَزالُ يَرْقَى بِصاحِبِهِ إلَى حَقِيقَةِ التَّحْقِيقِ بِما آمَنَ بِهِ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [1] ؛ فَلَمْ يَكُنِ الرَّيْبُ مُنْتَفِيًا عَنِ الكِتابِ إلَّا

(١) سُورَةُ البَقَرَة : الآيات مِنْ ١ - ٥ .

للمُؤْمِنينَ ، لأَنَّهُمْ آمَنُوا بِهِ ولَمْ يَتَوَقَّفُوا للنَّظَرِ إلَى الدَّلِيل ، ولَمْ يَتَقَيَّدُوا بما قَيَّدَهُمُ العَقْل ، بَلْ قَبِلُوا ما أُلْقِيَ إلَيْهِمْ ، فَقَطَعُوا بِوُقُوعِهِ مِنْ غَيْرِ رَيْب ، فَمَنْ تَوَقَّفَ إيمانُهُ بِالنَّظَرِ إلَى الدَّلائِلِ والتَّقْيِيدِ بِالعَقْلِ فَقَدِ ارْتابَ بِالكِتاب ، وما أُسِّسَ عِلْمُ الكَلامِ إلَّا لأَجْلِ مُدافَعَةِ المَلاحِدَةِ وغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ ، لا لأَجْلِ وُقُوعِ الإيمانِ فِي القُلُوب ، فالإيمانُ نُورٌ مِنْ أَنْوارِ اللهِ تَعالَى يَرَى بِهِ العَبْدُ ما تَقَدَّمَ وما تَأَخَّرَ ، ومِنْ ثَمَّ قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (اتَّقُوا فِراسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ تَعالَى) ، ولَمْ يَقُلْ : اتَّقُوا فِراسَةَ المُسْلِمِ ولا العاقِلِ ولا غَيْرِهِ ، بَلْ قُيِّدَ بِالمُؤْمِنِ .

وأَمَّا الصَّلاحُ : فَهُوَ عِبارَةٌ عَنْ دَوامِ العِبادَة ، وهِيَ أَعْمالُ البِرِّ طَلَبًا لِثَوابِ اللهِ تَعالَى وخَشْيَةً مِنْ عِقابِه ، فَهُوَ يَعْمَلُ الأَشْياءَ للهِ تَعالَى ، ولَكِنَّهُ بِها يَطْلُبُ مِنْهُ الزِّيادَةَ فِي دُنْياهُ وآخِرَته ، فَهُوَ عابِدٌ للهِ خَوْفًا مِنْ نارِهِ وطَمَعًا فِي جَنَّتِهِ ، فَيَسْتَحْكِمُ بِذَلِكَ فِي قَلْبِهِ عَظَمَةُ الحَقِّ ويَأْخُذُ مِنْ قَلْبِهِ اسْتِحْكامُ البُعْدِ عَنْ مَعاصِي اللهِ تَعالَى ، فَيَتَزَكَّى عَنِ الأُمُورِ المَنْهِيِّ عَنْها ، وفائِدَةُ دَوامِ العِبادَةِ تَمَكُّنُ المُراقَبَةِ الإلَهِيَّةِ مِنْ سُوَيْداءِ قَلْبِ العابِد ، فَلَوْ كُشِفَ الغِطاءُ بَعْدَ ذَلِكَ لايَنْخَرِمُ عَلَى

الإِطْلاق ؛ فَيَكُونُ فِي حَقائِقِهِ مُقَيَّدًا بِشَرائِعِهِ وهَذا ما أَنْتَجَ لَهُ دَوامَ العِبادَةِ بِشَرْطِ الرَّجاء ، لأَنَّ عِبادَةَ الصَّالِحِينَ مَشْرُوطَةٌ بِذَلِك ، بِخِلافِ المُحْسِنِ فَإِنَّهُ يَعْبُدُ اللهَ رَهْبَةً مِنْهُ ورَغْبَةً فِي عِبادَتِهِ ، والفَرْقُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الصَّالِحِ أَنَّ الصَّالِحَ يَخافُ مِنْ عَذابِ النَّارِ عَلَى نَفْسِهِ ، ويَطْمَعُ فِي ثَوابِ الجَنَّةِ لِنَفْسِهِ ، فَعِلَّةُ خَوْفِهِ ورَجائِهِ هِيَ النَّفْسُ ، والمُحْسِنُ يَرْهَبُ مِنْ جَلالِ اللهِ تَعالَى ويَرْغَبُ فِي جَمالِ اللهِ تَعالَى ، وعِلَّةُ رَغْبَتِهِ ورَهْبَتِهِ جَمالُ اللهِ تَعالَى وجَلالُه ؛ فَالمُحْسِنُ مُخْلِصٌ للهِ والصَّالِحُ صادِقٌ فِي اللهِ ، وشَرْطُ المُحْسِنِ أَنْ لايَجْرِيَ عَلَيْهِ كَبِيرَة ، بِخِلافِ الصَّالِحِ فَإِنَّهُ لايَشْتَرِطُ لَهُ ذَلِك .

وأَمَّا الإِحْسانُ : فَهُوَ اسْمٌ لِمَقامٍ يَكُونُ العَبْدُ فِيهِ مُلاحِظًا لآثارِ أَسْماءِ الحَقِّ وصِفاتِه ؛ فَيَتَصَوَّرُ فِي عِبادَتِهِ كَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعالَى ، فَلا يَزالُ ناظِرًا إلَى هَذِهِ الكَيْنُونَة ، وأَقَلُّ دَرَجاتِهِ أَنْ يَنْظُرَ إلَى أَنَّ اللهَ ناظِرٌ إلَيْه ، وهَذِهِ أَوَّلُ دَرَجاتِ المُراقَبَة ، ولا يَصِحُّ هَذا إلَّا بِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ وهِيَ : التَّوْبَةُ والإِنابَةُ والزُّهْدُ والتَّوَكُّلُ والتَّفْوِيضُ والرِّضا والإِخْلاص .

فَأَمَّا التَّوْبَةُ : فَلأَنَّهُ مَتَى عادَ إلَى الذَّنْبِ لَمْ يَكُنْ مُراقِبًا ولا ناظِرًا إلَى نَظَرِ الحَقِّ إلَيْه ، لأَنَّ مَنْ يَرَى أَنَّ اللهَ يَراهُ لا تُطاوِعُهُ قُواهُ ولا قَلْبُهُ عَلَى

المَعْصِيَة ؛ فَتَوْبَةُ المُحْسِنِ ومَنْ تَحْتَ مَقامِ الإِحْسانِ مِنَ الصَّالِحِينَ والمُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ إِنَّما هِيَ مِنَ الذَّنْبِ ، وتَوْبَةُ أَهْلِ مَقامِ الشَّهادَةِ مِنْ خاطِرِ المَعْصِيَة ، وتَوْبَةُ أَهْلِ مَقامِ الصِّدِّيقِيَّةِ مِنْ أَنْ يَخْطُرَ غَيْرُ اللهِ فِي البال ، وتَوْبَةُ المُقَرَّبِينَ مِنَ الدُّخُولِ تَحْتَ حُكْمِ الحالِ فَلا تَمْلِكُهُمُ الأَحْوال ، وذَلِكَ عِبارَةٌ عَنِ التَّحَقُّقِ فِي الاسْتِواءِ الرَّحْماني مِنَ التَّمْكِينِ فِي كُلِ تَلْوِينٍ بِمَعْرِفَةِ أَهْلِه .

وأَمَّا الإِنابَةُ : فاشْتِراطُها فِي مَقامِ الإِحْسان ، لأَنَّهُ ما لَمْ يَرْجِعْ عَنِ النَّقائِصِ هَيْبَةً مِنَ اللهِ تَعالَى ويُنِبْ إِلَى اللهِ تَعالَى لَمْ تَصِحَّ لَهُ المُراقَبَة ، فَإِنابَةُ المُحْسِنِينَ ومَنْ تَحْتَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ والمُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ إِنَّما هِيَ مِنْ جَمِيعِ ما نَهَى اللهُ عَنْهُ إِلَى الوُقُوفِ مَعَ أَوامِرِهِ تَعالَى وحِفْظِ حُدُودِه ، وإِنابَةُ الشُّهَداءِ رُجُوعُهُمْ عَنْ إِرادَةِ نُفُوسِهِمْ إِلَى مُرادِ الحَقِّ تَعالَى ، فَهُمْ تارِكُونَ لإِرادَتِهِمْ ، مُرِيدُونَ لِما أَرادَ الحَقُّ تَعالَى ، وإِنابَةُ الصِّدِّيقِينَ رُجُوعُهُمْ مِنَ الحَقِّ إِلَى الحَقّ ، وإِنابَةُ المُقَرَّبِينَ رُجُوعُهُمْ مِنَ الأَسْماءِ والصِّفاتِ إِلَى الذَّات ؛ وهَذا مَقامٌ يُشْكِلُ عَلَى الصِّدِّيقِينَ تَحَقُّقُهُ ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ مَعَ الذَّاتِ ولَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِك ، فَإِنَّهُمْ مَعَ الأَسْماءِ والصِّفات ، لأَنَّ سَكْرَتَهُمْ بِخَمْرِ

الواحِدِيَّةِ أَخَذَتْهُمْ عَنْ تَعَقُّلِ ذَلِك ، وإِنْ قُلْتَ إِنَّهُمْ مَعَ الذَّاتِ فَقَيْدٌ ، وقُلْ بِواسِطَةِ الأَسْماءِ والصِّفات ، بِخِلافِ المُحَقِّقِينَ فَإِنَّهُمْ مَعَ الذَّاتِ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بَلْ بالذَّاتِ فِي الذَّاتِ مَعَ الذَّات ، والمُحَقِّقُونَ هُمْ أَهْلُ مَقامِ القُرْبَة ، وسَيَأْتِي بَيانُها إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى .

وأَمَّا الزُّهْدُ : فاشْتِراطُهُ فِي مَقامِ الإِحْسان ؛ فَلأَنَّ مِنْ شَرْطِ المُراقِبِ للهِ تَعالَى أَنْ لا يَلْتَفِتَ إِلَى الدُّنْيا ، أَلا تَرَى إِلَى العَبْدِ إِذا كانَ حاضِرًا بَيْنَ يَدَي سَيِّدِهِ عالِمًا بِأَنَّ سَيِّدَهُ يَطْلُبُ مِنْهُ الخِدْمَةَ كَيْفَ يَزْهَدُ فِي مَصالِحِ نَفْسِهِ فَيَشْتَغِلَ بِما يَأْمُرُهُ بِهِ السَّيِّدُ ؛ فَزُهْدُ المُحْسِنِينَ ومَنْ تَحْتَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ والمُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ إِنَّما هُوَ فِي الدُّنْيا وفِي لَذَّاتِها ، وزُهْدُ الشُّهَداءِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ جَمِيعِها ، وزُهْدُ الصِّدِّيقِينَ فِي سائِرِ المَخْلُوقاتِ فَلا يَشْهَدُونَ إِلَّا الحَقَّ تَعالَى وأَسْماءَهُ وصِفاتِه ، وزُهْدُ المُقَرَّبِينَ فِي البَقاءِ مَعَ الأَسْماءِ والصِّفاتِ فَهُمْ فِي حَقِيقَةِ الذَّات .

وأَمَّا التَّوَكُّلُ : فاشْتِراطُهُ فِي مَقامِ الإِحْسان ؛ فَلأَنَّ مِنْ شَرْطِ مَنْ يَرَى أَنَّ اللهَ تَعالَى يَراهُ أَنْ يَصْرِفَ أُمُورَهُ إِلَيْهِ لأَنَّهُ أَدْرَى بِمَصالِحِه ، فَلا يُتْعِبُ نَفْسَهُ فِيما لا يُفِيدُ مِنْهُ شَيْء ، وشَرْطُ التَّوَكُّلِ أَنْ يَتَوَكَّلَ العَبْدُ

لِيَفْعَلَ السَّيِّدُ بِهِ ما يَشاء ، وهَذا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ، يَعْنِي تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ لا يَفْعَلُ إِلَّا ما يُريد ، فَكِلُوا أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ ولا تَعْتَرِضُوا عَلَيْه ، ولَيْسَ هَذا للصَّالِحِين ؛ فَإِنَّ الصَّالِحَ ومَنْ دُونَهُ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ لَكِنْ لِيَفْعَلَ اللهُ لَهُ مَصالِحَهُ ، وهَذا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعالَى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .

والأَوَّلُ أَعْنِي مَنْ يَتَوَكَّلُ لِيَفْعَلَ اللهُ بِهِ ما يَشاءُ هُوَ مِنَ الطَّائِفَةِ المَذْكُورَةِ فِي آخِرِ هَذِهِ الآيَةِ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ ، يَعْنِي لا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَ اللهُ ما يُريد ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ :

فَتَوَكُّلُ المُحْسِنِينَ : هُوَ عِبارَةٌ عَنْ صَرْفِ الأَمْرِ إِلَى اللهِ تَعالَى .

وتَوَكُّلُ الشُّهَداءِ : عِبارَةٌ عَنْ رَفْعِ الأَسْبابِ والوَسائِطِ بِنَظَرِهِمْ إِلَى المُسَبِّبِ سُبْحانَهُ وتَعالَى وتَصْرِيفِهِ فِيهِمْ ، قَدْ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ بِجَعْلِ إِرادَتِهِ عَيْنَ مُرادِهِمْ ، فَلَيْسَ لَهُمُ اخْتِيارٌ يَتَمَيَّزُونَ بِهِ فِي طَلَب ، بَلْ جَمِيعُ ما يُرِيدُهُ اللهُ تَعالَى هُوَ اخْتِيارُهُمْ وإِرادَتُهُمْ .

وتَوَكُّلُ الصِّدِّيقِينَ : إِرْجاعُ شَأْنِ ذَواتِهِمْ إِلَى شَأْنِ ذَواتِ الحَقِّ تَعالَى ،

فَلا يَقَعُ نَظَرُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَهُمْ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللهِ تَعالَى بِالاسْتِغْراقِ فِي شُهُودِهِ والاسْتِهْلاكِ فِي وُجُودِه .

واتِّكالُ المُحَقِّقِين : عَدَمُ الانْبِساطِ بَعْدَ التَّمْكِينِ فِي البِساط .

وأَمَّا التَّفْوِيضُ : فَهُوَ والتَّسْلِيمُ واحِدٌ وبَيْنَهُما فَرْقٌ يَسِيرٌ وهُوَ أَنَّ المُسَلِّمَ قَدْ لا يَكُونُ راضِيًا بِما يَصْدُرُ إِلَيْهِ مِمَّنْ سَلَّمَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ ، بِخِلافِ المُفَوِّضِ فَإِنَّهُ راضٍ بِما عَساهُ أَنْ يَفْعَلَهُ الَّذي فَوَّضَ المُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَيْه ، وهُما (التَّسْلِيمُ والتَّفْوِيضُ) قَرِيبٌ مِنَ الوَكالَة ، والفَرْقُ بَيْنَ الوَكالَةِ وبَيْنَهُما أَنَّ الوَكالَةَ فِيها رائِحَةٌ مِنْ دَعْوَى المِلْكِيَّةِ لِلمُوَكِّلِ فِيما وَكَّلَ فِيهِ الوَكِيل ، بِخِلافِ التَّسْلِيمِ والتَّفْوِيضِ فَإِنَّهُما خارِجانِ عَنْ ذَلِك ؛ فَتَفْوِيضُ المُحْسِنِينَ ومَنْ دُونَهُمْ لِلحَقِّ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ هُوَ إِرْجاعُ الأُمُورِ الَّتِي جَعَلَها اللهُ لَهُمْ إِلَى الحَقّ ، فَهُمْ بَرِيئُونَ مِنْ دَعْوَى المِلْكِيَّةِ لِما صَرَفُوهُ إِلَى الحَقِّ تَعالَى مِنْ جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ؛ فَذَلِكَ هُوَ التَّفْوِيض .

وتَفْوِيضُ الشُّهَداءِ : سُكُونُهُمْ إِلَى الحَقِّ تَعالَى فِيما يُقَلِّبُهُمْ فِيه ، فَهُمْ مُلاحِظُونَ لأَفْعالِ اللهِ تَعالَى فِي أَنْفُسِهِمْ ، وفِي غَيْرِهِمْ مُفَوِّضُونَ إِلَيْهِ زِمامَ الأَمْر ، يَرَوْنَ أَنَّ أَخْذَ الحَقِّ بِنَواصِي سائِرِ المَخْلُوقاتِ عامٌّ

وبِنَواصِيهِمْ خاصٌّ إلَى ما يُرِيدُهُ الحَقُّ تَعالَى ، فَهُمْ بَرِيئُونَ فِي أَعْمالِهِمْ مِنْ دَعْوَى الفاعِلِيَّة ، فَلِأَجْلِ هَذا لا يَتَوَقَّعُونَ الأَجْرَ ولايَطْلُبُونَ الجَزاء ؛ لأَنَّهُمْ لا يَرَوْنَ لأَنْفُسِهِمْ فِعْلًا فَيَسْتَحِقُّونَ بِهِ الجَزاء .

وتَفْوِيضُ الصِّدِّيقِينَ : مُلاحَظَةُ الجَمالِ الإلَهِي حَيْثُ تَنَوُّعاتُ التَّجَلِّياتِ فَهُمْ غَيْرُ مُقَيَّدِينَ بِتَجَلٍّ دُونَ غَيْرِه ، فَهُمْ مُفَوِّضُونَ أَمْرَ تَجلياتِهِ إلَى ظُهُورِه ، فَفِي أَيِّهِما ظَهَرَ شاهَدُوهُ عَلَى حَسَبِ المَقامِ والاسْمِ والصِّفَةِ والإِطْلاقِ والتَّقْيِيد .

وتَفْوِيضُ المُقَرَّبِينَ : عَدَمُ الجَزَعِ عَلَى ما اطَّلَعُوا عَلَيْهِ بِما جَرَى بِهِ القَلَمُ فِي المَخْلُوقاتِ ، فَلا يَتَصَرَّفُونَ فِي الوُجُودِ بِشَيْءٍ بَلْ مُفَوِّضُونَ إلَى الحَقِّ تَعالَى يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشاءُ ، وهَؤُلاءِ هُمُ الأُمَناءُ الأُدَباءُ لا يَفْشُونَ أَسْرارَ الله ، ولا يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ عُلُوًّا عَلَى غَيْرِهِمْ ولا فَسادًا فِي أُمُورِ النَّاس ، بَلْ يُعامِلُونَ الخَلْقَ بِما يُعامِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلا يَتَعاطَوْنَ شَيْئًا مِنْ هَتْكِ سِتْرٍ ولا نُفُوذِ أَمْرٍ ، بَلْ كائِنُونَ مَعَ الخَلْقِ بِأَجْسادِهِمْ بائِنُونَ عَنْهُمْ بِأَرْواحِهِمْ فِي حَضْرَةِ القُرْبِ الإلَهِي .

وأَمَّا الرِّضا : فَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ القَضاء ، وأَمَّا قَبْلَهُ فَإِنَّهُ عَزْمٌ عَلَى الرِّضا ، وقَدْ نَصَّ عَلَى هَذا غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الطَّرِيق ؛ فَرِضا

المُحْسِنِينَ عَنِ اللهِ تَعالَى بِالقَضاء ، ولا يَلْزَمُ مِنْ هَذا أَنْ يَرْضَوْا بِالمَقْضِيِّ ؛ لأَنَّ اللهَ تَعالَى قَدْ يَقْضِي مَثَلًا بِالشَّقاوَة ، فَرِضاهُمْ عَنِ اللهِ تَعالَى بِالقَضاءِ إِذِ القَضاءُ هُوَ حُكْمُ اللهِ تَعالَى ، فَيَجِبُ الرِّضا بِحُكْمِهِ ولا يَلْزَمُهُمْ أَنْ يَرْضَوْا بِالشَّقاء ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ لا يَرْضَوْا بِه .

ورِضا الشُّهَداءِ : هُوَ مَحَبَّتُهُمْ للهِ تَعالَى مِنْ غَيْرِ طَلَبِ وُصُولٍ أَوْ نُفُورٍ مِنْ هَجْرٍ أَوْ بِعاد ، بَلْ عَلَى البُعْدِ واللِّقاءِ والسَّخَطِ والرِّضاءِ لا يَرْجِعُونَ عَنْ مَحَبَّتِهِمْ ولا يَلْتَفِتُونَ إلَى راحَتِهِمْ .

ورِضا الصِّدِّيقِينَ بِتَعَشُّقِ المَحاضِرِ بِرِضا الحاضِرِ فِي أَعْلَى المَناظِر ، وذَلِكَ لأَنَّهُمْ لا يَزالُونَ فِي التَّرَقِّي ، وكُلَّما تَرَقَّى العَبْدُ ضاقَ طَرِيقُهُ فِي الحَضْرَةِ الإلَهِيَّة ؛ لأَنَّ العَبْدَ أَوَّلُ ما يَكُونُ مَعَ اللهِ تَعالَى فِي تَجَلِّي الأَفْعال ، فَيَشْهَدُهُ فِي سائِرِ المَخْلُوقات ، ثُمَّ إِذا ارْتَقَى ضاقَ مَشْهَدُهُ ، ولا يَزالُ كُلَّما تَرَقَّى تَضِيقُ مَناظِرُهُ ، فَرِضا الصِّدِّيقِينَ هُوَ سُكُونُهُمْ إلَى الحَقِّ فِي ذَلِكَ الضِّيق ، وهَذا لا يُدْرَكُ بِالعَقْل ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ كَشْفِيٌّ ذَوْقِيٌّ .

وأَمَّا رِضا المُقَرَّبِينَ فَفِي رُجُوعِهِمْ مِنَ الحَقِّ إلَى الخَلْقِ .

وأَمَّا الإِخْلاصُ : فَإِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ومَنْ دُونَهُمْ عَدَمُ الالْتِفاتِ إلَى نَظَرِ المَخْلُوقاتِ فِي العِباداتِ .

وإخْلاصُ المُحْسِنِينَ : عِبادَةُ الحَقِّ تَعالَى مِنْ غَيْرِ طَلَبِ الجَزاءِ فِي الدَّارَيْنِ ، فَعِبادَتُهُمُ اللهَ تَعالَى لِكَوْنِهِ أَمَرَهُمْ بِعِبادَتِهِ ، فَنِسْبَةُ الصَّالِحِينَ ومَنْ دُونَهُمْ مِنَ المُحْسِنِينَ نِسْبَةُ الأَجِيرِ إلَى العَبْدِ الرِّقِّ الَّذي لا يَطْلُبُ أَجْرَهُ فِي عَمَلِه .

وإخْلاصُ الشُّهَداء : إفْرادُ الحَقِّ تَعالَى بالوُجُود .

وإخْلاصُ المُحَقِّقِينَ الصِّدِّيقِين : عَدَمُ الاحْتِياجِ فِي مَعْرِفَةِ الذَّاتِ إلَى شَيْءٍ مِنَ الأَسْماءِ والصِّفات .

وإخْلاصُ المُقَرَّبِينَ : تَحْقِيقُ التَّبَرِّي مِنْ بَقايا التَّلْوِينِ تَحْتَ ظُهُورِ آثارِ التَّمْكِين ، وذَلِكَ هُوَ عَيْنُ حَقِيقَةِ السَّحْقِ والمَحْقِ ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ .

وأَمَّا الشَّهادَةُ : فَإنَّها نَوْعان : شَهادَةٌ كُبْرَى ، وشَهادَةٌ صُغْرَى .

فالشَّهادَةُ الصُّغْرَى : عَلَى أَقْسام وقَدْ وَرَدَ الحَدِيثُ بِها كَمَنْ ماتَ غَرِيبًا أَوْ غَرِيقًا أَوْ مَبْطُونًا وأَمْثالِ ذَلِك ، وأَعْلَى مَقاماتِ الشَّهادَةِ الصُّغْرَى القَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ فِي الغَزْو .

والشَّهادَةُ الكُبْرَى قِسْمان : أَعْلَى ، وأَدْنَى :

فالأَعْلَى شُهُودُ الحَقِّ تَعالَى بِعَيْنِ اليَقِينِ فِي سائِرِ مَخْلُوقاته ؛ فَإذا

رَأَى مَثَلًا شَيْئًا مِنَ المَخْلُوقاتِ فَإِنَّهُ يَشْهَدُ الحَقَّ تَعالَى فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ ولا انْفِصالٍ ؛ بَلْ بِما أَخْبَرَ بِهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى بِقَوْلِهِ : ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ ، وهُوَ الَّذي تَمَّتْ إلَيْهِ الإشارَةُ فِي (الشَّهادَةِ) بِأَنَّ مِنْ شُرُوطِها دَوامَ المُراقَبَةِ مِنْ غَيْرِ فَتْرَةٍ ، فَإذا صَحَّ للعَبْدِ هَذا المَشْهَدُ فَهُوَ مُشاهِدٌ للهِ تَعالَى ، وهَذا أَعْلَى مَناظِرِ الشَّهادَة ، وما بَعْدَها إلَّا أَوَّلُ مَراتِبِ الصِّدِّيقِيَّةِ وهُوَ الوُجُود ، فَيَفْنَى عَنْ نَفْسِهِ بِوُجُودِ رَبِّهِ ، وحِينَئِذٍ يَدْخُلُ فِي دائِرَةِ الصِّدِّيقِيَّة .

وأَمَّا القِسْمُ الأَدْنَى مِنَ الشَّهادَةِ الكُبْرَى : فَهُوَ انْعِقادُ المَحَبَّةِ للهِ تَعالَى مِنْ غَيْرِ عِلَّة ؛ فَتَكُونُ مَحَبَّتُهُ للهِ تَعالَى لِصِفاتِهِ وكَوْنِهِ أَهْلًا أَنْ يُحَبَّ .

واعْلَمْ أَنَّ المَحَبَّةَ عَلَى ثَلاثَةِ أَنْواع : مَحَبَّةٌ فِعْلِيَّة ، ومَحَبَّةٌ صِفاتِيَّة ، ومَحَبَّةٌ ذاتِيَة :

فالمَحَبَّةُ الفِعْلِيَّة : مَحَبَّةُ العَوامِّ ، وهُوَ أَنْ يُحِبَّ اللهَ تَعالَى لإحْسانِهِ عَلَيْهِ لِيَزِيدَهُ مِمَّا أَسْداهُ إلَيْه .

والمَحَبَّةُ الصِّفاتِيَّة : مَحَبَّةُ الخَواص ، وهَؤُلاءِ هُمْ يُحِبُّونَهُ لِجَمالِهِ وجَلالِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ كَشْفٍ لِحِجابٍ ولا رَفْعٍ لِنِقاب ؛ بَلْ مَحَبَّةٌ للهِ خالِصَةٌ مِنْ عِلَلِ النُّفُوس .

ومَحَبَّةُ الخاصَّة : هِيَ التَّعَشُّقُ الذَّاتي الَّذي يَنْطَبِعُ بِقُوَّتِه فِي العاشِقِ بِجَمِيعِ أَنْوارِ المَعْشُوق ، فَيَبْرُزُ العاشِقُ فِي صِفَةِ مَعْشُوقِهِ كَما يَتَشَكَّلُ الرُّوحُ بِصُورَةِ الجَسَدِ للتَّعَشُّقِ الَّذي بَيْنَهُما ، وسَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ فِي آخِرِ البَيانِ عِنْدَ ذِكْرِ المُقَرَّبِين .

فَمَحَبَّةُ العَوامِّ مَحَبَّةٌ فِعْلِيَّة ، ومَحَبَّةُ الشُّهَداءِ مَحَبَّةٌ صِفاتِيَّة ، ومَحَبَّةُ المُقَرَّبينَ مَحَبَّةٌ ذاتِيَّة .

ومِنْ جُمْلَةِ شُرُوطِ أَهْلِ الشَّهادَةِ الكُبْرَى القِيامُ عَلَى النَّفْسِ بالمُخالَفاتِ مِنْ غَيْرِ رُخْصَة ؛ يَعْنِي يَقُومُونَ عَلَيْها بِمُخالَفَتِها فِي العَزائِمِ لا فِي الرُّخَص ، فَإِنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ كَثِيرٌ مِنْ طائِفَتِنا فِي تَحْقِيقِ المُخالَفاتِ ، فادَّعَى أَنَّهُ لَوْ أَرادَتْ نَفْسُهُ أَنْ تَصُومَ أَوْ تُصَلِّيَ مَثَلًا كانَ الواجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُخالِفَها بالأَكْلِ والشُّرْبِ وتَرْكِ الصَّلاةِ ، وهَذا خَطَأٌ ؛ لأَنَّ النُّفُوسَ مِنْ حَيْثُ الأَصالَةُ لا تَطْلُبُ إِلَّا ما لَها فِيهِ راحَةُ العاجِل ، فالطَّلَبُ الَّذي لَها فِي الأَصْلِ هُوَ كالأَكْلِ ، وطَلَبُ الصَّوْمِ وغَيْرِهِ مِنْ أَعْمالِ البِرِّ لَيْسَ إِلَّا للرُّوح ، ولَيْسَ مِنْ شَرْطِ الطَّرِيقِ مُخالَفَةُ الرُّوح ، بِخِلافِ النَّفْسِ فَإِنَّها جَلِيسُ الهَوَى ، والهَوَى جَلِيسُ الشَّيْطان ، فَلِهَذا خُولِفَتْ لِتَطْمَئِنَّ فَتَسْكُنَ مَعَ الرُّوحِ إِلَى اللهِ تَعالَى ، وهَذِهِ المُخالَفَةُ هِيَ الَّتِي أَشارَ إِلَيْها

عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِالجِهادِ الأَكْبَرِ فِي قَوْلِهِ : (رَجَعْنا مِنَ الجِهادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهادِ الأَكْبَر) ؛ فَلِهَذا جَعَلْنا الشَّهادَةَ بِالسَّيْفِ شَهادَةً صُغْرَى ، والشَّهادَةَ بِالمَحَبَّةِ شَهادَةً كُبْرَى .

وأَمَّا الصِّدِّيقِيَّة : فَإِنَّها عِبارَةٌ عَنْ حَقِيقَةِ مَقام (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ) ؛ وهَذِهِ المَعْرِفَةُ لَها ثَلاثُ حَضَرات :

الحَضْرَةُ الأُولَى : حَضْرَةُ عِلْمِ اليَقِين ، والحَضْرَةُ الثَّانِيَة : حَضْرَةُ عَيْنِ اليَقِين ، والحَضْرَةُ الثَّالِثَةُ : حَضْرَةُ حَقِّ اليَقِين .

فَعَلامَةُ الصِّدِّيقِ فِي تَجاوُزِ هَذِهِ الحَضَراتِ أَنْ يَصِيرَ عَيْبُ الوُجُود مَشْهُودًا لَهُ ، فَيَرَى بِنُورِ اليَقِينِ ما غابَ عَنْ بَصَرِ المَخْلُوقاتِ مِنْ أَسْرارِ الحَقِّ تَعالَى ، فَيَطَّلِعُ حِينَئِذٍ إِلَى حَقِيقَتِه ، فَيَشْهَدُ فَناءَهُ تَحْتَ سُلْطانِ أَنْوارِ الجَمالِ ، فَيَكْتَسِبُ بِهَذا الفَناءِ بَقاءً إِلَهِيًّا ؛ والمُرادُ بالاكْتِسابِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ البَقاءُ الإِلَهِيُّ كَما لَمْ يَزَلْ مُنْذُ كانَ الوُجُود ، لا أَنَّهُ مُسْتَفادٌ فِي تِلْكَ الحَضْرَة .

فَإِذا بَقِيَ بِبَقاءِ اللهِ تَعالَى تَجَلَّتْ عَلَيْهِ الأَسْماءُ اسْمًا فاسْمًا ، فَعَرَفَ الذَّاتَ حِينَئِذٍ مِنْ حَيْثُ الأَسْماء ، وهَذا حَدُّ بُلُوغِ عِلْمِ اليَقِين ، ومِنْ هَذا لا يَكُونُ إِلَّا عَيْنًا ، ثُمَّ يَرْتَقِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى تَجَلِّياتِ الصِّفاتِ

فَيَشْهَدُها صِفَةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَيَكُونُ مَعَ الذَّاتِ بِما لَها مِنَ الصِّفات ، ثُمَّ يَرْتَقِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ لا يَحْتاجَ إِلَى الأَسْماءِ والصِّفاتِ فِي كَيْنُونَتِهِ مَعَ الذَّات ، ثُمَّ يَرْتَقِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ مَوْقِعَ الأَسْماءِ والصِّفاتِ مِنَ الذَّات ، فَيَعْرِفَ الذَّاتَ بِالذَّات ، فَتُنْصَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَضْرَةُ الأَسْماءِ والصِّفاتِ ، فَيُشاهِدَ حَقائِقَها ويُدْرِكَ إِجْمالَها فِي التَّفْصِيل ، وتَفْصِيلَها فِي الإِجْمالِ ، فَلا يَزالُ يَتَقَلَّبُ فِي خِلَعِ الرُّبُوبِيَّةِ إِلَى أَنْ تَنْقُلَهُ يَدُ العِنايَةِ إِلَى الاتِّصافِ بِالأَسْماءِ والصِّفات ، فَإِذا بَلَغَ الأَجَلَ المَحْتُومَ وتَناوَلَ كَأْسَ الرَّحِيقِ المَخْتُوم كانَ صاحِبَ حَقِّ اليَقِين ؛ وهَذا أَوَّلُ مَقاماتِ المُقَرَّبين .

وأَوَّلُ القُرْبَة : فَهِيَ عِبارَةٌ عَنْ تَمَكُّنِ الوَلِيِّ قَرِيبًا مِنْ تَمَكُّنِ الحَقِّ فِي صِفاتِهِ وهَذا مُشاعٌ ؛ كَما يُقالُ : قارَبَ فُلانٌ العالِمَ فُلانًا ، يَعْنِي فِي العِلْم والمَعْرِفَةِ ، وقارَبَ مُسْلِمٌ التَّاجِرُ قارُونَ مُوسَى ؛ يَعْنِي فِي المالِيَّة .

فالقُرْبَةُ هِيَ ظُهُورُ العَبْدِ فِي تَنَوُّعاتِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ بِقَرِيبٍ مِنْ ظُهُورِ الحَقِّ فِيها ، لأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَسْتَوْفِيَ العَبْدُ حَقِيقَةَ صِفَةٍ مِنَ الصِّفات ، ولَكِنَّهُ إِذا تَصَرَّفَ عَلَى سَبِيلِ التَّمْكِينِ فِيها بِحَيْثُ لا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَطْلُبُهُ ، فَعَلِمَ ما تَشَوَّفَ لِعِلْمِهِ ، وفَعَلَ ما أَرادَ حُدُوثَهُ

فِي العالَم ، مِثْلَ إِحْياءِ المَيِّتِ وإِبْراءِ الأَكْمَهِ والأَبْرَصِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ للهِ تَعالَى ، فَقَدْ قارَبَ الحَقَّ أَيْ صارَ فِي جِوارِ اللهِ تَعالَى ، فَهَذا القُرْبُ هُوَ الجِوار .

أَلا تَرَى إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ لَمَّا كانُوا فِي نَوْعٍ مِنْ جِوارِ اللهِ تَعالَى كَيْفَ انْفَعَلَتْ لَهُمُ الأَكْوانُ ، فَما شاؤُوهُ كانَ فِي الجَنَّة ، فَهَذا قُرْبٌ .

وأَوَّلُ حَضَراتِ هَذا المَقامِ الخُلَّةُ ؛ وهُوَ أَنْ يَتَخَلَّلَ العَبْدُ بِصِفاتِ الحَقِّ تَعالَى فَيَظْهَرَ فِي جَمِيعِ أَجْزاءِ جَسَدِهِ آثارُ التَّخَلُّلِ بِأَنْ تَنْفَعِلَ الأَشْياءُ لَهُ بِلَفْظَةِ (كُنْ) ، وأَنْ يُبْرِئَ العِلَلَ والأَمْراضَ ويَأْتِيَ بِالمُخْتَرَعاتِ بِيَدِهِ ، وأَنْ يَكُونَ لِرِجْلِهِ المَشْيُ فِي الهَواءِ وأَنْ يَقْدِرَ عَلَى التَّصَوُّرِ بِكُلِّ صُورَةٍ بِتَمامِ هَيْكَلِهِ ، وهَذا مَعْنَى قَوْلِهِ : (لا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ولِسانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِها ، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِها) .

فَإِذا كانَ الحَقُّ تَعالَى سَمْعَهُ وبَصَرَهُ ورِجْلَهُ وباقِيَ جَسَدِهِ كانَ هَذا العَبْدُ خَلِيلَ اللهِ تَعالَى ؛ يَعْنِي تَخَلَّلَتْهُ أَنْوارُ الحَقِّ تَعالَى ، فَهُوَ خَلِيلُ اللهِ لَهُ مِنْ مَقامِ الخُلَّةِ الإِبْراهِيمِيَّةِ نَصِيبٌ ، فَإِنَّ الجَسَدَ جَمِيعَهُ بَيْنَ جَوارِحِ

وقُوًى ، فالجَوارِحُ هِيَ كاليَدِ والرِّجْلِ ، والقُوَى هِيَ كالسَّمْعِ والبَصَرِ فَعَمَّ باطِنَهُ وظاهِرَهُ ، فَكُلُّ واحِدَةٍ مِنْ هَؤُلاءِ أَعْنِي سَمْعَهُ وبَصَرَهُ ولِسانَهُ ورِجْلَهُ ويَدَهُ تَنْفَعِلُ الأَكْوانُ لَها لأَنَّها بِاللهِ تَعالَى ، فَيَفْعَلُ بِيَدِهِ ويَتَكَلَّمُ بِيَدِهِ ويَنْظُرُ بِيَدِهِ ويَعْلَمُ بِيَدِهِ ، وكَذَلِكَ كُلُّ جارِحَةٍ مِنْ جَوارِحِهِ وقُوَّةٍ مِنْ قُواهُ يَفْعَلُ بِها جَمِيعَ ذَلِكَ ، وذَلِكَ شاهِدُ الخُلَّة .

أَلا تَرَى إِلَى سَيِّدِ هَذا المَقامِ وهُوَ سَيِّدُنا إِبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا أَرادَ شُهُودَ تَحْقِيقِ ذَلِكَ كَيْفَ أَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَجَعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ، فَلَمَّا دَعاهُنَّ بِلِسانِهِ أَتَيْنَهُ سَعْيًا ، وذَلِكَ شاهِدُ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ، فَقَدْ قارَبَ بِهَذِهِ الآياتِ إِلَى حَضْرَةِ الكَبِيرِ المُتَعال .

واعْلَمْ أَنَّ مَقامَ القُرْبَةِ هِيَ الوَسِيلَة ، وذَلِكَ لأَنَّ الواصِلَ إِلَيْها يَصِيرُ وَسِيلَةً لِلقُلُوبِ إِلَى السُّكُونِ إِلَى التَّحَقُّقِ بِالحَقائِقِ الإِلَهِيَّة ، والأَصْلُ فِي هَذا أَنَّ القُلُوبَ ساذَجَةٌ فِي الأَصْلِ عَنْ جَمِيعِ الحَقائِقِ الإِلَهِيَّة ، ولَوْ كانَتْ مَخْلُوقَةً فَإِنَّها بِنُزُولِها إِلَى عالَمِ الأَكْوانِ اكْتَسَبَتْ هَذِهِ السَّذاجَةَ فَلا تَقْبَلُ شَيْئًا فِي نَفْسِها حَتَّى تُشاهِدَهُ فِي غَيْرِها ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الغَيْرُ لَها كالمِرْآةِ أَوِ الطَّابَع ، فَتَنْظُرُ نَفْسَها فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ فَتَقْبَلُهُ لِنَفْسِها وتَسْتَعْمِلُهُ كَما تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ الشَّيْءَ بِحُكْمِ الأَصالَة ، فاسْمُ الحَقِّ أَوَّلًا

وَسِيلَةُ الأَرْواحِ إِلَى السُّكُونِ إِلَى الأَوْصافِ الإِلَهِيَّة ، وقَلْبُ الوَلِيِّ الواصِلِ إِلَى مَقامِ القُرْبَةِ وَسِيلَةُ الأَجْسامِ إِلَى السُّكُونِ إِلَى التَّحَقُّقِ بِالحَقائِقِ الإِلَهِيَّةِ لِظُهُورِ الآثار ، فَلا يُمْكِنُ لِلوَلِيِّ أَنْ يَتَحَقَّقَ جَسَدُهُ بِالأُمُورِ الإِلَهِيَّةِ إِلَّا بَعْدَ مُشاهَدَتِهِ كَيْفِيَّةَ تَحَقُّقِ وَلِيٍّ مِنْ أَهْلِ مَقامِ القُرْبَةِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الوَلِيُّ وَسِيلَتَهُ فِي البُلُوغِ إِلَى دَرَجَةِ التَّحَقُّق ، وكُلُّ الأَنْبِياءِ والأَوْلِياءِ وَسِيلَتُهُمْ سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم .

فالوَسِيلَةُ هِيَ عَيْنُ مَقامِ القُرْبَةِ وأَوَّلُ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَراتِبِها مَقامُ الخُلَّة ، وانْتِهاءُ مَقامِ الخَلِيلِ ابْتِداءُ مَقامِ الحَبِيب ؛ لأَنَّ الحَبِيبَ الذَّاتِي عِبارَةٌ عَنِ التَّعَشُّقِ الاتِّحادِي ، فَيَظْهَرُ كُلٌّ مِنَ المُتَعَشِّقَيْنِ عَلَى صُورَةِ الثَّانِي ، ويَقُومُ كُلٌّ مِنْهُما مَقامَ الآخَر .

أَلا تَرَى إِلَى الجَسَدِ والرُّوحِ لَمَّا كانَ تَعَشُّقُهُما ذاتِيًّا كَيْفَ تَتَأَلَّمُ الرُّوحُ لِتَأَلُّمِ الجَسَدِ فِي الدُّنْيا ، ويَتَأَلَّمُ الجَسَدُ لِتَأَلُّمِ الرُّوحِ فِي الأُخْرَى ، ثُمَّ يَظْهَرُ كُلٌّ مِنْهُما فِي صُورَةِ الآخَر ، وإِلَى هَذا أَشارَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي كِتابِهِ العَزِيزِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ، أَقامَ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم مَقامَ نَفْسِه ، وكَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ، ثُمَّ صَرَّحَ

حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ لأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه لَمَّا رَآهُ فِي النَّوْمِ فَقالَ لَهُ : يا رَسُولَ اللهِ اعْذُرْنِي فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ شَغَلَتْنِي عَنْ مَحَبَّتِكَ ، فَقالَ لَهُ ﷺ : (يا مُبارَك ، إِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ هِيَ مَحَبَّتِي) .

وَمِنْ هُنا تَفَرَّدَ سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ بِالكَمال ، فَخَتَمَ الكَمالاتِ والمَقاماتِ الإِلَهِيَّةَ باطِنًا ، وشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ خَتْمُهُ لِمَقامِ الرِّسالَةِ ظاهِرًا .

وآخِرُ مَقامِ المَحَبَّةِ أَوَّلُ مَقامِ الخِتام ، ومَقامُ الخِتامِ عِبارَةٌ عَنِ التَّحَقُّقِ بِحَقِيقَةِ ذِي الجَلالِ والإِكْرامِ إِلَّا فِي نَوادِرَ مِمَّا لا يُمْكِنُ المَخْلُوقَ أَنْ يَصِلَ إِلَى ذَلِكَ ، فَتَكُونُ تِلْكَ الأَشْياءُ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمال ، وهِيَ فِي الأَصْلِ عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيل ؛ فَلأَجْلِ هَذا لا يَزالُ الكامِلُ يَتَرَقَّى فِي الأَكْمَلِيَّة ، لأَنَّ اللهَ تَعالَى لَيْسَ لَهُ نِهايَة ، فَلا يَزالُ الوَلِيُّ يَتَرَقَّى فِيهِ عَلَى حَسَبِ ما يَذْهَبُ بِهِ اللهُ فِي ذاتِه .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ مَقامَ العُبُودِيَّةِ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِمَكانَةٍ دُونَ غَيْرِها ، فَقَدْ يَرْجِعُ الوَلِيُّ مِنْ مَقامِ الخُلَّةِ إِلَى الخَلْقِ فَيُقِيمُهُ اللهُ فِي مَقامِ العُبُودِيَّة ، وقَدْ يَرْجِعُ مِنْ مَقامِ الخِتام ، وفائِدَةُ هَذا الكَلامِ أَنَّ العُبُودِيَّةَ رُجُوعُ العَبْدِ مِنَ المَرْتَبَةِ الإِلَهِيَّةِ بِاللهِ إِلَى الحَضْرَةِ الخَلْقِيَّة ، فَمَقامُ العُبُودَةِ لَهُ هَيْمَنَةٌ عَلَى جَمِيعِ المَقامات .

والفَرْقُ بَيْنَ العِبادَةِ والعُبُودِيَّةِ والعُبُودَة : هُوَ أَنَّ العِبادَةَ صُدُورُ أَعْمالِ البِرِّ مِنَ العَبْدِ بِطَلَبِ الجَزاء ، والعُبُودِيَّةُ صُدُورُ أَعْمالِ البِرِّ مِنَ العَبْدِ للهِ تَعالَى عارِيًا عَنْ طَلَبِ الجَزاء ، بَلْ عَمَلًا خالِصًا للهِ تَعالَى ، والعُبُودَةُ هِيَ عِبارَةٌ عَنِ العَمَلِ بِالله ، ولِذَلِكَ كانَتِ الهَيْمَنَةُ لِمَقامِ العُبُودَةِ عَلَى جَمِيعِ المَقامات ، وكَذَلِكَ مَقامُ الخِتامِ فَإِنَّهُ مُنْسَحِبٌ عَلَى مَقاماتِ القُرْبَةِ جَمِيعِها ، لأَنَّهُ عِبارَةٌ عَنْ خَتْمِ مَقاماتِ الأَوْلِياء .

وبِمُجَرَّدِ بُلُوغِ الوَلِيِّ مَقامَ القُرْبَةِ يَجُوزُ جَمِيعَ المَقاماتِ الَّتِي يَصِلُ إِلَيْها المَخْلُوقُ فِي اللهِ تَعالَى ؛ لأَنَّهُ يَلْتَحِقُ فِي مَقامِ القُرْبَةِ بِاللهِ تَعالَى ، فَيَخْتِمُ بِوُصُولِهِ إِلَيْها جَمِيعَ مَقاماتِ الخَلْق ، ويَكُونُ لَهُ فِيها نَصِيبٌ مِنْ مَقامِ الخُلَّة ، ونَصِيبٌ مِنْ مَقامِ الحُبِّ ، فَيَكُونُ هُوَ الخِتامُ فِي نَفْسِ مَقامِ القُرْبَة .

وإِنَّما اخْتُصَّ اسْمُ الخُلَّةِ بِأَوَّلِ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَقاماتِ القُرْبَةِ لأَنَّ المُقَرَّبَ هُوَ مَنْ تَخَلَّلَتْ آثارُ الحَقِّ وُجُودَهُ ، ثُمَّ مَقامُ الحُبِّ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ عِبارَةٌ عَنِ المَقامِ المُحَمَّدِيِّ فِي المَناظِرِ الإِلَهِيَّة ، ومَقامُ الخِتامِ هُوَ اسْمٌ لِنِهايَةِ مَقامِ القُرْبَة ، ولا سَبِيلَ إِلَى نِهايَتِها ، لأَنَّ اللهَ تَعالَى لا نِهايَةَ لَهُ ، لَكِنَّ اسْمَ الخِتامِ مُنْسَحِبٌ عَلَى جَمِيعِ مَقاماتِ القُرْبَة ، فَمَنْ حَصَلَ

فِي مَقامِ القُرْبَةِ فَهُوَ خَتْمُ الأَوْلِياءِ ووارِثُ النَّبِيِّ فِي مَقامِ الخِتامِ ؛ لأَنَّ مَقامَ القُرْبَةِ هُوَ المَقامُ المَحْمُودُ والوَسِيلَةُ لِذَهابِ المُقَرَّبِ فِيها إِلَى حَيْثُ لا يَتَقَدَّمُهُ فِيها أَحَدٌ ، فَيَكُونُ هُوَ فَرْدٌ فِي تِلْكَ المَقاماتِ الإِلَهِيَّةِ ، ويَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ ذَلِكَ بِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وقَدْ أَشارَ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : (إِنَّ الوَسِيلَةَ أَعْلَى مَكانٍ فِي الجَنَّةِ ، ولا تَكُونُ إِلَّا لِواحِدٍ ، وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنا ذَلِكَ الرَّجُلَ) ؛ لأَنَّهُ ﷺ كانَ لَهُ البَدْءُ فِي الوُجُودِ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ الخِتامُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ[١] .

هُوَ نُورُ الأَنْوارِ أَصْلُ البَرايا ❁ حِينَ لا آدَمٌ وَلا حَوَّاءُ
هُوَ فَرْدٌ بِاللهِ وَالكُلُّ مِنْهُ ❁ لَيْسَ ثانٍ هُنا وَلَيْسَ ثُناءُ
مِنْهُ عَرْشٌ وَمِنْهُ فَرْشٌ وَمِنْهُ ❁ قَلَمٌ كاتِبٌ وَلَوْحٌ وَماءُ
مِنْهُ كُلُّ الأَفْلاكِ كانَتْ وَما دا ❁ رَتْ بِهِ وَالذَّواتُ وَالأَسْماءُ
مِنْهُ نُورُ النُّجُومِ وَالشَّمْسُ وَالبَدْ ❁ رُ وَمِثْلُ البَصائِرِ البُصَراءُ
فَهُوَ لِلْكُلِّ والِدٌ وَأَبُو الخَلْ ❁ قِ جَمِيعًا وَهُمْ لَهُ أَبْناءُ
رَحْمَةُ العالَمِينَ كُلٌّ نَصِيبًا ❁ نالَ لَكِنْ تَفاوَتَ الأَنْصِباءُ

---

(١) الإِنسانُ الكامل : عَبْدُ الكَرِيم الجِيلي ؛ وحَقَّقْتُهُ اسْتِجابَةً لإِشارَةِ أَخِي المُكاشِفِ الوَلِي / الدكتور مِدْحَت الجِدْي ، وهُوَ بابٌ مِنْ أَبْوابِ القُطْبِ العَلَوِي والشَّرِيفِ النَّبَوِي سَيِّدِي أَحْمَد البَدَوِي .

البَيانُ الجَلِيُّ

الرَّوْضُ الجَنِيُّ والعَرْفُ الشَّذِيُّ

مَنْقَبَةُ الصِّدِّيقِ يُعْلِنُها الإِمامُ عَلِيٌّ

وهِيَ خُطْبَةُ الإِمامِ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - حِينَ وَقَفَ عَلَى بابِ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه يَوْمَ وَفاتِهِ قائِلًا :

(رَحِمَكَ اللهُ يا أَبا بَكْرٍ ، كُنْتَ إِلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وأَنِيسَهُ ومُسْتَراحَهُ وثِقَتَهُ ومَوْضِعَ سِرِّهِ ومُشاوَرَتِهِ ، وكُنْتَ أَوَّلَ القَوْمِ إِسْلامًا ، وأَخْلَصَهُمْ إِيمانًا ، وأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وأَعْظَمَهُمْ غَناءً ، وأَحْفَظَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وأَنْسَبَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ خُلُقًا وفَضْلًا وهَدْيًا وسَمْتًا ، فَجَزاكَ اللهُ عَنِ الإِسْلامِ وعَنْ رَسُولِ اللهِ وعَنِ المُسْلِمِينَ خَيْرًا ؛ صَدَّقْتَ رَسُولَ اللهِ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، وواسَيْتَهُ حِينَ بَخِلُوا ، وقُمْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وأَسْماكَ اللهُ فِي كِتابِهِ صِدِّيقًا :

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ؛ يُرِيدُ مُحَمَّدًا ويُرِيدُكَ ، وكُنْتَ واللهِ لِلإِسْلامِ حِصْنًا وعَلَى الكافِرِينَ عَذابًا ، لَمْ تَفْلُلْ حُجَّتُكَ ، ولَمْ تَضْعُفْ بَصِيرَتُكَ ، ولَمْ تَجْبُنْ نَفْسُكَ ، وكُنْتَ كالجَبَلِ الَّذِي لا تُحَرِّكُهُ العَواصِفُ ، كُنْتَ كَما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

فِي مَقام القُرْبَةِ فَهُوَ خَتْمُ الأَوْلِياءِ ووارِثُ النَّبِيِّ فِي مَقام الخِتام ؛ لأَنَّ مَقامَ القُرْبَةِ هُوَ المَقامُ المَحْمُودُ والوَسِيلَةُ لِذَهابِ المُقَرَّب فِيها إِلَى حَيْثُ لا يَتَقَدَّمُهُ فِيها أَحَدٌ ، فَيَكُونُ هُوَ فَرْدٌ فِي تِلْكَ المَقاماتِ الإِلَهِيَّةِ ، ويَنْبَغِي أَنْ يُعْتَقَدَ ذَلِك بِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وقَدْ أَشارَ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِه : (إِنَّ الوَسِيلَةَ أَعْلَى مَكانٍ فِي الجَنَّة ، ولا تَكُونُ إِلَّا لِواحِد ، وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنا ذَلِكَ الرَّجُل) ؛ لأَنَّهُ ﷺ كانَ لَهُ البَدْءُ فِي الوُجُود ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ الخِتامُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام[1] .

هُوَ نُورُ الأَنْوارِ أَصْلُ الْبَرَايا ۞ حِينَ لا آدَمٌ وَلا حَوَّاءُ
هُوَ فَرْدٌ بِاللهِ وَالْكُلُّ مِنْهُ ۞ لَيْسَ ثَانٍ هُنَا وَلَيْسَ ثُنَاءُ
مِنْهُ عَرْشٌ وَمِنْهُ فَرْشٌ وَمِنْهُ ۞ قَلَمٌ كَاتِبٌ وَلَوْحٌ وَمَاءُ
مِنْهُ كُلُّ الأَفْلاكِ كَانَتْ وَمَا دَا ۞ رَتْ بِهِ وَالذَّوَاتُ وَالأَسْمَاءُ
مِنْهُ نُورُ النُّجُومِ وَالشَّمْسُ وَالْبَدْ ۞ رُ وَمِثْلُ الْبَصَائِرِ الْبُصَرَاءُ
فَهْوَ لِلْكُلِّ وَالِدٌ وَأَبُو الْخَلْـ ۞ ـقِ جَمِيعًا وَهُمْ لَهُ أَبْنَاءُ
رَحْمَةُ الْعَالَمِينَ كُلٌّ نَصِيبًا ۞ نَالَ لَكِنْ تَفَاوَتَ الأَنْصِبَاءُ

(١) الإنسانُ الكامِل : عَبْدُ الكَرِيم الجِيلِي ؛ وحَقَّقْتُهُ اسْتِجابَةً لإِشارَةِ أَخِي المُكاشِفِ الوَلِي / الدكتور مدْحَت الجِدْي ، وهُوَ بابٌ مِنْ أَبْوابِ القُطْبِ العَلَوِي والشَّرِيفِ النَّبَوِي سَيِّدِي أَحْمَد البَدَوِي .

البَيانُ الجَلِيُّ

الرَّوْضُ الجَنِيُّ والعَرْفُ الشَّذِيُّ

مَنْقَبَةُ الصِّدِّيقِ يُعْلِنُها الإِمامُ عَلِيٌّ

وهِيَ خُطْبَةُ الإِمامِ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - حِينَ وَقَفَ عَلَى بابِ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه يَوْمَ وَفاتِهِ قائِلًا :

(رَحِمَكَ اللهُ يا أَبا بَكْرٍ ، كُنْتَ إِلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وأَنِيسَهُ ومُسْتَراحَهُ وثِقَتَهُ ومَوْضِعَ سِرِّهِ ومُشاوَرَتِه ، وكُنْتَ أَوَّلَ القَوْمِ إِسْلامًا ، وأَخْلَصَهُمْ إِيمانًا ، وأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وأَعْظَمَهُمْ غَناءً ، وأَحْفَظَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وأَنْسَبَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ خُلُقًا وفَضْلًا وهَدْيًا وسَمْتًا ، فَجَزاكَ اللهُ عَنِ الإِسْلامِ وعَنْ رَسُولِ اللهِ وعَنِ المُسْلِمِينَ خَيْرًا ؛ صَدَّقْتَ رَسُولَ اللهِ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، وواسَيْتَهُ حِينَ بَخِلُوا ، وقُمْتَ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وأَسْماكَ اللهُ فِي كِتابِهِ صِدِّيقًا :

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ؛ يُرِيدُ مُحَمَّدًا ويُرِيدُكَ ، وكُنْتَ واللهِ لِلإِسْلامِ حِصْنًا وعَلَى الكافِرِينَ عَذابًا ، لَمْ تَفْلُلْ حُجَّتُكَ ، ولَمْ تَضْعُفْ بَصِيرَتُكَ ، ولَمْ تَجْبُنْ نَفْسُكَ ، وكُنْتَ كالجَبَلِ الَّذِي لا تُحَرِّكُهُ العَواصِفُ ، كُنْتَ كَما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ اللهِ ، مُتَواضِعًا فِي نَفْسِكَ ، عَظِيمًا عِنْدَ اللهِ ، جَلِيلًا فِي الأَرْضِ ، كَبِيرًا عِنْدَ المُؤْمِنِينَ ، ولَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ عِنْدَكَ مَطْمَعٌ ، ولا لأَحَدٍ عِنْدَكَ هَوادَةٌ ، فالقَوِيُّ عِنْدَكَ ضَعِيفٌ حَتَّى تَأْخُذَ الحَقَّ مِنْهُ ، والضَّعِيفُ عِنْدَكَ قَوِيٌّ حَتَّى تَأْخُذَ الحَقَّ لَهُ ، فَلا حَرَمَنا اللهُ أَجْرَكَ ولا أَضَلَّنا بَعْدَكَ) .

• أَسْنَدَ الإمامُ عَلِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قالَ : (ما ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى عَرَّفَنا أَنَّ أَفْضَلَنا بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وما ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى عَرَّفَنا أَنَّ أَفْضَلَنا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ ، وما ماتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى عَرَّفَنا أَنَّ أَفْضَلَنا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَجُلٌ آخَرُ لَمْ يُسَمِّهِ)[١] .

قالَ صاحِبُ كِتابِ (الحُجَّة)[٢] ، بَعْدَما ذَكَرَ إِسْنادَهُ : (تَأَمَّلْ سَنَدَ هذا الحَدِيثِ ، فَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الأَسانِيدِ وأَفْضَلِها ؛ لِشُهْرَةِ رِجالِهِ وإِتْقانِهِمْ وضَبْطِهِمْ ومَوْضِعِهِمْ مِنَ الحِفْظِ وشُهْرَتِهِمْ بِالعَدالَةِ) .

وبِذَلِكَ يَتَّضِحُ أَنَّ الأَخْبارَ المَوْقُوفَةَ عَلَى الإمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي تَخْيِيرِ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وتَفْضِيلِهِ كَثِيرَةٌ ؛ فَمِنْها ما رُوِيَ عَنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ أَمَرَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالاقْتِداءِ بِهِمْ ووَصَفَهُمْ

(١) السُّنَّة : ابنُ أَبِي عاصِم ، وتارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر .
(٢) الحُجَّة : إِسْماعِيلُ بنُ مُحَمَّد الأَصْبَهانِي (ت : ٥٣٥ هـ) .

بِأَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ وأَمَرَنا عِنْدَ اضْطِرابِ الآراءِ وتَشَتُّتِ الأَهْواءِ أَنْ نَتَمَسَّكَ بِما كانُوا عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ سُئِلَ حِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ : (فِي آخِرِ الزَّمانِ يَكُونُ دُعاةٌ عَلَى أَبْوابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجابَهُمْ قَذَفُوهُ فِيها) ، قالُوا : ما نَأْخُذُ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : (عَلَيْكَ بِالجَماعَةِ) ، قالُوا : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ جَماعَةٌ ، قالَ ﷺ : (ما أَنا عَلَيْهِ وأَصْحابِي)[١] .

فالصَّحابَةُ رضي الله عنهم كُلُّهُمْ عُدُولٌ بِتَزْكِيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وثَناءِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ .

بَيانُ دُخُولِ أَهْلِ الصِّدْقِ والعِرْفانِ عَلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ العَدْنان

أَتَيْتُكَ بِالصِّدِّيقِ أَرْجُوكَ نَظْرَةً ❁ وبِالسَّيِّدِ الْفارُوقِ وَفِّ كَرامَتِي
بِعُثْمانَ ذِي النُّورَيْنِ جِئْتُكَ سَيِّدِي ❁ بِجاهِكَ يا مَوْلايَ أَدْرِكْ حاجَتِي
بِبَحْرِ عُلُومِ الْحَقِّ بَحْرِ جَنابِكُمْ ❁ وَمَنْ هُوَ سَيْفُ اللهِ بَحْرُ الفُتُوَّةِ
أَبُو الْحَسَنَيْنِ الطّاهِرَيْنِ الَّذِي سَما ❁ عَلِيُّ الَّذِي أَحْيا عُلُومَ الْحَقِيقَةِ
بِحَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ وَالآلِ كُلِّهِمْ ❁ بِأَنْصارِكَ الرّاقِينَ أَرْقَى مَكانَةِ
بِمَنْ هاجَرُوا لِلهِ يَبْغُونَ فَضْلَهُ ❁ بِبَدْرٍ وَأُحْدٍ وَالْكِرامِ الأَجِلَّةِ
وَبِالطّاهِراتِ الطَّيِّباتِ وَفَضْلِهِمْ ❁ وَمَنْ سَلَكُوا سُبُلَ الصَّفا وَالْهِدايَةِ

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

بَيانٌ وتِبْيانٌ عمَّا لآلِ البَيْتِ فِي الوِجْدان
ويَخْتَلِجُ فِي الجَنانِ فَيَلْهَجُ بِهِ اللِّسان

أَبِيتُ أُناجِي اللَّيْلَ واللَّيْلُ مُسْدِلٌ ❁ عَلَيَّ سِتَارًا إِنَّمَا أَنَا مُنْزَلُ[1]
بِمَنْزِلِ قَوْمٍ لا يَضِلُّ جَلِيسُهُمْ ❁ لَهُمْ فِي فُؤَادِي مَرْكَزٌ ومُؤَمَّلُ
يَقُولُونَ مَنْ هُمْ ؟ قُلْتُ : آلُ مُحَمَّدٍ ❁ هُمُ ثِقَتِي رُوحِي لَهُمْ تَتَبَتَّلُ
وَحُبُّهُمُ فَرْضٌ عَلَى الكُلِّ وَاجِبٌ ❁ بِنَصِّ حَدِيثٍ لِلْبَرِيَّةِ يَشْمَلُ
وَمَعْنَاهُ أَنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الْهُدَىٰ ❁ كِتَابٌ وَأَهْلِي عِتْرَتِي فَهْوَ أَشْمَلُ
إِذَا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِ إِنَّ حَبْلَكُمْ ❁ إِلَى يَوْمِ لُقْيَا اللهِ سَامٍ مُفَتَّلُ
وَهَذَا نَسِيمُ الصُّبْحِ يُشْرِقُ بِاسْمِهِمْ ❁ عَلَيَّ وَنَفْسِي عِنْدَهُمْ تَتَجَمَّلُ
إِذَا اتَّخَذُوا جَاهَ الْمُلُوكِ وَسِيلَةً ❁ فَإِنِّي بِأَهْلِ الْمُصْطَفَىٰ مُتَوَسِّلُ
عَلَيَّ بِهِمْ مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِنْ أَمُتْ ❁ يُؤَانِسُنِي مِنْهُمْ ضِيَاءٌ مُجَمَّلُ
عَكَفْتُ عَلَيْهِمْ لَسْتُ أَبْغِي بِذَاتِهِمْ ❁ بَدِيلًا وَهَلْ فِيهِمُ مِنَ الْخَلْقِ مُبْدَلُ
وَآتِي بِأَصْحَابِي إِلَى بَابِ عِزِّهِمْ ❁ يُقَالُ لَنَا تَحْتَ السِّتَارِ : أَلا ادْخُلُوا
وَأَبْوَابُهُمْ قَالُوا لِيَ ادْخُلْ دَخَلْتُهَا ❁ وَمَا كُلُّ مَنْ بِالْبَابِ بِالْحَظِّ يَدْخُلُ
وَأَعْتَابُهُمْ مِنْ فَوْقِ خَدِّي نَسِيمُهَا ❁ كَأَنِّي بِدَارِ الْخُلْدِ إِذْ أَنَا أَنْهَلُ

(١) لِسانُ أَهْلِ الفَضْلِ والوَصْل : الشَّيْخُ عَلِي عَقْل .

وتَيَمُّنًا بِبابِ مَدِينَةِ عُلُومِ النَّبِيِّ المُخْتار ﷺ
هَذا بَيانٌ بِوَمْضَةٍ مِنْ سَنا أَشْعارِ الإِمامِ عَلِيٍّ الكَرّار رضي الله عنه

قِيمَةُ العِلْم

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ الآبَاءِ أَكْفَاءُ ❁ أَبُوهُمُ آدَمٌ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ
وَإِنَّمَا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ ❁ مُسْتَوْدَعَاتٌ وَلِلْأَحْسَابِ آبَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرَفٌ ❁ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ❁ عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ
وَقِيمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ ❁ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَقُمْ بِعِلْمٍ وَلا تَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا ❁ فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

الإِنْسانُ مُسَيَّرٌ فِي عَيْنِ اخْتِيارِه

وَكَمْ سَاعٍ لِيُثْرِيَ لَمْ يَنَلْهُ ❁ وَآخَرُ مَا سَعَى نَالَ الثَّرَاءَ
وَسَاعٍ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ جَمْعًا ❁ لِيُورِثَهَا أَعَادِيهِ شَقَاءَ
وَمَا سِيَّانِ ذُو خُبْرٍ بَصِيرٌ ❁ وَآخَرُ جَاهِلٌ لَيْسُوا سَوَاءَ
وَمَنْ يَسْتَعْتِبِ الْحَدَثَانِ يَوْمًا ❁ يَكُنْ ذَاكَ الْعِتَابُ لَهُ عَنَاءَ
وَيُزْرِي بِالْفَتَى الْإِعْدَامُ حَتَّى ❁ مَتَى يُصِبِ الْمَقَالَ يَقُلْ : أَسَاءَ

تَذْكِيرٌ بِاللهِ ، لابْنِهِ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

أَحُسَيْنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ ۞ فَافْهَمْ فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الْمُتَأَدِّبُ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ ۞ يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلا تَعْطَبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ ۞ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
لا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا ۞ وَتُقَى إِلَهِكَ فَاجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ الْإِلَهُ لِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ ۞ وَالْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ نَاظِرٍ ۞ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبَّبُ
وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا ۞ وَالطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ ۞ فَمَنِ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ
فَاقْرَأْ كِتَابَ اللهِ جَهْدَكَ وَاتْلُهُ ۞ فِيمَنْ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ وَيَنْصَبُ
بِتَفَكُّرٍ وَتَخَشُّعٍ وَتَقَرُّبٍ ۞ إِنَّ الْمُقَرَّبَ عِنْدَهُ الْمُتَقَرِّبُ
وَاعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا ۞ وَانْصِتْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعْظِيَّةٍ ۞ تَصِفُ الْعَذَابَ فَقِفْ وَدَمْعُكَ يُسْكَبُ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ۞ لا تَجْعَلَنِّي فِي الَّذِينَ تُعَذِّبُ
إِنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي ۞ هَرَبًا إِلَيْكَ وَلَيْسَ دُونَكَ مَهْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا ۞ وَصْفُ الْوَسِيلَةِ وَالنَّعِيمُ الْمُعْجِبُ
فَاسْأَلْ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا ۞ دَارَ الْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ

دُرَرٌ مَنْثُورَةٌ ... لِذَوِي الحَظِّ مَيْسُورَة

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ ۞ فَلا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبْ
فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ۞ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبْ

يُغَطِّي عُيُوبَ الْمَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ ۞ يُصَدَّقُ فِيمَا قَالَ وَهْوَ كَذُوبُ
وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ ۞ يُحَمِّقُهُ الْأَقْوَامُ وَهْوَ لَبِيبُ

أَدَّبْتُ نَفْسِي فَمَا وَجَدْتُ لَهَا ۞ بِغَيْرِ تَقْوَى الْإِلَهِ مِنْ أَدَبِ
فِي كُلِّ حَالاتِهَا وَإِنْ قَصُرَتْ ۞ أَفْضَلَ مِنْ صَمْتِهَا عَلَى الْكُرَبِ
وَغِيبَةِ النَّاسِ إِنَّ غِيبَتَهُمْ ۞ حَرَّمَهَا ذُو الْجَلالِ فِي الْكُتُبِ
إِنْ كَانَ مِنْ فِضَّةٍ كَلامُكِ يَا ۞ نَفْسُ فَإِنَّ السُّكُوتَ مِنْ ذَهَبِ

إِذَا عَاشَ الْفَتَى سِتِّينَ عَامًا ۞ فَنِصْفُ الْعُمْرِ تَمْحَقُهُ اللَّيَالِي
وَنِصْفُ النِّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي ۞ لِغَفْلَتِهِ يَمِينًا مَعْ شِمَالِ
وَثُلْثُ النِّصْفِ آمَالٌ وَحِرْصٌ ۞ وَشُغْلٌ بِالْمَكَاسِبِ وَالْعِيَالِ
وَبَاقِي الْعُمْرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ ۞ وَهَمٌّ بِارْتِحَالٍ وَانْتِقَالِ
فَحُبُّ الْمَرْءِ طُولَ الْعُمْرِ جَهْلٌ ۞ وَقِسْمَتُهُ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ

سَلِّمْ .. تَسْلَمْ

هِيَ حَالانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءُ ❁ وَسِجَالانِ نِعْمَةٌ وَبَلاءُ
وَالْفَتَى الْحَاذِقُ الأَرِيبُ إِذَا مَا ❁ خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخُنْهُ عَزَاءُ
إِنْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ بِي فَإِنِّي ❁ فِي الْمُلِمَّاتِ صَخْرَةٌ صَمَّاءُ
عَالِمٌ بِالْبَلاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْـ ❁ ـسَ نَعِيمٌ بِدَائِمٍ أَوْ رَخَاءُ

إِذَا عَقَدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ أَمْرًا ❁ فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا الْقَضَاءُ
فَمَا لَكَ قَدْ أَقَمْتَ بِدَارِ ذُلٍّ ❁ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ فَضَاءُ
تَبَلَّغْ بِالْيَسِيرِ فَكُلُّ شَيْءٍ ❁ مِنَ الدُّنْيَا يَكُونُ لَهُ انْتِهَاءُ

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّمَا ❁ مَضَى نَفَسٌ أَنْقَصْتَ مِنْهَا بِهِ جُزْءَا
وَيُحْيِيكَ مَا يُفْنِيكَ فِي كُلِّ حَالَةٍ ❁ وَيَحْدُوكَ حَادٍ مَا يُرِيدُ بِكَ الْهُزْءَا
فَتُصْبِحُ فِي نَفْسٍ وَتُمْسِي بِغَيْرِهَا ❁ وَمَالَكَ مِنْ عَقْلٍ تُحِسُّ بِهِ رُزْءَا

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّي ❁ وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلاءِ
تَجِئْكَ بِمِلْئِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا ❁ تَجِئْكَ بِحَمْأَةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

نَصِيحَةُ نَصُوح

وَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحِلَّ بِأَرْضِهَا ❁ وَتَنَالَ رُوحَ مَسَاكِنٍ لا تَخْرَبُ
وَتَنَالَ عَيْشًا لا انْقِطَاعَ لِوَقْتِهِ ❁ وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لا تُسْلَبُ
بَادِرْ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ ❁ خَوْفَ الْغَوَايَةِ إِذْ تَجِيءُ وَتَغْلِبُ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَاغْمِضْ لَهُ ❁ وَتَجَنَّبِ الأَمْرَ الَّذِي يُتَجَنَّبُ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيقِ وَكُنْ لَهُ ❁ كَأَبٍ عَلَى أَوْلادِهِ يَتَحَدَّبُ
وَالضَّيْفَ أَكْرِمْ مَا اسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ ❁ حَتَّى يَعُدَّكَ وَارِثًا يَتَنَسَّبُ
وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ ❁ حَفِظَ الإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يُضْرَبُ
وَاطْلُبْهُمُ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ ❁ وَدَعِ الْكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ
وَاحْفَظْ صَدِيقَكَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ❁ وَعَلَيْكَ بِالْمَرْءِ الَّذِي لا يَكْذِبُ
وَاقْلِ الْكَذُوبَ وَقُرْبَهُ وَجِوَارَهُ ❁ إِنَّ الْكَذُوبَ مُلَطِّخٌ مَنْ يَصْحَبُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَى بِلِسَانِهِ ❁ وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ
وَاحْذَرْ ذَوِي الْمَلَقِ اللِّئَامِ فَإِنَّهُمْ ❁ فِي النَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَخْطُبُ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَرْءِ مَا طَمِعُوا بِهِ ❁ وَإِذَا نَبَا دَهْرٌ جَفَوْا وَتَغَيَّبُوا
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ طَلَبْتَ نَصِيحَتِي ❁ وَالنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

بَيانُ أَنَّ ما تُبارِكُهُ جُمُوعُ الصُّوفِيَّةِ مِنْ إِحْياءٍ لِذِكْرَى الصَّالِحِينَ (ويُعْرَفُ بالمَوالِد)

هُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّكافُلِ الاجْتِماعِيِّ ويَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى المُجْتَمَعِ (بِكَثِيرٍ مِنَ الفَوائِد)

مِنَ الوِجْهَةِ العامَّة :

كُلُّ عَمَلٍ يَعُودُ عَلَى المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ بالخَيْرِ، ولا يُخالِفُ نَصًّا صَرِيحًا فِي الدِّين ، ولا مَعْلُومًا مِنَ الدينِ بالضَّرُورَةِ لا يَمْنَعُهُ الإِسْلامُ ، فَإِنَّ هَدَفَ الإِسْلامِ هُوَ صالِحُ الإِنْسانِيَّةِ وسَعادَةُ البَشَرِيَّةِ أَوَّلًا وأَخِيرًا، وحَيْثُما كانَتِ المَصْلَحَةُ فَثَمَّ شَرْعُ الله .

ولَمَّا كانَ الأَصْلُ فِي إِقامَةِ المَوالِدِ هُوَ الاعْتِبارُ بِسِيرَةِ صاحِبِ المَوْلِدِ ، والانْتِفاعُ بِذِكْراهُ ، واسْتِثْمارُ فُرْصَةِ التَّجَمُّعِ للتَّعارُفِ والتَّعاوُنِ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ، والانْصِرافُ إِلَى اللهِ بِذِكْرِهِ والتَّعَبُّدِ لَهُ ، والاسْتِماعُ إِلَى الوَعْظِ والقُرْآنِ ، وإِخْراجُ الصَّدَقاتِ (وهِيَ نَوْعٌ مِنَ الشُّكْرِ الجَماعِيِّ لِلّهِ تَعالَى عَلَى تَفَضُّلِهِ بِمَنْ جَعَلَ ذِكْرَياتِ مَوالِدِهِمْ هَذِهِ خَيْرًا عَلَى المُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ ودُنْياهُم) .

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ التَّجَمُّعاتِ إِنَّما هِيَ مُؤْتَمراتٌ لِتَدارُسِ شُؤُونِ المُسْلِمِينَ

مَحَلِّيًّا وعالَمِيًّا ، فَهِيَ أَسْواقٌ دِينِيَّةٌ جامِعَةٌ لِمَطالِبِ العُقُولِ والقُلُوبِ بالإِضافَةِ إِلَى تَنْشِيطِ الحَرَكَةِ الاقْتِصادِيَّةِ والاجْتِماعِيَّةِ والتَّرْوِيحِيَّةِ النَّظِيفَة .

لَمَّا كانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ نَدَبَ الإِسْلامُ إِلَى هَذِهِ الخَدَماتِ المُبارَكَةِ [١] ، ولِكُلٍّ مِنها أَدِلَّتُها ، فَمَثَلًا : الوَعْظُ مَطْلُوبٌ شَرْعًا، والقُرْآنُ مَطْلُوبٌ شَرْعًا، والذِّكْرُ مَطْلُوبٌ شَرْعًا ، والبَذْلُ مَطْلُوبٌ شَرْعًا ، والتَّعارُفُ مَطْلُوبٌ شَرْعًا ، وكَذَلِكَ التَّلاقِي فِي اللهِ ، والتَّراحُمُ والتَّعاطُفُ والتَّهادِي والحُبُّ .

وإِذا كانَتْ أَفْرادُ الشَّيْءِ مَطْلُوبَةً آحادًا ، كانَ اجْتِماعُها أَتَمَّ وأَنْفَعَ ، وأَدْخَلَ فِي المَشْرُوعِيَّة .

ولَمْ يُعْرَفْ فِي تارِيخِ الإِسْلامِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ المَعانِي الصَّالِحَةِ والشَّامِلَةِ ، ولَوْ باعْتِبارِ أَنَّها عاداتٌ مُجَرَّدَة .

مِنَ الوِجْهَةِ المَدَنِيَّة :

ومِنْ هُنا اهْتَمَّتِ الأُمَمُ عَلَى اخْتِلافِ أَدْيانِها وعَقائِدِها بِإِحْياءِ ذِكْرَياتِ أَبْطالِها الدِّينِيِّينَ والمَدَنِيِّينَ بَلْ وإِحْياءِ ذِكْرَياتِ أَيَّامِها الخَوالِدِ ، لِما

(١) يَقُولُ الشَّيْخُ (المُبَشِّرُ الطِّرازِي) شَيْخُ الإِسْلامِ السَّابِقُ فِي تُرْكُسْتان : إِنَّ الاحْتِفالَ بِذِكْرَى المَوْلِدِ النَّبَوِيِّ أَصْبَحَ واجِبًا أَساسِيًّا لِمُواجَهَةِ ما اسْتَجَدَّ مِنَ الاحْتِفالاتِ الضَّارَّةِ فِي هَذِهِ الأَيَّام .

فِي ذَلِكَ مِنَ التَّرْبِيَةِ النَّفْسِيَّةِ ، والتَّوْجِيهِ ، وتَرْكِيزِ المَبادِئِ والمَذاهِبِ الَّتِي تُؤمِنُ بِها الأُمَمُ .

وقَدْ رَأَيْنا الأُمَمَ الَّتِي يَفْتَقِرُ تارِيخُها إِلَى الذِّكْرَياتِ والأَبْطالِ ، تَخْلُقُ لَها ذِكْرَياتٍ وأَبْطالًا أُسْطُورِيِّينَ لِتُشْبِعَ الرَّغْبَةَ الفِطْرِيَّةَ فِي الاعْتِزازِ بِالسَّلَفِ والقُدْوَةِ بِهِمْ .

فَإِحْياءُ هَذِهِ الذِّكْرَياتِ المُبارَكَةِ سُنَّةٌ إِنْسانِيَّةٌ مِنْ أُصُولِ طَبائِعِ الأُمَمِ وضَرُورَةٌ مِنْ ضَرُوراتِ المُجْتَمَعِ لِلتَّنْفِيسِ والتَّرْوِيحِ المُحَبَّبِ ، ومُناسَبَةٌ ناجِحَةٌ مِنْ مُناسَباتِ الانْتِعاشِ الثَّقافِي والتِّجارِي والعِلْمِي والرُّوحِي والاجْتِماعِي والنَّفْسانِي .

الأَحْكامُ الدِّينِيَّة :

(أَوَّلًا) : يُمْكِنُ الاسْتِئْناسُ فِي النَّدْبِ إِلَى الاهْتِمامِ بِهَذِهِ الذِّكْرَياتِ بَلِ اسْتِحْسانُها بِقَوْلِهِ تَعالَى :

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ﴾ [1] وفِي اخْتِصاصِ يَوْمِ وِلادَةِ هَذا النَّبِيِّ بِالذِّكْرِ ، وطَلَبِ السَّلامِ فِيهِ عَلَى لِسانِ الحَقِّ ، ثُمَّ تَكْرارِ ذِكْرِهِ عَلَى لِسانِ الخَلْقِ : ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [2] ،

(١) سُورَةُ مَرْيَم : مِنَ الآيَة ١٥ . (٢) سُورَةُ مَرْيَم : الآيَة ٣٣ .

دَلالَةٌ عُظْمَى وتَوْجِيهٌ ومُبارَكَةٌ صَرِيحَةٌ عَلَى لِسانِ الحَقِّ مُؤَكَّدَةٌ عَلَى لِسانِ صَفِيٍّ مِنْ صَفْوَةِ الخَلْقِ ، فَكَيْفَ إِذا كانَتْ وِلادَةُ إِنْسانٍ سَبَقَ فِي العِلْمِ القَدِيمِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي حَياةِ النَّاسِ أَثَرٌ ، قَدْ تَتَغَيَّرُ بِسَبَبِهِ صُورَةُ المُجْتَمَعِ فِي مادِّيَّاتِهِ ومَعْنَوِيَّاتِهِ ؟ وإِذا كانَتْ هَذِهِ المَنْزِلَةُ لِيَوْمِ (الوِلادَةِ) فَلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِيَوْمِ (الوَفاةِ) مَنْزِلَتُهُ وخُطُورَتُهُ التَّالِيَةُ، وإِذا كانَ هَذا بِالنِّسْبَةِ لِلنَّبِيِّ بِوَصْفِهِ (داعِيَةَ الإِصْلاحِ الشَّامِلِ) فَهُوَ كَذَلِكَ لِمَنِ اسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ ، وانْتَهَجَ هَدْيَهُ مِنْ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِين .

(ثانِيًا) : ولَقَدْ كانَ الحَبِيبُ الأَعْظَمُ ﷺ يُحْيِي بِشَخْصِهِ الكَرِيمِ ذِكْرَى مَوْلِدِهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً (لا فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً) وذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يُلازِمُ صِيامَ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ ، كَما ثَبَتَ فِي أَكْثَرَ مِنْ حَدِيثٍ شَرِيفٍ فَسُئِلَ فِي هَذا، فَقالَ ﷺ : (هُوَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وأُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ) فَكانَ صَوْمُهُ ﷺ لِهَذا اليَوْمِ شُكْرًا لِلهِ ، نَوْعًا مِنْ إِحْياءِ ذِكْرَى مَوْلِدِهِ ، وتَوْجِيهًا إِلَى مَنْزِلَةِ هَذا اليَوْمِ ، وحَثًّا عَلَى الاهْتِمامِ بِشَأْنِهِ لا شَكَّ فِي ذَلِكَ .

(ثالِثًا) : ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ ما وَرَدَ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ ، مِنْ أَنَّهُ ﷺ ذَبَحَ فِي آخِرِ حَجَّةٍ لَهُ بِعَدَدِ سَنَواتِ عُمْرِهِ مِنَ الإِبِلِ (وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ ذَبَحَ ثَلاثًا وسِتِّينَ بَدَنَةً (ناقَةً) فِي هَذا اليَوْمِ) ، ثُمَّ إِنَّ فِي اهْتِمامِ النَّبِيِّ ﷺ

بإحْياءِ (سُبُوع) المَوْلُودِ ، تَوْجِيهٌ إِلَى تَقْدِيرِ يَوْمِ الوِلادَةِ كَذَلِكَ ، وعَمَلِ ما يُذَكِّرُ بِهِ وما يَكُونُ شُكْرًا للهِ عَلَيْهِ (فَلَوْلا اليَوْمُ الأَوَّلُ ما كانَ اليَوْم السَّابِعُ) !! .

(رابعًا) : يُؤْخَذُ مِنْ تَوْجِيهِهِ ﷺ إِلَى صِيامِ يَوْمِ عاشُوراء (لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَ فِيهِ سَيِّدَنا مُوسَى عليه السلام عَلَى فِرْعَوْنَ) جوازُ إحْياءِ ذِكْرَياتِ (أَيَّامِ اللهِ) بما يُرْضِي اللهَ ، كما قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ (١) ، كَما كانَ ﷺ يَصُومُ يَوْمَ الإثْنَيْنِ لأَنَّهُ كانَ أَوَّلَ أَيَّام نُزُولِ الوَحْي عَلَيْهِ بالإضافَةِ إِلَى أَنَّهُ كانَ يَوْمَ مَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ ، فَهُوَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللهِ .

فَهَذِهِ جَمِيعًا نُصُوصٌ لا تَرْتَقِي إِلَيْها المُعارَضَةُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ إحْياءِ ذِكْرَياتِ المَوالِدِ ، وأَيَّامِ اللهِ بما يُحِبُّ اللهُ ويَرْضَى .

(خامسًا) : إرْسالُ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ كانَ رَحْمَةً مِنَ اللهِ للعالَمِينَ كَما صَرَّحَ بِهِ القُرْآنُ الكَرِيمُ وكانَ فَضْلًا مِنْهُ تَعالَى عَلَى الأَكْوانِ كُلِّها .

وقَدْ قالَ تَعالَى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ (٢) .

والاحْتِفالُ بِهَذِهِ الذِّكْرَى نَوْعٌ مِنَ الفَرَحِ بِرَحْمَةِ اللهِ وبِفَضْلِهِ ، فَهُوَ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ الحَنِيفُ .

(١) سُورَةُ إبْراهِيم : مِنَ الآيَة ٥ . (٢) سُورَةُ يُونُس : مِنَ الآيَة ٥٨ .

(سادِسًا) : إنَّ اللهَ أَمَرَنا بالشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ ، ولَيْسَ أَكْرَمَ مِنْ نِعْمَةِ بَعْثِ هَذا النَّبِيِّ العَظِيمِ ﷺ فَشُكْرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ واجِبٌ ، والاحْتِفالُ بِذِكْراهُ ﷺ نَوْعٌ مِنَ الشُّكْرِ الجَماعِي مُضافًا إِلَى الشُّكْرِ الفَرْدِي .

(سابِعًا) : ذَكَرَ اللهُ تَعالَى كَثِيرًا مِنْ أَنْبِيائِهِ ، وبَعْضَ أَوْلِيائِهِ فِي كِتابِهِ الكَرِيمِ لِلذِّكْرَى والقُدْوَةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ (١) .

والاحْتِفالُ بِالمَوالِدِ تَذْكِيرٌ جَماعِيٌّ وقُدْوَةٌ جَماهِيرِيَّةٌ .

(ثامِنًا) : الإِسْلامُ دِينُ التَّجَمُّعِ والجَماعَةِ ، فَقَدْ دَعا إِلَى صَلاةِ الجَماعَةِ والجُمُعَةِ والعِيدَيْنِ والحَجِّ ، لِما فِي تَجَمُّعِ المُسْلِمِينَ مِنْ مَنافِعَ عِلْمِيَّةٍ وإِنْسانِيَّةٍ واجْتِماعِيَّةٍ وغَيْرِها .

وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ أَمَرَ (بِلالًا) رضي الله عنه أَنْ يُنادِيَ فِي النَّاسِ (الصَّلاةُ جامِعَةٌ) لِيُهْرَعُوا إِلَيْهِ بِجَمْعٍ ، فَيَخْطُبُهُمْ ﷺ فِيما اسْتَجَدَّ مِنَ الأَحْداثِ .

ومَعْنَى هَذا اسْتِحْبابُ دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الاجْتِماعِ كُلَّما كانَ هُناكَ خَيْرٌ يُرْجَى ، ولا شَكَّ فِي خَيْرِيَّةِ هَذا الاحْتِفالِ بِشُرُوطِهِ ، وتَوافُرِ أَسْبابِ كُلِّ خَيْرٍ دِينِيٍّ ودُنْيَوِيٍّ فِيهِ .

(١) سُورَةُ الأَنْعام : مِنَ الآيَة ٩٠ .

(تاسِعًا) : واللهُ يَقُولُ : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [1] ، فالدَّعْوَةُ إِلَى هَذا الاحْتِفالِ دَعْوَةٌ إِلَى الخَيْرِ فَهِيَ هُنا فَرْضُ كِفايَةٍ ، يَقُومُ بِهِ السَّادَةُ المُحْتَفِلُونَ عَنْ بَقِيَّةِ الأُمَّةِ .

(عاشِرًا) : واعْتِراضُ بَعْضِهِمْ بِأَنَّ هَذا اسْتِحْداثٌ لِعِيدٍ جَدِيدٍ (غَيْرِ عِيدَي الفِطْرِ السَّعِيدِ والأَضْحَى المُبارَكِ) مُغالَطَةٌ ، لاخْتِصاصِ هَذَيْنِ العِيدَيْنِ بِشَعائِرَ ومَعالِمَ لَيْسَتْ فِي هَذِهِ الاحْتِفالاتِ ، فَلَيْسَ فِي ذِكْرَياتِ المَوالِدِ صَلَواتُ عِيدٍ ولا تَكْبِيرٌ ولا غَيْرُهُ مِنْ خَصائِصِ الأَعْيادِ .

(حادِي عَشَر) : والاعْتِراضُ بِقَوْلِهِ ﷺ : (لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا) يَعْنِي لَهْوًا ولَعِبًا مَرْدُودٌ ، إِلَّا إِذا سَمَّيْنا تِلاوَةَ القُرْآنِ ، ومُدارَسَةَ العِلْمِ ، وأَنْواعَ العِبادَةِ ، وبَذْلَ الخَيْراتِ لَهْوًا أَوْ لَعِبًا .

وهُنا نُقَرِّرُ أَنَّهُ لا اعْتِبارَ لِما يَفْعَلُهُ الجَهَلَةُ مِنْ أَنْواعِ العَبَثِ ، فَهُوَ آفَةُ هَذِهِ المَحافِلِ ، ولا بُدَّ مِنْ كِفاحِهِ بِكُلِّ الوَسائِلِ ، ونَحْنُ هُنا نَتَحَدَّثُ عَنِ المَشْرُوعِ لا عَنِ المَمْنُوعِ .

فالمَشْرُوعُ تَعاوُنٌ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ، والمَمْنُوعُ تَعاوُنٌ عَلَى الإِثْمِ والعُدْوانِ ، وشَتَّانَ ما هُما .

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : مِنَ الآيَةِ ١٠٤ .

(ثانِي عَشَر) : وبَعْدُ : فَهَذِهِ كُلُّها ، وغَيْرُها كَثِيرَةٌ مِنْ دَلائِلِ مَشْرُوعِيَّةِ إِحْياءِ ذِكْرَياتِ مَوْلِدِ مَوْلانا رَسُولِ اللهِ المُصْطَفَى ﷺ ، ومَوالِدِ أَوْلِياءِ اللهِ الصَّالِحِينَ بِما يُحِبُّ اللهُ لِما فِيها مِنَ المَنافِعِ الَّتِي لا تُحْصَى .

ولا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ إِلَى الدَّعْوَى الَّتِي تَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ الفِكْرَةَ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً بِصُورَتِها الحالِيَّةِ فِي زَمَنِ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ ، فَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ الصَّحابَةُ يَكُونُ حَرامًا ، وإِلَّا كانَتْ مَعِيشَتُنا كُلُّها اليَوْمَ حَرامًا فِي حَرامٍ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا مِنْ حَياتِنا هَذِهِ عَلَى عَهْدِ الصَّحابَةِ واحِدٌ عَلَى مِائَةٍ ، وبِخاصَّةٍ ما كانَتِ العادَةُ فِيهِ أَغْلَبَ ، ونَحْنُ فِي أُمُورِ العادَةِ عَلَى ما نَشاءُ فِي الحَدِّ المَحْدُودِ ونُعِيدُ ونُكَرِّرُ أَنَّ مَقْصُودَنا مِنْ إِقامَةِ المَوالِدِ إِحْياؤُها عَلَى الصُّورَةِ المِثالِيَّةِ ، ومِنَ الأَذْكارِ إِقامَتُها عَلَى طَرِيقَتِها الشَّرْعِيَّةِ الصَّحِيحَةِ .

فَفِي إِحْياءِ المَوالِدِ بِصُورَتِها الصَّحِيحَةِ عَلاوَةً عَلَى أَنَّها أَجْواءٌ رُوحانِيَّةٌ يَسْتَرْوِحُ النَّاسُ فِيها رَوائِحَ الجَنَّةِ ، ويَسْتَشْرِفُونَ عَبَقَ الغَيْبِ الأَسْنَى ، ويَشْحَنُونَ قُلُوبَهُمْ بِالطَّاقاتِ الإِيمانِيَّةِ الهائِلَةِ ، عَلاوَةً عَلَى ذَلِكَ : فَهِيَ مَواسِمُ لِلبِرِّ يُقَدَّمُ فِيها الطَّعامُ ويُفْشَى السَّلامُ ، وتَنْتَشِرُ فِيها الثَّقافَةُ الإِسْلامِيَّةُ ، وتَنْشَطُ التِّجارَةُ وغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ المَنافِعِ .

يَلْتَقِي النَّاسُ فِي ساحَةِ المَوْلِدِ الَّتي يَحْتَفُونَ فِيها بِذِكْرَى الوَلِيِّ الصَّالِحِ عَلَى حُبٍّ ووُدٍّ فَيُحَقِّقُونَ صُورَةً مِنْ صُوَرِ الوَحْدَةِ واجْتماعِ القُلُوبِ الَّتي أَرادَ الإِسْلامُ أَنْ يُقِيمَها بِما فَرَضَهُ مِنْ شَعائِرِ الجَماعَةِ والجُمُعَةِ والحَجِّ .

وفِي لِقائِهِمْ هَذا وَصْلٌ للوُدِّ وإِحْياءٌ للحُبِّ وغَسْلٌ للقُلُوبِ مِنْ دَرَنِ التَّقاطُعِ والجَفاءِ ، كَما فِيها تَلاقُحٌ بَيْنَ الأَفْكارِ والخَواطِرِ والأَرْواحِ ، وقَدْ قالَ الصُّوفِيَّةُ : لِقاءُ الإِخْوانِ لِقاح ، ولِقاءُ الأَحِبَّة أَشْفَى مِنْ عَقاقِيرِ الأَطِبَّا .

وهَذا ما دَرَجَ عَلَيْهِ جُمُوعُ الأَحِبَّةِ مِنْ عُمُومِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّة ؛ مِنْ إِحْيائِهِمْ لَيالِي الوِصالِ بِمَوَدَّتِهِمْ للأَوْلِياءِ والآل ، وقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بِمُعَايَشَتِهِمْ أَعْوامًا عَدِيدَة ، فَما وَجَدْتُهُمْ إِلَّا وقَدْ تَوَقَّفَتْ حَرَكَةُ سَيْرِهِمْ بِمِيمِ مَرْكَزِهِمْ (**سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ**)[1] ، وعُيُونِ خُلَفائِهِ الأَرْبَعَة (**سادَتِي أَبُو بَكْر وعُمَرُ وعُثْمانُ وعَلِيٌّ**)[2] ، ومَنِ اتَّصَلَ بِهِمْ حِسْبَةً ونِسْبَةً ومَدَدًا .

وكَفانِي إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ أَنَّنِي مَعَهُمْ لِقَوْلِهِ ﷺ : (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) .

(١) ، (٢) **مِيمُ وعَيْنُ المَعِيَّة (د. سُنْدُس سَعْد)** .

الحَقُّ الصَّرِيح ، والحُكْمُ الصَّحِيح
بِمَشْرُوعِيَّةِ إِقامَةِ الضَّرِيح

شَهِدَ (الحَقُّ) عَزَّ وجَلَّ للصُّوفِيَّةِ بِالإِيمانِ وأَنَّه قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ لأَنَّهُمْ لا يَيْأَسُونَ مِنَ المَوْتَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[1] ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ المَوْتَ مَرْحَلَةٌ مِنْ مَراحِلِ السَّفَرِ الإِنْسانِيِّ الكادِحِ إِلَى الله ، فَالمَيِّتُ عِنْدَهُمْ حَيٌّ حَياةً بَرْزَخِيَّةً ، ولِلْمَيِّتِ عَلاقَةٌ أَكِيدَةٌ بِالحَيِّ ، بِما صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَحادِيثِ رَدِّ المَيِّتِ السَّلامَ عَلَى الزَّائِرِ ، ومَعْرِفَتِهِ ، وبِتَشْرِيعِ السَّلامِ عَلَى المَيِّتِ عِنْدَ قَبْرِهِ ، ومُحادَثَتِهِ ﷺ لِمَوْتَى (القَلِيبِ يَوْمَ بَدْرٍ) ، كَما وَرَدَتْ فِي عِدَّةِ أَحادِيثَ ثابِتَةٍ ، ومِنَ القُرْآنِ حَسْبُنا قَوْلُ رَبِّنا تَبارَكَ وتَعالَى :

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾[2] .

فَهُناكَ إِذَنْ عَلاقَةٌ مُوَصِّلَةٌ بَيْنَ الحَيِّ والمَيِّتِ ، وإِلَّا كانَ الدُّعاءُ والسَّلامُ عَلَى المَيِّتِ مُوَجَّهًا إِلَى الأَحْجار !!

وقَدْ ثَبَتَتْ زِيارَةُ الرَّسُولِ ﷺ لأَهْلِ البَقِيعِ ، وثَبَتَ سَلامُهُ ﷺ عَلَيْهِمْ ومُخاطَبَتُهُمْ والدُّعاءُ لَهُمْ .

(١) **سُورَةُ المُمْتَحَنَة : الآيَة ١٣** .
(٢) **سُورَةُ آلِ عِمْران : مِنَ الآيَة ١٧٠** .

ولله دَرُّ القائل :

لا تَقُولُوا الْمَوْتَ مَوْتٌ إِنَّهُ ۞ لَحَياةٌ وَهْوَ غاياتُ الْمُنَىٰ

لا تَرُعْكُمْ هَجْمَةُ المَوْتِ فَمَا ۞ هِيَ إِلَّا نَقْلَةٌ مِنْ ها هُنا

والصُّوفِيَّةُ يَعْتَقِدُونَ بِحَق : أَنَّ الوَلِيَّ فِي الدُّنْيا وَلِيٌّ بِخَصائِصِهِ الرُّوحِيَّةِ ، ومَواهِبِهِ الرَّبَّانِيَّةِ ، والخَصائِصُ والمَواهِبُ مِنْ مُتَعَلَّقاتِ الأَرْواحِ ، ولا ارْتِباطَ لَها بِالأَجْسامِ أَلْبَتَّة ، فالوَلِيُّ حِينَ يَمُوتُ تَرْتَفِعُ خَصائِصُهُ ومَواهِبُهُ مَعَ رُوحِهِ إِلَى بَرْزَخِهِ ، ولِرُوحِهِ عَلاقَةٌ كامِلَةٌ بِقَبْرِهِ ؛ بِدَلِيلِ ما قَدَّمْنا مِنَ السَّلامِ عَلَيْهِ ورَدِّهِ السَّلامَ ... إلخ .

ومِنْ هُنا جاءَ تَكْرِيمُ هَؤُلاءِ السَّادَةِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَصْحابِ القُبُورِ .

وقَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَضَعَ حَجَرًا عَلَى قَبْرِ بَعْضِ الصَّحابَةِ ، وهُوَ (عُثْمانُ بنُ مَظْعُونٍ)[1] رضي الله عنه ، وقالَ ﷺ : (أَتَعَرَّفُ بِهِ قَبْرَ أَخِي) ، وكانَ هَذا الحَدِيثُ بَعْدَ حَدِيثِ الإمامِ (عَلِيٍّ) رضي الله عنه بِتَسْوِيَةِ القُبُورِ المُشْرِفَةِ ، ولَنا مَعَ حَدِيثِ الإمامِ (عَلِيٍّ) كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : مَزِيدُ بَيانٍ نَسْتَبِينُ الحَقَّ والحَقِيقَةَ ، والحَدِيثُ عَنْ أَبِي الهَياجِ الأَسْدِي عَنْ (عَلِيٍّ) رضي الله عنه أَنَّه قال لَه :

(١) فِي أُسْدِ الغابَةِ : (أَنَّهُ لَمَّا تُوفِّي سَيِّدُنا إِبْراهِيم بنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : (الْحَق بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ عُثْمانَ بنِ مَظْعُون) ، وعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ عُثْمان ابنِ مَظْعُون بحجر (صَخْرَة) وكانَ يَزُورُه).

(أَبْعَثُكَ عَلَى ما بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لا تَدَعْ تِمْثالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ) ، فَقَدْ قالَ العُلَماءُ : إِنَّ المُرادَ مِنْ كَلامِ سَيِّدِنا (عَلِيٍّ) لأَبِي الهِياجِ ؛ أَنَّهُ أَرادَ قُبُورَ المُشْرِكِينَ الَّتِي كانُوا يُقَدِّسُونَها فِي الجاهِلِيَّةِ بِدَلِيلِ ذِكْرِ التَّماثِيلِ مَعَها[1] ، وبِهَذا الفَهْمِ لا يَتَعارَضُ هَذا الحَدِيثُ مَعَ ما أَقَرَّتْه السُّنَّةُ الثَّابِتَةُ مِنْ جَوازِ رَفْعِ القُبُورِ .

فَقَدْ جاءَ فِي صَحِيحِ البُخارِي عَنْ (خارِجَةَ بنِ زَيْدٍ) رضي الله عنه ما يُفِيدُ أَنَّ قُبُورَ الشُّهَداءِ والصَّحابَةِ كانَتْ مُرْتَفِعَةً حَيْثُ قالَ : (رَأَيْتُنِي ونَحْنُ شُبَّانٌ فِي زَمَنِ (عُثْمانَ بنِ عَفَّان) رضي الله عنه وإِنَّ أَشَدَّنا وَثْبَةً الَّذِي يَثِبُ قَبْرَ (عُثْمانَ بنِ مَظْعُونَ) حَتَّى يُجاوِزَهُ) ، وقَدْ سَبَقَ بَيانُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ عَلَيْهِ صَخْرَةً (وكانَتْ صَخْرَةً عَظِيمَةً عَجزَ الصَّحابَةُ عَنْ رَفْعِها فَحَمَلَها رَسُولُ اللهِ ﷺ) وقالَ ﷺ : أَتَعَرَّفُ بِهِ قَبْرَ أَخِي .

وفِي مُصَنَّفِ (أَبِي شَيْبَةَ) عَنْ (عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ) رضي الله عنه قالَ : (رَأَيْتُ قَبْرَ عُثْمانَ بنِ مَظْعُونَ مُرْتَفِعًا) .

ووَرَدَ فِي (نَوادِرِ الأُصُولِ)[2] : أَنَّ السَّيِّدَةَ (فاطِمَةَ الزَّهْراء) رضي الله عنها

(١) إِحْياءُ المَقْبُورِ مِنْ أَدِلَّةِ اسْتِحْبابِ بِناءِ المَساجِدِ والقِبابِ عَلَى القُبُورِ ، للحافِظِ (أَحْمَد مُحَمَّد الصِّدِّيق الغُمارِي) .

(٢) لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِي .

كانَتْ تَأْتِي قَبْرَ سَيِّدِنا (حَمْزَةَ) ﵁ فِي كُلِّ عامٍ فَتَرُمُّهُ وتُصْلِحُهُ لِئَلَّا يَنْدَرِسَ فَيَخْفَى عَلَى زائِرِه .

وبِهَذا اسْتَدَلَّ العُلَماءُ عَلَى جَوازِ اتِّخاذِ ما يَدُلُّ عَلَى القَبْرِ ، وعَلَى فَضْلِ صاحِبِ القَبْرِ ، رَجاءَ اسْتِمْرارِ زِيارَتِه ، والدُّعاءِ لَهُ ، والقُدْوَةِ بِهِ ، والصَّدَقَةِ عِنْدَهُ ، وحِفْظِ أَثَرِه .

ومِنْ هُنا جازَ نَقْلُ المَيِّتِ مِنْ مَكانٍ إِلَى مَكانٍ أَفْضَلَ ، كَما صَحَّ فِي حَدِيثِ جابِرٍ وغَيْرِه .

وقالَ أَهْلُ العِلْمِ : إِنَّ الأَمْرَ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِه ، وقَدْ كانَتْ عِلَّةُ تَسْوِيَةِ القُبُورِ والمَنْعِ الأَوَّلِ مِنْ زِيارَتِها ، هِيَ مَخافَةُ الانْتِكاسِ والعَوْدَةِ إِلَى الشِّرْكِ ، وقَدِ اسْتَقَرَّ الإِيمانُ والتَّوْحِيدُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ فَلا بَأْسَ بِعَمَلِ ما يُذَكِّرُ بِالصَّالِحِينَ لِلقُدْوَةِ والاعْتِبارِ ، والقِيامِ بِحَقِّ صاحِبِ القَبْرِ مِنَ الزِّيارَةِ وغَيْرِها .

والخُلاصَةُ :

أَنَّ البِناءَ عَلَى قُبُورِ الصَّحابَةِ وأَهْلِ البَيْتِ والأَوْلِياءِ والعُلَماءِ جائِزٌ ، وأَنَّ وَضْعَ السُّتُورِ عَلَيْها جائِزٌ أَيْضًا ، وأَنَّ بِناءَ القِبابِ إِذا كانَتْ بِأَرْضٍ مَمْلُوكَةٍ فَلا حُرْمَةَ فِيها بِلا خِلافٍ ، وأَنَّ وَضْعَ السُّرُجِ فِيها جائِزٌ إِن

انْتَفَعَ بِها مُصَلٍّ أَوْ طالِبُ عِلْمٍ أَوْ نائِمٌ أَوْ مارٌّ أَوْ نَحْوُهُ ، وأَمَّا زِيارَتُهُمْ والسَّلامُ عَلَيْهِمْ فَهِيَ مِنَ القُرَبِ المُسْتَحَبَّةِ بِلا نِزاع .

والواقِعُ الجَلِيُّ والعَمَلِيُّ أَنَّهُ وقَدْ مَرَّتْ مِئاتُ السِّنِينَ عَلَى هَذِهِ الأَضْرِحَةِ ، فَما عُبِدَ مِنْها ضَرِيحٌ مِنْ دُونِ اللهِ ، ولا صَلَّى مُسْلِمٌ لِوَلِيٍّ رَكْعَةً ، والمَثَلُ العَمَلِيُّ مَضْرُوبٌ بِقَبْرِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ وقَبْرَي صاحِبَيْهِ ﵄ وقُبُورِ كِبارِ الأَئِمَّةِ ﵃ .

وثَمَّةَ أَمْرٌ آخَرُ لَزِمَ التَّنْوِيهُ بِهِ ، وهُوَ أَنَّ العُرْفَ وشَهادَةَ جَماعَةِ المُسْلِمِينَ المُعاصِرِينَ لِصاحِبِ الضَّرِيحِ دَلِيلٌ عَلَى صَلاحِهِ : فَقَدْ أَخْرَجَ النَّسائِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (المَلائِكَةُ شُهَداءُ اللهِ فِي السَّماءِ ، وأَنْتُم شُهَداءُ اللهِ فِي الأَرْضِ) وقَدْ قالَ العُلَماءُ : إِنَّ هَذا الحَدِيثَ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الحَقِّ تَعالَى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ، فالمُؤْمِنُونَ عُدُولٌ ، فَإِذا شَهِدُوا عَلَى إِنْسانٍ بِصَلاحٍ أَوْ فَسادٍ ، قَبِلَ اللهُ شَهادَتَهُمْ ، ويُؤَكِّدُ هَذا المَعْنَى ما أَخْرَجَهُ النَّسائِي والإِمامُ أَحْمَدُ عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ، ومَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ

النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَداءُ اللهِ فِي الأَرْضِ) وذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ هَذِهِ الأُمَّةِ ﷺ بَشَّرَها بِالخَيْرِ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ ، ونَفَى اجْتِماعَها عَلَى غَيْرِ الحَقِّ ، فَقالَ ﷺ : (لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ)، وقالَ : (الخَيْرُ فِيَّ وفِي أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ) وقالَ : (ما رَآهُ المُسْلِمُونَ حَسَنًا ، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ) .

وهَذِهِ المُقَدِّمَةُ تَتَرَتَّبُ عَلَيْها نَتِيجَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ مُؤَدَّاها ؛ أَنَّهُ إِذا كانَ الضَّرِيحُ لا يُقامُ إِلَّا عَلَى قَبْرِ الصَّالِحِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وهَذا الصَّلاحُ لا يُمْكِنُ الاسْتِدْلالُ عَلَيْهِ إِلَّا بِشَهادَةِ غَيْرِهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ المُعاصِرِينَ لَهُ ، فَإِذا مَضَى الزَّمانُ وانْقَضَى عَصْرُ هَذا الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، فَيَظَلُّ هَذا الضَّرِيحُ شاهِدًا عَلَى الثِّقَةِ بِرِجالِ هَذا العَصْرِ ، وبِذَلِكَ تَتَسَنَّى لِلمُوَفَّقِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ زِيارَتُهُمْ ومَوَدَّتُهُمْ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [1].

وتَتَجَلَّى اسْتِجابَةُ المُؤْمِنِينَ لِقَوْلِ رَبِّ العالَمِينَ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [2].

(١) سُورَةُ مَرْيَم : الآيَة ٩٦ .

(٢) سُورَةُ الحَشْر : الآيَة ١٠ .

مَشْرُوعِيَّةُ الصَّلاةِ فِي المَساجِدِ الَّتِي بِها قُبُورٌ وأَضْرِحَة

العِزَّةُ اسْتِحْبابُ الصَّلاةِ فِي المَساجِدِ الَّتِي بِها قُبُورٌ وأَضْرِحَةٌ ، دُونَ الْتِفاتٍ لِمَنْ يَسُدُّونَ مَنافِذَ الرَّحْمَةِ عَلَى الأُمَّةِ ؛ وإِلَيْكَ حُجَّةَ ذَلِكَ مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ وفِعْلِ الصَّحابَةِ وإِجْماعِ عُلَماءِ الأُمَّةِ :

فَمِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [1] :

وسِياقُ الآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ القَوْلَ الأَوَّلَ هُوَ قَوْلُ المُشْرِكِينَ وأَنَّ القَوْلَ الثَّانِي هُوَ قَوْلُ المُوَحِّدِينَ ، وقَدْ حَكَى اللهُ تَعالَى القَوْلَيْنِ دُونَ إِنْكارٍ ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى إِمْضاءِ الشَّرِيعَةِ لَهُما ، بَلْ إِنَّ سِياقَ قَوْلِ المُوَحِّدِينَ يُفِيدُ المَدْحَ ؛ بِدَلِيلِ المُقابَلَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْلِ المُشْرِكِينَ المَحْفُوفِ بِالتَّشْكِيكِ ، بَيْنَما جاءَ قَوْلُ المُوَحِّدِينَ قاطِعًا وأَنَّ مُرادَهُمْ لَيْسَ مُجَرَّدَ البِناءِ بَلِ المَطْلُوبُ هُوَ المَسْجِدُ .

قالَ الإِمامُ الرَّازِي فِي تَفْسِير : ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ . نَعْبُدُ اللهَ فِيهِ ، ونَسْتَبْقِي آثارَ أَصْحابِ الكَهْفِ بِسَبَبِ ذَلِكَ المَسْجِد .

(١) سُورَةُ الكَهْف : مِنَ الآيَة ٢١ .

وقالَ الشِّهابُ الخَفاجي فِي حاشِيَتِه عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضاوِي : فِي هَذا دَلِيلٌ عَلَى اتِّخاذِ المَساجِدِ عَلَى قُبُورِ الصَّالِحِين .

وَمِنَ السُّنَّة : حَدِيثُ أَبِي بَصِير : أَنَّ أَبا جَنْدَل بنَ سُهَيْل بن عَمْرٍو دَفَنَ أَبا بَصِيرٍ رضي الله عنه لَمَّا ماتَ وبَنَى عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا (بِسِيفِ البَحْر) ، وذَلِكَ بِمَحْضَرِ ثَلاثمِئَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ ، ومِثْلُ هَذا الفِعْلِ لا يَخْفَى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ومَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَرِدْ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِإِخْراجِ القَبْرِ مِنَ المَسْجِدِ أَوْ نَبْشِهِ .

وقَدْ ثَبَتَ أَنَّ سَيِّدَنا إِسْماعِيلَ عليه السلام وأُمَّهُ السَّيِّدَةَ هاجر رضي الله عنها قَدْ دُفِنا فِي الحِجْرِ مِنَ البَيْتِ الحَرام كَما ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (فِي مَسْجِدِ الخِيفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيًّا) ، (ما بَيْنَ زَمْزَمَ والحَطِيم تِسْعُونَ نَبِيًّا مَوْتَى) ؛ وأَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ ولَمْ يَأْمُرْ بِنَبْشِ هَذِهِ القُبُور وإِخْراجِها مِنْ مَسْجِدِ الخِيفِ أَوْ مِنَ المَسْجِدِ الحَرام .

وأَمَّا فِعْلُ الصَّحابَةِ : فَقَدْ حَكاهُ الإِمامُ مالِكٌ فِي (المُوَطَّأ) بَلاغًا صَحِيحًا عِنْدَما ذَكَرَ اخْتِلافَ الصَّحابَةِ فِي مَكانِ دَفْنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ : (فَقالَ ناسٌ : يُدْفَنُ عِنْدَ المِنْبَرِ ، وقالَ آخَرُونَ يُدْفَنُ بِالبَقِيع ، فَجاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه فَقالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (ما

دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا فِي مَكانِهِ الَّذي تُوفِّيَ فِيه) ، فَدُفِنَ ﷺ فِي حُجْرَةِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها المُتَّصِلَةِ بِالمَسْجِدِ الَّذي يُصَلِّي فِيهِ المُسْلِمُونَ ؛ وهَذا هُوَ نَفْسُ وَضْعِ المَساجِدِ المُتَّصِلَةِ بِحُجُراتِ أَضْرِحَةِ الأَوْلِياءِ والصَّالِحِينَ فِي زَمانِنا .

وأَمَّا دَعْوَى الخُصُوصِيَّةِ فِي ذَلِكَ للنَّبِيِّ ﷺ فَهِيَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ ، لأَنَّها دَعْوَى لا دَلِيلَ عَلَيْها ، بَلْ هِيَ باطِلَةٌ قَطْعًا بِدَفْنِ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ وسَيِّدِنا عُمَرَ رضي الله عنهما فِي هَذِهِ الحُجْرَةِ الَّتي كانَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رضي الله عنها تَعِيشُ فِيها وتُصَلِّي فِيها صَلَواتِها المَفْرُوضَةَ والمَنْدُوبَةَ ، فَكانَ ذَلِكَ إِجْماعًا مِنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم عَلَى جَوازِهِ .

وَمِنْ إِجْماعِ الأُمَّةِ الفِعْلِيِّ وإِقْرارِ عُلَمائِها لِذَلِكَ :

صَلاةُ المُسْلِمِينَ سَلَفًا وخَلَفًا فِي مَسْجِدِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ والمَساجِدِ الَّتي بِها أَضْرِحَةٌ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ وإِقْرارُ العُلَماءِ مِنْ لَدُنْ الفُقَهاءِ السَّبْعَةِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ الَّذِينَ وافَقُوا عَلَى إِدْخالِ الحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ سَنَةَ ٨٨ هـ ، بِحُضُورِ عُمَرَ بن العَزِيزِ رضي الله عنه والِي المَدِينَةِ آنَذاك .

وأَمَّا حَدِيثُ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ :

وقالَ الشِّهابُ الخَفاجي فِي حاشِيَتِهِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضاوِي : فِي هَذا دَلِيلٌ عَلَى اتِّخاذِ المَساجِدِ عَلَى قُبُورِ الصَّالِحِين .

وَمِنَ السُّنَّةِ : حَدِيثُ أَبي بَصِيرٍ : أَنَّ أَبا جَنْدَل بنَ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو دَفَنَ أَبا بَصِيرٍ رضي الله عنه لَمَّا ماتَ وبَنَى عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا (بِسِيفِ البَحْر) ، وذَلِكَ بِمَحْضَرِ ثَلاثِمئَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ ، ومِثْلُ هَذا الفِعْلِ لا يَخْفَى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ومَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَردْ أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِإِخْراجِ القَبْرِ مِنَ المَسْجِدِ أَوْ نَبْشِهِ .

وقَدْ ثَبَتَ أَنَّ سَيِّدَنا إِسْماعِيلَ عليه السلام وأُمَّهُ السَّيِّدَةَ هاجَر رضي الله عنها قَدْ دُفِنا فِي الحِجْرِ مِنَ البَيْتِ الحَرام كَما ثَبَتَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (فِي مَسْجِدِ الخَيفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيًّا) ، (ما بَيْنَ زَمْزَمَ والحَطِيم تِسْعُونَ نَبِيًّا مَوْتَى) ؛ وأَقَرَّ النَّبيُّ ﷺ ذَلِكَ ولَمْ يَأْمُرْ بِنَبْشِ هَذِهِ القُبُورِ وإِخْراجِها مِنْ مَسْجِدِ الخِيفِ أَوْ مِنَ المَسْجِدِ الحَرام .

وأَمَّا فِعْلُ الصَّحابَةِ : فَقَدْ حَكاهُ الإِمامُ مالِكٌ فِي (المُوَطَّأ) بَلاغًا صَحِيحًا عِنْدَما ذَكَرَ اخْتِلافَ الصَّحابَةِ فِي مَكانِ دَفْنِ النَّبيِّ ﷺ فَقالَ : (فَقالَ ناسٌ : يُدْفَنُ عِنْدَ المِنْبَرِ ، وقالَ آخَرُونَ يُدْفَنُ بِالبَقِيعِ ، فَجاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه فَقالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (ما

دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا فِي مَكانِهِ الَّذي تُوفِّيَ فِيه) ، فَدُفِنَ ﷺ فِي حُجْرَةِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها المُتَّصِلَةِ بِالمَسْجِدِ الَّذي يُصَلِّي فِيهِ المُسْلِمُونَ ؛ وهَذا هُوَ نَفْسُ وَضْعِ المَساجِدِ المُتَّصِلَةِ بِحُجُراتِ أَضْرِحَةِ الأَوْلِياءِ والصَّالِحِينَ فِي زَمانِنا .

وأَمَّا دَعْوَى الخُصُوصِيَّةِ فِي ذَلِكَ لِلنَّبيِّ ﷺ فَهِيَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ ، لأَنَّها دَعْوَى لا دَلِيلَ عَلَيْها ، بَلْ هِيَ باطِلَةٌ قَطْعًا بِدَفْنِ سَيِّدِنا أَبي بَكْرٍ وسَيِّدِنا عُمَرَ رضي الله عنهما فِي هَذِهِ الحُجْرَةِ الَّتي كانَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رضي الله عنها تَعِيشُ فِيها وتُصَلِّي فِيها صَلَواتِها المَفْرُوضَةَ والمَنْدُوبَةَ ، فَكانَ ذَلِكَ إِجْماعًا مِنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم عَلَى جَوازِهِ .

وَمِنْ إِجْماعِ الأُمَّةِ الفِعْلِيِّ وإِقْرارِ عُلَمائِها لِذَلِكَ :

صَلاةُ المُسْلِمِينَ سَلَفًا وخَلَفًا فِي مَسْجِدِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ والمَساجِدِ الَّتي بِها أَضْرِحَةٌ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ وإِقْرارُ العُلَماءِ مِنْ لَدُنْ الفُقَهاءِ السَّبْعَةِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ الَّذِينَ وافَقُوا عَلَى إِدْخالِ الحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ سَنَةَ ٨٨ هـ ، بِحُضُورِ عُمَرَ بنِ العَزِيزِ رضي الله عنه والِي المَدِينَةِ آنَذاك .

وأَمَّا حَدِيثُ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ :

(لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبيائِهِمْ مَساجِدَ) ؛ قالَ الإمامُ البَيْضاوي :

لَمَّا كانَتِ اليَهُودُ والنَّصارَى يَسْجُدُونَ لِقُبُورِ أَنْبيائِهِمْ تَعْظِيمًا لِشأْنِهِمْ ، ويَجْعَلُونَها قِبْلَةً ، ويَتَوَجَّهُونَ فِي الصَّلاةِ نَحْوَها ، واتَّخَذُوها أَوْثانًا ، لَعَنَهُمُ اللهُ ومَنَعَ المُسْلِمِينَ عَنْ مِثْلِ ذلِكَ ونَهاهُمْ عَنْهُ ، أَمَّا مَنِ اتَّخَذَ مَسْجِدًا بِجِوارِ صالِحٍ أَوْ صَلَّى فِي مَقْبَرَتِهِ وقَصَدَ بِهِ الاسْتِظْهارَ بِرُوحِهِ ووُصُولَ أَثَرٍ مِنْ آثارِ عِبادَتِهِ إِلَيْهِ (لا التَّعْظِيمَ لَهُ والتَّوَجُّهَ) فَلا حَرَجَ عَلَيْهِ ؛ أَلا تَرَى أَنَّ مَدْفَنَ إِسْماعِيلَ فِي المَسْجِدِ الحَرامِ ثُمَّ الحَطِيمِ ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ المَسْجِدَ أَفْضَلُ مَكانٍ يَتَحَرَّى المُسْلِمُ الصَّلاةَ فِيهِ .

❁❁❁❁❁

زِيارَة ، ونِيارَة

اللهُمَّ يا رَبَّ الأَرْباب ، قَدْ تَوَجَّهْنا إِلَيْكَ بِفاتِحَةِ الكِتاب ، فَأَنِلْنا القَبُولَ والإجابَةَ مَعَ الأَحْباب ، بِجاهِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ والآلِ والأَصْحاب ، ومَنْ نَحْنُ فِي رِحابِهِ مِمَّنْ سَبَقُونا إِلَى غَفُورٍ تَوَّاب ، وافْتَحْ لَنا ولِمَنْ تَحُوطُ بِهِ شَفَقَةُ قُلُوبِنا خَيْرَ الباب ، بِسَبَبٍ وبِغَيْرِ أَسْباب ، فَأَنْتَ وَلِيُّ ذلِكَ وأَنْتَ الكَرِيمُ الوَهَّاب .

الرَّاحَةُ والرَّيْحان فِي زِيارَةِ مَنْ سَبَقَنا بالإِيمان مِنَ الآلِ والصَّحْبِ وصالِحِي كُلِّ زَمان

زِيارَةُ أَرْبابِ التُّقَى مَرْهَمٌ يُبْرِي
وَمِفْتاحُ أَبْوابِ الهِدايَةِ والخَيْرِ
وتُحْدِثُ فِي قَلْبِ الْخَلِّي إِرادَةً
وتَشْرَحُ صَدْرًا ضاقَ مِنْ سَعَةِ الْوِزْرِ
ولا فَرْقَ فِي أَحْكامِها بَيْنَ سالِكٍ
مُرَبٍّ ومَجْذُوبٍ وحَيٍّ وذِي قَبْرِ
فَزُرْ وتَأَدَّبْ بَعْدَ تَصْحِيحِ نِيَّةٍ
تَأَدُّبَ مَمْلُوكٍ مَعَ المَلِكِ الحُرِّ
عَلَيْكَ بِها فالقَوْمُ باحُوا بِسِرِّها
ووَصَّوْا بِها يا صاحِ فِي السِّرِّ والْجَهْرِ

❁❁❁❁❁

بَيانٌ مُوجَزٌ مُخْتَصر ، حَوْلَ المَحَبَّةِ وما لَها مِنَ الأَثَر

أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلى أَنَّ حُبَّ اللهِ ورَسُولِهِ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ أَحَد .

قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ، وقالَ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وقالَ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾) .

وقالَ ﷺ : (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ومالِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِين)[١] .

والمَحَبَّةُ : مَيْلُ الطَّبْعِ إِلَى الشَّيْءِ لِكَوْنِهِ لَذِيذًا عِنْدَ المُحِبِّ ، فَإِنْ تَأَكَّدَ ذَلِكَ المَيْلُ وقَوِيَ سُمِّيَ صَبابَةً (لانْصِبابِ القَلْبِ إِلَيْهِ بالكُلِّيَّة) ، فَإِذا قَوِيَ سُمِّيَ غَرامًا (لأَنَّهُ يَلْزَمُ القَلْبَ كَلُزُومِ الغَرِيم) ، فَإِذا قَوِيَ سُمِّيَ عِشْقًا (أَيْ إِفْراطًا فِي المَحَبَّة) ، فَإِذا قَوِيَ سُمِّيَ شَغَفًا (لأَنَّهُ يَصِلُ إِلَى شِغافِ القَلْبِ مِنْ داخِلِهِ) ، فَإِذا قَوِيَ سُمِّيَ تَتَيُّمًا أَيْ تَعَبُّدًا (لأَنَّهُ يُصَيِّرُ المُحِبَّ عَبْدًا لِلمَحْبُوب) ، فَيَكُونُ ذَلِكَ المُحِبُّ مُتَيَّمًا مَأْمُورًا ، ومُغْرَمًا مَأْسُورًا ، لا يَقِرُّ لَهُ قَرار ، ولا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّافِعِ والضَّار .

ولا تَحْصُلُ حَقِيقَةُ المَحَبَّةِ مِنَ العَبْدِ لِرَبِّهِ إِلَّا بَعْدَ سَلامَةِ القَلْبِ مِنْ كُدُوراتِ النَّفْسِ ، فَإِذا اسْتَقَرَّتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِي القَلْبِ خَرَجَتْ مَحَبَّةُ

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي فِي صَحِيحِه .

الغَيْرِ ؛ لأَنَّ المَحَبَّةَ صِفَةٌ مُحْرِقَةٌ تَحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ جِنْسِها .

وعَلامَتُها : قَطْعُ شَهَواتِ الدُّنْيا والآخِرَة .

قالَ يَحْيَى بنُ مُعاذ : صَبْرُ المُحِبِّينَ أَشَدُّ مِنْ صَبْرِ الزَّاهِدِين ، وعَجِبْتُ كَيْفَ تَدَّعِي مَحَبَّةَ اللهِ مِنْ غَيْرِ اجْتِنابِ مَحارِمِه ؛ فَمَنِ ادَّعَى مَحَبَّةً مِنْ غَيْرِ اجْتِنابِ الشَّهَواتِ فَهُوَ كَذَّاب ، ومَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ الجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ إِنْفاقِ مِلْكِهِ فَهُوَ كَذَّاب .

وقالَتْ رابِعَةُ العَدَوِيَّة :

تَعْصِي الإِلَهَ وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ۞ هَذا لَعَمْرِي فِي القِياسِ بَدِيعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صادِقًا لأَطَعْتَهُ ۞ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وَقِيلَ : ظاهِرُ المَحَبَّةِ رِضا المَحْبُوب ، وباطِنُها إِعْطاءُ القَلْبِ إِلَى المَحْبُوبِ بِحَيْثُ لا يَبْقَى فِيهِ بَقِيَّةٌ لِغَيْرِه .

ويُؤَكِّدُ سَيِّدِي مُصْطَفَى البَكْرِي التَّطابُقَ التَّامَّ بَيْنَ المَعْرِفَةِ والمَحَبَّةِ حَيْثُ إِنَّهُما مُرْتَبِطَتانِ ومُوَجَّهَتانِ إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى ، وفِي ذَلِكَ يَقُولُ رضي الله عنه : (ومَنْ عَرَفَ اللهَ أَحَبَّهُ ، ومَنْ أَحَبَّهُ قَرَّبَهُ ، ومَنْ قَرَّبَهُ أَشْهَدَهُ ، ومَنْ أَشْهَدَهُ خافَهُ ، ومَنْ خافَهُ أَطاعَهُ ، ومَنْ أَطاعَهُ عَلَّمَهُ ، ومَنْ عَلَّمَهُ كَلَّمَهُ ، ومَنْ كَلَّمَهُ كانَ لَهُ ، ومَنْ كانَ لَهُ كانَ الحَقُّ لَهُ ، ومَنْ

كانَ الحَقُّ لَهُ نالَ مَطْلُوبَهُ وأَمَلَهُ ، فَعَلَى قَدْرِ المَعْرِفَةِ يَكُونُ الحُبُّ)[1] .

واتَّجَهَ الحُبُّ عِنْدَ الشَّيْخِ البَكْرِي لِمَعْرِفَةِ الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ وصِفاتِها وجَمالِها وكَمالِها ، ويَرْتَبِطُ بِالمَحَبَّةِ مَقامُ المَعْرِفَةِ ؛ الَّتي يَرَى الشَّيْخُ البَكْرِي أَنَّ هَذا المَقامَ لا بُدَّ فِيهِ مِنْ جِدٍّ واجْتِهادٍ بِجانِبِ الذَّوْقِ والوِجْدان .

مَعْرِفَةُ الإِلَهِ عَنَّا حَاجِبَهْ ❁ حَرَّ لَظًى وَهْيَ عَلَيْنَا وَاجِبَهْ
وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ لِنَفْسِهِ عَرَفْ ❁ عَرَفَ رَبَّهُ وَبِالْعَجْزِ اعْتَرَفْ

وقالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ الله : ما مِنْ يَوْمٍ إِلَّا والجَليلُ سُبْحانَهُ وتَعالَى يُنادِي : عَبْدِي ما أَنْصَفْتَنِي ، أَذْكُرُكَ وتَنْساني ، وأَدْعُوكَ إِلَيَّ وتَذْهَبُ إِلَى غَيْرِي ، وأُذْهِبُ عَنْكَ البَلايا وأَنْتَ مُعْتَكِفٌ عَلَى الخَطايا ، يا ابنَ آدَمَ ماذا تَقُولُ غَدًا إِذا جِئْتَنِي ؟

وقالَ بَعْضُ العارِفِينَ حاكِيًا عَنِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالَى : عَبْدِي خَلَقْتُ الأَشْياءَ كُلَّها مِنْ أَجْلِكَ ، وخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي فاشْتَغَلْتَ بِما خَلَقْتُهُ لَكَ عَنِّي ؛ فَإِذا اشْتَغَلْتَ بِالنِّعْمَةِ عَنِ المُنْعِمِ ، وبِالعَطايا عَنِ المُعْطِي ؛ فَما أَدَّيْتَ شُكْرَ نِعْمَتِه ، ولا راعَيْتَ حُرْمَةَ عَطائِه ؛ لأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ شَغَلَتْكَ

(١) السُّيُوفُ الحِداد : مُصْطَفَى البَكْري (قُطْبُ رَحَى الطَّرِيقَةِ الخَلْوَتِيَّة / ١١٦٢ هـ) .

عَنِّي فَهِيَ نِقْمَةٌ ، وكُلَّ عَطِيَّةٍ أَلْهَتْكَ عَنِّي فَهِيَ بَلِيَّةٌ .

اتَّخِذْ طَاعَةَ الإِلَهِ سَبِيلًا ❁ تَجِدِ الْفَوْزَ بِالْجِنَانِ وَتَنْجُو
وَاتْرُكِ الإِثْمَ وَالْفَوَاحِشَ طُرًّا ❁ يُؤْتِكَ اللهُ مَا تَرُومُ وَتَرْجُو

واعْلَمْ أَنَّ المُحِبِّينَ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسام :

١) عَوامٌّ ، ٢) وخَواصٌّ ، ٣) وخَواصُّ الخَواصِّ :

فَأَمَّا العَوامُّ : فَمَحَبَّتُهُمْ لَهُ تَعالَى لِوُفُورِ إِحْسانِه .

وأَمَّا الخَواصُّ : فَمَحَبَّتُهُمْ خالِصَةٌ عَنِ الشَّوائِبِ .

وأَمَّا خَواصُّ الخَواصِّ : فَمَحَبَّتُهُمْ عِبارَةٌ عَنِ التَّعَشُّقِ الَّذي بِهِ يَنْمَحِي العاشِقُ عِنْدَ تَجَلِّي نُورِ مَعْشُوقِه ؛ فَإِذا عَلِمَ المَحْبُوبُ صِدْقَ مُحِبِّهِ فِي مَحَبَّتِهِ رَفَعَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ الحِجابَ ، فَأَطْلَعَهُ عَلَى أَسْرارِهِ ، وكَشَفَ لَهُ عَنْ عُلُومٍ غامِضَةٍ وأَسْرارٍ عالِيَةٍ .

وصَدَقَ مَنْ قالَ :

بَيْنَ الْمُحِبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ ❁ خَطٌّ وَلا قَلَمٌ عَنْهُ فَيَحْكِيهِ
نَارٌ تُقَابِلُهُ ، أُنْسٌ يُمَازِجُهُ ❁ نُورٌ يُخَبِّرُهُ عَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ
شَوْقِي إِلَيْهِ وَلا أَبْغِي لَهُ بَدَلًا ❁ هَذِي سَرَائِرُ كِتْمَانٍ تُنَاجِيهِ

وصَدَقَ غَيْرُهُ :

يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا مَنْ لا شَرِيكَ لَهُ ۞ طُوبَى لِمَنْ عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ يَهْوَاكَا
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّنْ قَدْ رَأَى طَرَفًا ۞ مِنْ طَرْفِ لُطْفِكَ رَبِّي كَيْفَ يَنْسَاكَا
وَاللهِ مَا فَرِحَتْ رُوحِي وَلا أَنِسَتْ ۞ فِي الدَّهْرِ مَا بَقِيتُ إِلَّا بِذِكْرَاكَا
وَكَيْفَ تَأْنَسُ رُوحُ الْعَارِفِينَ وَإِنْ ۞ دَامَ السُّرُورُ لَهُمْ إِلَّا بِلُقْيَاكَا

وكَذَلِكَ غَيْرُهُ :

كَيْفَ تَبْقَى لِلْعَاشِقِينَ ذُنُوبٌ ۞ وَهْيَ مِنْ حُرْقَةِ الْفُؤَادِ تَذُوبُ
كَيْفَ يَنْسَى الْمُحِبُّ ذِكْرَ حَبِيبٍ ۞ وَاسْمُهُ فِي فُؤَادِهِ مَكْتُوبُ

ويُرْوَى أَنَّ سَيِّدَنا إِبْراهِيمَ عليه السلام قالَ لِمَلَكِ المَوْتِ إِذْ جاءَ لِقَبْضِ رُوحِهِ : هَلْ رَأَيْتَ خَلِيلًا يُمِيتُ خَلِيلَهُ ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَعالَى إِلَيْهِ هَلْ رَأَيْتَ مُحِبًّا يَكْرَهُ لِقاءَ حَبِيبِهِ ؟ فَقالَ : يا مَلَكَ المَوْتِ الآنَ فاقْبِضْ .

وحُكِيَ عَنْ عَبْدِ الباري قالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَخِي ذِي النُّونِ فَإِذا نَحْنُ بِصِبْيانٍ يَرْمُونَ واحِدًا بِالحِجارَةِ ، فَقالَ لَهُمْ أَخِي : ما تُرِيدُونَ مِنْهُ ؟ قالُوا : هَذا رَجُلٌ مَجْنُون ، ومَعَ ذَلِكَ يَزْعُمُ أَنَّه يَرَى اللهَ تَعالَى ، قالَ : فَدَنَوْنا مِنْهُ ؛ فَإِذا هُوَ شابٌّ وَسِيمٌ ظَهَرَ عَلَيْهِ سِيما العارِفِين ، فَسَلَّمْنا عَلَيْهِ وقُلْنا : إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَدَّعِي رُؤْيَةَ اللهِ تَعالَى ، فَقالَ : إِلَيْكَ عَنِّي يا بَطَّالُ لَوْ فَقَدْتُهُ أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ لَمُتُّ مِنْ ساعَتِي ، وأَنْشَأَ

يَقُولُ :

طَلَبُ الْحَبِيبِ مِنَ الْحَبِيبِ رِضَاهُ ۞ وَمُنَى الْحَبِيبِ مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاهُ
أَبَدًا يُلاحِظُهُ بِعَيْنَيْ قَلْبِهِ ۞ وَالْقَلْبُ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَرَاهُ
يَرْضَى الْحَبِيبُ مِنَ الْحَبِيبِ بِقُرْبِهِ ۞ دُونَ الْبِعَادِ فَمَنْ يُرِيدُ سِوَاهُ

فَقُلْتُ لَهُ : أَمَجْنُونٌ أَنْتَ ؟ فَقالَ : أَمَّا عِنْدَ أَهْلِ الأَرْضِ فَنَعَمْ ، وأَمَّا عِنْدَ أَهْلِ السَّماءِ فَلا ، قُلْتُ : فَكَيْفَ حالُكَ مَعَ المَوْلَى ؟ فَقالَ : مُنْذُ عَرَفْتُهُ ما جَفَوْتُه ، فَقُلْتُ : مُنْذُ كَمْ عَرَفْتَهُ ؟ قالَ : مُنْذُ جَعَلَ اسْمِي فِي المَجانِين .

قُلْتُ : وهَؤُلاءِ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الحال ، فَغابُوا عَنِ الخَلْقِ أُنْسًا بِالحَقِّ ، وهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِي بِقَوْلِه :

مَجانِينُ إِلَّا أَنَّ سِرَّ جُنُونِهِمْ ۞ عَجِيبٌ عَلَى أَعْتابِهِمْ يَسْجُدُ العَقْلُ

وفِي أَخْبارِ سَيِّدِنا داوُودَ عليه السلام أَنَّ اللهَ تَعالَى قالَ : (يا داوُودُ بَلِّغْ أَهْلَ أَرْضِي أَنِّي حَبِيبٌ لِمَنْ أَحَبَّنِي ، وجَلِيسٌ لِمَنْ جالَسَنِي ، ومُؤْنِسٌ لِمَنْ أَنِسَ بِذِكْرِي ، وصاحِبٌ لِمَنْ صاحَبَنِي ، ومُخْتارٌ لِمَنِ اخْتارَنِي ، ومُطِيعٌ لِمَنْ أَطاعَنِي ، ما أَحَبَّنِي عَبْدٌ أَعْلَمُ ذَلِكَ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا قَبِلْتُهُ لِنَفْسِي ، وأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي ، مَنْ طَلَبَنِي

بِالحَقِّ وَجَدَنِي ، ومَنْ طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدْنِي ، فارْفُضُوا يا أَهْلَ الأَرْضِ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ غُرُورِها ، وهَلُمُّوا إلَى كَرامَتِي ومُصاحَبَتِي ، وائْتَنِسُوا بِي أُونِسْكُمْ ، وأُسارِعْ إلَى مَحَبَّتِكُمْ ، فَإنِّي خَلَقْتُ طِينَةَ أَحْبابِي مِنْ طِينَةِ إبْراهِيمَ خَلِيلِي ، ومُوسَى نَجِيِّي ، ومُحَمَّدٍ صَفْوَتِي ، إنِّي خَلَقْتُ قُلُوبَ المُشْتاقِينَ مِنْ نُورِي ، ونَعَّمْتُها بِجَلالِي) .

مِنْ مَظاهِرِ مَحَبَّةِ اللهِ مَحَبَّةُ مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ : ومِنْ ذَلِكَ ما يَفْعَلُهُ العامَّةُ مِنْ تَقْبِيلِ أَعْتابِ الأَوْلِياءِ والتَّابُوتِ الَّذي يُجْعَلُ فَوْقَهُمْ فَلا بَأْسَ بِهِ إنْ قَصَدُوا بِذَلِكَ التَّبَرُّكَ ، ولا يَنْبَغِي الاعْتِراضُ عَلَيْهِمْ لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الفاعِلَ والمُؤَثِّرَ هُوَ اللهُ ، وإنَّما يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَحَبَّةً فِيمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ ، كَما قالَ بَعْضُهُمْ ، وكَرَّرَهُ سَيِّدِي مَحْرُوسُ المَدِينَةِ مَحْسُوبُ نَبِينا (أَطالَ اللهُ مُدَدَهُ ووَسَّعَ مَدَدَهُ) عَلَى مَسامِعِي مِرارًا :

مَرَرْتُ عَلَى الدِّيارِ دِيارِ لَيْلَى ❁ أُقَبِّلُ ذا الْجِدارا وَذا الْجِدارا
وَما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبِي ❁ ولَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

وقالَ آخَر :

فَما الْمَنازِلُ لَوْلا أَنْ تَحِلَّ بِها ❁ وَما الدِّيارُ وَما الأَطْلالُ وَالْخِيَمُ
لَوْلاكَ ما شاقَنِي رَبْعٌ وَلا طَلَلٌ ❁ ولا سَعَتْ بِي إلَى نَحْوِ الحِمَى قَدَمُ

بَيانُ عَجائِبِ الإنْسانِ ، وما انْطَوَى فِيهِ مِنْ نُسْخَةِ الأَكْوانِ

إنَّ حَقِيقَةَ الإنْسانِ أَنَّهُ جِرْمٌ تامٌّ ، ذُو نَفْسٍ ناطِقَةٍ وحَيَوانِيَّةٍ ونَباتِيَّةٍ ومَعْدَنِيَّةٍ ؛ تَفَرَّدَ بِالأَرْبَعَةِ دُونَ سائِرِ الحَيَواناتِ[١] .

ومَعْنَى النَّاطِقَة : المُمَيِّزَةُ الَّتِي تَكْتَسِبُ الصِّناعَةَ ، وتَسْتَحْضِرُ الغائِبَةَ بِالفِكْرِ ، وتَتَصَوَّرُ ما لَمْ تُشاهِدْ ، وتَسْتَحْضِرُ المَوْجُوداتِ والبُلْدانَ الغائِبَةَ .

وبِهَذِهِ النَّفْسِ تَشَرَّفَ الإنْسانُ عَلَى سائِرِ المَخْلُوقاتِ ، وارْتَبَطَتِ المَسْمُوعاتُ فِي قُواهُ وذاتِهِ ، وبِها يَرَى فِي نَوْمِهِ ما لَمْ يَرَ فِي يَوْمِهِ .

والإنْسانُ هُوَ العالَمُ الأَصْغَرُ المَحْصُورُ فِي الأَكْبَرِ ؛ مَعانِي الأَشْياءِ مَوْجُودَةٌ بِأَجْمَعِها فِيهِ ؛ فَهُوَ مُشارِكٌ لِجَمِيعِ الحَيَواناتِ فِي المَأْكُولاتِ والمَشْرُوباتِ والمَنْكُوحاتِ وغَيْرِ ذَلِكَ ، وهُوَ المُخالِفُ لَهُمْ بِالعُلُومِ والحِيَلِ والمَفاخِرِ ، وهُوَ ذُو سِتِّ جِهاتٍ وسِتِّ حَرَكاتٍ : يَجْرِي عَظْمُ صُلْبِهِ مَعَ فَخِذَيْهِ عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ ، مُتَماسِكُ الأَصابِعِ والكَفِّ ، مُسْتَدِيرُ الرَّأْسِ ، ذُو أَظافِرَ ، وهُوَ قابِلٌ لِلْعُلُومِ والكِتابَةِ ، مُسْتَنْبِطٌ لِلصِّناعَةِ ، يَحْكِي الحَيَواناتِ ولا تُحاكِيهِ .

وهُوَ ضَحَّاكٌ بَكَّاءٌ فِيهِ قُوَّةٌ إلَهِيَّةٌ وسِيادِيَّةٌ ، وفِي باطِنِهِ نُورٌ ، وجِسْمُهُ سِجْنُهُ .

(١) نُورُ الحَياة : عَبْدُ اللهِ بنُ عَزُّوز .

وهُوَ مُسْتَقِيمُ التَّخْطِيطِ ، مُمَيِّزٌ لِما يَضُرُّهُ وما يَنْفَعُهُ ، يَفْعَلُ بِقَصْدٍ وإرادَةٍ ويَهْتَمُّ بالقَصْدِ ، فيَمْتَنِعُ امْتِناعًا قَهْرِيًّا فِكْرِيًّا ، ويَسْتَنْبِطُ الصَّنايِعَ العَجِيبَةَ العَدِيدَةَ والكَلِماتِ الدَّقِيقَة ، ويَحْفَظُ صُوَرَ العُلُومِ ، ويُنْبِئُ عَنْ كُلِّ مَحْسُوس .

قَدْ جَعَلَهُ اللّٰهُ خازِنَ حِكْمَتِهِ وعُلُومِهِ ، ومُعَبِّرًا عَنْ نَفْسِهِ وعَنْ جَمِيعِ مَخْلُوقاتِهِ ، وقابِلَ وَحْيِهِ وإِلْهامِهِ ، وواعِيَ مَعارِفِهِ وأَسْرارِه .

وهُوَ نَتِيجَةُ العالَمِ الأَكْبَرِ الجامِعِ لِمَعانِيهِ فِي خِلْقَتِهِ وتَرْكِيبِه ، والمَخْلُوقاتِ أَشْتاتًا وهُوَ يَجْمَعُهُمْ ولا يَجْمَعُونَهُ ، ويُسَخِّرُهُمْ ولا يُسَخِّرُونَهُ ، ويَحْكِي أَصْواتَهُمْ ويُمَثِّلُ صُوَرَهُمْ بِيَدِهِ ، ويَصِفُها بِلِسانِهِ ، ويُنْبِئُ عَنْ طَبايِعِها .

وهُوَ صاحِبُ الجِسْمِ الكَثِيف ، والرُّوحِ اللَّطِيف ؛ فَبَعْضُهُ كَثِيفٌ ، وبَعْضُهُ لَطِيفٌ ، وبَعْضُهُ لَطِيفٌ حَيٌّ ، وبَعْضُهُ كَثِيفٌ مَيِّتٌ ، نِصْفُهُ حَرَكَةٌ ، ونِصْفُهُ سُكُون ، نِصْفُهُ لَيْلٌ ، ونِصْفُهُ نَهار ، نِصْفُهُ ظَلامٌ ظاهِر ، ونِصْفُهُ نُورٌ باطِن ، نِصْفُهُ مَحْسُوسٌ ونِصْفُهُ مَعْقُولٌ ، ونِصْفُهُ حامِلٌ ونِصْفُهُ مَحْمُولٌ ، يَسْتَحْيِي مِنَ القَبِيح ، ويَسْتَحْسِنُ المَلِيحَ ، ويَحْتَمِلُ ما يُرِيدُ ، ويَفْعَلُ ما يَشاءُ ويَنْدَمُ .

فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ لَطِيفِ الجَوْهَرِ وغَلِيظِه ، ولِذَلِكَ صارَ مُعْتَدِلًا بِالحَرَكَةِ ،

الَّتِي هِيَ رُوحُ الحَياةِ ؛ فَيَعْرِفُ حَرارَةَ النَّارِ بِما فِيهِ مِنَ البُرُودَة ، ويَعْرِفُ بُرُودَةَ الماءِ بِما فِيهِ مِنْ حَرارَة ، وكَذَلِكَ سائِرَ الاشْتِقاقات .

مُشابَهَةُ الإِنْسانِ لِلفَلَك : إِنَّ رَأْسَ الإِنْسانِ تُشابِهُ كُرَةَ الفَلَكِ واسْتِدارَتَهُ ، وكَذَلِكَ اجْتِماعُ اللَّطائِفِ فِيهِ والأَنْوار ؛ مِنْ بَصَرٍ وسَمْعٍ وشَمٍّ وذَوْقٍ وفَهْم : فَعَيْناهُ كالنَّيِّرَيْنِ (الشَّمْسِ والقَمَر) ، ومِنْخاراهُ كالرِّيحَيْنِ ، وأُذُناهُ كالمَشْرِقِ والمَغْرِب ، وقُدَّامُهُ كالنَّهارِ وخَلْفُهُ كاللَّيْل ، ومَشْيُهُ كَسَيْرِ النُّجُومِ السَّيَّارَةِ وقُعُودُهُ كَوُقُوفِها ، وقَهْقَرَتُهُ كَرُجُوعِها ، ومَوْتُهُ كاحْتِراقِها ، وأَعْضاؤُهُ البَواطِنُ السَّبْعَةُ كالكَواكِبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَة ، وفِي رَأْسِهِ سَبْعَةُ عِظامٍ عَدَدَ الأَيَّامِ السَّبْعَة ، وفِي ظَهْرِهِ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ فَقْرَةً بِعَدَدِ ساعاتِ اللَّيْلِ والنَّهار ، وفِيهِ ثَمانِيَةٌ وعِشْرُونَ مِفْصَلًا بِعَدَدِ مَنازِلِ القَمَرِ وحُرُوفِ الهِجاء ، وفِي بَطْنِهِ مِنَ الأَمْعاءِ اثْنا عَشَرَ بِعَدَدِ أَيَّامِ الأَهِلَّة ، وفِيهِ ثَلاثُمِئَةٍ وسِتُّونَ عِرْقًا ضَوارِبُ ، ومِثْلُها سَواكِنُ بِعَدَدِ أَيَّامِ العامِ ولَيالِيهِ ، وبِعَدَدِ دَرَجِ الفَلَك .

وفِيهِ مِنَ الطَّبائِعِ أَرْبَعَةٌ بِعَدَدِ فُصُولِ السَّنَةِ ، وعَيْناهُ حَواسُّ القُوَّةِ العاقِلَةِ الَّتِي هِيَ كالمَلِكِ ، وأُذُناهُ أَصْحابُ أَخْبارِهِ ، ولِسانُهُ تُرْجُمانُهُ ، والقَلْبُ دِيوانُ عُلُومِهِ ، والمَعِدَةُ بَيْتُ مالِهِ ، وكَبِدُهُ قِسْمَتُهُ ، والمَرارَةُ

صَبْرُهُ ، وطُحالُهُ جَسَدُهُ حَتَّى لا يُنْتِنَ لَحْمُهُ ، وفِيها دَواؤُهُ ، والرِّئَةُ مَراوِحُ قَلْبِهِ ، واليَدانِ حُجَّابُهُ وصُنَّاعُهُ ، والرِّجْلانِ مَرْكُوبُهُ ، لَحْمُ جَسَدِهِ كالتُّرابِ ، وعِظامُهُ كالجَنادِلِ ، وشَعْرُهُ كالنَّباتِ ، وعُرُوقُهُ كالأَوْدِيَةِ ، وأَعْضاؤُهُ الباطِنَةُ كالمَعادِنِ .

وجِسْمُهُ مُرَكَّبٌ مِنْ تِسْعَةِ جَواهِرَ مَبْنِيَّةً عَلَى تِسْعِ داوير ، مُرَكَّبٌ بَعْضُها فِي جَوْفِ بَعْضٍ كالأَفْلاكِ .

والفَلَكُ المُحِيطُ بِها حامِلُها جَمِيعَها وهِيَ : المُخُّ والعَظْمُ والمَفاصِلُ والأَعْصابُ والعُرُوقُ ، والدَّمُ الَّذي فِي جَوْفِ العُرُوقِ ، واللَّحْمُ والجِلْدُ والشَّعْرُ والأَظافِر :

- فَالمُخُّ حُوتُ العِظامِ ؛ وفِعْلُهُ حِفْظُ القُوَّةِ وتَلْيِينُ يَبَسِ العِظامِ .
- وفِعْلُ العِظامِ إِمْساكُ اللَّحْمِ وثَباتُهُ عَلَيْها .
- وفِعْلُ المَفْصَلِ والعَصَبِ رِباطُ المَفاصِلِ وتَحْرِيكُ الأَعْضاءِ .
- وفِعْلُ اللَّحْمِ سَدُّ خِلالِ الجُمْلَةِ ومُساواةُ البَدَنِ .
- وفِعْلُ العُرُوقِ جَمْعُ الدَّمِ فِيها وسَرَيانُهُ إِلَى أَطْرافِ الجِسْمِ .
- وفِعْلُ الدَّمِ إِمْساكُ الحَرارَةِ ، وضَبْطُ الحَياةِ ، وتَعْدِيلُ المَزاجِ ، وتَوْلِيدُ الحَرَكَةِ .

- وفِعْلُ الجِلْدِ الإِحاطَةُ بِجَمِيعِ الجِسْمِ وما فِيهِ كالسُّتُور .
- وفِعْلُ الظُّفْرِ والشَّعْرِ ضَبْطُ الأَطْرافِ وإِمْساكُها .

وفي بِنْيَةِ الإِنْسانِ اثْنا عَشَرَ ثُقْبًا ، مُماثِلَةً للاثْنَي عَشَرَ بُرْجًا مِنْ أَبْراجِ الفَلَك ، ولَمَّا كانَتِ الأَبْراجُ مِنْها سِتَّةٌ جَنُوبِيَّةٌ ، ومِنْها سِتَّةٌ شَمالِيَّةٌ ، كَذَلِكَ فِي الإِنْسانِ سِتَّةُ ثُقُوبٍ فِي الجانِبِ الأَيْمَنِ وسِتَّةُ ثُقُوبٍ فِي الجانِبِ الأَيْسَر ، مُماثِلَةً لَها فِي الطَّبِيعَةِ والكَمِّيَّةِ والكَيْفِيَّةِ جَمِيعِها .

ولَمَّا كانَتْ فِي الفَلَكِ سَبْعَةُ كَواكِبَ سَيَّارَة ، يَجْرِي بِها أَحْكامُ الفَلَكِ وأَحْكامُ الكائِنات ، وبِها يَكُونُ نِظامُ المَوْجُودات ، حَسْبَ ما قَدَّرَها وأَرادَها رَبُّ الأَرْضِ والسَّمَوات ، كَذَلِكَ فِي جِسْمِ الإِنْسانِ سَبْعُ قُوَّاتٍ فَعَّالَة ، مُنْبَعِثَةٌ مِنَ النَّفْسِ الإِنْسانِيَّة ؛ بِها يَكُونُ صَلاحُ الجَسَدِ أَوْ فَسادُه .

ولَمَّا كانَتْ لِهَذِهِ الكَواكِبِ نُفُوسٌ وأَجْسامٌ وأَفْعالٌ رُوحانِيَّةٌ تَفْعَلُ فِيما يَظْهَرُ مِنَ المَوْجُوداتِ ومِنَ الحَيَوانِ والمَعادِنِ والنَّبات ، كَذَلِكَ وُجِدَ فِي الإِنْسانِ سَبْعُ قُوَّاتٍ جِسْمانِيَّة ، تَفْعَلُ فِي الجِسْمِ ما يَكُونُ بِهِ بَقاؤُهُ وصَلاحُهُ ، بَعْدَ سَبْعِ قُوَّاتٍ أُخْرَى نَفْسانِيَّةٍ وهِيَ : الماسِكَةُ والجاذِبَةُ والهاضِمَةُ والدَّافِعَةُ والقَوِيَّةُ والنَّامِيَةُ والمُصَوِّرَةُ ، وسَبْعُ قُوَّاتٍ رُوحانِيَّةٍ

مُماثِلَةٌ لِرُوحانِيَّةِ الكَواكِبِ السَّبْعَةِ ؛ وهِيَ القُوَى السَّبْعُ المَذْكُورَة ، والجِسْمانِيَّةُ وبِها كَمالُ الإنْسانِ وزِينَةُ أَفْعالِه ، كَما أَنَّ الكَواكِبَ السَّبْعَةَ زِينَةُ الفَلَكِ وقَوامُهُ واسْتِواءُ العالَمِ ونِظامُهُ ، وهِيَ : القُوَّةُ الباصِرَةُ والشَّامَّةُ والذَّائِقَةُ واللَّامِسَةُ والنَّاطِقَةُ والعاقِلَةُ .

مِنْها قُوَّاتٌ خَمْسٌ تُشْبِهُ الكَواكِبَ الخَمْسَ الخُنَّس ، وقُوَّتانِ تُشْبِهانِ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وهِيَ القُوَّةُ النَّاطِقَةُ والعاقِلَة .

وكَما أَنَّ القَمَرَ يَأْخُذُ نُورَهُ مِنَ الشَّمْسِ فِي مَنازِلِه الثَّمانِيَةِ والعِشْرِينَ ؛ كَذَلِكَ القُوَّة النَّاطِقَةَ فِي الإنْسانِ ، والَّتي تَسْتَمِدُّ عِلْمَها مِنَ الرَّحْمنِ ، تُعَبِّرُ عَنْ مَعانِي المَوْجُوداتِ فَتُمَيِّزُها بِثَمانِيَةٍ وعِشْرِينَ حَرْفًا .

ولَمَّا كانَتْ فِي الفَلَكِ عُقْدَتانِ وهُما : الرَّأْسُ والذَّنَبُ ، وهُما خافِيَتا الذَّاتِ ، ظاهِرَتا الأَفْعالِ والتَّكاثُراتِ ؛ كَذَلِكَ فِي جِسْمِ الإنْسانِ قُوَّتانِ مُتَجانِسَتانِ وهُما سُوءُ المَزاجِ وصَلاحُه .

وكَذَلِكَ النَّفْسُ إذا تَعَقَّلَتْ بِمَصالِحِها ، صَحَّتْ أَفْعالُها ، وتَخَلَّصَتْ مِنْ كَدُوراتِ الطَّبِيعَةِ واهْتَدَتْ ، وإذا مالَتْ إلَى الطَّبِيعَةِ اضْطَرَبَتْ أَفْعالُها ، وبَعُدَتْ عَنْ مَعانِيها .

وكَما يَكُونُ انْكِسافُ الشَّمْسِ والقَمَرِ بِعُقْدَةِ الذَّنَبِ ، كَذَلِكَ يَكُونُ مِنْ

سُوءِ المِزاجِ ما يَكُونُ مِنَ الأُمُورِ الصَّعْبَةِ ، ويَظْهَرُ مِنَ الهَلاكِ ما يَظْهَرُ ، وبِصَلاحِ المَزاجِ يَكُونُ صَلاحُ القُوَّةِ العاقِلَةِ والنَّاطِقَةِ ، وهَذا يُؤَدِّي إلَى أَنْ يَسْلَمَ بَقِيَّةُ الجَسَدِ وتَصْفُو النَّفْسُ مِنْ كَدَرِ الطَّبِيعَةِ ، ويُشْرِفُ عَلَيْها العَقْلُ ويُضِيئُها .

ولَمَّا كانَتِ الشَّمْسُ والقَمَرُ هُما سِراجا الفَلَك ، كَذَلِكَ وُجِدَ فِي الجِسْمِ العَيْنانِ وهُما سِراجانِ وبِهِما تُدْرِكُ النَّفْسُ صُوَرَ المَوْجُوداتِ والأَلْوانَ المُزَيَّنَةَ بِمادَّةِ إشْراقِ ضَوْءِ الشَّمْسِ والقَمَر .

وكَما أَنَّهُ يَثْبُتُ فِي قُوَى الفَلَكِ والكَواكِبِ والبُرُوجِ الإثْنَي عَشَرَ رُوحانِيَّةٌ لَها أَفْعالٌ يَخْتَصُّ بِها كُلُّ كَوْكَبٍ وكُلُّ بُرْجٍ ، وأَنَّها تَنْحَطُّ إلَى هَذا العالَمِ الدُّنْيَوِيِّ مَعَ كُلِّ لَحْظَةٍ ، وفِي كُلِّ ساعَةٍ ودَقِيقَةٍ ، وكُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكاتِ الزَّمانِ ؛ كَذَلِكَ لِنَفْسِ الإنْسانِ فِي جَسَدِهِ ومَفاصِلِهِ أَعْمالٌ وأَفْعالٌ تَظْهَرُ مِنْها وتَبْرُزُ عَنْها ، مَعَ كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظاتِه ، وكُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكاتِهِ ، وكُلِّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفاسِه ، وهُوَ كَذَلِكَ ما دامَ مَوْجُودًا بِذاتِهِ إلَى وَقْتِ مُفارَقَةِ رُوحِهِ جَسَدَهُ ، وتِلْكَ الرُّوحُ الكُلِّيَّةُ مُتَّصِلَةٌ بِالأَرْواحِ الجُزْئِيَّةِ ، لِكَوْنِها مِنْ تِلْكَ المادَّاتِ المُقَدَّرَةِ ، والحِكْمَةِ المُدَبَّرَةِ ؛ صُنْعُ اللهِ الَّذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا .

الإنسانُ جامعٌ للمَوْجُودات : إنَّ الإنْسانَ وِعاءٌ يَحْمِلُ كُلَّ شَيْءٍ ويَظْهَرُ فِيهِ آثارُ ما حَمَلَ بما يَظْهَرُ عَلَى بَشْرَتِهِ ؛ ومِثالُ ذَلِكَ : العَوامِلُ الأَرْبَعَةُ الَّتي تَعْمَلُ فِي الإنْسانِ ، وكُلُّ عامِلٍ مِنْها لَهُ سِحْنَتُهُ الَّتي تَدُلُّ عَلَيْهِ إذا كانَ غالِبًا فِي الإنْسان :

• **فَأَوَّلُهُمْ طَبْعُ النَّار** : وما يَعْمَلُ فِي الإنْسانِ إذا غَلَبَ فِيه ، تَكُونُ فِي بَدَنِهِ سِمْنَةٌ لا تَخْفَى ، وهِيَ أَنَّ الذَّاتَ تَكُونُ مُصَغَّرَةً مَمْصُوصَةً ، وعُرُوقُها غِلاظٌ شِدادٌ واسِعَةٌ ضارِبَةٌ ، ولَحْمُها جافٌّ ، ومَزاجُها فِيهِ جَفاف .

• **وأَمَّا طَبْعُ الماء** : إذا غَلَبَ فِي ذاتِ الإنْسانِ ، تَكُونُ سِحْنَتُهُ ناعِمَةً سَمِينَةً شَدِيدَةَ البَيانِ ، وعُرُوقُها رِقاقٌ ضَيِّقَةٌ لا تَظْهَرُ فِي وَسَطِ اللَّحْم .

• **وأَمَّا طَبْعُ التُّراب** : إذا غَلَبَ فِي ذاتِ الإنْسانِ ، تَكُونُ ذاتُهُ نَحِيفَةً ومَعَها خُضُورَةٌ وعُرُوقُها ضَعِيفَةُ الضَّرْبِ ، ثَقِيلَةُ الحَرَكَةِ ، ناشِفَةٌ .

• **وأَمَّا طَبْعُ الاعْتِدال** : إذا كانَ فِي ذاتِ الإنْسانِ ، تَكُونُ ذاتُهُ مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ جَمِيعِ ما ذَكَرْنا .

وكَما أَنَّ الإنْسانَ جامِعٌ للمَوْجُوداتِ فَإِنَّ أَثَرَها ومَعانِيها مَوْجُودَةٌ فِيهِ

بِأَكْمَلِها ، وفِيهِ أُصُولُ أَعْضاءِ الجَسَدِ ، وهِيَ أَرْبَعَةٌ ، وهِيَ الَّتي تَمُدُّ سائِرَ أَجْزائِهِ ، وهِيَ : الدِّماغُ (مُخُّ الرَّأْسِ) ، والقَلْبُ ، والكَبِدُ والمَعِدَة . اثْنانِ مِنْ هَذِهِ الأَعْضاءِ عُلْوِيَّانِ واثْنانِ سُفْلِيَّانِ ؛ فالعُلْوِيَّانِ الدِّماغُ والقَلْبُ ، والسُّفْلِيَّانِ الكَبِدُ والمَعِدَةُ ، وكُلُّ واحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ لَهُ مَدادُهُ :

• فالدِّماغُ يَمُدُّ العَصَبَ ، ويَحْفَظُ نارَ القَلْبِ أَلَّا تَلْتَهِبَ ، ويَمُدُّ حَرَكاتِ المَفاصِلِ ويُقَوِّيها عَلَى ذَلِكَ ، ويَمُدُّ الأُنْثَيَيْنِ الَّتي هِيَ دالَّاتُ التَّناسُل .

• والقَلْبُ يَمُدُّ الجَمِيعَ بالحَياةِ ، ويَمُدُّ الجِسْمَ بما تَبْقَى بِهِ الحَياةُ ، وإذا صَلَحَ القَلْبُ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وإذا فَسَدَ فَسَدَ جَمِيعُ الجَسَد .

• والكَبِدُ يَمُدُّ الجِسْمَ بما يَحْتاجُهُ مِنَ الحَرارَةِ الغَرِيزِيَّة .

• وأَمَّا المَعِدَةُ فَهِيَ أَساسُ الجُمْلَةِ ، ومَسْكَنُ القُوَّةِ الدَّافِعَةِ ، الَّتي تَدْفَعُ للجَسَدِ ما فِيهِ صَلاحُهُ مِنَ الأَطْعِمَةِ والأَشْرِبَةِ ، وتَدْفَعُ عَنْهُ ما فِيهِ خُبْثُهُ وفَسادُهُ ، وضَرَرُهُ مِنَ الأَطْعِمَةِ والأَشْرِبَة .

عُمْرُ الإنْسانِ وفُصُولُ السَّنَة : إنَّ الإنْسانَ مِنْ حَيْثُ هُوَ ، قَدْ قَسَّمَ اللهُ بِحِكْمَتِهِ وبَدِيعِ صُنْعِهِ ، مُدَّةَ عُمْرِهِ عَلَى أَرْبَعِ مَراحِل :

• **المَرْحَلَةُ الأُولَى** : يُسَمَّى فِيها الإنْسانُ صَبِيًّا ؛ وهِيَ مِنْ يَوْمِ خُرُوجِهِ

مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى احْتِلامِهِ ، وخُرُوجِ الشَّعْرِ الأَوَّلِ فِي وَجْهِه .

• **المَرْحَلَةُ الثَّانِيَة** : يُسَمَّى فِيها شابًّا ؛ وهِيَ مِن احْتِلامِهِ إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ الشَّيْبِ فِي لِحْيَتِهِ ، وفِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ يَبْلُغُ أَشُدَّهُ (عَقْلَهُ) ، ومِنْ وَقْتِ احْتِلامِهِ يُكَلَّفُ ، ويُعْرَضُ عَلَيْهِ ما فَرَضَ اللهُ عَلَى عِبادِه .

• **المَرْحَلَةُ الثَّالِثَة** : مِنْ يَوْمِ ظُهُورِ الشَّيْبِ فِي لِحْيَتِهِ إِلَى وَقْتِ تَمامِ شَيْبِهِ وكَمالِهِ ، ويُسَمَّى فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ كَهْلًا .

• **المَرْحَلَةُ الرَّابِعَة** : هِيَ مِنْ وَقْتِ اسْتِكْمالِ شَيْبِهِ ، إِلَى يَوْمِ خُرُوجِهِ مِنْ دارِ الفَناءِ والغُرُورِ إِلَى دارِ البَقاءِ والقَرارِ ، ويُسَمَّى شَيْخًا .

وكُلُّ مَرْحَلَةٍ مِنْ هَذِهِ المَراحِلِ ، تَعْتَرِيهِ فِيها أَعْراضٌ وأَحْوالٌ ، بِخِلافِ المَرْحَلَةِ الأُخْرَى ، وذَلِكَ قَدْ يُشابِهُ حالَ أَزْمِنَةِ السَّنَةِ وفُصُولِها :

• **فَفَصْلُ الرَّبِيع** : هُوَ حارٌّ رَطْبٌ ، وكَذَلِكَ الإِنْسانُ أَوَّلُ مَرْحَلَةٍ مِنْ عُمْرِهِ الصِّبا ، وهُوَ هُناكَ حارٌّ رَطْبٌ .

• والزَّمانُ الثَّانِي مِنَ السَّنَةِ وهُوَ **زَمانُ الصَّيْف** : وهُوَ حارٌّ يابِسٌ ، وكَذَلِكَ الإِنْسانُ فِي المَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ عُمْرِهِ وهِيَ الشَّبابُ ، وهُوَ هُناكَ حارٌّ يابِسٌ أَيْضًا .

• والزَّمانُ الثَّالِثُ مِنَ السَّنَةِ وهُوَ **زَمانُ الخَرِيف** : وهُوَ بارِدٌ يابِسٌ ،

وكَذَلِكَ الإِنْسانُ فِي المَرْحَلَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ عُمْرِهِ وهِيَ الكُهُولَة .

• والزَّمانُ الرَّابِعُ مِنَ السَّنَةِ وهُوَ **زَمانُ الشِّتاء** : وهُوَ بارِدٌ رَطْبٌ ، وكَذَلِكَ الإِنْسانُ فِي المَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ وهِيَ الشَّيْخُوخَة .

العَلاقَةُ بَيْنَ القَمَرِ وأَحْوالِ الإِنْسان : إِنَّ الحالَ فِي الشُّهُورِ والأَهِلَّةِ يُشابِهُ حالَ الإِنْسانِ فِي مَراحِلِ عُمْرِهِ وحالَ السَّنَةِ فِي فُصُولِها ، وذَلِكَ بِحَسَبِ بُعْدِ القَمَرِ وقُرْبِهِ مِنَ الشَّمْسِ ، فَإِنَّ القَمَرَ تَعْتَرِيهِ أَحْوالٌ مِنْ ذَلِكَ :

• فَأَوَّلُ دَلالَةٍ بَعْدَ انْفِصالِهِ عَنِ الاجْتِماعِ مَعَ الشَّمْسِ أَنْ يَقْطَعَ سَبْعَةَ مَنازِلَ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ ولَيالِيها الأُولَى مِنَ الشَّهْرِ ، فَيَكُونُ القَمَرُ فِي تِلْكَ السَّبْعَةِ الأُولَى حارًّا رَطْبًا ، مُحَرِّكًا لِلرُّطُوبَةِ والحَرارَةِ ، ومُقَوِّيها فِي أَبْدانِ الإِنْسانِ والحَيَوانِ ، وأَجْسادِ النَّباتِ ، وضُرُوبِ المَعادِنِ ، لَكِنَّ تَحْرِيكَهُ لِلرُّطُوبَةِ أَكْثَرُ ، ولِلحَرارَةِ أَقَلُّ .

• ومِنْ تَمامِ سَبْعَةِ الأَيَّامِ الأُولَى إِلَى سَبْعَةِ الأَيَّامِ الثَّانِيَةِ مِنَ الشَّهْرِ ، يَكُونُ فِيها بِمَنْزِلَةِ الشُّبُوبِيَّةِ فِي الإِنْسانِ حارًّا يابِسًا ؛ مُحَرِّكًا لِلحَرارَةِ واليَبَسِ فِي أَبْدانِ بَنِي آدَمَ ، وأَبْدانِ الحَيَوانِ ، وأَجْسادِ النَّباتِ ، وضُرُوبِ المَعادِنِ : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ .

• ومِنْ كمالِ سَبْعَةِ الأَيَّامِ الثَّانِيَةِ إِلَى وَقْتِ سَبْعَةِ الأَيَّامِ الثَّالثَةِ مِنَ الشَّهْرِ ، فيَكُونُ القمَرُ باردًا يابسًا ، مُحرِّكًا للبُرُودَةِ واليَبَسِ فِي أَبْدانِ بَنِي آدَمَ والحيَوان ، وأَجْسادِ النَّباتِ وضُرُوبِ المَعادِن .

• ومِنْ كمالِ سَبْعَةِ الأَيَّامِ الثَّالثَةِ إِلَى كَمالِ سَبْعَةِ الأَيَّامِ الرَّابِعَةِ مِنَ الشَّهْرِ ، فيَكُونُ القَمَرُ فِيها بِمَنْزِلَةِ الشَّيْخُوخَةِ فِي الإِنْسان ، وبِمَنْزِلَةِ الشِّتاءِ فِي السَّنَةِ ، باردًا رَطْبًا ، مُحرِّكًا للبُرُودَةِ والرُّطُوبَةِ فِي أَبْدانِ بَنِي آدَمَ والحَيَوانِ ، وأَجْسادِ النَّباتِ ، وضُرُوبِ المَعادِن .

فَتَكُونُ فِي مُدَّةِ افْتِراقِهِ مَعَ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ اسْتِنارَتِه (اسْتِنارَتِه بِشُعاعِها) ، ثَمانِيَةٌ وعِشْرُونَ يَوْمًا .

فَإِذا اجْتَمَعَ فِي دَقِيقَةٍ مَعَ الشَّمْسِ ، فَهِيَ للعُمْرِ حالَةٌ خامِسَةٌ ، وهِيَ عِنْدَ المُحَقِّقِينَ أَفْضَلُ أَحْوالِهِ ، وأَكْثَرُها قُوَّةً لِفِعْلِه ، كَما أَنَّ الإِنْسانَ المُؤْمِنَ أَفْضَلُ أَوْقاتِهِ يَوْمَ لِقاءِ رَبِّهِ فِي دارِ القَرار ، وانْصِرافِهِ وخُرُوجِهِ مِنْ دارِ الغُرُورِ الَّتِي لا بَقاءَ لَها .

ولَقَدْ رَأَيْتُ لليُونانِيِّينَ ولِلْمِصْرِيِّينَ وحُكَماءِ الهِنْدِ كَلامًا فِي هَذا الشَّأْنِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ اجْتِماعَ القَمَرِ مَعَ الشَّمْسِ أَقْوَى أَحْوالِ القَمَرِ ، ولا يَقُولُونَ كَما ذَكَرْنا أَنَّهُ أَفْضَلُ أَحْوالِها وأَكْثَرُها قُوَّةً ؛ لأَنَّ

عِنْدَهُمْ أَفْضَلَ أَحْوالِ القَمَرِ مِنَ الشَّمْسِ هُوَ امْتِلاؤُهُ مِنَ النُّور ، وأَمَّا إذا اجْتَمَعَ مَعَ الشَّمْسِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَقْوَى فَقَط .

وقَدْ أَجْمَعَ أَرْبابُ البَصائِرِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ كُلِّهِمْ : عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ أَحْوالِ القَمَرِ فِي شَكْلِه وبُعْدِهِ وقُرْبِهِ مِنَ الشَّمْسِ هُوَ إِذا اجْتَمَعَ مَعَها فِي دَقِيقَةٍ واحِدَةٍ ، وأَنَّ هَذِهِ الحالَةَ لَهُ مِنَ الشَّمْسِ هِيَ حالَةٌ خامِسَةٌ ، وحُكْمُها غَيْرُ حُكْمِ الأَرْبَع ، وأَنَّها أَجَلُّ أَحْوالِه ، وأَنَّهُ يَفْرَحُ بِاجْتِماعِهِ مَعَ الشَّمْسِ ، كَما يَفْرَحُ المُسافِرُ إِذا رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ سالِمًا إِلَى وَطَنِهِ ، أَوْ كالإِنْسانِ المُؤْمِنِ البَصِيرِ الفارِحِ بِلِقاءِ رَبِّهِ وقَرارِهِ عِنْدَ سَيِّدِهِ ، وخُرُوجِهِ مِنْ دارِ المَلاهِي والمَشاغِل .

وبِهَذِهِ الأَحْوالِ الخَمْسَةِ الَّتِي وَصَفْناها للقَمَرِ مِنَ الشَّمْسِ ، تُشاكِلُها جَمِيعُ الحَيَوانِ والنَّباتِ والمَعْدِنِ ، وكَذَلِكَ تُشاكِلُ حالَ القَمَرِ أَحْوالُ الحَيَواناتِ فِي أَسْنانِها مِنَ الصِّبا والشُّبُوبِيَّةِ والكُهُولِيَّةِ والشَّيْخُوخَةِ ، وكَذَلِكَ قَدْ تُشاكِلُهُ أَرْبَعُ جِهاتٍ الَّتِي تُسَمَّى زَوايا العالَمِ وهِيَ : المَشْرِقُ والمَغْرِبُ ، والجَنُوبُ والشَّمالُ ، وقَدْ تَهُبُّ مِنْ هَذِهِ الجِهاتِ الأَرْبَعِ رِياحٌ أَرْبَعٌ ، وقَدْ تُشاكِلُ هَذِهِ الرِّياحَ أَرْبَعَةُ أَخْلاطٍ الَّتِي فِي بَدَنِ الإِنْسانِ .

فَهَذِهِ هِيَ المَعانِي كُلُّها ، وهَذِهِ هِيَ الوُجُوهُ بِأَعْيانِها .

مَعْرِفَةُ الإنسانِ ضَرُورَةٌ عَلَى طَرِيقِ مَعْرِفَةِ الله : إِنَّ الإِنْسانَ مِنْ حَيْثُ هُوَ ، جعَلَ اللهُ لَهُ خَمْسَةَ مَواطِنَ ، يَعْمُرُها ويُسافِرُ مِنْ بَعْضِها إِلَى بَعْض ، حَتَّى يَبْلُغَ مَوْطِنَ اسْتِقْرارِهِ وهُوَ المَوْطِنُ الخامِس :

- **أَوَّلُ هَذِهِ المَواطِن** : عالَمُ الغَيْبِ وهُوَ الأَصْلابُ ، إِلَى صُلْبِ الأَبِ ورَحِمِ الأُمِّ .
- **والثَّاني مِنَ المَواطِن** : دارُ الدُّنْيا .
- **والثَّالِثُ** : القَبْرُ والبَرْزَخُ .
- **والرَّابِعُ** : البَعْثُ والحَشْرُ والحِسابُ والمِيزانُ والصِّراطُ .
- **والخامِسُ** : الجَنَّةُ والنَّار .

ولْنَعْلَمْ بِالنَّظَرِ والتَّفَكُّرِ أَنَّ اللهَ تَعالَى جَعَلَ نَفْسَ كُلِّ إِنْسانٍ بَيْنَ أَرْبَعَةِ آفاق : أُفُقانِ مِنْها نَيِّرانِ ، فاضِلانِ ، مَهْدِيَّانِ ، وهُما : الهَيُولِي الأُولَى ، والعَقْلُ ، والمُرادُ بِلَفْظِ الهَيُولى هُوَ الرُّوح .

وأُفُقانِ تَحْتَهُما مُظْلِمانِ وهُما : الطَّبِيعَةُ والعُنْصُرُ الجِرْمِي الجِسْمانِي ، فالنَّفْسُ الَّتي يَغْلُبُ عَلَيْها الأَعْلَيانِ تُعْتَبَرُ نَفْسًا نَيِّرَةً فاضِلَةً سَعِيدَةً ، ومَسِيرُها ومُسْتَقَرُّها الفِرْدَوْسُ الأَعْلَى ، الَّذي فِيهِ انْبَعَثَتْ ومِنْهُ اسْتَمَدَّتْ .

والنَّفْسُ الَّتي يَغْلُبُ عَلَيْها الأَسْفَلانِ تُعْتَبَرُ نَفْسًا مُظْلِمَةً رَذِيلَةً ، مَسِيرُها ومُسْتَقَرُّها النَّارُ السُّفْلَى الَّتي عَنْها انْبَعَثَتْ ومِنْها اسْتَمَدَّتْ .

والإِنْسانُ المُؤْمِنُ يُوقِنُ بِإِخْبارِ رُسُلِ اللهِ : أَنَّ اللهَ خَلَقَ عَوالِمَ المَلائِكَةِ كُلَّها خَيْرٌ مَحْضٌ ، وخَلَقَ كَثِيرًا مِنْ عَوالِمِ الجِنِّ ، وعَوالِمَ الشَّياطِينِ كُلَّها شَرٌّ مَحْضٌ ، وخَلَقَ الإِنْسانَ جامِحًا لِلخَيْرِ والشَّرِّ .

فَمَنْ غَلَبَ خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ اقْتَرَبَ مِنْ عالَمِ المَلائِكَةِ ، ومَنْ غَلَبَ شَرُّهُ عَلَى خَيْرِهِ كانَ شَرُّهُ أَقْوَى مِنَ الشَّرِّ المَحْضِ ، الَّذي هُوَ شَرُّ الجِنِّ والشَّياطِين .

ولْنَعْلَمْ كَذَلِكَ أَنَّ القُوَّةَ الَّتي هِيَ فِي الإِنْسانِ تِسْعٌ ، خَمْسٌ مِنْها فِي ظاهِرِ جِسْمِهِ ، وأَرْبَعٌ فِي باطِنِهِ :

فالخَمْسَةُ الظَّاهِرَةُ هِيَ : قُوَّةُ البَصَرِ ، وقُوَّةُ السَّمْعِ ، وقُوَّةُ الذَّوْقِ ، وقُوَّةُ الشَّمِّ ، وقُوَّةُ اللَّمْسِ .

وأَمَّا الأَرْبَعُ الباطِنَةُ فَهِيَ : قُوَّةُ حَرَكاتِ المَفاصِلِ ، والعَضَلِ والعَصَبِ ، وقُوَّةُ تَحَلُّلِ الأَشْياءِ وتَطَبُّعِها فِيهِ كَما تَنْطَبِعُ صُورَةُ الشَّمْسِ فِي المِرْآةِ ، وقُوَّةٌ بِها يَتَفَكَّرُ فِي مُهِمَّاتِهِ ، وقُوَّةٌ يَذْكُرُ بِها مَوْلاهُ أَنْ وَفَّقَهُ لِمَرْضاتِهِ .

وفِيهِ سَجِيَّتان ؛ بِهِما تَزْدادُ القُوَى التِّسْعُ أَوْ يَعْتَرِيها النُّقْصان ، وهُما يَتَعاقَبانِ عَلَى كُلِّ إِنْسان : الصِّحَّةُ والسَّقَمُ ، والحُبُّ فِي الأَشْياءِ والكَراهَةُ لَها .

زِيادَةٌ وإِفادَة : وبِهَذا اسْتَوْعَبَتِ الأَذْهانُ أَنَّ الإِنْسانَ كَما يَقُولُ الحُكَماء : مَجْمَعُ العَجائِبِ ومَحَلُّ الغَرائِب ، فَهُوَ مَعْدِنُ العَقْلِ والحِكْمَةِ والتَّدَبُّرِ والاعْتِبار ، كَما أَنَّهُ مَرْكَزُ الشَّهْوَةِ والحَمِيَّةِ والهَوَى[1] .

فِيهِ الرُّوحُ الصَّافِيَةُ المُقِرَّةُ بِالرُّبُوبِيَّةِ والتَّوْحِيد ، الدَّاعِيَةُ إِلَى الحَقِّ والخَيْرِ ، وفِيهِ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ، النَّزَّاعَةُ للباطِلِ والشَّرِّ .

رَوَى ابنُ عَبْدِ البَرِّ فِي التَّمْهِيد : (أَنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ آدَمَ وجَعَلَ فِيهِ نَفْسًا ورُوحًا ، فَمِنَ الرُّوحِ عَفافُهُ وفَهْمُهُ وحِلْمُهُ وسَخاؤُهُ ووَفاؤُهُ ، ومِنَ النَّفْسِ شَهْوَتُهُ وطَيْشُهُ) .

والمُرادُ (واللهُ أَعْلَمُ) أَنَّ النَّوْعَ الآدَمِيَّ فِيهِ جَمِيعُ ذَلِك ، ومَنِ اسْتَقْرَأَ أَحْوالَ النَّاسِ رَأَى العَجَبَ العُجابَ وشاهَدَ مِنْ تَفاوُتِهِمْ وتَبايُنِ أَحْوالِهِمْ ما يَكادُ يَبْلُغُ حَدَّ التَّناقُضِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَقْوَى رُوحُهُ وتَغْلِبُ مَلَكِيَّتُهُ فَيَرْتَقِي فِي دَرَجاتِ الكَمالِ حَتَّى يَصِلَ أَعْلَى عِلِّيِّينَ ، ومِنْهُمْ مَنْ تَقْوَى

(١) الإِنْسانُ والإِسْلام : مُحَمَّد الطَّاهِر الحامِدِي .

نَفْسُهُ وتَغْلِبُ عَلَيْهِ بَهِيمِيَّتُهُ فَيَنْحَدِرُ فِي الضَّلالِ ويَرْتَطِمُ فِي أَوْحالِ الرَّذائِلِ حَتَّى يَنْحَطَّ إِلَى أَسْفَلِ سافِلِينَ ويَكُونَ شَرًّا مِنَ الدَّوابِّ :

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[1] .

وهَؤُلاءِ هُمْ قَبْضَةُ جَهَنَّمَ ، وسُكَّانُ الجَحِيم : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[2] .

ومِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَقْلُهُ القاهِرَ لِقَلْبِهِ ونَفْسِهِ ، كالرَّجُلِ الَّذِي تَمَكَّنَتْ مِنْهُ عَقِيدَةٌ خاصَّةٌ حَتَّى فَنِيَتْ فِيها نَفْسُهُ ، وامْتَلأَ بِها قَلْبُهُ ، وكَما هُوَ شَأْنُ المُؤْمِنِ حَقَّ الإِيمانِ ، الَّذِي غَلَبَتْ لَذَّةُ اليَقِينِ عَلَى عَقْلِهِ فانْقَلَبَ حُبُّهُ وبُغْضُهُ وشَهْوَتُهُ إِلَى ما يَأْمُرُ بِهِ الشَّرْعُ فَلا يَبْغِي عَنْ حُكْمِ الشَّرْعِ بَدِيلًا .

ومِنْهُمْ مَنْ إِذا أَصابَهُ غَضَبٌ ، أَوْ هاجَ فِي قَلْبِهِ طَلَبُ مَنْصِبٍ عَظِيمٍ يَسْتَهِينُ فِي جَنْبِهِ بِاللَّذَّاتِ (ورُبَّما تَعَرَّضَ لِمِثْلِ هَذا شَهْوَةٌ وتَدْعُوهُ إِلَيْها نَفْسُهُ أَشَدَّ دَعْوَةٍ) ، فَيُجاهِدُ نَفْسَهُ مُجاهَدَةً عَظِيمَةً ولا يُطِيعُها فِيما دَعَتْهُ إِلَيْهِ ، ورُبَّما يَصْبِرُ عَلَى الجُوعِ والعُرْيِ لا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا

(١) سُورَةُ الأَنْفال : الآيَة ٢٢ .   (٢) سُورَةُ الأَعْراف : الآيَة ١٧٩ .

لما جُبل عَلَيْه مِنَ الأَنَفَةِ والعِزَّة .

ومِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نَفْسُهُ هِيَ القاهِرَةَ عَلَى عَقْلِهِ فَإِذا عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ اقْتَحَمَ فِيها وإِنْ كانَ هُناكَ أَلْفُ عار ، ولا يَخْشَى ما يُصِيبُهُ مِنَ المَذَلَّةِ والعار .

ورُبَّما يَبْدُو لِهَذا الإِنْسانِ مَطْعَمٌ هَنِيٌّ أَوْ تَسْنَحُ لَهُ شَهْوَةٌ جِنْسِيَّةٌ يَعْلَمُ أَنَّ فِيها مَضَرَّةً مِنْ جِهَةِ الطِّبِّ أَوْ مِنْ جِهَةِ سَطْوَةِ بَعْضِ النَّاسِ فَيَخافُ ويَرْتَعِشُ ثُمَّ يُعْمِيهِ الهَوَى فَيَقْتَحِمُ فِي داعِيَةِ النَّفْسِ ويَنْسَى عَواقِبَ ما تَجْنِي يَداهُ .

بَلِ الشَّخْصُ الواحِدُ رُبَّما يَتَقَلَّبُ قَلْبُهُ وتَخْتَلِفُ أَحْوالُهُ بَيْنَ حِينٍ وحِينٍ كَما قالَ سَيِّدُنا حُذَيْفَةُ ﵁ : (يَأْتِي عَلَى القَلْبِ ساعَةٌ يَمْتَلِئُ بِالإِيمانِ حَتَّى لا يَكُونَ لِلنِّفاقِ فِيهِ مَغْرَزُ إِبْرَة ، ويَأْتِي عَلَيْهِ ساعَةٌ يَمْتَلِئُ بِالنِّفاقِ حَتَّى لا يَكُونَ لِلإِيمانِ فِيهِ مَغْرَزُ إِبْرَة) .

ومِنْ كَلام مَوْلانا الإِمام عَلِيٍّ ﵁ وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ و﵇ : (لَقَدْ عُلِقَ بِنِياطِ هَذا الإِنْسانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مِنْهُ وذَلِكَ القَلْبُ ، ولَهُ مَوادُّ مِنَ الحِكْمَةِ وأَضْدادٌ لَها مِنْ خِلافِها ، فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وإِنْ هاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الحِرْصُ ، وإِنْ مَلَكَهُ اليَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ ، وإِنْ

عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الغَيْظُ ، وإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضا نَسِيَ التَّحَفُّظَ ، وإِنْ نالَهُ الخَوْفُ شَغَلَهُ الحَذَرُ ، وإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ العِزَّةُ ، وإِنْ أَفادَ مالاً أَطْغاهُ الغِنَى ، وإِنْ أَصابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الجَزَعُ ، وإِنْ عَضَّتْهُ الفاقَةُ شَغَلَهُ البَلاءُ ، وإِنْ جَهَدَهُ الجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ ، وإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ البِطْنَةُ ، فَكُلُّ تَقْصِيرٍ لَهُ مُضِرٌّ ، وكُلُّ إِفْراطٍ لَهُ مُفْسِدٌ) .

وقَدْ أَشارَ لِذَلِكَ كُلِّه سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ فِيما أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : (النَّاسُ مَعادِنُ كَمَعادِنِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، خِيارُهُمْ فِي الجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ فِي الإِسْلام إِذا فَقُهُوا) .

قالَ الإِمامُ القَرافِي فِي ((الفُروق)) : يَعْنِي أَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي سَجاياهُمْ وخَلْقِهِمْ ، وطَبائِعِ نُفُوسِهِمْ وأَمْزِجَتِهِمْ ، فَمِنْهُمُ الجَبانُ لِلغايَة ، والشُّجاعُ لِلغايَة ، ومِنْهُمْ بَيْنَ بَيْنَ .

وكَذَلِكَ فِي الشَّرِّ والخَيْرِ ، والكَرَمِ والبُخْلِ ، والفَهْمِ وقِياسِ الغائِبِ عَلَى الشَّاهِدِ ، والحَدْسِ والتَّخْمِينِ ، والتَّأْثِيرِ بِالهِمَّةِ فِي الغَيْرِ ، كَما أَنَّ المَعادِنَ كَذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ فِي جَواهِرِها وأَشْكالِها وخَواصِّها ، فَأَهْلُ السَّجايا الكَرِيمَةِ والطِّباعِ الخَيْرِيَّةِ فِي الجاهِلِيَّةِ هُمْ كَذَلِكَ فِي الإِسْلامِ إِذا عَرَفُوا الحَقَّ وعَمِلُوا بِهِ .

ومِنْ هُنا قِيلَ : إنَّ الإنسانَ أَنْمُوذَجُ الكَوْنِ ونُسْخَةُ الوُجُودِ مِنْ عَرْشِهِ إلَى فَرْشِهِ ، قَدْ رَكَّبَهُ اللّٰهُ تعالَى تَرْكِيبًا مَحْسُوسًا ومَعْقُولًا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ ظُلْمانِيٍّ كَثِيفٍ وهُوَ الجِسْمُ ، ونُورانِيٍّ لَطِيفٍ وهُوَ الرُّوحُ ، وأَوْدَعَ فِيهِ قُوًى ظاهِرَةً وأُخْرَى باطِنَةً وخَلَطَ فِيهِ العَناصِرَ الأَرْبَعَةَ : الماءَ والتُّرابَ والنَّارَ والهَواءِ ، وجَعَلَ فِيهِ مِنْ صِفاتِ المَلائِكَةِ العَقْلَ والمَعْرِفَةَ والعِبادَةَ ، ومِنْ صِفاتِ الشَّياطِينِ الإغْواءَ والتَّمَرُّدَ والطُّغْيان ، ومِنْ صِفاتِ الحَيَواناتِ أَنَّهُ فِي حالَةِ الغَضَبِ يَكُونُ أَسَدًا ، وفِي حالَةِ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ يَكُونُ خِنْزِيرًا لا يُبالِي أَيْنَ يُلْقِي نَفْسَهُ ، وفِي حالَةِ الحِرْصِ عَلَى الدُّنْيا والشَّرَهِ يَكُونُ كَلْبًا ، وفِي حالَةِ الاحْتِيالِ والخِداعِ يَكُونُ ذِئْبًا .

ومِنْ صِفاتِ النَّباتِ والأَشْجارِ أَنَّهُ يَكُونُ فِي مَبْدَئِهِ غَضًّا طَرِيًّا مُتَرَعْرِعًا وفِي آخِرِهِ يابِسًا أَسْوَد .

ومِنْ صِفاتِ السَّماءِ أَنَّهُ مَحَلُّ الأَنْوارِ ومَجْمَعُ المَلائِكَةِ ، ومِنْ صِفاتِ الأَرْضِ أَنَّهُ مَحَلٌّ لِنَباتِ الأَخْلاقِ والطِّباعِ ، ومِنْهُ اللِّينُ والخَشِنُ .

ويُقالُ إنَّ رَأْسَهُ كالعَرْشِ ، وصَدْرَهُ كالكُرْسِيِّ ورُوحَهُ كالشَّمْسِ ، وعَقْلَهُ كالقَمَرِ (يَبْدُو فِي أَوَّلِهِ صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَكْمُلَ ثُمَّ يَعُودَ صَغِيرًا ، ثُمَّ يَكْبُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَكْمُلَ ثُمَّ يَعُودَ صَغِيرًا إذا

بَلَغَ الإنْسانُ أَرْذَلَ العُمُرِ) ، وحَواسُّهُ كالكَواكِبِ ، وعَضَلاتُهُ كالأَرْضِ ، وعِظامُهُ كالجِبالِ ، وعُرُوقُهُ المَمْلُوءَةُ بالدَّمِ كالأَنْهارِ الجارِيَةِ بالماءِ ، وسَوائِلُهُ المُخْتَلِفَةُ الطُّعُومِ (ماءُ فَمِهِ العَذْبُ ، وماءُ عَيْنِهِ المِلْحُ ، وماءُ أُذُنِهِ المُرُّ) : كالمِياهِ العَذْبَةِ والمِلْحَةِ فِي الأَرْضِ .

وشَعْرُهُ كالنَّباتِ المُخْتَلِفِ الأَلْوانِ ، وقَلْبُهُ خِزانَةُ سِرِّهِ ، ولِسانُهُ تَرْجُمانُ عَقْلِهِ ، وعَيْناهُ حارِسَتان ، وأُذُناهُ مُخْبِرَتان ، ورِجْلاهُ مَطِيَّتان ، ويَداهُ خادِمَتان .

فَكَأَنَّ العالَمَ وجَمِيعَ ما فِيهِ عُلْوِيَّهُ وسُفْلِيَّهُ شَرْحٌ لِمَتْنِ الإنْسان ، وكُلَّ ما فِي الإنْسانِ يُمَثِّلُ جُزْءًا مِنَ العالَم .

ولِلّٰهِ دَرُّ الشَّيْخِ الأَكْبَرِ فِي قَوْلِهِ : أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وفِيكَ انْطَوَى العالَمُ الأَكْبَرُ ؟!

ولِلّٰهِ دَرُّ القائِلِ :

يَا سَابِقًا فِي مَوْكِبِ الإِبْدَاعِ ❁ وَلَاحِقًا فِي جَيْشِ الاخْتِرَاعِ
اعْقَلْ فَأَنْتَ نُسْخَةُ الوُجُودِ ❁ لِلّٰهِ مَا أَسْمَاكَ مِنْ مَوْجُودِ
أَلَيْسَ فِيكَ العَرْشُ وَالكُرْسِيُّ ❁ وَالعَالَمُ العُلْوِيُّ وَالسُّفْلِيُّ
مَا الكَوْنُ إِلَّا رَجُلٌ كَبِيرُ ❁ وَأَنْتَ كَوْنٌ مِثْلُهُ صَغِيرُ

• ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١).

• ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (٢).

• ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٣).

• ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٤).

• ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (٥).

• ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (٦).

(١) سُورَةُ البَقَرَة : ١٢٧، ١٢٨ . (٢) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٠١ . (٣) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٥٠ .
(٤) سُورَةُ البَقَرَة : ٢٨٦ . (٥) سُورَةُ آل عِمْران : ٨ . (٦) سُورَةُ آل عِمْران : ١٦ .

• ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (١).

• ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ (٢).

• ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (٣).

• ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (٤).

• ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (٥).

• ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ (٦).

• ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ (٧).

• ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (٨).

(١) سُورَةُ آل عِمْران : ٣٨ . (٢) سُورَةُ آل عِمْران : ٥٣ . (٣) سُورَةُ آل عِمْران : ١٤٧ .
(٤) سُورَةُ آل عِمْران : ١٩١-١٩٤ . (٥) سُورَةُ النِّساء : ٧٥ . (٦) سُورَةُ المائِدَة : ٢٥ .
(٧) سُورَةُ المائِدَة : ٨٣ . (٨) سُورَةُ الأَعْراف : ٢٣ .

• ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١) .

• ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ (٢) .

• ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (٣) .

• ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (٤) .

• ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٥) .

• ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (٦) .

• ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (٧) .

• ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ (٨) .

(١) سُورَةُ الأَعْرَاف : ٤٧ . (٢) سُورَةُ الأَعْرَاف : ٨٩ . (٣) سُورَةُ الأَعْرَاف : ١٢٦ .
(٤) سُورَةُ الأَعْرَاف : ١٥١ . (٥) سُورَةُ يُونُس : ٨٦،٨٥ . (٦) سُورَةُ هُود : ٤٧ .
(٧) سُورَةُ يُوسُف : ١٠١ . (٨) سُورَةُ إِبْرَاهِيم : ٤١،٤٠ .

• ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ (١) .

• ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (٢) .

• ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ (٣) .

• ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٤) .

• ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ (٥) .

• ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (٦) .

• ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (٧) .

• ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٨) .

• ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٩) .

• ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى

(١) سُورَةُ الإِسْرَاء : ٨٠ . (٢) سُورَةُ الكَهْف : ١٠ . (٣) سُورَةُ طه : ٢٥-٢٨
(٤) سُورَةُ الأَنْبِيَاء : ٨٧ . (٥) سُورَةُ المُؤْمِنُون : ٩٨،٩٧ . (٦) سُورَةُ المُؤْمِنُون : ١٠٩ .
(٧) سُورَةُ المُؤْمِنُون : ١١٨ . (٨) سُورَةُ الفُرْقَان : ٦٥ . (٩) سُورَةُ الفُرْقَان : ٧٤ .

لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ (١) .

• ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (٢) .

• ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (٣) .

• ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (٤) .

• ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ (٥) .

• ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٦) .

• ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (٧) .

• ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ (٨) .

• ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٩) .

• ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (١٠) .

• ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ

(١) سُورَةُ الشُعَراء : ٨٣–٨٥ . (٢) سُورَةُ الشُعَراء : ٨٧ . (٣) سُورَةُ الشُعَراء : ١٦٩ .
(٤) سُورَةُ النَّمْل : ١٩ . (٥) سُورَةُ القَصَص : ١٦ . (٦) سُورَةُ القَصَص : ٢١ .
(٧) سُورَةُ العَنْكَبوت : ٣٠ . (٨) سُورَةُ غافِر : ٧ . (٩) سُورَةُ غافِر : ٨ .
(١٠) سُورَةُ الدُّخان : ١٢ .

أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (١) .

• ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢) .

• ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٣) .

• ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤) .

• ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٥) .

• ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ (٦) .

(١) سُورَةُ الأَحقاف : ١٥ . (٢) سُورَةُ الحَشْر : ١٠ . (٣) سُورَةُ المُمْتَحَنَة : ٥،٤ .
(٤) سُورَةُ التَّحْريم : ٨ . (٥) سُورَةُ التَّحْريم : ١١ . (٦) سُورَةُ نُوح : ٢٨ .

ابْتِهالُ الإيقانِ والعِرْفانِ عَقِبَ تِلاوَةِ القُرْآنِ

كَلامٌ قَـدِيـمٌ لا يُـمَـلُّ سَـمـاعُـهُ

تَـنَـزَّهَ عَـنْ قَـوْلٍ وَفِعْـلٍ وَنِـيَّـةِ

بِـهِ أَشْتَـفِـي مِـنْ كُلِّ داءٍ وَنُـورُهُ

دَلِيلٌ لِقَلْبِي عِنْدَ جَهْلِي وَحَيْرَتِي

فَـيَارَبِّ مَتِّعْنِـي بِسِـرِّ حُـرُوفِـهِ

وَنَـوِّرْ بِـهِ قَلْبِي وَسَمْعِي وَمُقْلَتِي

وَسَهِّـلْ عَلَـيَّ حِفْـظَـهُ ثُـمَّ دَرْسَـهُ

بِجَـاهِ النَّبِـي وَالْآلِ ثُـمَّ الصَّـحَابَةِ

وَطَـوِّلْ بِـهِ عُمْـرِي وَحَبْلَ مَـوَدَّتِي

بِجَاهٍ لِأَهْلِ الْجَاهِ حَسِّـنْ لِوِجْهَتِي

وَهَـبْ لِي بِهِ فَتْـحًا وَعِلْمًا وَحِكْمَةً

وَآنِسْ بِهِ يَا رَبِّ فِي الْقَبْرِ وَحْشَتِي

وَصَـلِّ وَسَلِّـمْ كُلَّ يَـوْمٍ وَلَيْـلَـةٍ

عَلَى مَنْ بِهِ الرَّحْمنُ يَقْبَلُ دَعْوَتِي

وَآلٍ وَأَصْـحَـابٍ كِـرَامٍ أَئِـمَّـةٍ

بِهِـمْ يَغْفِـرُ الْغَـفَّارُ ذَنْبِي وَزَلَّـتِي

زادُ الصَّالِحِ والوَلِيِّ بِأَدْعِيَةِ سَيِّدِنا النَّبِيِّ ﷺ

- (اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ وإِسْرافِيلَ ومُحَمَّدٍ ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ)[1].
- (اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ وإِسْرافِيلَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ ، ومِنْ عَذابِ القَبْرِ)[2].
- (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، وعَمَلٍ لا يُرْفَعُ ، ودُعاءٍ لا يُسْمَعُ)[3].
- (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ومِنْ دُعاءٍ لا يُسْمَعُ ، ومِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ ، ومِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاءِ الأَرْبَعِ)[4].
- (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عَمِلْتُ ، ومِنْ شَرِّ ما لَمْ أَعْمَلْ)[5].
- (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ ، وتَحَوُّلِ عافِيَتِكَ وفُجاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وجَمِيعِ سَخَطِكَ)[6].

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكَبِير ، والحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسائِي فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى .

(٣) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِه .

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمذي فِي سُنَنِه ، والنَّسائِي فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى .

(٥) أَخْرَجَهُ الإمامُ مُسْلِم فِي صَحِيحِه ، وأَبُو داوُدَ فِي سُنَنِه .

(٦) أَخْرَجَهُ الإمامُ مُسْلِم فِي صَحِيحِه ، وأَبُو داوُدَ فِي سُنَنِه .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَراتِ الأَخْلاقِ والأَعْمالِ والأَهْواءِ والأَدْواء)[1] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ ، ولَيْلَةِ السُّوءِ ، ومِنْ ساعَةِ السُّوءِ ، ومِنْ صاحِبِ السُّوءِ ، ومِنْ جارِ السُّوءِ فِي دارِ المُقامَة)[2] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ ، وغَلَبَةِ العَدُوِّ ، ومِنْ بَوارِ الأَيِّم ، ومِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّال)[3] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي ، والهَدْم ، والغَرَقِ ، والحَرَقِ ، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطانُ عِنْدَ المَوْتِ ، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا ، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا)[4] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ والقِلَّةِ والذِّلَّة ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَم)[5] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقاقِ والنِّفاقِ ، وسُوءِ الأَخْلاق)[6] .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي فِي سُنَنِهِ ، وعَلَّقَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب .
(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَم الكَبِير ، دار المُقامَة : الإِقامَة .
(٣) أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِي ، الأَيِّم : مَنْ لا زَوْجَ لَها بِكْرًا أَوْ ثَيِّبًا ، وبَوارُها : أَنْ لا يَرْغَب فِيها أَحَد .
(٤) أَخْرَجَهُ النَّسائِي فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى .
(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ فِي سُنَنِه ، والنَّسائِي فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى .
(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ فِي سُنَنِه ، والنَّسائِي فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ والجُنُونِ والجُذامِ ، ومِنْ سَيِّئِ الأَسْقام)[1] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكَرِيم ، واسْمِكَ العَظِيمِ مِنَ الكُفْرِ والفَقْر)[2] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَن ، والعَجْزِ والكَسَل ، والبُخْلِ والجُبْن ، وضَلَعِ الدَّيْن ، وغَلَبَةِ الرِّجال)[3] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ ، والكَسَلِ ، والجُبْنِ ، والبُخْلِ ، والهَرَم ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ ، ومِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَمات)[4] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ النَّارِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّال)[5] .

• (اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النِّساءِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْر)[6] .

---

(١) أَخْرَجَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِه .
(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ فِي السُّنَّة ، نَقْلًا عَنِ الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .
(٣) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .
(٤) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .
(٥) أَخْرَجَهُ النَّسائِي فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى .
(٦) أَخْرَجَهُ المُتَّقِي الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ ، والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ ، وعَذابِ القَبْرِ وفِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواها ، وزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها أَنْتَ وَلِيُّها ومَوْلاها ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، ومِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ومِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ ، ومِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَها)[1] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وبِمُعافاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لا أُحْصِي ثَناءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَما أَثْنَيْتَ عَلى نَفْسِكَ)[2] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ ، والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ ، والقَسْوَةِ والغَفْلَةِ والعِيلَةِ ، والذِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ والكُفْرِ ، والفُسُوقِ والشِّقاقِ والنِّفاقِ ، والسُّمْعَةِ والرِّياءِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ والبَكَمِ ، والجُنُونِ والجُذامِ والبَرَصِ وسَيِّئِ الأَسْقامِ)[3] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ، وقَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ودُعاءٍ لا يُسْمَعُ ، ونَفْسٍ لا تَشْبَعُ ، ومِنَ الجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ ، ومِنَ الخِيانَةِ فَإِنَّها بِئْسَتِ البِطانَةُ ، ومِنَ الكَسَلِ والبُخْلِ والجُبْنِ والهَرَمِ ، وأَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ ، ومِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، ومِنْ عَذابِ القَبْرِ ،

(١) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ ، والإمامُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِه .
(٢) أَخْرَجَهُ الإمامُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ ، وأَبُو داوُدَ في سُنَنِه .
(٣) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ في المُسْتَدْرَك .

وفِتْنَةِ المَحْيا والمَماتِ ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوبًا أَوَّاهَةً مُخْبِتَةً مُنِيبَةً فِي سَبِيلِكَ ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَزائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، ومُنْجِياتِ أَمْرِكَ ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والفَوْزَ بِالجَنَّةِ ، والنَّجاةَ مِنَ النَّارِ)[1] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ والهَرَمِ والمَأْثَمِ والمَغْرَمِ ، ومِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ وعَذابِ القَبْرِ ، ومِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وعَذابِ النَّارِ ، ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ، اللهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطايايَ بِالماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ ، ونَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطايا كَما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وباعِدْ بَيْنِي وبَيْنَ خَطايايَ كَما باعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ)[2] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي ، ومِنْ شَرِّ بَصَرِي ، ومِنْ شَرِّ لِسانِي ، ومِنْ شَرِّ قَلْبِي ، ومِنْ شَرِّ مَنِيِّي)[3] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ ماكِرٍ ، عَيْناهُ تَرَيانِي ، وقَلْبُهُ يَرْعانِي ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَها ، وإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذاعَها)[4] .

(١) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ في المُسْتَدْرَك : قُلُوبًا أَوَّاهَةً : مُتَضَرِّعَةً أَوْ كَثِيرَةَ الدُّعاءِ أَوِ البُكاءِ ، مُخْبِتَةً : خاشِعَةً مُطِيعَةً مُنْقادَةً ، مُنِيبَةً : راجِعَةً إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ ، فِي سَبِيلِكَ : أي الطَّرِيقِ إِلَيْكَ .
(٢) صَحِيحُ البُخاري ومُسْلِم ، وأَخْرَجَهُ التِّرْمِذي في سُنَنِه ، وابنُ ماجه في سُنَنِه .
(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ في سُنَنِه ، والحاكِمُ في المُسْتَدْرَك .
(٤) كَنْزُ العُمَّال : المُتَّقِي الهِنْدي ، والعَجْلُوني في كَشْفِ الخَفاء .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك الثَّباتَ فِي الأَمْرِ ، وأَسْأَلُك عَزِيمَةَ الرُّشْدِ ، وأَسْأَلُك شُكْرَ نِعْمَتِك ، وحُسْنَ عِبادَتِك ، وأَسْأَلُك لِسانًا صادِقًا ، وقَلْبًا سَلِيمًا ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما تَعْلَمُ ، وأَسْأَلُك مِنْ خَيْرِ ما تَعْلَمُ ، وأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوب)[١] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العِفَّةَ والعافِيَةَ فِي دُنْيايَ ودِينِي وأَهْلِي ومالِي ، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتِي ، وآمِنْ رَوْعاتِي ، واحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي ، وعَنْ يَمِينِي وعَنْ شِمالِي ، ومِنْ فَوْقِي ، وأَعُوذُ بِعَظَمَتِك أَنْ أُغْتالَ مِنْ تَحْتِي)[٢] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك إِيمانًا يُباشِرُ قَلْبِي حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لا يُصِيبُنِي إِلَّا ما كَتَبْتَ لِي ، ورَضِّنِي مِنَ المَعِيشَةِ بِما قَسَمْتَ لِي)[٣] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ المُبارَكِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ ، الَّذِي إِذا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وإِذا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ ، وإِذا اسْتُرْحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وإِذا اسْتُفْرِجْتَ بِهِ فَرَّجْتَ)[٤] .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذي فِي سُنَنِه ، والنَّسائي فِي سُنَنِه الصُّغْرَى .

الثَّباتُ فِي الأَمْر : حُسْنُ التَّصَرُّفِ فِي الأَمْرِ والإِقامَةُ عَلَيْه .

(٢) كَنْزُ العُمَّال : المُتَّقِي الهِنْدِي .

(٣) أَخْرَجَهُ البَزَّار فِي مُسْنَدِه .

(٤) أَخْرَجَهُ ابنُ ماجه فِي سُنَنِه عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عائِشَة رضي الله عنها .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِنَ الخَيْرِ كُلِّه ، عاجِلِهِ وآجِلِه ، ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَمْ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّه عاجِلِه وآجِلِه ، ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَمْ ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِنْ خَيْرِ ما سَأَلَكَ عَبْدُكَ ونَبِيُّك ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما عاذَ بِه عَبْدُكَ ونَبِيُّكَ ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وما قَرَّبَ إِلَيْها مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَل ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وما قَرَّبَ إِلَيْها مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَل ، وأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا)[١] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَمْ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أَعْلَمْ)[٢] .

• (اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِباتِ رَحْمَتِك ، وعَزائِمَ مَغْفِرَتِك ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْم ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والفَوْزَ بِالجَنَّة ، والنَّجاةَ مِنَ النَّار)[٣] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى ، والتُّقَى ، والعَفافَ ، والغِنَى)[٤] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَة ، يا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى ، اللهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ)[٥] .

---

(١) أَخْرَجَهُ ابنُ ماجه فِي سُنَنِه .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِير .

(٣) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .

(٤) أَخْرَجَهُ الإِمامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِه .

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذي فِي سُنَنِه ، والحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ والعِفَّةَ والأَمانَةَ ، وحُسْنَ الخُلُقِ ، والرِّضا بالقَدَرِ)[١] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمان ، وإِيمانًا فِي حُسْنِ خُلُق ، ونَجاحًا يَتْبَعُهُ فَلاحٌ ، ورَحْمَةً مِنْكَ وعافِيَةً ، ومَغْفِرَةً مِنْكَ ورِضْوانًا)[٢] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَحابِّكَ مِنَ الأَعْمالِ ، وصِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ)[٣] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ ورَحْمَتِكَ ، فَإِنَّهُ لا يَمْلِكُهُما إِلَّا أَنْتَ)[٤] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً تَقِيَّةً ، ومِيتَةً سَوِيَّةً ، ومَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ ولا فاضِحٍ)[٥] .

• (اللهُمَّ إِنَّكَ سَأَلْتَنا مِنْ أَنْفُسِنا ما لا نَمْلِكُهُ إِلَّا بِكَ ، اللهُمَّ فَأَعْطِنا مِنْها ما يُرْضِيكَ عَنَّا)[٦] .

---

(١) كَنْزُ العُمَّال : المُتَّقِي الهِنْدِي .
(٢) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك ، عَنْ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .
(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم عَنِ الأَوْزاعِي فِي حِلْيَةِ الأَوْلِياء ، وعَنْهُ الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .
(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَم الكَبِير .
(٥) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .
(٦) أَخْرَجَهُ ابنُ عَساكِر فِي تارِيخ دِمَشْق ، وعَنْهُ الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .

• (اللهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَحْدَثْناهُ ، ولا بِرَبٍّ ابْتَدَعْناهُ ، ولا كانَ لَنا قَبْلَكَ مِنْ إِلَهٍ نَلْجَأُ إِلَيْهِ ونَذَرُكَ ، ولا أَعانَكَ عَلَى خَلْقِنا أَحَدٌ فَنُشْرِكَهُ فِيكَ ، تَبارَكْتَ وتَعالَيْتَ .

اللهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي ، وتَرَى مَكانِي ، وتَعْلَمُ سِرِّي وعَلانِيَتِي ، لا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، أَنا البائِسُ الفَقِيرُ المُسْتَغِيثُ المُسْتَجِيرُ الوَجِلُ المُشْفِقُ ، المُقِرُّ المُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المِسْكِينِ ، وأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهالَ المُذْنِبِ الذَّلِيلِ ، وأَدْعُوكَ دُعاءَ الخائِفِ الضَّرِيرِ ، مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وفاضَتْ لَكَ عَبْرَتُهُ ، وذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ ، ورَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، اللهُمَّ لا تَجْعَلْنِي بِدُعائِكَ شَقِيًّا ، وكُنْ بِي رَؤُوفًا رَحِيمًا ، يا خَيْرَ المَسْؤُولِينَ ، ويا خَيْرَ المُعْطِينَ)[١] .

• (اللهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وقِلَّةَ حِيلَتِي ، وهَوانِي عَلَى النَّاسِ ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي[٢] أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلا أُبالِي ، غَيْرَ أَنَّ عافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الكَرِيمِ الَّذِي أَضاءَتْ لَهُ السَّمَواتُ ، وأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ ، وصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيا والآخِرَةِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكَبِير . (٢) أَيْ : يَلْقانِي بِغِلْظَةٍ ووَجْهٍ كَرِيه .

أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غضَبُكَ ، أَوْ يَنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ العُتْبَى[١] حَتَّى تَرْضَى ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)[٢] .

• (اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وبِكَ آمَنْتُ ، وعَلَيْكَ توَكَّلْتُ ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وبِكَ خاصَمْتُ ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الحَيُّ الَّذي لا يَمُوتُ والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُون)[٣] .

• (اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كالَّذي نَقُولُ ، وخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ ، اللهُمَّ لَكَ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومَماتِي ، وإِلَيْكَ مَآبِي ، ولَكَ رَبِّ تُراثِي ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ ، ووَسْوَسَةِ الصَّدْرِ[٤] ، وشَتاتِ الأَمْرِ[٥] ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ ما تَجِيءُ بِهِ الرِّياحُ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ)[٦] .

• (اللهُمَّ إِنَّ قُلُوبَنا وجَوارِحَنا بِيَدِكَ لَمْ تُمَلِّكْنا مِنْها شَيْئًا ، فَإِذا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِها فَكُنْ أَنْتَ وَلِيَّها)[٧] .

---

(١) أَيْ : لَكَ الرُّجُوعُ مِمَّا تَكْرَهُ إِلَى ما تُحِبُّ . (٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي السُّنَّة .

(٣) أَخْرَجَهُ الإِمامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ . (٤) أَيْ : حَدِيثُ النَّفْسِ بِما لا يَنْبَغِي .

(٥) أَيْ : تَفَرُّقُهُ وتَشَعُّبُهُ .

(٦) سَأَلَ اللهَ خَيْرَ المَجْمُوعَة ؛ لأَنَّها للرَّحْمَة ، وتَعَوَّذَ بِهِ مِنْ شَرِّ المُفْرَدَة ؛ لأَنَّها للعذابِ عَلَى ما جاءَ بِهِ الأُسْلُوبُ فِي كَلامِ عَلَّامِ الغُيُوب ، والحَدِيثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم في الحلية ، وعَنْهُ الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .

• (اللهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وبَصَرِي ، واجْعَلْهُما الوارِثَ مِنِّي ، وانْصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي ، وخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي)[١] .

• (اللهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وبَصَرِي حَتَّى تَجْعَلَهُما الوارِثَ مِنِّي ، وعافِنِي فِي دِينِي وفِي جَسَدِي ، وانْصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي حَتَّى تُرِيَنِي فِيهِ ثَأْرِي ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، وخَلَّيْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، لا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذي أَرْسَلْتَ ، وبِكِتابِكَ الَّذي أَنْزَلْتَ)[٢] .

• (اللهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما يَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَ مَعاصِيكَ ، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ ، ومِنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنا مَصائِبَ الدُّنْيا ، ومَتِّعْنا بِأَسْماعِنا وأَبْصارِنا وقُوَّتِنا ما أَحْيَيْتَنا ، واجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا واجْعَلْ ثَأْرَنا عَلَى مَنْ ظَلَمَنا ، وانْصُرْنا عَلَى مَنْ عادانا ، ولا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنا فِي دِينِنا ، ولا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنا ، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا ، ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لا يَرْحَمُنا)[٣] .

• اللهُمَّ عافِنِي فِي بَدَنِي ، اللهُمَّ عافِنِي فِي سَمْعِي ، اللهُمَّ عافِنِي

---

(١) أَخْرَجَهُ البَزَّارُ فِي مُسْنَدِه .

(٢) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي بِسَنَدِهِ عَنْ سَيِّدِنا عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما .

فِي بَصَرِي ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)[١] .

• (اللهُمَّ عافِنِي فِي قُدْرَتِكَ ، وأَدْخِلْنِي فِي رَحْمَتِكَ ، واقْضِ أَجَلِي فِي طاعَتِكَ ، واخْتِمْ لِي بِخَيْرِ عَمَلِي ، واجْعَلْ ثَوابَهُ الجَنَّةَ)[٢] .

• (اللهُمَّ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ لِي عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي ، وانْقِطاعِ عُمْرِي)[٣] .

• (اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، ووَسِّعْ لِي فِي دارِي ، وبارِكْ لِي فِي رِزْقِي)[٤] .

• (اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وأَصْلِحْ لِي دُنْيايَ الَّتِي فِيها مَعاشِي ، وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيها مَعادِي ، واجْعَلِ الحَياةَ زِيادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، واجْعَلِ المَوْتَ راحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)[٥] .

• (اللهُمَّ أَغْنِنِي بِالعِلْمِ وزَيِّنِّي بِالحِلْمِ ، وأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى ، وجَمِّلْنِي بِالعافِيَةِ)[٦] .

• (اللهُمَّ الْطُفْ بِي فِي تَيْسِيرِ كُلِّ عَسِيرٍ ، فَإِنَّ تَيْسِيرَ كُلِّ عَسِيرٍ عَلَيْكَ يَسِيرٌ ، وأَسْأَلُكَ اليُسْرَ والمُعافاةَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ)[٧] .

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبو داوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ فِي سُنَنِهِ ، والحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ .
(٢) أَخْرَجَهُ ابنُ عَساكِرَ فِي تارِيخِ دِمَشْقَ ، فِي قُدْرَتِكَ : أَيْ بِقُدْرَتِكَ .
(٣) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ . (٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .
(٥) أَخْرَجَهُ الإِمامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ . (٦) كَنْزُ العُمَّالِ : المُتَّقِي الهِنْدِيُّ .
(٧) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ عَنْ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي الأَوْسَطِ .

• (اللهُمَّ أَصْلِحْ ذاتَ بَيْنِنا ، وأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنا ، واهْدِنا سُبُلَ السَّلامِ ، ونَجِّنا مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ، وجَنِّبْنا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ لَنا وما بَطَنَ ، اللهُمَّ بارِكْ لَنا فِي أَسْماعِنا ، وأَبْصارِنا ، وقُلُوبِنا ، وأَزْواجِنا ، وذُرِّيّاتِنا ، وتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ ، واجْعَلْنا شاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ ، مُثْنِينَ قابِلِينَ لَها ، وأَتِمَّها عَلَيْنا)[١] .

• (اللهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ ، وقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي ما عَلِمْتَ الحَياةَ خَيْرًا لِي وتَوَفَّنِي إِذا عَلِمْتَ الوَفاةَ خَيْرًا لِي .

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، وأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الإِخْلاصِ فِي الرِّضا والغَضَبِ ، وأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ والغِنَى ، وأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ ، وأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ ، وأَسْأَلُكَ الرِّضا بِالقَضاءِ ، وأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، والشَّوْقَ إِلَى لِقائِكَ فِي غَيْرِ ضَرّاءَ مُضِرَّةٍ ، ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللهُمَّ زَيِّنّا بِزِينَةِ الإِيمانِ ، واجْعَلْنا هُداةً مُهْتَدِينَ)[٢] .

• (اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وجَهْلِي ، وإِسْرافِي فِي أَمْرِي ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وعَمْدِي ، وهَزْلِي وجِدِّي ، وكُلُّ

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ .
(٢) أَخْرَجَهُ النَّسائِيُّ فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى ، والحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ .

ذَلِكَ عِنْدِي ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ ، وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير)[١] .

• (اللهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ ، وحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ ، اللهُمَّ ما رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيما تُحِبُّ ، اللهُمَّ وما زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ فَراغًا لِي فِيما تُحِبُّ)[٢] .

• (اللهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الأَشْياءِ إِلَيَّ ، واجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الأَشْياءِ عِنْدِي ، واقْطَعْ عَنِّي حاجاتِ الدُّنْيا بِالشَّوْقِ إِلَى لِقائِكَ ، وإِذا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أَهْلِ الدُّنْيا مِنْ دُنْياهُمْ فَأَقْرِرْ عَيْنِي مِنْ عِبادَتِكَ)[٣] .

• (اللهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ ، تَشْفِيانِ القَلْبَ بِذُرُوفِ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَتِكَ ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ الدُّمُوعُ دَمًا ، والأَضْراسُ جَمْرًا)[٤] .

• (اللهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا ، وتَوَفَّنِي مِسْكِينًا ، واحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَساكِينِ)[٥] .

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بن يَزِيدَ الخَطْمِي الأَنْصارِي رضي الله عنه :
ومَعْناهُ : اجْعَلْ ما نَحَّيْتَهُ عَنِّي مِنْ مَحابِّي عَوْنًا عَلَى شُغْلِي بِمَحابِّكَ ، وسَبَبًا لِفَراغِي لِطاعَتِكَ ، ولا تَشْغَلْ بِهِ قَلْبِي فَيَشْغَلَنِي عَنْ عِبادَتِكَ .

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم عَنِ الهَيْثَم بن مالِكٍ الطَّائِي فِي حِلْيَةِ الأَوْلِياء .

(٤) أَخْرَجَهُ ابنُ عَساكِر فِي تارِيخ دِمَشْق .

(٥) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .

• (اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي وأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى)[١] .

• (اللهُمَّ اعْفُ عَنِّي إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيم)[٢] .

• (اللهُمَّ لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، ولا تَنْزِعْ عَنِّي صالِحَ ما أَعْطَيْتَنِي)[٣] .

• (اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَراتِ المَوْتِ ، وسَكَراتِ المَوْتِ)[٤] .

• (اللهُمَّ اجْعَلْنِي شَكُورًا ، واجْعَلْنِي صَبُورًا ، واجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيرًا ، وفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرًا)[٥] .

• (اللهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلامِ قائِمًا ، واحْفَظْنِي بِالإِسْلامِ قاعِدًا ، واحْفَظْنِي بِالإِسْلامِ راقِدًا ، ولا تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا حاسِدًا ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزائِنُهُ بِيَدِكَ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزائِنُهُ بِيَدِكَ)[٦] .

• (اللهُمَّ انْفَعْنِي بِما عَلَّمْتَنِي ، وعَلِّمْنِي ما يَنْفَعُنِي ، وزِدْنِي عِلْمًا ، الحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حالٍ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حالِ أَهْلِ النَّارِ)[٧] .

• (اللهُمَّ اجْعَلْنِي أُعْظِمُ شُكْرَكَ ، وأُكْثِرُ ذِكْرَكَ ، وأَتْبَعُ نَصِيحَتَكَ ، وأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ)[٨] .

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الأَوْسَط .

(٣) أَخْرَجَهُ الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي فِي سُنَنِه .

(٥) أَخْرَجَهُ البَزَّارُ عَنْ بُرَيْدَةَ فِي البَحْرِ الزَّخَّار ؛ المَعْرُوف بِمُسْنَدِ البَزَّار .

(٦) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .

(٧) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي فِي سُنَنِه .

(٨) ذَكَرَهُ الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .

• (اللهُمَّ افْتَحْ مَسامِعَ قَلْبي لِذِكْرِكَ ، وارْزُقْني طاعَتَكَ وطاعَةَ رَسُولِكَ وعَمَلًا بِكِتابِكَ)[١] .

• (اللهُمَّ اغْفِرْ لي ذُنُوبي وخَطاياي كُلَّها ، اللهُمَّ أَنْعِشْني واجْبُرْني ، واهْدِني لِصالِحِ الأَعْمالِ والأَخْلاقِ فَإِنَّهُ لا يَهْدي لِصالِحِها ، ولا يَصْرِفُ سَيِّئَها إِلَّا أَنْتَ)[٢] .

• (اللهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبي نُورًا ، وفي لِساني نُورًا ، وفي بَصَري نورًا ، وفي سَمْعي نُورًا ، وعَنْ يَميني نورًا ، وعَنْ يَساري نُورًا ، ومِنْ فَوْقي نُورًا ، ومِنْ تَحْتي نُورًا ، ومِنْ أَمامي نُورًا ، ومِنْ خَلْفي نُورًا ، واجْعَلْ لي في نَفْسي نُورًا ، وأَعْظِمْ لي نُورًا)[٣] .

• (اللهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسي وأَنْتَ تَتَوَفَّاها ، لَكَ مَماتُها ومَحْياها ، إِنْ أَحْيَيْتَها فاحْفَظْها ، وإِنْ أَمَتَّها فاغْفِرْ لَها ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العافِيَةَ)[٤] .

• (اللهُمَّ أَحْسِنْ عاقِبَتَنا في الأُمُورِ كُلِّها ، وأَجِرْنا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيا وعَذابِ الآخِرَةِ)[٥] .

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَراني في المُعْجَم الأَوْسط . (٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَراني في المُعْجَم الكَبير .
(٣) صَحيحُ البُخاري ومُسْلم ، وأَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِه .
(٤) أَخْرَجَهُ الإمامُ مُسْلِمٌ في صَحيحِه . (٥) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِه .

• (اللهُمَّ اجْعَلْني مِنَ الَّذينَ إذا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا ، وإِذا أَساءُوا اسْتَغْفَرُوا)[١] .

• (اللهُمَّ زِدْنا ولا تَنْقُصْنا ، وأَكْرِمْنا ولا تُهِنَّا ، وأَعْطِنا ولا تَحْرِمْنا ، وآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ عَلَيْنا ، وأَرْضِنا وارْضَ عَنَّا)[٢] .

• (اللهُمَّ طَهِّرْ قَلْبي مِنَ النِّفاق ، وعَمَلي مِنَ الرِّياء ، ولِساني مِنَ الكَذِب ، وعَيْني مِنَ الخِيانَة ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وما تُخْفي الصُّدُور)[٣] .

• (اللهُمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقي فَحَسِّنْ خُلُقي)[٤] .

• (اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، ابنُ عَبْدِكَ ، ابنُ أَمَتِكَ ، ناصِيَتي بِيَدِكَ ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ في قَضاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ اللهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ في كِتابِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبيعَ قَلْبي ، ونُورَ صَدْري ، وجَلاءَ حُزْني ، وذَهابَ هَمِّي)[٥] .

• (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدي بِها قَلْبي ، وتَجْمَعُ بِها

(١) أَخْرَجَهُ ابنُ ماجه في سُنَنِه ، والبَيْهَقيُّ في شُعَب الإيمان .
(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذي في سُنَنِه ، والحاكِمُ في المُسْتَدْرَك .
(٣) أَخْرَجَهُ الخَطيبُ في تاريخ بَغْداد . (٤) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِه .
(٥) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِه .

أَمْرِي ، وتَلُمُّ بِها شَعَثِي ، وتُصْلِحُ بِها غائِبِي ، وتَرْفَعُ بِها شاهِدِي ، وتُزَكِّي بِها عَمَلِي ، وتُلْهِمُنِي بِها رُشْدِي ، وتَرُدُّ بِها أُلْفَتِي ، وتَعْصِمُنِي بِها مِنْ كُلِّ سُوء .

اللهُمَّ أَعْطِنِي إيمانًا ويَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْر ، ورَحْمَةً أَنالُ بِها شَرَفَ كَرامَتِكَ فِي الدُّنْيا والآخِرَة .

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الفَوْزَ فِي القَضاءِ ، ونُزُلَ الشُّهَداءِ ، وعَيْشَ السُّعَداءِ ، والنَّصْرَ عَلَى الأَعْداء .

اللهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حاجَتِي وإِنْ قَصُرَ رَأْيِي وضَعُفَ عَمَلِي افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ يا قاضِيَ الأُمُورِ ، ويا شافِيَ الصُّدُورِ كما تُجِيرُ بَيْنَ البُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ ، ومِنْ دَعْواتِ الثُّبُورِ ، ومِنْ فِتْنَةِ القُبُورِ ، اللهُمَّ ما قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي ولَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي ولَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبادِكَ ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ يا رَبَّ العالَمِين .

اللهُمَّ يا ذا الحَبْلِ الشَّدِيدِ ، والأَمْرِ الرَّشِيدِ أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ ، والجَنَّةَ يَوْمَ الخُلُودِ مَعَ المُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ ، الرُّكَّعِ السُّجُودِ ، المُوفِينَ بِالعُهُودِ ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ، وأَنْتَ تَفْعَلُ ما تُرِيد .

اللهُمَّ اجْعَلْنا هادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضالِّينَ ولا مُضِلِّينَ ، سِلْمًا لأَوْلِيائِكَ ، وعَدُوًّا لأَعْدائِكَ ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ ، ونُعادِي بِعَداوَتِكَ مَنْ خالَفَكَ .

اللهُمَّ هَذا الدُّعاءُ ، وعَلَيْكَ الإِجابَة ، وهَذا الجُهْدُ وعَلَيْكَ التُّكْلان .

اللهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي ، ونُورًا فِي قَلْبِي ، ونُورًا بَيْنَ يَدَيَّ ، ونُورًا مِنْ خَلْفِي ، ونُورًا عَنْ يَمِينِي ، ونُورًا عَنْ شِمالِي ، ونُورًا مِنْ فَوْقِي ، ونُورًا مِنْ تَحْتِي ، ونُورًا فِي سَمْعِي ، ونُورًا فِي بَصَرِي ، ونُورًا فِي شَعْرِي ، ونُورًا فِي بَشَرِي ، ونُورًا فِي لَحْمِي ، ونُورًا فِي دَمِي ، ونُورًا فِي عِظامِي .

اللهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا ، وأَعْطِنِي نُورًا ، واجْعَلْ لِي نُورًا ، سُبْحانَ الَّذِي تَعَطَّفَ العِزَّ وقالَ بِهِ ، سُبْحانَ الَّذِي لَبِسَ المَجْدَ وتَكَرَّمَ بِهِ ، سُبْحانَ الَّذِي لا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحانَ ذِي الفَضْلِ والنِّعَم ، سُبْحانَ ذِي المَجْدِ والكَرَم ، سُبْحانَ ذِي الجَلالِ والإِكْرام .

سُؤالِي رَبَّ العالَمِين ، بِلِسانِ ساداتِي العارِفِين

اللهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لا أَمْلِكُ تَقْدِيمَ ما أَرْجُو ، ولا تَأْخِيرَ ما أَخافُ ، وأَمْسَيْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي ، ولا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي ، فَوَسِّعْ عَلَيَّ وارْزُقْنِي

التَّقْوَى ما أَحْيَيْتَنِي ، والكَرامَةَ إذا تَوَفَّيْتَنِي ، وشُكْرَ ما أَنْعَمْتَ بِهِ فِيما مَضَى ، وما تُنْعِمُ بِهِ فِيما بَقِيَ ، فاغْفِرْ لِي وَقِنِي شُحَّ نَفْسِي .

اللهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ وأَمْسَى ثِقَتُهُ ورَجاؤُهُ غَيْرَكَ ، فَأَنْتَ ثِقَتِي ورَجائِي ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيم .

إِلَهي : عَبْدُكَ مُتَضَرِّعٌ إِلَيْكَ ، فَقِيرٌ غَيْرُ مُسْتَنْكِفٍ ولا مُسْتَكْبِر ، ولا مُتَسَخِّطٍ بَلْ مُسْتَسْلِمٌ لأَمْرِكَ ، راضٍ بِقَضائِكَ ، لا آيِسٌ مِنْ رَحْمَتِكَ ، ولا آمِنٌ مِنْ مَكْرِكَ ، بَلْ مُشْفِقٌ مِنْ عَذابِكَ .

إِلَهي : إِنَّنِي عَبْدٌ لا أَقُومُ لِحِسابِكَ ، فَكَيْفَ أَقُومُ لِعِقابِكَ ، فَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ أَهْلٍ لِما أَرْجُو فَأَنْتَ أَهْلٌ أَنْ تَجُودَ عَلَى المُذْنِبِينَ بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ .

إِلَهي : إِنْ كانَ ذَنْبِي قَدْ أَخافَنِي فَإِنَّ حُسْنَ ظَنِّي بِكَ قَدْ رَجَّانِي ، وأَنْتَ الكَرِيمُ الَّذي لا يَبْطُلُ عِنْدَكَ رَجاءُ الرَّاجِينَ ، ولا يَخِيبُ لَدَيْكَ أَمَلُ الآمِلِين .

إِلَهي : إِنْ غَفَرْتَ فَمَنْ أَوْلَى مِنْكَ بالعَفْوِ ، وإِنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ أَعْدَلُ مِنْكَ فِي الحُكْم .

إِلَهي : لَمْ تَزَلْ تَبَرُّنِي أَيَّامَ حَياتِي ، فَلا تَقْطَعْ بِفَضْلِكَ بِرَّكَ عَنِّي بَعْدَ مَماتِي .

إِلَهي : إِنْ كانَ صَغُرَ فِي جَنْبِ طاعَتِكَ عَمَلِي ، فَقَدْ كَثُرَ فِي جانِبِ رِضاكَ أَمَلِي .

اللهُمَّ لا تُسَلِّطْ عَلَى ظَنِّي قُنُوطَ الآيِسِينَ ، ولا تُبْطِلْ صِدْقَ وُدِّي لَكَ فِي الآمِلِينَ .

إِلَهي : لَوْ لَمْ تَهْدِنِي للإِسْلامِ ما اهْتَدَيْت ، ولَوْ لَمْ تَرْزُقْنِي الإِيمانَ ما آمَنْت ، ولَوْ لَمْ تُطْلِقْ لِسانِي بِدُعائِكَ ما دَعَوْت ، ولَوْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حَلاوَةَ مَعْرِفَتِكَ ما عَرَفْت .

إِلَهي : سَمِعَ العابِدُونَ بِجَزِيلِ ثَوابِكَ فَخَشَعُوا ، وسَمِعَ الزَّاهِدُونَ بِعَظِيمِ جَزائِكَ فَخَضَعُوا ، وسَمِعَ المُذْنِبُونَ بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ فَطَمِعُوا ، وسَمِعَ المُوَلُّونَ عَنِ القَصْدِ بِجُودِكَ فَرَجَعُوا حَتَّى ازْدَحَمَتْ ضُرُوبُ العُصاةِ مِنْ عِبادِكَ بِبابِكَ ، وعَرَجَ إِلَيْكَ مِنْهُمُ الدُّعاءُ بالضَّجِيجِ فِي جَمِيعِ بِلادِك .

إِلَهي : إِنْ كُنْتَ لا تَقْبَلُ إِلَّا مِنَ المُجْتَهِدِينَ فَإِلَى مَنْ يَلْتَجِئُ المُقَصِّرُون ، وإِنْ كُنْتَ لا تُكْرِمُ غَيْرَ المُحْسِنِينَ فَكَيْفَ يَصْنَعُ المُسِيئُون ، وإِنْ كانَ لا يَفُوزُ يَوْمَ الحَشْرِ إِلَّا المُخْلِصُونَ فَبِمَنْ يَسْتَغِيثُ المُذْنِبُون .

إِلَهي : إِنْ عَفَوْتَ فَبِفَضْلِكَ ، وإِنْ عَذَّبْتَ فَبِعَدْلِك .

إِلَهِي : أَنْتَ رَجائِي ومَلْجَئِي ، وعَلَيْكَ تَوَكُّلِي ، وبِرَحْمَتِكَ تَعَلُّقِي ، وبِفِنائِكَ أَحُطُّ رَحْلِي ، وبِجُودِكَ أَقْصِدُ بِطِلْبَتِي ، وبِبابِكَ أَفْتَتِحُ بِدُعائِي ، ولَدَيْكَ أَرْجُو ضِيافَتِي ، وتَحْتَ ظِلِّ رَحْمَتِكَ قِيامِي ، وإِلَيْكَ أَرْفَعُ بَصَرِي ، سَيِّدِي : فَأَيْنَ الفِرارُ إِنْ ضاعَتْ لَدَيْكَ رَغْبَتِي ، وكَيْفَ النَّجاةُ إِنْ عَدِمْتُ فَضْلَكَ عِنْدَ فاقَتِي ؟

إِلَهِي : مَنْ أَوْلَى بِالزَّلَلِ والتَّقْصِيرِ مِنَّا ، وقَدْ خَلَقْتَنا ضُعَفاء ، ومَنْ أَوْلَى بِالعَفْوِ عَنَّا مِنْكَ ، وعِلْمُكَ فِينا سابِقٌ ، وأَمْرُكَ بِنا مُحِيطٌ ، أَطَعْناكَ بِإِذْنِكَ فالمِنَّةُ لَكَ ، وعَصَيْناكَ بِعِلْمِكَ فالحُجَّةُ لَكَ ، فَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِوُجُوبِ حُجَّتِكَ عَلَيَّ وانْقِطاعِ حُجَّتِنا وفَقْرِنا إِلَيْكَ وغِناكَ عَنَّا أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خاتَمِ أَنْبِيائِكَ ، وسَيِّدِ أَصْفِيائِكَ ، وافْتَحِ اللَّهُمَّ قُلُوبَنا لِمَعْرِفَتِكَ ، واشْرَحْ صُدُورَنا لِهِدايَتِكَ ، وأَلْهِمْنا حَقِيقَةَ رُبُوبِيَّتِكَ ، واسْقِنا مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِكَ وحَبِّبْ إِلَيْنا لَذِيذَ مَعْرِفَتِكَ ، وشَمِّرْنا مِنَ الدُّنْيا لِخِدْمَتِكَ ، واقْطَعْ عَلائِقَنا مِنْ مُخالَفَتِكَ ، واعْصِمْ جَوارِحَنا بِعَظِيمِ هَيْبَتِكَ ، وأَوْزِعْنا شُكْرَ نِعْمَتِكَ .

إِلَهِي : إِنَّ ظُلْمَةَ ظُلْمِنا لأَنْفُسِنا قَدْ عَمَّتْ ، وبِحارَ الغَفْلَةِ عَلَى قُلُوبِنا قَدْ طَمَّتْ ، فالعَجْزُ شامِلٌ ، والحَصْرُ حاصِلٌ ، والتَّسْلِيمُ أَسْلَم ، وأَنْتَ بِالحالِ أَعْلَم .

إِلَهِي : ما عَصَيْناكَ جَهْلًا بِعِقابِكَ فَلا تُعَرِّضْنا لِعَذابِكَ ، ولا اسْتِخْفافًا بِنَظَرِكَ ، ولَكِنْ سَوَّلَتْ لَنا أَنْفُسُنا وأَعانَتْنا شِقْوَتُنا ، وغَرَّنا سِتْرُكَ عَلَيْنا وطَمَعُنا فِي عَفْوِكَ وإِحْسانُكَ إِلَيْنا .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ما عَلِمْتَ ، ولا تَهْتِكْ ما سَتَرْتَ .

إِلَهِي : إِنْ كُنَّا قَدْ عَصَيْناكَ بِجَهْلٍ فَقَدْ دَعَوْناكَ بِعَقْلٍ حَيْثُ عَلِمْنا أَنَّ لَنا رَبًّا يَغْفِرُ ولا يُبالِي .

إِلَهِي : أَتُحْرِقُ بِالنَّارِ وَجْهًا كانَ لَكَ ساجِدًا مُصَلِّيًا ، ولِسانًا كانَ لَكَ ذاكِرًا ، وداعِيًا لَكَ بِالَّذِي دَلَّنا عَلَيْكَ ورَغَّبَنا فِيما لَدَيْكَ ، وأَمَرَنا بِالخُضُوعِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وهُوَ مُحَمَّدٌ خاتَمُ أَنْبِيائِكَ ، وسَيِّدُ أَصْفِيائِكَ ، فَإِنَّ حَقَّهُ عَلَيْنا أَعْظَمُ الحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّكَ ، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ عَدَدَ خَلْقِكَ ورِضاءَ نَفْسِكَ ، وزِنَةَ عَرْشِكَ ، ومِدادَ كَلِماتِكَ ، وارْحَمْ عِبادًا غَرَّهُمْ طُولُ إِمْهالِكَ ، وأَطْمَعَهُمْ كَثْرَةُ أَفْضالِكَ ، وذَلُّوا لِعِزِّكَ وجَلالِكَ ، ومَدُّوا أَكُفَّهُمْ لِطَلَبِ نَوالِكَ ، ولَوْلا هِدايَتُكَ لَمْ يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ .

سُبْحانَكَ نَحْنُ عَبِيدُكَ وبَنُو عَبِيدِكَ ، فاغْفِرْ لَنا ما قَطَعَ قُلُوبَنا عَنْ ذِكْرِكَ فِيما مَضَى مِنْ أَعْمارِنا .

إِلَهِي : سَلَكْتَ بِأَوْلِيائِكَ أَحْسَنَ المَسالِكِ فَقَرَّبْتَهُمْ عَلَى بِساطِ

أَفْضالِكَ ، ولَقَّيْتَهُمُ السُّرورَ بِيُمْنِ إِقْبالِكَ ، وأَحْيَيْتَ قُلوبَهُمْ لِشُهُودِ جَمالِكَ ، وعامَلْتَهُمْ بِجَزيلِ نَوالِكَ ، ورَحِمْتَهُمْ بِتَضَرُّعِهِمْ بَيْنَ يَدَيْكَ حالَةَ سُؤالِكَ ، إِلَهِي فَمُنَّ عَلَيْنا بِذَلِكَ ، ونَجِّنا مِنْ مَضارِّ العَطَبِ والمَهالِكِ ، واسْتُرْنا بِسِتْرِكَ الجَميلِ ، وجُدْ عَلَيْنا بِعَطائِكَ الجَزيلِ .

إِلَهِي : أَدِمْ لَنا لُزُومَ الطَّريقِ إِلَيْكَ ، وامْنُنْ عَلَيْنا بِحُسْنِ الظَّنِّ فِيما بَيْنَنا وبَيْنَكَ ، واغْفِرْ تَقْصيرَنا فِي شُكْرِنا ، وهَبْ لَنا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ ، كَلَّتْ أَلْسِنَتُنا عَنْ دُعائِكَ لِعَظيمِ شَانِكَ ، وقُرْبِكَ مِنْ أَوْلِيائِكَ ، وكَثْرَةِ مِنَّتِكَ عَلَى أَهْلِ مَحَبَّتِكَ .

إِلَهِي : أَذِقْنا حَلاوَةَ مُناجاتِكَ ، واسْلُكْ بِنا سَبيلَ مَرْضاتِكَ ، واقْطَعْ عَنَّا كُلَّ ما يُبْعِدُنا عَنْ حَضْرَتِكَ ، ويَسِّرْ لَنا ما يَسَّرْتَهُ لأَهْلِ مَحَبَّتِكَ ، واجْعَلْنا مِنَ المُتَّقِينَ الأَخْيارِ ، واسْلُكْ بِنا سَبيلَ عِبادِكَ الأَخْيارِ ، وأَلْهِمْنا رُشْدَنا ، وأَجْزِلْ مِنْ رِضْوانِكَ حَظَّنا ولا تَحْرِمْنا بِذُنُوبِنا ، ولا تَطْرُدْنا بِعُيُوبِنا .

إِلَهِي : أَنْتَ مَلاذُنا إِذا ضاقَتِ الحِيَلُ ، ومَلْجَأُنا إِذا انْقَطَعَ الأَمَلُ ، بِذِكْرِكَ نَتَنَعَّمُ ونَفْتَخِرُ ، وإِلَى جُودِكَ نَلْتَجِئُ ونَفْتَقِرُ ، فِيكَ فَخْرُنا ، وإِلَيْكَ فَقْرُنا .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا بِطاعَتِكَ عامِلِين ، وعَلَى ما يُرْضِيكَ مُقْبِلِين ، وأَلْبِسْنا مَلابِسَ الصَّادِقِين ، واخْلَعْ عَلَيْنا خِلَعَ الإِيمانِ واليَقِين ، وحَصِّنَّا بِدُرُوعِ الصِّدْقِ فَإِنَّهُنَّ يَقِين ، واسْلُكْ بِنا مَناهِجَ المُتَّقِين ، وأَصْلِحِ اللَّهُمَّ كُلَّ قَلْبٍ قَسا مِنَّا حَتَّى يَلِين ، فَها نَحْنُ لِبابِ جُودِكَ مائِلِين ، وأَتَيْناكَ طالِبِينَ فَلا تَرُدَّنا خائِبِين ، وارْزُقْنا الإِخْلاصَ كَما رَزَقْتَ المُخْلِصِين .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ طَوْعًا ، ونَعْصِيكَ كَرْهًا ، نَخافُكَ لأَنَّكَ عَظِيم ، ونَرْجُوكَ لأَنَّكَ كَرِيم ، نَرْجُوكَ لأَنَّكَ إِلَهٌ ، ونَخافُكَ لأَنَّا عَبِيدُكَ ، فارْحَمْنا لِكَرَمِ الرُّبُوبِيَّةِ ، أَوْ لِضَعْفِ العُبُودِيَّةِ .

إِلَهِي : كَيْفَ تَرُدُّنا الذُّنُوبُ عَنْ سُؤالِكَ ، ونَحْنُ الفُقَراءُ إِلَى نَوالِكَ ، ها نَحْنُ قَدْ أَنَخْنا بِبابِكَ ، فَتَعَطَّفْ عَلَيْنا مَعَ أَحْبابِكَ ، كَفانا عِزًّا أَنْ نَكُونَ لَكَ عَبِيدًا ، وكَفانا شَرَفًا أَنْ تَكُونَ لَنا رَبًّا .

إِلَهِي : كُلُّ فَرَحٍ بِغَيْرِكَ زائِل ، وكُلُّ شُغْلٍ بِسِواكَ باطِل ، السُّرُورُ بِكَ هُوَ السُّرُور ، والسُّرُورُ بِغَيْرِكَ هُوَ الغُرُور .

إِلَهِي : إِنَّكَ قَبِلْتَ الوَفاءَ مِنَ السَّحَرَةِ حِينَ ذَكَرُوكَ مَرَّةً ، وسَجَدُوا لَكَ سَجْدَةً ، وإِنَّا لَمْ نَزَلْ مُقِرِّينَ بِرُبُوبِيَّتِكَ ، مُعْتَرِفِينَ بِوَحْدانِيَّتِكَ ، ما سَجَدْنا قَطُّ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، ولا رَفَعْنا حَوائِجَنا إِلَّا إِلَيْكَ .

إِلَهي : ذُنُوبُنا لَها غايَةٌ ، وكَرَمُكَ لا غايَةَ لَهُ .

إِلَهي : ذُنُوبُنا صَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ وإِنْ كانَتْ عَظِيمَةً فِي جَنْبِ نَهْيِكَ .

إِلَهي : جُدْ عَلَيْنا بِكَرَمِكَ ، وتَغَمَّدْنا بِرَحْمَتِكَ ، وأَدْرِكْنا بِلُطْفِكَ ، وعامِلْنا بِرَأْفَتِكَ ، ووَفِّقْنا لِطاعَتِكَ .

إِلَهي : دُلَّنا عَلَيْكَ ، وارْحَمْ ذُلَّنا بَيْنَ يَدَيْكَ ، واجْعَلْ رَغْبَتَنا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمْنا بِذُنُوبِنا ، ولا تَطْرُدْنا بِعُيُوبِنا .

إِلَهي : لَوْلا أَنَّكَ بِالفَضْلِ تَجُودُ ، ما كانَ عَبْدُكَ إِلَى الذَّنْبِ يَعُودُ ، ولَوْلا مَحَبَّتُكَ لِلغُفْرانِ ما أَهْمَلْتَ مَنْ يُبارِزُكَ بِالعِصْيانِ ، وأَسْبَلْتَ سِتْرَكَ عَلَيْنا وقابَلْتَ إِساءَتَنا مِنْكَ بِالإِحْسانِ .

إِلَهي : إِنْ نَظَرْنا إِلَى فَضْلِكَ فالعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ ، كَيْفَ هَلَكَ ؟ وإِنْ نَظَرْنا إِلَى عَدْلِكَ ، فالعَجَبُ مِمَّنْ نَجا ، كَيْفَ نَجا ؟

إِلَهي : إِنْ حاسَبْتَنا بِفَضْلِكَ نِلْنا رِضْوانَكَ ، وإِنْ حاسَبْتَنا بِعَدْلِكَ لَمْ نَنَلْ غُفْرانَكَ .

إِلَهي : إِنْ كُنَّا لا نَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ ذَنْبٍ كَتَبْتَهُ عَلَيْنا ، فَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى مَغْفِرَتِهِ لَنا .

إِلَهي : إِنَّا لَنْ نَبْرَحَ عَنْ بابِكَ فَلا تُعَذِّبْنا بِأَلِيمِ حِجابِكَ ، نَحْنُ إِنْ لَمْ نَكُنْ كَما أَمَرْتَنا ، فَأَنْتَ ذُو غِنًى عَنَّا ، ونَحْنُ المَساكِينُ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ لَنا إِلَى مَنْ نَلْتَجِئُ ؟ إِذا صَرَفْتَنا إِلَى أَيْنَ نَذْهَبُ إِنْ طَرَدْتَنا ؟ بِمَنْ نَتَوَسَّلُ إِنْ حَجَبْتَنا ؟ مَنْ يُقْبِلُ عَلَيْنا إِنْ أَعْرَضْتَ عَنَّا ؟

إِلَهي : إِنِّي ضَعِيفٌ إِنْ لَمْ تُقَوِّنِي ، ذَلِيلٌ إِنْ لَمْ تُعِزَّنِي ، مَغْلُوبٌ إِنْ لَمْ تَنْصُرْنِي ، فَقِيرٌ إِنْ لَمْ تَرْزُقْنِي .

إِلَهي : اجْعَلْ هِمَّتِي كُلَّها لَكَ ، ورَغْبَتِي كُلَّها إِلَيْكَ ، وخَشْيَتِي كُلَّها مِنْكَ ، وأَمَلِي كُلَّهُ فِيكَ ، وتَوَكُّلِي كُلَّهُ عَلَيْكَ .

إِلَهي : اجْعَلْ هَوايَ تابِعًا لِطاعَتِكَ ، وأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي وسَيِّئاتِ عَمَلِي ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ دائِمُ النِّعَمِ عَلَيَّ ، فاجْعَلْنِي دائِمَ الشُّكْرِ لَكَ .

إِلَهي : أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ جِسْمِي ، وقَساوَةَ قَلْبِي ، وغَلَبَةَ هَوايَ ووَهْنَ عَزْمِي ، وطُولَ أَمَلِي ، واقْتِرابَ أَجَلِي ، وكَثْرَةَ ذُنُوبِي ، وسُوءَ نَظَرِي لِنَفْسِي ، فَنِعْمَ المُشْتَكَى إِلَيْكَ أَنْتَ يا سَيِّدِي .

اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي وإِنْ جَلَّتْ فَهِيَ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ يَسِيرَةٌ ، وها أَنا خاضِعٌ مُشْفِقٌ أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي بِالتَّقْصِيرِ ، وأَعْتَرِفُ لَكَ بِالذُّنُوبِ ، فَيا أَكْرَمَ مَنْ أَقَرَّ لَهُ بِالذُّنُوبِ ، ويا أَعَزَّ مَنْ أَخْضَعُ لَهُ وأَعْتَرِفُ لَهُ بِالعُيُوبِ ، لَكَ الحَمْدُ

حِينَ عَرَّفْتَنِي قَبِيحَ عَمَلِي حَتَّى اعْتَرَفْتُ ، وسَيَّرْتَنِي فِي بِحارِ نِعَمِك وأَنْهارِ كَرَمِكَ ، وأَلْهَمْتَنِي عِزَّ سُلْطانِكَ حَتَّى خَضَعْتُ بِذِلَّتِي لِسُلْطانِك .

إِلَهي : خَلَقْتَ لِي جِسْمًا ، وجَعَلْتَ فِيهِ آلاتٍ أُطِيعُكَ وأَعْصِيكَ بِها ، ثُمَّ جَبَلْتَ نَفْسِي عَلَى المَيْلِ إِلَى الشَّهَواتِ ومَحَبَّةِ اللَّذَّاتِ ، وأَسْكَنْتَنِي دارًا مُلِئَتْ مِنَ الآفاتِ ، وخَلَقْتَ مَعِي عَدُوًّا يَجْرِي مِنِّي مَجْرَى الدَّمِ فِي العُرُوقِ ، وجَعَلْتَهُ يَرانِي ولا أَراهُ ، ثُمَّ قُلْتَ لِي :

اسْتَمْسِكْ ، فَكَيْفَ أَسْتَمْسِكُ إِلَهِي إِنْ لَمْ تُمْسِكْنِي .

إِلَهي : بِكَ أَعْتَصِمُ فاعْصِمْنِي ، وبِكَ إِلَهِي أَسْتَجِيرُ فَأَجِرْنِي ، وأَسْتَحْفِظُكَ فِيما يَنْفَعُنِي فاحْفَظْنِي ، وأَسْتَوْفِقُكَ فِيما يُدْنِينِي مِنْكَ فَوَفِّقْنِي ، وأَعُوذُ بِكَ فِيما يَصْرِفُنِي عَنْكَ فَأَعِذْنِي .

إِلَهي : لا تَجْعَلْ صَدْرِي لِلشَّيْطانِ مَراغًا ، ولا تُصَيِّرْ قَلْبِي لَهُ مَجالًا ، ولا تَجْعَلْنِي مِمَّنِ اسْتَفَزَّهُ بِصَوْتِهِ ، وأَجْلَبَ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ ، وشارَكَهُ فِي مالِهِ ووَلَدِهِ ، ومازَجَهُ فِي زَوْجِهِ وجَسَدِهِ ، وكُنْ لِي مِنْ حَبائِلِهِ مُنْجِيًا ، ومِنْ مَصائِدِهِ مُنْقِذًا ، وعَنْ عَوْراتِهِ مُبْعِدًا ، واسْتُرْنِي عَنْهُ بِسِتْرٍ مِنَ اليَقِينِ ، واكْفِنِي عَنْهُ بِسُرادِقِ العَظَمَةِ ، واضْرِبْ بَيْنِي وبَيْنَهُ سِرًّا مِنَ المَعْرِفَةِ حَتَّى لا يَجِدَ إِلَى اسْتِهْوائِي مَسْلَكًا ، ولا يُطِيقَ إِلَى إِغْوائِي

مَنْفَذًا ، وأَيِّدْنِي عَلَيْهِ بِجُنُودٍ مِنْ وِقايَتِكَ ، وكَتائِبَ مِنْ حِمايَتِكَ ، اللَّهُمَّ وإِنَّهُ رُبَّما وَسْوَسَ فِي القَلْبِ ما لا يُطِيقُ اللِّسانُ ذِكْرَهُ ، ولا تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ نَشْرَهُ مِمَّا نَزَّهَكَ عَنْهُ عُلُوُّ عِزِّكَ ، وسُمُوُّ مَجْدِكَ ، وجَلالُ سُلْطانِكَ ، ونُورُ عَظَمَتِكَ ، فَأَزِلْ يا سَيِّدِي ما سَطَّرَهُ ، وامْحُ ما زَوَّرَهُ بِوابِلٍ مِنْ سَحائِبِ عِصْمَتِكَ ، وطُوفانٍ مِنْ بِحارِ نُصْرَتِكَ ، واسْلُلْ عَلَيْهِ بِسَيْفِ إِبْعادِكَ ، وارْشُقْهُ بِسَهْمِ إِقْصائِكَ ، واحْرِقْهُ بِشِهابِ انْتِقامِكَ ، واجْعَلْ خَلاصِي مِنْهُ زائِدًا فِي حُزْنِهِ ، ومُؤَكِّدًا لأَسَفِه .

إِلَهي : إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ ذَنْبٍ قَوِيَ عَلَيْهِ بَدَنِي بِعافِيَتِكَ ، ونالَتْهُ يَدايَ بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ ، وانْبَسَطْتُ إِلَيْهِ بِسَعَةِ رِزْقِكَ ، واحْتَجَبْتُ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِسِتْرِكَ ، واتَّكَلْتُ فِيهِ عَلَى حِلْمِكَ ، وعَوَّلْتُ فِيهِ عَلَى عَفْوِكَ ومَغْفِرَتِكَ ، فارْحَمِ اللَّهُمَّ غُرْبَتِي فِي الدُّنْيا ، ومَصْرَعِي عِنْدَ المَوْتِ ، ووَحْدَتِي فِي القَبْرِ ، ومَقامِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، واجْعَلْنِي شاكِرًا ذاكِرًا صابِرًا راضِيًا راغِبًا راهِبًا مُطِيعًا مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا ، واهْدِ قَلْبِي ، واشْرَحْ صَدْرِي ، ويَسِّرْ أَمْرِي ، وضَعْ وِزْرِي ، واجْعَلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي عِبادَتِكَ ، ووَفِّقْنِي لِطاعَتِكَ ، وارْزُقْنِي خَوْفَ الوَعِيدِ ، ورَجاءَ المَوْعُودِ ، ونَوِّرْ بِالعِلْمِ قَلْبِي ، واسْتَعْمِلْ بِطاعَتِكَ بَدَنِي ، وخَلِّصْ مِنَ الفِتَنِ سِرِّي ، واشْغَلْ

بِالاعْتِبارِ فِكْرِي ، واقْذِفْ فِي قَلْبِي رَجاءَكَ ، واقْطَعْ رَجائِي عَمَّنْ سِواكَ ، وامْلأْ قَلْبِي حَياءً مِنْكَ حَتَّى أَسْتَحْيِيَ مِنْكَ كُلَّ وَقْتٍ ، وبَصِّرْنِي بِآفاتِ الرِّياءِ وآفاتِ نَفْسِي ، ووَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي ، ولا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ .

إِلَهِي : يا مَنْ بِيَدِهِ صَلاحُ القُلُوبِ أَصْلِحْ قَلْبِي ، يا مَنْ تَتَصاغَرُ فِي عَظِيمِ عَفْوِهِ الذُّنُوبُ اغْفِرْ ذَنْبِي .

إِلَهِي : اخْتِمْ أَعْمالِي بِالسَّعادَةِ الَّتِي خَتَمْتَ بِها لأَوْلِيائِكَ ، واجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي وأَسْعَدَها يَوْمَ لِقائِكَ .

إِلَهِي : هَبْ لِي نَصِيبًا مِنْ رَحْمَتِكَ الواسِعَةِ ، واهْدِنِي لِلخَيْرِ بِبَراهِينِكَ السَّاطِعَةِ ، وخُذْ بِناصِيَتِي إِلَى مَرْضاتِكَ الجامِعَةِ .

اللهُمَّ أَسْأَلُكَ رِضاكَ والجَنَّةَ ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ والنَّارِ .

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنْبِيائِكَ الكِرامِ ، وبِأَفْضَلِهِمْ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ وعَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ - أَنْ تَرْزُقَنِي حُسْنَ الإِقْبالِ عَلَيْكَ ، والوَفاةَ عَلَى السُّنَّةِ والجَماعَةِ ، والشَّوْقَ إِلَى لِقائِكَ فِي خَيْرٍ وعافِيَةٍ ، يا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ .

الاسْتِئْثارُ بِالمَقاماتِ الإِحْسانِيَّةِ ؛ بِتَكْرارِ الصَّلَواتِ السَّبْعِينِيَّةِ

〈١〉 اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المُنْزَلِ عَلَيْهِ :

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ صَلاةً تُؤَدِّبُنِي بِها بِآدابِ أَهْلِ العِرْفانِ ، وتَقِينِي شَرَّ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وشَرَّ الإِنْسِ والجانِّ ، وتُزِيلُ عَنِّي وعَنِ المُسْلِمِينَ بِها ظَلامَ الفُرْقَةِ والطُّغْيانِ ، وتُرَقِّينِي بِها إِلَى مَقامِ المَعْرِفَةِ والإِحْسانِ ، وتَحْفَظُ عَلَيَّ صِحَّةَ البَدَنِ والجَنانِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

〈٢〉 اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذِي اسْتَنارَ بِهِ بَدْرُ النُّبُوَّةِ واكْتَمَلَ ، صَلاةً تُبَلِّغُنِي بِها غايَةَ القَصْدِ والأَمَلِ ، وتُؤَمِّنُنِي بِها مِنَ الخَوْفِ والوَجَلِ ، وتُعِيذُنِي بِها مِنْ قِلَّةِ العَمَلِ وكَثْرَةِ الجَدَلِ ، وتَكْتُبُنِي بِها فِي مَعِيَّةِ الصَّالِحِينَ عِنْدَ خَتْمِ الأَجَلِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

〈٣〉 اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أَعْظَمِ الحُصُونِ والذَّخائِرِ ، صَلاةً تُنَوِّرُ لِي بِها ولأَحِبَّتِي الأَبْصارَ والبَصائِرَ ، وتُطَهِّرُ لَنا بِتَكْرارِها الظَّواهِرَ والسَّرائِرَ ، وتُعَجِّلُ لَنا بِالخَيْرِ والبَشائِرِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذي ما قالَ نَفْسِي ، صَلاةً تَحْفَظُ عَلَيَّ بِها وَعْيِي وحِسِّي وهُوِيَّتِي وجِنْسِي ، وتَجْعَلُ بِأَحْبابِ النَّبِيِّ مَسَرَّتِي وأُنْسِي ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صاحِبِ العِيدَيْنِ والجُمُعَة ، صَلاةً تَحْفَظُنِي بِها مِنَ الرِّياءِ وحُبِّ الرِّياسَةِ والسُّمْعَة ، وتُيَسِّرُ لِي بِها فِي مَعِيشَتِي كُلَّ وِسْعَةٍ ومُتْعَة ، وتُجِيبُ بِها دَعْوَتِي بِالسُّرْعَة ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ شَفِيعِ المُذْنِبِينَ فِي الدُّنْيا والآخِرَة ، صَلاةً تُسْبِغُ عَلَيَّ بِها نِعَمَكَ الباطِنَةَ والظَّاهِرَة ، وتَهَبُ لِي بِها يَدًا قادِرَة ، وقُوَّةً قاهِرَة ، ونَفْسًا مُطْمَئِنَّةً شاكِرَة ، وتَجْعَلُنِي بِها مِنَ الوُجُوهِ النَّاضِرَة ، وإِلَيْكَ يا رَبِّي ناظِرَة ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٧﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المُذَكِّرِ الذَّاكِر ، صَلاةً تَحْفَظُنِي بِها مِنْ حَسَدِ النَّاظِرِ وغَدْرِ الغادِر ، وتَكْتُبُنِي بِها فِي دِيوانِ الغَنِيِّ الشَّاكِر ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٨﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الدَّاعِي لِذِكْرِكَ فِي

السِّرِّ والجَهْر ، صَلاةً تُعْطِينِي بِها إِيمانًا ويَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْر ، وصِحَّةً وعافِيَةً وبَرَكَةً فِي العُمْر ، وسَعَةً ورَغَدًا فِي المَعِيشَةِ مَعَ الشُّكْر ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٩﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الزَّاد ، صَلاةً تُبارِكُ لِي بِها فِي مالِي والأَوْلاد ، وتَحْفَظُنِي وإِيَّاهُمْ مِنْ صُحْبَةِ الأَضْدادِ وشُبْهَةِ الإِلْحاد ، وتُدِيمُ عَلَيْنا إِقامَةَ الصَّلَواتِ والأَوْراد ، وتُورِدُنا مَنْهَلَ الوُرَّاد ، وتَجْعَلُنا يا رَبَّنا مِنَ الرُّوَّاد ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٠﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صاحِبِ المَقامِ الأَعْلَى واللِّسانِ الفَصِيح ، صَلاةً تَرْزُقُنِي بِها سَماحَةَ الوَجْهِ المَلِيح ، مَعَ المَدَدِ العالِي والقَدَمِ الصَّحِيح ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١١﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ العَرَبِي ، صَلاةً تُثَبِّتُ بِها عَلَى دِينِكَ قَلْبِي ، وتَحْفَظُ عَلَيَّ بِها عَقْلِي ولُبِّي ، وتُفَرِّجُ بِها هَمِّي وكَرْبِي ، وتُوَسِّعُ بِها رِزْقِي وكَسْبِي ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٢﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ رَحْمَةِ اللهِ لِلنَّاس ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنَ الوَسْواس ، وتُطَيِّبُ بِها نَفْسِي وأَنْفاسِي ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٣﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نُورِ المُسْلِمِينَ والأَهِلَّة ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنَ القِلَّةِ والعِلَّةِ والذِّلَّة ، وتَحْفَظُ عَلَيَّ ثَباتَ العَقْلِ والمِلَّة ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٤﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ رُسُلِكَ وأَنْبِيائِك ، صَلاةً تُجَنِّبُنِي بِها سُبُلَ العَطَبِ والمَهالِك ، وتَأْخُذُ بِيَدَيَّ لِخَيْرِ المَسالِك ، وتُيَسِّرُ لِي الوُقُوفَ عَلَى عَرَفاتٍ والوَفا بالمَناسِك ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٥﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الوَعْدِ الأَمِين ، صَلاةً تُحَصِّنُنِي بها بِدُرُوعِ الصِّدْقِ واليَقِين ، وتُيَسِّرُنِي لِلخَيْرِ مَعَ التَّمْكِين ، وتَسْلُكُ بِي مَناهِجَ المُتَّقِين ، وتُدْخِلُنِي بِها فِي عِبادِكَ الصَّالِحِين ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٦﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ شَفِيعِ الأَنام ، صَلاةً تُعِيدُ بِها تَطَوُّفِي بِبَيْتِكَ الحَرام ، وتَنَسُّكِي بَيْنَ الرُّكْنِ والمَقام ، وسَعْيِي بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ فِي عافِيَةٍ وسَلام ، وتُنْجِينِي بِها فِي هَذِهِ الحَياةِ ويَوْمِ الزِّحام ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٧﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الأَوْلَى بِي مِنِّي ، صَلاةً

تُكْرِمُنِي بِها ولا تُهِنِّي ، وتَرْفَعُنِي بِها ولا تَضَعْنِي ، وتُخَذِّلُ عَنِّي ولا تَخْذُلْنِي ، وتَسْتُرُنِي بِها وتَنْصُرُنِي ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٨﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذِي سَرَى ودَنا ، صَلاةً تَرْزُقُنِي بِها يَقِينًا يَقِينِي الهَمَّ والغَمَّ والعَنا ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿١٩﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نُورِ المُؤْمِنِينَ عَلَى الصِّراط ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها ومَنْ تَحُوطُ بِهِ شَفَقَةُ قَلْبِي مِنَ التَّفْرِيطِ والإِفْراط ، وتُجَنِّبُنا مَواقِفَ الذُّلِّ والانْحِطاط ، وتُحْيِينا بِها فِي أَجْواءِ العِزَّةِ والانْبِساط ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٠﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ قُدْوَةِ أَهْلِ الفَضْلِ والصَّلاح ، صَلاةً يَعُمُّنِي بِها جُودُكَ مَعَ السَّماح ، وتُجَمِّلُنِي بِالفَصاحَةِ والإِفْصاح ، وتَجْعَلُنِي بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الفَوْزِ والفَلاح ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢١﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صاحِبِ الحَوْضِ المَوْرُود ، صَلاةً تَقِينِي بِها شَماتَةَ العَدُوِّ والحَسُود ، وتُفِيضُ عَلَيَّ بِها مَناهِلَ السَّعْدِ والسُّعُود ، وتُحَقِّقُ لِي بِها كُلَّ رَجاءٍ ومَقْصُود ، وعَلَى آلِهِ

وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٢﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مُرْسَلٍ وهاد ، صَلاةً تُتَوِّجُنِي بِها بِتاجِ القَبُولِ بَيْنَ العِباد ، وتُعَمِّرُ قَلْبِي بِالأَذْكارِ والأَوْراد ، وتُحَقِّقُنِي بِسِرٍّ مُقَدَّسٍ مَعَ الإمْداد ، وتُبَلِّغُنِي بِها القَصْدَ والمُراد ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٣﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الآمِرِ بِجَبْرِ الخَواطِر ، صَلاةً تَدْفَعُ عَنِّي بِها ومَنْ تَحُوطُ بِهِ شَفَقَةُ قَلْبِي المَخاطِر ، وتُصْلِحُ لَنا بِها البَواطِنَ والظَّواهِر ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٤﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البُرْهانِ والنُّورِ المُبِين ، صَلاةً تُمَتِّعُنِي بِها بِعَفْوٍ وعافِيَةٍ وفَضْلٍ مُبِين ، وتُعِيذُنِي بِها وأَهْلِي وذُرِّيَّتِي مِنَ الخُسْرانِ المُبِين ، وتُؤَيِّدُنا بِرُوحٍ مِنْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِين ، وتَدْعَمُنا بِقُوَّةٍ ويَقِين ، وتَهَبُ لَنا بِها حُكْمًا وتُلْحِقُنا بِالصَّالِحِين ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٥﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّاطِقِ بِالصِّدْقِ والصَّواب ، صَلاةً تُحْيِينِي بِها فِي جُمْلَةِ الأَنْجاب ، وتَحُفُّنِي بِبَرَكَةِ الأَبْدالِ والأَقْطاب ، وتَغْفِرُ لِي ولِوالِدَيَّ ولِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِساب ،

وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٦﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ سَجَدَ واقْتَرَب ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنَ الغَضَبِ والعَطَبِ والنَّصَبِ والوَصَب ، ومِنْ وَعْثاءِ السَّفَرِ وسُوءِ المُنْقَلَب ، وتُبَلِّغُنِي بِها القَصْدَ والطَّلَب ، بِلا كَدٍّ ولا تَعَب ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٧﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صاحِبِ المَقامِ المَحْمُود ، صَلاةً تَصِلُنِي بِها بِحَبْلِ وِدادِكَ المَمْدُود ، وتَجْعَلُنِي بِها مِمَّنْ وَفَّى بِالعُهُود ، وفَتَحْتَ لَهُ البابَ بِلا حِسابٍ أَوْ صُدُود ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٨﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الخَلِيقَةِ الإِنْسانِيَّة ، صَلاةً تَحْفَظُ عَلَيَّ بِها عافِيَتِي وقُوايَ الجِسْمانِيَّة ، وتُفِيضُ عَلَيَّ بِها الأَسْرارَ والأَنْوارَ الرَّبَّانِيَّة ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٢٩﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ السَّارِي سِرُّهُ فِي سائِرِ الكائِنات ، صَلاةً تَصْرِفُ بِها قَلْبِي إِلَى ما يُصْلِحُهُ مِنَ الطَّاعات ، وتُيَسِّرُ لِي عافِيَةَ الأَرْزاقِ والأَقْوات ، وتُجَمِّلُنِي بِجَمِيلِ الصِّفات ، وتُلْهِمُنِي الحَمْدَ والشُّكْرَ فِي جَمِيعِ الحالات ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٠﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذي بِهِ نَيْلُ المَقاصِدِ يُرْتَجَى ، صَلاةً تَجْعَلُ لِي بِها مِنْ كُلِّ ضِيقٍ وهَمٍّ مَخْرَجا ، وتُعِيذُنِي مِنْ هُجُومِ الوَبا ومَوْتِ الفَجا ، وتَسْتُرُنِي وتَرْحَمُنِي إذا صِرْتُ فِي الأَكْفانِ مُدْرَجا ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣١﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى طَه السَّعِيد ، صَلاةً تُنَعِّمُنِي بِها بِأَنْعُمٍ لا تَنْفَدُ ولا تَبِيد ، وتَجْمَعُنِي بِها بِكُلِّ شَيْخٍ صالِحٍ ومُرِيد ، وتُبَلِّغُنا بِها كَرامَةَ المَزِيد ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٢﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أُسْتاذِ كُلِّ أُسْتاذ ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنْ كُلِّ ما مِنْهُ اسْتِعاذ ، وتَجْعَلُ لِي بِها فِي صَفْحِكَ وعافِيَتِكَ المَلاذ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٣﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ السِّراجِ المُنِير ، صَلاةً تُنْزِلُ لِي بِها فِي قُلُوبِ عِبادِكَ المَحَبَّةَ والمَوَدَّةَ والهَيْبَةَ والتَّوْقِير ، وتَجْعَلُ لِي مِنْ لَدُنْكَ السُّلْطانَ النَّصِير، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٤﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ المُطَهَّر ، صَلاةً تَرْزُقُنِي بِها الرِّزْقَ المُيَسَّر ، وغَيْرَ المُقَتَّر ، وتَلْطُفُ بِي فِي

قَضائِكَ المُسَطَّرِ المُقَدَّر ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٥﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المُخْتار ، صَلاةً تُتَوِّجُنِي بِها بِتاجِ الهَيْبَةِ والوَقار ، وتَعُمُّنِي بِغَيْثِ فَيْضِكَ المِدْرار ، وتُجِيرُنِي ووالِدَيَّ مِنَ النَّار ، وتُدْخِلُنا الجَنَّةَ مَعَ الأَبْرار ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٦﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الأَوْلَى بِي مِنْ نَفْسِي ، صَلاةً تُحَسِّنُ بِها خَلْقِي وخُلُقِي وتُزَكِّي بِها نَفْسِي ، وتُنَوِّرُ بِها بَصَرِي وسَمْعِي وحِسِّي ، ويَسْمُو بِها عَقْلِي وذَوْقِي ولَمْسِي ، وتَجْعَلُ بِها ذِكْرَكَ والقُرْآنَ أُنْسِي ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٧﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الغَوْثِ المَدَد ، صَلاةً تَرْزُقُنِي بِها صِحَّةً فِي الجَسَد ، وتَقِينِي بِها الغِلَّ والحَسَد ، وتَخْلُفُنِي بِها بِخَيْرٍ فِي الأَهْلِ والمالِ والوَلَد ، وتُدْخِلُنا حِصْنَ الواحِدِ الأَحَد ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٨﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ بَخْتِ أُمَّتِهِ وحَظِّها ، صَلاةً تَجْعَلُنِي بِها تَحْتَ نَظَرِ عَيْنِهِ ولَحْظِها ، وفِي عَيْنِ عِنايَتِهِ وحِفْظِها ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٣٩﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ جَدِّ الحَسَنَيْن ، صَلاةً تَرْفَعُ بِها البَيْنَ مِنَ البَيْن ، وتَقَعُ العَيْنُ عَلى العَيْن ، وأَحْظَى بِرُؤْيَةِ سَيِّدِ الكَوْنَيْن ، فَأَكُونُ سَعِيدَ الدَّارَيْن ، قَرِيرَ العَيْنَيْن ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٠﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ قَدْرَ ما سَخَّرَ الإلَهُ المَخْلُوقاتِ للإِنْسانِ غايَةً فِي الإِكْرام ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنْ مَزَلَّةِ الأَقْدامِ ومَضَلَّةِ الأَفْهام ، وتَخْتِمُ لِي بِها بِمِسْكِ الخِتام ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤١﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ بَيانِ الصُّحُفِ المُطَهَّرَة ، صَلاةً تُمِدُّنِي بِها بِأَيَّامٍ حُلْوَةٍ خَضِرَة ، وتَسُرُّنِي بِما يَكْتُبُهُ الكِرامُ البَرَرَة ، وتَحْشُرُنِي بِها فِي زُمْرَةِ أَهْلِ بَدْرٍ والعَقَبَةِ والشَّجَرَة ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٢﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صاحِبِ الشَّفْعِ والوَتْر ، صَلاةً تَعْقِدُ عَنِّي بِها كُلَّ لِسانٍ ناطِقٍ بالشَّرِّ ، وتَرُدُّ عَنِّي بِها كُلَّ سَهْمٍ رامٍ بالضُّرِّ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٣﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ السَّاداتِ ، صَلاةً

تَصْبُغُنِي بِها بالعَفْوِ والمُعافاةِ ، وتُعِيذُنِي بِها مِنَ العَنَتِ والمُعاناةِ ، وتُيَسِّرُنِي بِها وأَهْلِي وأَبْنائِي وبَناتِي للخَيْراتِ والمَسَرَّاتِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٤﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ قُوَّةِ زادِ المُتَّقِين ، صَلاةً تَرْزُقُنِي بِها ثَباتًا فِي العَقْلِ والدِّين ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٥﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النُّورِ المُذْهِبِ للنِّسْيانِ نُورُه ، صَلاةً يَصْحَبُنِي بِها صِحَّةُ الجَسَدِ ويَقَظَةُ القَلْبِ وحُضُورُه ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٦﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أَوْفَى البَرِيَّةِ بِمَكارِمِ الأَخْلاق ، صَلاةً تُجَمِّلُنِي بِها بِعَفْوٍ وعافِيَةٍ وسَعَةٍ فِي الأَرْزاق ، وتُعامِلُنِي فِي كُلِّ أُمُورِي بالرَّأْفَةِ والإِرْفاق ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٧﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صِبْغَةِ الأَرْواحِ فِي القِدَم ، صَلاةً تَغْمُرُنِي بِها بالإِحْسانِ والنِّعَم ، فِي طُولِ عُمْرٍ مَعَ عَفْوٍ وعافِيَةٍ وحُسْنِ المُخْتَتَم ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٨﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ العَظِيمِ الجاه ، صَلاةً تُدِرُّ عَلَيَّ بِها حِسانَ الأَرْزاقِ مِنْ كُلِّ اتِّجاه ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا مَنْ

سَجَدَتْ لِعَظَمَتِكَ الجِباه ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٤٩﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ حَبِيبِ الحَقِّ وسَيِّدِ مَنْ خَلَق ، صَلاةً تُزِيحُ عَنِّي بِها الهَمَّ والقَلَق ، وتَكْتُبُنِي بِها فِي جُمْلَةِ مَنْ مَعَ المُقَرَّبِينَ سَبَق ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٠﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذي عَمَّ جُودُهُ الدَّانِي والقاصِي ، صَلاةً تَهْدِينِي بِها لِما فِيهِ خَلاصِي ، وتُعافِينِي مِمَّا حَلَّ بِي مِنَ المَعاصِي ، وأَصِيرُ بِها مِنْ أَهْلِ القُرْبِ والاخْتِصاصِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥١﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذي قِيلَ لَهُ دُسْ عَلَى البِساط ، صَلاةً تُسَلِّمُنِي بِبَرَكَتِها مِنَ الانْحِطاط ، وتُرْشِدُنِي إِلَى طُرُقِ النَّشاط ، وتَصُونُ بِها أَعْمالِي مِنَ الإِحْباط ، وتُجَنِّبُنِي وأَهْلِي وذُرِّيَّتِي طَرِيقَ الزَّيْغِ والاخْتِباط ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٢﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صاحِبِ القُرْآنِ والسُّنَّة ، صَلاةً تُدِيمُ عَلَيَّ بِها فَضْلَكَ والمِنَّة ، وتُبَلِّغُنِي بِها رِضاكَ والجَنَّة ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٣﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ السَّيِّدِ السَّنَدِ

المُتَواضِع ، صَلاةً تُبْعِدُ بِها عَنْ صِحَّةِ أَعْضائِي المَوانِع ، وتَصْرِفُ عَقْلِي إِلَى ما يُصْلِحُهُ مِنَ المَنافِع ، وتُوصِلُنِي إِلَيْكَ ولا تَقْطَعُنِي عَنْكَ بِقاطِع ، وتَجْعَلُ مَجْمَعِي عَلَى ذِكْرِكَ خَيْرَ المَجامِع ، وتَجْعَلُنِي بِكُلِّ ما قَسَمْتَهُ لِي أَوَّلَ قانِع ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٤﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذي أَعْلَمَهُ رَبُّهُ بِما يَظْهَرُ وما يَخْفَى ، صَلاةً تَنْزِعُ بِها مِنْ قَلْبِي الصَّدَّ والجَفا ، وتُغْنِينِي بِها وتَزِيدُنِي تَعَفُّفا ، وتَجْعَلُ لِي بِها سَماحَةً وتَلَطُّفا ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٥﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الكامِلِ النُّعُوتِ والأَوْصاف ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنَ التَّقْتِيرِ والإِسْراف ، وتُجَمِّلُنِي بِها بِالعَدْلِ والإِنْصاف ، وتَسْلُكُ بِي طَرِيقَ الصَّالِحِينَ الأَسْلاف ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٦﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الدَّلِيلِ ومِنْهُ الدَّالُّ والمَدْلُول ، صَلاةً يَكُونُ لِعَمَلِي بِها القَبُول ، وسُلُوكِي مَسْلَكَ السَّادَةِ العُدُول ، وتُنْجِينِي بِها فِي يَوْمٍ تَذْهَلُ فِيهِ العُقُول ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٧﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خَيْرِ البَرايا ومَوْلَى العُرْبِ والعَجَمِ ، صَلاةً تُولِينِي بها عَفْوًا وعافِيَةً وسَعَةً فِي القِسَمِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٨﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ البَشَر ، صَلاةً تُعِيذُنِي بها مِنَ الكَسَلِ والفَشَلِ والكِبْرِ وسُوءِ الكِبَر ، وتُمَتِّعُنِي بِسَمْعِي والبَصَر ، وتَحْفَظُ عَلَيَّ بها جَمِيعَ قُوايَ ما بَطَنَ مِنْها وما ظَهَر ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٥٩﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ حَقًّا وصِدْقًا ويَقِينًا ، صَلاةً تُصْلِحُنِي بها نَفْسًا وبَدَنًا وأَهْلًا وذُرِّيَّةً ودِينًا ، وتُصْحِبُنِي بِها عَفْوًا وعافِيَةً وسَعَةً وتَمْكِينًا ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٠﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ فَضْلًا لا تُحْصَى أَعْدادُه ، صَلاةً تَرْزُقُنِي بها عُمْرًا تَتَّسِعُ آمادُه ، وتَكْثُرُ أَمْدادُه ، وتَزْدَهِرُ أَوْرادُه ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦١﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ فِئَةِ الحَقِّ الظَّاهِرَة ، صَلاةً تَكْفِينِي بِها كُلَّ طالِبٍ يُطالِبُنِي فِي الدُّنْيا والآخِرَة ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٢﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ قِمَّةِ كَمالِ الإِنْسان ، صَلاةً تُعامِلُنِي بها بِمُلاطَفاتِ الإِحْسان ، وتُجَنِّبُنِي بها اخْتِباراتِ الامْتِحان ، وتُظِلُّنِي بالأَمْنِ والإيمان ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٣﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الأَمِينِ المُؤْتَمَن ، صَلاةً تَكْفِينِي بِها صُرُوفَ الزَّمَن ، وأَمْراضَ الزَّمْنَةِ وشُرُورَ الفِتَن ، وتُعِينُنِي عَلَى أَداءِ الفَرْضِ والسُّنَن ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٤﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المُقَدَّمِ فِي الأَقْصَى للإِمامَة ، صَلاةً تَمُنُّ عَلَيَّ بِها بعافِيَةٍ تَصْحَبُها السَّلامَة ، ولا تُخْزِنِي يَوْمَ القِيامَة ، وتَجْعَلُنِي بها مِمَّنْ أَحْبَبْتَ كَلامَه ، وتَكْتُبُنِي بِها مِمَّنْ أَحْسَنْتَ خِتامَهُ ووَفَّيْتَ ضَمانَه ، وقَبِلْتَ صَلاتَهُ وصِيامَه ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٥﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذِي يُعْطِيهِ رَبُّه حَتَّى يَرْضَى ، صَلاةً تَقْسِمُ لِي بِها سَعادَةً يَسْكُنُ بِها القَلْبُ ويَقْوَى ، وتَهَبُ لِي بِها قَبُولًا تَمِيلُ لَهُ القُلُوبُ وتَهْوَى ، وتُدْخِلُنِي بِها وأَحْبابِي جَنَّةَ المَأْوَى ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٦﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الَّذي تُجِيبُ بِجاهِهِ مَنْ

صَلَّى عَلَيْهِ وسَلَّم ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنْ كُلِّ مَغْرَم ومَأْثَم ، وتَرْزُقُنِي بِها كُلَّ مَسَرَّةٍ ومَغْنَم ، وتُبَلِّغُنِي بِها مَعِيَّةَ جَنابِهِ الأَعْظَم ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٧﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أمانِ خَلْقِكَ ، صَلاةً تَهْدِينِي بِها لِما اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ ، وتُدْخِلُنِي بِها السَّاعَةَ فِي سَعَةِ رِزْقِكَ وعافِيَةِ كَرَمِكَ ومَسَرَّةِ عَفْوِكَ وبَحْبُوحَةِ فَضْلِكَ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٨﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ نَطَقَ بِالضَّاد ، صَلاةً تُعِيذُنِي بِها مِنْ عَثَراتِ الاصْطِياد ، وتَحْفَظُنِي بِها مِنْ تِيهِ الأَضْدادِ وشَهْوَةِ الاسْتِبْداد ، وتُسْعِدُنِي بِها وأَهْلِي وذُرِّيَّتِي والأَحْفاد ، ومَنْ سَلَفَ مِنَ الأَجْداد ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٦٩﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ طَيِّبِ الأَصْلِ والفَرْعِ والأَنْفاس ، صَلاةً تَجْمَعُنِي بِها بِالخِضْرِ أَبِي العَبَّاس ، وأُسْعِدُ بِها نَفْسِي والنَّاس ، وتُعِيذُنِي بِها مِنَ القُنُوطِ والإِياس ، وتَحْفَظُ عَلَيَّ بِها نِعْمَةَ الحَياءِ والإِحْساس ، بِحَقِّ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ

ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

﴿٧٠﴾ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ طَوْقِ النَّجاة ، صَلاةً تَسْتَجِيبُ لِي بِها الدَّعْوات ، وتَغْفِرُ لِي بِها الزَّلاتِ الكَبِيراتِ مِنْها والصَّغِيراتِ السَّابِقاتِ مِنْها واللَّاحِقات ، وتُصْلِحُ لِي ما مَضَى مِنْ أَعْمالِي وما هُوَ آت ، وتُوَفِّقُنِي لِجَمِيعِ الخَيْرات ، وتُسَدِّدُنِي بِجَمِيعِ الصَّالِحات ، وتَكُونُ لِي بِها مُخْرَجًا مِنْ جَمِيعِ الضَّائِقات ، ومُتَحَمِّلًا عَنِّي جَمِيعَ التَّبِعات ، مِمَّا قَصَّرْتُ فِيهِ مِنَ التَّكْلِيفات ، وأَداءِ الأَماناتِ بِدافِعِ الشَّهَوات ، أَوْ بِعارِضِ السَّهَوات ، وانْفَحْنِي اللهُمَّ نَفْحَةَ النَّعِيمِ فِي جَمِيعِ الأُوَيْقاتِ واللَّحَظات ، مَعَ لُطْفِكَ والعَفْوِ والعافِيَةِ والمُعافاةِ مِنْ كافَّةِ الشُّرُورِ وجَمِيعِ الآفاتِ والبَلِيَّات ، رَبِّ واجْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لِوالِدَيَّ ولِزَوْجِي وذُرِّيَّتِي أَزْواجًا وزَوْجات ، ولِمَنْ تَعَلَّقَ بِزِمامِي مِنْ مُحِبِّينَ ومُحِبَّات ، وكانَ فِي خِدْمَتِي وكُنْتُ فِي خِدْمَتِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ والصَّالِحات ، والصِّدِّيقِينَ والصِّدِّيقات ، مِنْ أَهْلِ الأَرَضِينَ والسَّماوات ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيما .

الخاتِمَةُ الفاتِحَةُ لِنَصْرِ المَواقِيتِ وجَبْرِ الفَوائت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الفاتِحِ لِما أُغْلِقَ ، والخاتِمِ لِما سَبَقَ ، ناصِرِ الحَقِّ بِالحَقِّ والهادِي إِلَى صِراطِكَ المُسْتَقِيم وعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ ومِقْدارِهِ العَظِيم مِلْءَ ما عُلِمَ ، وعَدَدَ ما عُلِمَ ، وزِنَةَ ما عُلِمَ ، صَلاةً عَظِيمَةَ القَدْرِ والمِقْدار .

أَسْأَلُكَ اللهُمَّ بِسِرِّها ، وبِسِرِّ سِرِّها ، وبِسِرِّ مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ بِها ، وبِسِرِّ مَنْ صَلَّى بِها مِنْ بُرُوزِ سِرِّها إِلَى دارِ القَرار ، أَنْ تُصَلِّيَ وتُسَلِّمَ عَلَى مَنْ شَرَّفْتَهُ بِها وشَرَّفْتَها بِهِ ، سِرِّ وُجُودِها ، ومَنْبَعِ فَضْلِها وجُودِها ، سِرِّ السِّرِّ السَّارِي سِرُّهُ فِي كُلِّ سِرٍّ سَيِّدِنَا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ وأَحْبابِهِ وأَزْواجِهِ وأَتْباعِهِ ، وأَنْ تُعَوِّضَنِي اللهُمَّ بِها ما فاتَنِي مِنْ عَمَلِ اللَّيْلِ والنَّهار ، وتَتَقَبَّلَ مِنِّي ما وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنَ الصَّلاةِ والفَرائِضِ والنَّوافِلِ والأَوْرادِ والأَذْكار ، وتَمْنَحَنِي مِنْ سِرِّ سِرِّها ما مَنَحْتَ بِهِ أَهْلَ السِّرِّ والأَسْرار ، والصَّابِرِينَ والصَّادِقِينَ والقانِتِينَ والمُنْفِقِينَ والمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحار ، بِمَحْضِ الفَضْلِ والجُودِ يا حَلِيمُ يا سَتَّار .

فِهْـرِسْـتُ الكِـتاب

المَوْضُوع — الصَّفْحَة

الْمَوْضُوع | الصَّفْحَة

الْمَوْضُوع | الصَّفْحَة

شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

محمد حسني متولي وشركاه

الإدارة : ٩٢ ش التحرير ـ ميدان الدقي ـ برج ساريدار ـ القاهرة

ت : ٣٣٣٨٨١١٩

المطابع : ١٠٥ ش داير الناحية ـ الدقي ـ القاهرة ت : ٣٣٣٨٤١١٦

الفرع : مدينة السادس من أكتوبر ـ حي حدائق أكتوبر ت : ٠١٠١٥٣٩٣٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٤٥٥٦ - ٢٠٢١

الترقيم الدولي : ٩٨٧٩٧٧٥٨٤٢٤٣٤



غَوْثُ المَلْهُوف

فِي

بَيانِ الفَضْلِ المَعْرُوف

د. سعيد ابو الأسعاد